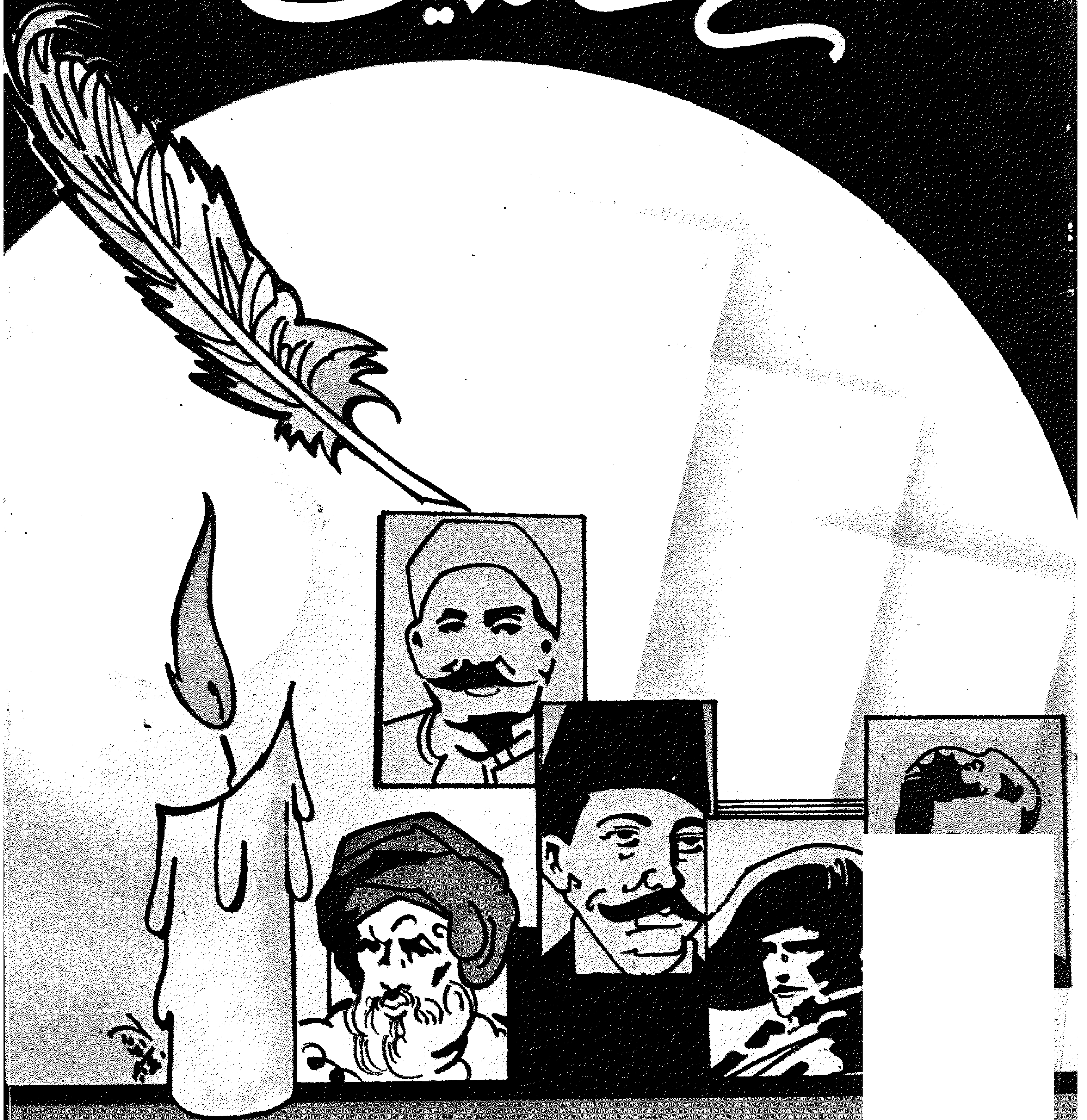
سمير شيخاني

مع الخالدين



مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر

مَعَ الخالدين

سمير شيخاني

مع الخالدين

«ليس ثمة رجل عظيم يعيش عبثاً . إن
تاريخ العالم ليس إلا سيرة الرجال العظام .»

توماس كارلايل

طبعة جديدة
منقحة ومزيدة

عز الدين
للطباعة والنشر

١٤١١هـ-١٩٩١م



مؤسسة عز الدين
للطباعة والنشر

الإدارة : ٩ / ٨٣٤٧٤٨ - ٨٢١٨٤٣
المخازن : ٨٣١٦٤٠ المطابع : ٨٣٧١٤٢
فاكس : ٨٢٠٣٧٨ تلكس I.E ٢٠٣٩٣ EZDINE
بناية لاند ترايد - بئر حسن - ص . ب : ٥٢٥١ / ١٣ بيروت - لبنان .

من أقوال الأدباء
في كتاب سمير شيخاني
مع الخالدين

هذه نتف من بعض ما قيل في هذا الكتاب يوم صدرت طبعته الأولى .

« ... هو كتاب سير موجزة ، يدل بالقطرة على البحر ... ينقل إلينا طرائف وروائع من تجارب أفذاذ عظماء ، رجالاً ونساء ، غربيين وشرقيين ، بعدوا عنا وقربوا منا في مسافة الزمن ... كلهم تمرس بالحياة ، وكلهم لم ينقطع عن الحياة إلا وقد أبقى فيها ميراثاً ... »

رئيف خوري ـ ١٩٥٩/٧/٢٩ (النهار)



« .... إنه موسوعة حضارية ، ودرس طويل بليغ في الرجولة . فالخالدون الذين يتحدث عنهم الكتاب ، ويعرض باختصار أحداث حيواتهم ، ويرسم موجزاً لأعمالهم ومآتيهم ، هم الأساس الذي تقوم عليه مدنية الإنسان الحديث ، ومنارات يهتدى بها ... »

عبد اللطيف شرارة ـ ١٩٥٩/١٠/١١ (الجريدة)

«... إن «مع الخالدين» حوى،عدا الإفادة الجمة في فصوله القيمة ، بهاء اللفظة وجمال الأسلوب ، وروعة التعبير!..».

طه حسين ـ ٥ آب ١٩٥٩ (من رسالة خاصة نشرت في الصحف)



... مؤلف «مع الخالدين» ترجم لأشهر العباقرة العالميين ، وسير العظام تخلق العظائم . إن لهذا الكتاب ميزات تجذبك إليه .

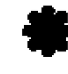
كتاب لا غنى عنه للقارىء العربي الذي لا يحسن لغة أجنبية .

مارون عبود ـ (من فصل كامل عقده في نهاية كتابه النقدي «نقدات عابر» صدر في أيلول ١٩٥٩)



«أتلو كتابك يا سمير ولم يزل ... شوقي له طول المدى يتجدد
أتلو كتابك كل يوم أسطرا ... هو خمرتي أخشى عليها تنفذ»

أحمد الصافي النجفي ـ من رسالة خاصة في ١٩٦٠/١/٢٢



«... كتابك «مع الخالدين» ، عمل يسد ثغرة كبيرة في المكتبة العربية ، وفي الثقافة العامة التي يفتقر إليها حتى الذين نحسبهم مثقفين في دنيا العرب ...»

ميخائيل نعيمة ـ من رسالة خاصة مؤرخة في ٢٦ شباط ١٩٦٠ ـ (نشرت في الصحف)



«... إن كتاب «مع الخالدين» يصلح أن يكون في خزانة كل من يضطلعون بأعباء الحرف والفن لاكتساب العبرة ، وبين يدي كل مستزيد

من الاطلاع على حياة العظماء لاتخاذ المثل الأعلى . ففي سيرة كل من هؤلاء الخالدين مشارف على مهاوي الحياة ، ونوافذ على أبعادها ، وفي مصيره أضواء على هذا الوجود وما يصله بأهداب الخلود . . . »

نسيم نصر - ١٩٥٩/٨/٢٠ (النهار)

*

« . . . «مع الخالدين» أثر يهزك أكثر مما تهزك زيارة هياكل تحدثك ببرودة عن الماضي . وهو حصيلة انصراف مترهب ، ونفس طويل ككل عمل أدبي . حتى لتخال أنك لا تستعرض حروفاً ميتة وأسماء تركت شذاها ، لأنك تنفعل غضباً عنك ، وتتأثر وتعيش من جديد فصلاً من حياة الخالدين . . . »

فائق الرجي - تشرين الأول ١٩٥٩ - مجلة «الأديب»

*

«أما كتاب سمير شيخاني «مع الخالدين» فيسكرك بشذى العبقريات المتعددة تموج في صفحاته ناعمة ، عنيفة ، عميقة ، نفاذة ، أخاذة . إن بيان سمير شيخاني بيان نقي مصفّى ، تلوح فيه الثقافة العالمية ، وتشع الفكر الراقية مبثوثة فيه بإيجاز وبلاغة وانسجام . . . »

عبد الله لحود - أيلول ١٩٥٩ - مجلة «الغربال»

*

«بيد الشكر تناولت هديتك القيمة «مع الخالدين».ولقد نظرت فيه فلم أتمالك عن الشعور بالمجهود الكبير الذي بذلته في إعداده وتنسيقه حتى جاء معجماً طريفاً لنوابغ العالم .

على أنه يختلف عن سائر المعاجم وكتب التراجم بما وفقت فيه من الجمع بين فائدة التعريف بهم وطلاوة الحديث عنهم . فهو حقاً متعة لطالب المتعة ، وكنز فوائد لطالب الاستفادة . .ه»

أنيس الخوري المقدسي - (من رسالة خاصة نشرت في الصحف في حينها)

«. . . وضعت بين أيدينا مستنداً نرجع إليه ، إذ نكون في مجال البحث والتقدير ، تقدير الرجال والأعمال .

مكتبة في كتاب .

هذا هو مؤلفك أو في الأصح « موسوعتك » التي ملأت بها فراغاً ، أو بعض فراغ ، في مكتبتنا العربية . . .»

عبد الله حشيمة ـ ١٩٥٩/١٠/٨ (العمل)

*

« . . . « مع الخالدين » يقدّم مختصراً في حياة العباقرة في كل علم وفن ، ويقدم جوهراً لامعاً من عطائهم . وهو في آن مشوّق إلى المزيد ، فإذا كان مطالعه نهماً في لون من ألوان العلم أو الأدب أو الفكر أو الفن ، تعرّف على المنبع من هذا الكتاب ، وتلمّس طريقه وبعض صفاته . فما يلبث أن يطلبه في مرجعه ، ويأخذ منه كفاية ، أو يروي ظمأه إذا كان لا يزال حرّان يرغب في الارتواء . . . »

مخايل صوايا ـ كانون الثاني ١٩٦٩ (مجلة « العلوم »)

*

«. . . وكتاب « مع الخالدين » يأتي على شكل موسوعة ، لكنها عالمية . كتاب يضم سِير الخالدين من العظماء بصورة موجزة جامعة ، وكتابة السِير أو التراجم لون مألوف من الأدب طالما سبق إليه العرب .

وأهمية هذه الموسوعة تنشأ عن أنها ستسدّ فراغاً كبيراً في المكتبة العربية ، وتيسّر وسائل التعريف بالخالدين للقارىء العربي الذي لا يستطيع ـ في فراغه ـ أن يلمّ بأطراف هذه الموسوعة الغنية في قطّانها البعيدة ، المتفرقة .

خليل هنداوي ـ أيار ١٩٦٩ (مجلة « العلوم »)

*

« . . . وعندي أن الاستاذ شيخاني بكتابه « مع الخالدين » لم يرمِ إلى مجرد الرغبة في التحدث عن الخالدين في التاريخ ، من أدباء ، وشعراء ، وموسيقيين ، وفلاسفة ، وفنانين ، وعلماء ـ على ما بينهم من تباين في ضروب البحث والعطاء وحسب ـ وإنما أراد أيضاً أن تستلّ العبرة مما قدّمه اليك ، فتلج أبواب الحياة مشرعة على مصاريعها ، متنقلاً من غرفة تطلّ بك على بعض ما لم تسمع أو تدرك من أعمال العظام التي تراكمت عبر التاريخ ، كمّاً وكيفاً ، إلى أن وجدت لها تعبيراً في ما تسميه حضارة ومدنية وما إليهما . . . » .

ميشال سليمان ـ تموز ١٩٦٨ (مجلة « الفكر الجديد »)

*

« . . . « مع الخالدين » مرجع موسوعي يلبّي القارىء . إنه ثمرة عناية دقيقة وذوّاقة ، كما أنه ثمرة تنقيب بحث جديّ ومحترم . . . والموسظة دليل ، واعتبر هذا الكتاب دليلاً نبيهاً يلبّي طلب المعرفة والحقيقة والفائدة . . . »

نور سلمان ـ ١٩ /٨ /١٩٦٨ (الجريدة)

*

« . . . تحية أصفى من نبع الصفا ، وبعد ، فقد تلقيت رسالتك الأخيرة وأمس سعدت بتلقي نسخة من كتابك « مع الخالدين » فشكرت لك تفقدك إياي بهذه الهديةالثمينة التي نالك منها عرق القربة ـ كما يقول العرب الأقدمون . وإني لأقدر الجهد العظيم الذي بذلته في تدبيج هذا السفر النفيس ونظم فنون مغين في قلادة جميلة يتألق بها كتابك الذي خرج بمادته الغزيرة المتنوعة عن نطاق الكتاب إلى نطاق الموسوعات . حيّاك الله وقوّاك ومكّنك دائماً أبداً من أن تتحف الأدب والمتأدبين بمثل هذه الغرر الفريدة ! . . . »

عادل الغضبان ـ ١٩٦٨/٧/٣ (من رسالة خاصة)

هـذا كتابـك نزهـة السمّار للنجـوى سمير
الفكـر في آفـاقـه حـرّ ينـير ويستنـير
فيـه جمعت الخالدين بطيب ذوقك يا سمير
فكـأنما في دفتيـه ينطوي الكـون الكبـير

« . . . وكتـاب « مع الخـالدين » سفـر نفيس ، ويدخـل في سجـلات التاريخ ، ويُعـد مصدراً أدبيـاً ومرجعـاً عالميـاً لمعرفـة نُبذ طـوال أو قصار عن جهابذة الفكر البشري ، أدباء متوقين ، وموسيقيين موهوبين ، وأهـل ترحـال وتجـوال ، ضـربـوا في الأرض وجـابـوا الآفـاق . وفيـه عـرض ودراسـات للمختـرعين والمكتشفين ، وسِـير شيقـة لقـادة وفـاتحين . أمـا الفـلاسفـة والمفكـرون فقد زاد لهم المؤلف في كفـة الموازين ، وكـذلك الشعـراء لأنه من قبيلهم . ولو كان سياسياً أو رساماً ونحّـاتاً لـرحنا نجـد في مؤلفه هـذا الكبير مجالات لهؤلاء فيها بحجة أكثر مما هي عنده من دقة الموازين للقسط .

وميـزان الاستـاذ سمـير شيخـاني في هـذا الكتـاب ، ميـزان علمي ، ومنهجـه في الدرس والبحث علمي أيضـاً ، على خـلاف مما جـرى عليـه في مؤلفاته السابقة التي جهد فيها أن يمضي بـالقارىء في نـزهة مـرحة ، وتسليـة جميلة ، وفكاهة محببة تُروى ! . . . »

زكي المحاسني ، دمشق ،
(من دراسة أُعدت للنشر في مجلة « الأديب »
اللبنانية ـ كُتبت في ١١/٦/١٩٦٨)

المقدمة

طالما شبّه الناس الحضارات ، ثم النهضات والتطورات التي ترافقها ، بالبنيان الشامخ ، غير المتكامل .

والخالدون في تاريخ الأمم والشعوب ،هم كالحجارة في تاريخ البناء والعمران . فكما أننا لو طرحنا أو نزعنا حجراً واحداً من البنيان ظهر أثره والفراغ الذي يخلّفه ـ وكثيراً ما يكون زواله عاملاً فعّالاً في تصدّع البنيان ، وتعرّضه للتهدم والاندثار ـ كذلك الخالدون ، أثرهم واضح ، ظاهر ، في ذلك التراث الضخم الذي نسميه حضارة ، والذي خلّفته لنا الأجيال !

ونحن ، في هذا الكتاب ، توخينا أن ننتقي لك ، أيها القارىء ، تلك الحجارة الضخمة البارزة ،التي كان لها أثر بيّن في بناء صرح الحضارة الذي نشهد في عصرنا هذا . لذا فقد اقتصرنا على الراحلين من المشاهير والعظماء ، ولم نتعرّض للأحياء منهم يقيناً منا أن أثر الإنسان في الحضارة لا يظهر واضحاً ، خالصاً إلا بعد وفاته عندما ننظر بعين مجردة ، بعيدة عن الغرض والهوى ، إلى ما خلّف ، وصنع ، وخلق . . . إلى ذلك الحجر الذي تركه لنا ، وما يمكننا أن نصنع به . . . هل يساعدنا على تدعيم الأساس . . . أساس الحضارة ؟ . . أم أنه يصلح للمنافذ

والشـرفات ؟. . أم تَـرى مكانـه في السقف والجـدران ؟. . أم أنـه لا يصلح لشيء ، والأجـدر بنـا أن نـرمي بـه بعيــداً ، فـلا يبقى لــه أثـر في هيكـل الحضارة ؟!

والكتـاب الـذي بـين يـدينـا الآن هـو عبـارة عن حفنـة من الحجـارة الثمينـة ، الملوّنـة ، والمنـوَّعـة ، التقـطنـاهـا من هنـا وهنـاك ، من صـرح الحضارة . . . رائدنا في اختيارهـا قيمتها ، وأهميتهـا ، وأثرهـا ، ثم العظة ، أو العبـرة ، أو المتعة التي يمكن أن نجنيهـا من دراستنـا لقصـة حيـاتهـا . . . لـذا فقد كـان من المستحسن أن نـطلق عـلى هـذا الكتـاب اسم «مـع بعض الخالدين » لأننـا للأسبـاب التي أوردنا ، ثم لضيق المجـال ، يتعذر علينـا أن نلمّ بسِـير جميع الخـالـدين الـذين أسهمـوا في مـا تـوصّلنـا إليـه من تقـدّم ، وتطوّر ، وحضارة .

فعسى أن يكـون لرحلة القـارىء الطويلة «مـع الخالـدين» ، وتنقّله في أجـوائهم ، وفي مغـامـراتهم ، ومـا يـرافقهـا من آمـال وآلام ، وأفـراح ومســرات ، وفشـل وانتصـار ، ومـا يتخللهـا من وصف عـابـر لمختلف العـواطف ، والمشاعـر البشريـة والإنسانيـة ـ عسى أن يكون للقـارىء في كل ذلك متعة ، وفائدة ، وعظة ، وتسلية !. .

بيروت في ١٩٥٩/٢/١٧

سمير شيخاني

مقدّمة في السِّيرة

السيرة هي حكاية تهدف ، بوعي وفن ، إلى تسجيل الأعمال والمآتي ، وإعادة خلق ـ أو إحياء ـ شخصية حياة فردية . وهي ، على نقيض التاريخ ، ذات صلة بالفرد ؛ وعلى نقيض الرواية ، تسجل دقائق حياة حقيقية عاشها صاحبها . ولكن ، في الوقت نفسه ، يشاطر كاتب السيرة ، أو المترجم ، المؤرخ الاهتمام بالإخلاص للواقع ، كما يشاطر الروائي الطموح لخلق عمل فني . وهكذا نرى أن أعظم السير في العالم هي تلك التي قدمت مواضيعها على حقيقتها وواقعها ، وتعدت ذلك الجمع البحث للوقائع إلى خلق صورة حية . فالسيرة هي ذات أهمية دائمة مستمرة ، لأنها ، من جهة تهتم بشخصيات شهيرة ، حسنة الصيت أو سيئته ، ومشوقة ، ولأن مواضيعها من جهة أخرى ـ وذلك أهم كثيراً ـ هي الطبيعة البشرية .

ومن هنا يمكن للسيرة ، كفن ، أن تعالج حياة فردية مهما تكن متواضعة ، شرط أن تكون السبيل إلى تحليل عميق للمشاعر البشرية ، والدوافع والغايات الإنسانية .

ففي مثل هذا النوع من السير رأى صمـ ـيل دجونسون أكبر قيمة : هذه السير «التي لا تروي لنا كيف أصبح ذلك الرجل عظيماً ، بل كيف

أصبح سعيداً . . . ليس كيف فقد عطف أميره ، بل كيف أصبح غير راضٍ عن نفسه ، متذمراً منها .»

وهذا الكتاب «مع الخالدين» ليس مجموعة وقائع علمية فحسب ، عن عباقرة خالدين . إن الغاية من وضعه هي استعراض جماعة من البشر شجعان ، مفكرين ، عاملين ، ذوي مطامح ، أحياء أبداً : أناس لهم أحلام أسعى من وراء تقديمهم إليكم أن أجعل أحلامهم أحلامكم . فتلك ، في رأيي ، هي المهمة الرئيسية للمترجم أو كاتب السيرة .

الشعر والشعراء

إنه لمن الخطأ الشائع اعتبار الشاعر ناظم «قوافٍ فحسب . إنه أكثر من ذلك . فكلمة شاعر أصلها إغريقي ، وتعني صانعاً ، أو مصمماً ، أو حائك كلمات موسيقية ، وخالق أفكار موسيقية .

والشاعر الحقيقي مبدع ـ وأكثر . إنه نبي ! والواقع أن الرومان القدامى استعملوا كلمة «فاتيس» لتعني نبياً وشاعراً معاً . والنبي ، على حسب تعريف كارلايل، هو «من يكشف لنا ما ينبغي أن نعمل» و«الشاعر ما ينبغي لنا أن نحب» إنه الباحث والعرّاف ـ «حامل ضوء مقدس مرسل من السماء !»

باستطاعته أن يرى بوضوح أكثر منا جميعاً ـ ليس في ما يتعلق بتقدم الإنسان ، بل في ما يتعلق بغاية الله . باستطاعته «الغوص في المستقبل» ـ على حد تعبير اللورد الفريد تنيسون ـ أبعد مما يمكن العين البشرية رؤيته ، ليرى الرؤيا الأخيرة ، وروعتها ، عندما يصمت قرع طبول الحرب ، وتطوى أعلام الحروب في برلمان الشعوب ، في جمهورية العالم .

الشاعر الحقيقي مبدع ونبي . وهو أيضاً ، أبعد من ذلك ـ إنه

معلم . فهـو لا يرى النـور فحسب ، بل سـراه يقود خـطانا في اتجـاهه . وفي حين يجلس العالم بهـدوء في برجـه العاجي للتـأمل ، نجـد الشاعـر ، بصورة عـامة ، يكـافح في طليعـة التقدم البشـري والإنسـاني . وإننـا لنـرى شعـراء قليلين بـين الـرجعيـين ، ولكننـا نـرى الكثيـرين في صفـوف الثـائـرين . والشعراء الكبار يحـاولون القضاء عـلى جور العـالم ، وتخليد جمـالاته . وإنهم ليؤلفـون أوثق صلة بـين بشر اليـوم وسـوبـرمـان الغــد . وهم إخـوانـنـا «السـامون» الـذين يمسكون بـأيدينـا ويقودوننـا لتسلق «درجات مـذبح العـالم الكبير التي تصعد عبر الظلمة إلى الله . »

فـالشاعـر ، إذاً ، هو رسـول الله لخير البشر ـ أخ متعـال ذو عين ثـاقبة نفاذة ، وصوت غنائي ، وقلب مفعم بالأمـل والرجـاء . ولعل الشـاعر أكـثر أجنـاس البشر المتفوقـين فهماً ، ذلـك بأن ثمـة «عرقاً شعريـاً في قلوب جميـع البشر» ـ كما يقول تـوماس كـارلايل . ونحن جميعـاً شعراء عنـدما نقـرأ بتفهم ووعي قصيدة عصماء .

من وقت إلى اخر، تتعالى صيحـة حول مـوضوع فـائدة الفنـون عامـة ، والشعر بنوع خـاص . وذلك أمـر يستحق الاهتمام لأنـه يبعث على الـدهشة والاستغـراب. فلماذا ينبغي أن يكـون لكل شيء في العـالم فائـدة مـا ؟ ومـع أن للشعـر جمال الـزنابق ، فـإن التساؤل عن فـائدة الشعـر لأشبه بـالتسـاؤل عن فائدة الـدين . إن فوائـد الشعر جمـة . فالشـاعر ينبغي لـه أن يقف جنباً إلى جنب مـع رجل الـدين في عمله من أجـل إعـادة الإيمـان بـالله إلى قلوب البشر في هذا العصر المادي الصرف .

يقـول مفكر غـربي عن أفلاطـون «إنه بشمـول رؤياه ، وتـوسـطه عـالم الفكر ، كتوسط الشمس كبـد السماء ، كـان ذا إيمان لا تشـوبه شـائبة» . إن هـذا لصحيح في مـا خص الشاعـر الكبير . كـان صحيحاً في المـاضي ، وهو صحيح اليوم ، في هـذا العصر الذي يشكـو فيه الكثيـرون بسبب الـظروف

الخارجية في العالم ، وبسبب حياتهم ، من ضعف مأساوي أو فقدان كامل للإيمان . والشعر يساعدنا على تركيز أنفسنا .

الشاعر يتحدث إلى جميع البشر عن تلك الحياة الأخرى التي أخمدوا جذوتها أو نسوها . والشاعر يساعد إخوانه البشر لكي يكونوا أكثر رحمة بعضهم ببعض ، متذكراً عبارة «أيها الأطفال أحبوا بعضكم بعضاً .» وبالنسبة إلى شكسبير ، مثلاً ، ان أحقر الأشياء الحية تستحق نور الشمس .

تقول الشاعرة البريطانية أديث ستويل : «لكم أود لو كان بإمكان كل واحد أن يشاطر الشاعر نشوته وغبطته . إن اختبار الشاعر في الخلق يمكن تشبيههُ ـ وأقول ذلك بكل تواضع ـ باختبار القديس . فأنا لا أعتقد أن من أحب الشعر يمكن أن تكون له نفس سيئة . يمكن أن تكون له أخطاء ، ولكن النفس تظل تتمتع بالإشعاع والسمو .

«يقول بعض المهووسين إن القصائد التي تكتب فحسب من أجل حب الجمال عديمة الفائدة ، وهي كالفراشات . وإن ذلك ليعيد إلى ذاكرتي قول العالم النباتي البريطاني الشهير في القرن السابع عشر دجون راي ، إذ سئل عن فائدة الفراشات فأجاب : «لتزيين العالم ، وإبهاج عيون البشر ، لإضاءة الأرياف ، فتكون ككمية من البرق المذهب يزركش الحقول .» وقد أضاف إلى ذلك قوله عن تلك الفراشات المصنوعة بيد الله : «من يستطيع تأمل جمالها الرائع دون أن يعترف بآثار الفن الإلهي عليها ، وعبادة تلك الآثار ؟!»

على أي حال ، إن الفراشات التي يتكلم عنها ، هذه الفراشات المصنوعة بيد الإنسان ، تحمل على أجنحتها آثار الفن البشري .

الموسيقى والموسيقيون

كان الحكيم الإغريقي فيثاغوراس ، كل مساء ، قبل أن ينام ، يطلب أن يعزف له بالقيثارة لينقي نفسه من هموم هذا العالم ومشاكله ، ويخلصها من كل الشوائب العالقة بها . ويصف ابن عبد ربه في كتابه «العقد الفريد» الغناء بأنه «الصناعة التي هي مراد السمع ، ومرتع النفس ، وربيع القلب ، ومجال الهوى ، ومَسلاة الكئيب ، وأنس الوحيد ، وزاد الراكب ، لعظم موقع الصوت الحسن من القلب ، وأخذه بمجامع النفس .»

ومهما توغلنا في الماضي السحيق نلتقي الموسيقى . ويمكننا التأكيد بما لا يقبل الشك والجدل أن الموسيقى كالرقص ، والتمثيل ، والشعر ، أو المسرح - وتربطها بها جميعاً صلة وثيقة : أصلها مقدس !

والموسيقيون أناس ملهمون ، طيبوا الدنيا التي نعيش فيها . وما أصدق نيتشه فيلسوف القوة الألماني ، في قوله : «لولا الموسيقى لكانت الحياة خطأ !» .

يقول جورج ميريديث :

«عندما أفكر في نعمة الموسيقى ، والثروة التي تجلبها ، والسمو الذي تسبغه على أفكارنا وعواطفنا ، ومشاعرنا ، أدهش حقاً ألا يكون تدريسها إجبارياً ومتقدماً في كل مكان دون هوادة » .

ويقول فرلين : الموسيقى ، قبل كل شيء .

ويقول شكسبير : ليس ثمة إنسان خشن ، غليظ القلب سيىء الطبع ، لا يمكن للموسيقى أن تبدل طبيعته هذه ، ولو للحظة .

والانسان إذا خلت نفسه من الموسيقى ، ولم يهزه تآلف الانغام الرقيقة ، قادر على ارتكاب الخيانات والمكائد والمعاصي .

وفي رأي بتهوفن ان الموسيقى وحي اسمى من كل حكمة ، ومن كل فلسفة .

الرسم والرسامون

كل لوحة فنية هي فصل من حياة الرسام . ولكي نتذوق عملاً فنياً ، ونقدره حق قدره ، ينبغي لنا أن نعرف قصة الفنان. فلكي نفهم الكآبة في عيون شخصيات رامبرانت ، ينبغي لنا ، أولاً ، فهم الكآبة في حياة رامبرانت. فنحن لا نرى إلا نصف اللوحة عندما لا نكون على معرفة بالرسام. وما أشبه ذلك بمشاهدة مسرحية بلغة لا نفهمها. فمن خلال شخصية الفنان، فحسب، يمكننا فهم لغة فنه. ونعني بالشخصية الرجل كله، الصورة الحميمة، لا واقع حياته الخارجية، ولكن مطامح نفسه الداخلية ـ إذن ، الخالدة .

والرسامون أناس مثلنا ـ شاطرونا مشاكلنا، ومسراتنا ، وأفراحنا، ومعتقداتنا، وشكوكنا، وآمالنا، وخيبة آمالنا ، وجوعنا ـ وبكلمة أخرى، مصيرنا البشري العادي. إلا أنهم اختلفوا عنا، وتميزوا، من جهة واحدة: فقد كانوا أرهف إحساساً وأجلى رؤية، فأغنونا بروائعهم الخالدة، وأتاحوا لنا، كذلك، أن نشاطرهم خلودهم.

ولنذكر ههنا أن الفن العظيم ينبثق من الألم الكبير : فأولئك الذين يعيشون بقوة وحدهم يمكنهم أن يخلقوا أشياء جميلة. فالشكر كل الشكر يسدى إلى أخوان لنا من البشر، يتألمون ويرسمون ليتيحوا لنا متعة المشاهدة.

العلم والعلماء

كان ما كان، في قديم الزمان، مخلوق غريب، أشقر، القى بقطعة خشب فوق صفحة احدى البحيرات. ان السفن الجبارة التي تمخر اليوم عباب المحيطات، تعود في أصلها ومبدأها، مباشرة، إلى ذلك الزورق البدائي.

ولآلاف خلت من السنين صنع عبقري موهوب عجلة من جذع شجرة سقطت أرضاً ـ وكل عجلة تدور في العالم، سواء أكانت كبيرة أم صغيرة، جاءتنا مباشرة من ذلك السلف السحيق.

ورجل القبيلة البدائية الذي رفع أصابعه العشر ليدل على عدد الأعداء الذين قضى عليهم، كان في أساس نظام يتيح لنا اليوم أن نعين بالأرقام حجم النجوم البعيدة، أو السرعة التي ينتقل بها النور.

وما قولك بذلك الانسان المتوحش الذي رسم لأول مرة، على لحاء شجرة صورة غريبة، محاولاً أن يحذر صديقاً، أو يرهب عدواً؟ أوَ لم يتح لنا، إذن، كل الكتب، والمجلات، والصحف، والنشرات التي تهدد بدفن الأرض تحت سيل عارم من الورق ؟!

وهكذا، من الصراع المرير من أجل البقاء، كان مولد ما نسميه العلم. وإذا كان ممكناً جمع التفاصيل، وردم كل الثغرات، لوجدنا أن خط سير العلم يعود بنا حتماً إلى مخلوقات نصف ـ بشرية ، كانوا يسعون عن رعب واضطراب، إلى أن يصبحوا بشراً . سوى أن تلك التفاصيل ضاعت، وليس في الوسع قط ردم أي ثغرة من الثغرات، وقد تبخرت إلى الأبد، كل ذكرى لأصل النار، وصناعة الخزف ، والقوس والسهم، وما شاكل.

إن قصة العلم، إذن، هي قصة بلا بداية، وبلا نهاية، ولكنهادائماً وأبداً تنمو وتتجدد. الدول ترتفع وتسقط، والأسر المالكة تحكم وتختفي، والمذاهب الدينية تعظم وتشرف على الزوال، ولكن العلم، وهو يبني على أنقاض الفشل والقسوة والطموح، يتقدم بخطى ثابتة إلى الأمام. وصحيح أن نسبة التقدم غير مستوية، إلا أن العلم طوال خمسة وعشرين قرناً من الزمن لم يتوقف قط .

الإنسان صنع علمه، وبدوره صنع العلم الانسان. وهو هكذا وسط ما يسميه حضارة، أو نتاج ما فكر فيه، وما صنعته يداه. وأن معرفة علم الانسان، ومعرفة دقائق أولئك الذين صنعوا العلم، يفضيان إلى معرفة الانسان نفسه. ويكفي أن نتابع ذلك الخط الرفيع، غير المنتظم الذي سلكه الباحثون عن الحقائق الغريبة منذ قديم الزمان إلى آينشتاين، لكي نجد ونفهم أفضل جوانب الطبيعة البشرية ، وأكثرها إيحاء هذه الطبيعة التي لا تمجد دائماً، وليست لطيفة دائماً، أو بعيدة عن الطمع والأنانية! . . .

الفلاسفة والمفكرون

السيرة قصة مغامرة. شخصيات العالم الفذة تمثل المغامرات الحياتية من ناحية؛ والشخصيات الفلسفية ـ من الناحية الأخرى ـ تمثل مغامرة في التفكير. وعندما ندرس حياة الفلاسفة نجد أن مواكب التفكير عند الانسان يمكن أن تكون مشهداً مثيراً لا يقل روعة عن مشاهدة الأعمال التي يقوم بها البشر . ولا يقل روعة عن التوغل في مجاهل وبقاع جديدة، التوغل في افكار جديدة. ولكم تتسع جوانب عالمنا، ويغنى خيالنا، وتتلون حياتنا وتزهى نتيجة لمزافقتنا جوابي العقل والروح، ورواد التفكير.

وانسجاماً مع الغاية العامة من كتابة السير والتراجم، فقد عمدت

إلى التشـديد عـلى المفكـرين والفـلاسفـة بـدلاً من التشـديـد عـلى أفكـارهم وفلسفـاتهم، مكتفياً بـإدخال القـارىء لا إلى منازل اربـاب الفكـر فحسب، بـل إلى أدمغتهم وعقولهم. ذلـك بأننـا إذا شئنا أن نفهم الحـالمين بـالمطلق، ينبغي لنـا أن ندعهم يدعوننا إلى حديقة أحـلامهم. وفي يقيني أنـه من الممكن الحصـول عـلى صـورة واضحـة لجمـال حـديقـة مـا، والتمتـع من شميم عطورها وزهـورها، دون أن نقـوم بدراسـة علمية نبـاتية للريـاحين نفسهـا، ودون معرفة أسمائها العلمية معرفة خبير.

وفي حـين نطلع عـلى زبدة آراء هؤلاء المفكـرين المختلفة، فـإننا نقـوم باكتشافـات مشوقـة وهامـة. فهم جميعاً، عـلى الرغم من منـازعاتهم الأصليـة الجوهريـة، يظهـرون، ويعرضـون وحدة في التفكـير أصلية وجـوهريـة. وإننا لنجد أن المدارس الفلسفية المختلفة عـلى وفاق تـام ومختلف النظم والمـذاهب الدينية. فالفلاسفـة والأنبياء، عـلى السواء، متحـدون في اعتقادهم وإيمـانهم بغاية الحيـاة الأساسيـة. وهذه الغـاية هي تـأمين سعـادة الانسان من خـلال تعاون البشرية.

المرأة

االمـرأة، وهي نصف الجنس البشـري - وكثيـرون يـدعـونها النصف «الأفضل» - كانت لآلاف من السنـين مستعبدة. نقـرأ في الشريعـة المانـوية أن «النسـاء ينبغي أن يبقـين ليـل نهار، عبـدات، رقيقـات، تحت سيـطرة رجـالهن وسلطانهم». وفي ظل القـانون الـروماني القـديم كان بـوسع الـزوج أن يقتـل زوجته، والأب ابنتـه، بتهمـة الـزنـا. وحتى بعـد إعـلان «المـاغنـا كارتا»، أو الـوثيقة العـظمى (دستور الانكليـز سنة ١٢١٥)، وبعـد ذلـك بقرون عدة، لم يكن بوسع المرأة - شرعاً - إتهام رجل بجريمة قتل.

وفي فرنسا القـرن الثامن عشر، كـان المفكر الكبـير جان - جـاك روسو

ينظر بارتياح إلى تحرر النصف المذكر من البشرية، لا النصف المؤنث. وهو القائل: «النساء خلقن لأرضاء الرجال . . . ولما كن عاجزات عن اتخاذ المقررات والأحكام بأنفسهن، وجب عليهن إطاعة احكام ومقررات آبائهن وأزواجهن».

وفي العديد من أرجاء الولايات المتحدة الأميركية، وحتى زمن الثورة، كانت النساء اللواتي يتحدثن في المجتمع يعاقبن بدفع غرامات مالية، وبالسجن ولكن تهديد «أمهات» الثورة الأميركية بالعصيان، أكره «آباء» الثورة هذه على الاعتراف بأن النساء لسن ماشية. فقد كتبت آبيغل آدامز، إلى زوجها دجون آدامز، وكان يحضر أحد المؤتمرات السياسية، تقول: «أرغب في أن تذكروا النساء، وتكونوا أكثر تسامحاً معهن وعطفاً عليهن من أسلافكم. . . فإذا لم تمنح النساء عناية واهتماماً خاصين، فإننا لعلى استعداد لاشعال نار العصيان». ولكن الرجال، مع ذلك، لم يعترفوا بأن النساء يساوينهم، إلا بعد قرن ونصف من الزمن.

وهكذا، حتى الجيل الحاضر، كانت المرأة التي اعتبرت «الزوجة ـ نصف ـ الرجل»، تعيش وسط عوائق. إلا أنها على الرغم من هذه العوائق، فقد قدمت من المنجزات ما لا يقل روعة عما قدمه نصفها الجائر الباغي. ففي زمن كليوباتره وتيودورا، عندما كان الرجال العظام انصاف وحوش، لم تكن النساء العظيمات أكثر من رجالهن وحشية. واليوم، عندما يحاول الرجال العظام أن يكونوا أنصاف آلهة، فإن النساء العظيمات لسن أقل الوهية من رجالهن . . .

وفي هذا الكتاب سيرة عدد من النساء يمكنهن بكل جلال ووقار، وبلا استئذان، احتلال أماكنهن جنباً إلى جنب مع أمثالهن من الرجال!

سمير شيخاني

مع الخالدين من الأدباء

هنريك إبْسن

Henrik Ibsen

قليلة هي النقاط الهامة في حياة هنريك يوهان إبسن (١٨٢٨ - ١٩٠٦) الشاعر والروائي المسرحي النرويجي ، إذا استثنينا اخراج مسرحياته - ذلك بأنه وقف كل حياته على الكتابة والتأليف من دون سائر النشاطات ، وعاش بمعزل عن الناس - حتى عن أسرته. وقد تميز بأنه شاعر وناسك متصوف ليس بحاجة إلى الاتصال بالمجتمع . وبعد أن غادر منزله سنة ١٨٥٠ لم يتصل بأي من افراد أسرته غير شقيقته ، ويبدو أنه لم يكن لاصدقائه القلائل أي تأثير عليه . وقد تزوج سنة ١٨٥٨ ، وكرّس وقته وعنايته لتربية ابنه سيغورد .

عمل لدى بلوغه الخامسة عشرة من سنيه لدى احد الصيادلة ، إلا أنه كان يكره هذا العمل ، فكان يروّح عن نفسه بقرض الشعر ، والاكثار من المطالعة ، وخاصة المؤلفات الشعرية والدينية . وفي سنة ١٨٥٠ دخل المدرسة حيث أُخرجت أولى رواياته « كاتيلين » . وعُيِّن في السنة التالية مديراً للمسرح القومي في برغن . وقد قام في سنة ١٨٦٤ بجولة في ايطاليا ، وظل السنين الطوال يقضي معظم وقته في البلدان الاجنبية ، ولم يستقر في كريستيانا ، في النرويج ، إلا في السنوات الخمس عشرة الاخيرة من حياته . وقد ضعفت قواه العقلية في الشطر الاخير من

هـذه الفترة ، وكـان يشكو في السنـوات الاربـع الاخيـرة التي سبقت وفـاتـه سنة ١٩٠٦ من انهيار جسماني وعقلي كامل .

ومن أشهر مسرحيـاتإبسن نذكر بيرجنت، وعصبة الشباب ، وعلامـة (استحق بعـد نجاحهـا على المسـرح مرتبـاً سنويـاً ممـا يكـافـأ بـه الشعـراء) وأعمـدة المجتمـع ، وبيت الـدميـة ، واشبـاح ، وعـدو الشعب ، وعنـدمـا نستيقظ نحن الأموات . . .

كـل هذه المسـرحيات هي فضـح لشرور المجتمـع ، وقـد سعى ابسن فيهـا جميعـاً إلى تمجيـد أهميـة الفـرد ، والاعتقـاد بـأن أسـوأ الخـطايـا نكـران الحب . إلا أن هـذه الـروايـات لم تُستقبـل بحمـاسـة في أوروبـا إلا قبيـل وفاته . . .

كـان هذا الـروائي النرويجي يستلهم مجمـوعـة من الـدمى والتمـاثيـل الصغيـرة ينثرهـا فوق مكتبـه ، ويتخذ منهـا اشخاص الـرواية التي يكتبهـا ، ويحبك حوادثها من اوضاعها . . .

محمد إقبال

Muhammad Iqbal

شاعر باكستان وفيلسوفها الاكبر ، قال عنـه مرة المستشـرق البروفسـور نيكلسـون : « لقـد جـاء اقبـال كـرسـول ، إن لم يكن لعصـره بـالـذات ، فلسـائر العصـور » . وقـد صـدق قـول نيكلسـون إذ أن إقبـال لم يقم بـدور « الشـاعر النبي » الـذي انهض شعبه بـاشعاره القـويـة التي تمجـد الـذات ، وزوده بحيويته وايمانه ، وانما تنبأ له كذلك بأفق جديد ومصير جديد .

والـدكتور اقبـال يعرف في بـاكستان وكثـير من بلدان العالم بـالعـلامـة اقبـال لعلو فضله في العلم والفلسفة والادب . وهـو في الواقـع نسيج وحـده في الادب والفلسفـة ، ويحتـل مكـانـاً في الادب البـاكستـاني بـل وفي الآداب العـالميـة ، لا يـدانيـه إليـه أحـد . فقـد درس الفلسفـة عـلى يـد جهـابـذة

الاساتذة في الغرب ، ثم خرج من دراساته بنظرياته وفلسفته الخاصة . فله نظرية في النفس ، أو الذات ، وما تنطوي عليه من همم قعساء وجد وعمل وتسامٍ إلى العلى . والحق ان اقبالاً وآراءه وفلسفته مما يكون مدرسة قائمة بذاتها قد تتطلب للتخصص بها دراسة تمتد أعواماً .

ولد محمد اقبال في بلدة سيالكوت باقليم البنجاب (الآن باكستان الغربية) في الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة ١٢٨٩ هجرية ، المصادف ٢٢ شباط سنة ١٨٧٣ ميلادية . وُلد لاسرة فقيرة عرفت بالتقوى ، والصلاح والتدين ، ترجع في أصلها إلى براهمة كشمير ، وقد اسلمت في عهد الامبراطورية المغولية (قبل مولده بنحو ثلاثمائة سنة) .

ولما شب اقبال أرسل إلى الكتاب جرياً على عادة القوم ليتعلم القرآن والقراءة والكتابة . فقد كان ابوه مشوقاً لتعليم ابنه أصول الدين ، وبعدها ادخل مدرسة البعثة الاسكونية في سيالكوت مهبط رأسه ، وهنا بدأ الصبي يبدي من الذكاء والمواهب ما لفت انتباه اساتذته . فقد عني اقبال وهو في نعومة أظفاره بدراسة اللغة الاردية والفارسية فضلاً عن الانكليزية ، وما لبث حتى كلف بالشعر ، فأخذ ينظم طرفاً منه ، ويبعث به إلى شاعر نابه الذكر من شعراء اللغة الاردية اسمه داغ .

أتم اقبال دراسته في المدرسة الاسكونية سنة ١٨٩٥،وانتقل إلى لاهور ،حاضرة البنجاب ومركزها الثقافي ، حيث دخل كلية الحكومة ليتم تعليمه . وما لبث أن برز في دراسة العربية والانكليزية ، ونال العديد من الجوائز التقديرية . فأتم هنا تحصيله بأن نال شهادة الفنون سنة ١٨٩٧ أولاً، ثمأتبعها بشهادة استاذ في الفن بعد ذلك بقليل . وعندئذ عين في المدرسة نفسها التي درس فيها .

يؤثر عن اقبال شغفه بالعلم وكلفه بالادب والفن والشعر ، لذا كان

شـديد الاتصـال باهـل العلم كثـير التـرحـال . فقـد قصـد أوروبـا لمـواصلة التحصيـل العالي فـالتحق بجامعـة كيمبريدج ودرس الفلسفـة ، ثم رحـل إلى المـانيا والتحق بجـامعة ميـونيخ وكتب رسـالته في مـوضـوع « تـطور مـا وراء الـطبيعة في فـارس » ، ثم عاد إلى لنـدن حيث درس القانـون . فلما عـاد إلى موطنه مارس المحاماة وبلغ بها منـزلة عليـا . غير ان مـرضه وكبـر سنه حـالا دون مـواصلتـه لهـا ، فكف عنهـا سنــة ١٩٣٤ ، أي قبـل وفــاتـه بــأربـع سنوات .

وكما كان لاقبـال دور خطير في الادب والشعـر والفلسفة ،فكـذلك كان له دور في السياسة . فقد انتخب لعضـوية الجمعيـة التشريعيـة في الهند سنـة ١٩٢٦ ولـه فيها خـطب مأثـورة ، وعمـل في حـزب الـرابـطة الاسـلاميـة ، ورأس الاجتمـاع السنـوي في الله آبـاد سنـة ١٩٣٠ ، ثم اشتــرك في مؤتمـر المـائدة المستـديرة الـذي انعقد في لنـدن لـدراسـة مشكلة الهنـد الـدستـوريـة واصدار دستور جديد وذلك سنة ١٩٣١ و١٩٣٢ .

زار اقبـال بعض البلدان العربيـة وتعرف عـلى أهلهـا . فقـد زار مصر وفلسطين ،واشتـرك في المؤتمـر الاسـلامي الـذي عقـد في القــدس للنـظر في القضية الفلسطينية .

وكان اقبال يبدي اعجاباً عظيماً بالعرب، ويمتدح الـدور الذي قـاموا بـه لاقامة صرح الحضارة الاسلامية .

ولاقبـال شعر كثـير باللغتـين الاردية والفـارسية . ولـه مؤلفات بـاللغة الانكليـزية كـان لها اثـرها البـالغ في تـوجيه التيـارات الفكريـة في الهنـد وفي باكستان فيما بعد .

وفي محـاضراتـه الشهيرة التي جمعهـا تحت عنـوان « اعـادة بنـاء التفكـير الـديني في الاسـلام » شـرح اقبـال فلسفتـه ونـظمهـا ، فقـال : « ان المهمـة

الموضوعة امام المسلم العصري هي اعادة التفكير بالنظام الكامل للاسلام دون ان يقطع الصلة تماما بالماضي » . وقد حاول فيها أن يفعل ما فعله القديس اغسطينوس نحو المسيحية قبل عدة قرون . فأظهر كيف يمكن للمسلمين ان يبقوا مسلمين حقيقيين ، ويتمتعوا من ثم بثمار العلم الحديث .

ولم يكتف اقبال بنفح المسلمين بحيويته وايمانه ، بل نشر لهم فكرة انشاء وطن قومي اسلامي في شبه القارة الهندية . وقد فعل ذلك في خطابه حين كان رئيساً للرابطة الاسلامية في عموم الهند عام ١٩٣٠ .

وكان ان تجسمت هذه الفكرة في انشاء دولة اسلامية منفصلة في شبه القارة الآسيوية للهنود المسلمين باشراف وزعامة القائد الاعظم محمد جناح الذي اعطاها شكلاً عملياً بانشاء دولة الباكستان بعد ١٧ سنة من اعلانها على يد اقبال .

ماريانا ألكوفورادو

Marianna Alcoforado

ليس من الغلو في شيء القول ان رسائل ماريانا ألكوفورادو (١٦٤٠ - ١٧٢٣) ، المشهورة باسم الراهبة البرتغالية ، هي أشهر صرخات الحب المعروفة وأعنفها .

كانت الراهبات في أديرة البرتغال يتمتعن بحرّية تامة تفوق في أغلب الأحيان حرّية النساء المتزوجات . وذات يوم وقع نظر ماريانا الحسناء ، وهي على شرفة الدير ، على الكونت دو شامي ، الشاب الفرنسي الوسيم الذي حارب الأسبان في سهول الفلاندر ، في شمال فرنسا وجاء يحاربهم في البرتغال .

وتـوثقت عرى الصـداقة بـين الراهبـة والبطل الشـاب ، ولكن القـدر القـاسي أبى أن يتم أفراحهـا . فقـد اضـطر الكـونت إلى هجـر حبيبتـه عـلى حـين غرة في أحـد أيام سنـة ١٦٦٢ والعـودة إلى فـرنسـا . وبلغت الحمـاقـة بالضابط الفرنسي أن عرض رسائل حبيبتـه العاطفيّـة الرقيقـة في جملة غنائمـه الحـربيـة ، ولكنــه لم يـذكـر اسم صـاحبتهـا . ثم لم يتـورّع عن السمـاح بتـرجمتها ونشـرها سنـة ١٦٦٩ . فلاقت رواجـاً وشهرة عـظيمين ، حتى أنـه أطلق وصف « البـرتغاليـة » عـلى كـل رسـالـة رقيقـة . وإليـك نمـوذجـاً من رسائل الراهبة البرتغالية :

« كفّي ، كفّي يـا ماريـانا المسكينـة ، المنكـودة الـطالـع ، عن اتـلاف نفسك عبثاً من أجل حبيب متجنٍّ لن تريـه بعد اليـوم . . عبر البحـار هربـاً منـك ، وهبط فـرنسـا ينتهب الملذات ، دون أن يفكـر لحـظة واحـدة في الألم الـذي يمضّك . . مـاذا أقول ؟ لا ، لا يسعني أن أظلمـك إلى هـذا الحـدّ في حكمي عليـك ، وثق بأني شـديدة الاهتمـام بتبرئـة ساحتـك ، وأني لا أريد التفكـير بأنـك نسيتني . . . لمَ أبـذل الجهـود لأتنـاسى عنـايتـك بي ، وحبّـك لي ؟ هـل أنا عـاقة فـأطرد من خـاطري ذكـريـات السـويعـات العـذبـة التي قضينـاهـا معـاً ؟ لمَ أدع هـذه الـذكـريـات الحلوة تعـذّب قلبي ؟ أواه ! لقـد أرقص كتابك الأخـير قلبي وبدّل حـاله ، وشعـرت أنه يتخبّط بـين جوانحي ليتخلص من جسدي ويطير إليك حيث أنت . . .

« الـوداع . . أنـا أسلخ هـذه الـرسـالـة عني سلخـاً وعـلى كـره مني . فهي ستقع بين يديك بعـد قليل ، ويـا ليتني اكون أنـا مكانها فـأستمتع بهـذه السعادة الفائقة ، الوداع . . . احبيني دائماً واجعلني أتألم أكثر فأكثر . . . »

لم يـرسل الضـابط أي جواب عـلى هذه الـرسالـة ، فأتبعتهـا مـاريـانـا الـولهى بأخـرى تقـطر عشقـاً ومـرارة ، واختتمتهـا بهـذه الكلمـات : « أنـا شاكرة لك من أعمق أعماقي اليـأس والقنـوط اللذين تسببهـما لي ، وكم أكـره

الهدوء الذي كنت أعيش فيه قبل أن أعرفك . . الوداع ! إن ألمي ليزداد لحظة عن لحظة . آه ، كم لديّ من أشياء أريد أن أسرّ بها إليك ! »

ولكن غباوة النساء الأزلية ـ قاتلها الله ـ أمام الرجل المتلوّن المتقلّب الذي يحتقر حبهنّ ، لا تلبث أن توحي إليها بهذا النداء الرقيق المؤثّر : « أعرفتَ حقيقة قلبي وعاطفتي نحوك وعزمت على نبذي إلى الأبد وتركي أسيرة المخاوف التي ستنتابني عندما أعرف أنك لن تذكرني بعد الآن ، وأنك لن تحجم عن التضحية بي على مذبح حبٍّ لك جديد ؟ أنا أعرف جيداً أني أهيم بك كالمجنونة ! ومع ذلك لا ألوم قلبي الذي صبرت إلى هذه الساعة على عذابه . لقد ألفت نفسي الألم ، ولا أستطيع الحياة دون الشعور بهذه السعادة التي أحسّها وأنا أحبّك وسط آلامي الكثيرة . ان الحقد الشديد والكره البليغ لكلّ شيء يزيدان في آلامي . وقد بات أهلي ، والدير ، وأصدقائي حملاً ثقيلاً يبهظ كاهلي . آه ، يا ربي ، ماذا جنيت لترميني بالشقاء ؟ . . لمَ سمّمت حياتي ؟! »

. . . وأخيراً أجاب شامي على توسلات الراهبة البرتغالية ببرودة انتفضت معها كبرياؤها وعزة نفسها فكتبت إليه تقول :

« إن اظهارك المحبة بهذه الوقاحة ، وهذا التكلف المستهجن في رسالتك الأخيرة إلي ، ليدل على انك تسلمت جميع رسائلي ، ولكنها لم تحدث في نفسك أي أثر . إني أمقتك مقتاً شديداً ، واطلب إليك أن تنقطع عن الكتابة إلي بعد الآن . فأنت كما اتضح لي اخيراً ، غير جدير بعواطفي الحارة . أأنا مجنونة لكي اقدم لك حساباً عن حركاتي وسكناتي ؟ ان خير ما افعله ان انقطع عن مراسلتك ! . . »

ت ي . إس . إليوت

T . S . Eliot

توماس ستيرنز إليوت ، شاعر وناقد وكاتب مسرحي انكليزي ، اميركي الاصل . ابصر النور في ٢٦ ايلول ١٨٨٨ . درس في جامعات هارفرد (اميركا) ، وباريس ، واوكسفورد (انكلترا) . كان ذا ميول ادبية كلاسيكية . اقام في لندن سنة ١٩١٤ حيث اصدر مجلات ادبية وفكرية ، وحرر فيها . مقالاته النقدية ثبتت مكانته في الطليعة بين كتاب العصر البريطانيين ، وكانت أحياناً كثيرة المفتاح لفهم شعره وتطوره .

اصدر سنة ١٩٢٢ مجموعته الشعرية « اليباب » فأظهرت تقدماً مهماً في احياء التكنيك الشعري الذي بدأ بالشعراء الرمزيين الفرنسيين شارل بودلير ، وستيفان مالارمه ، وجول لافورغ ، وسواهم .. كما اظهرت التأثير الشعري الكبير الذي كان لدانتي ، والشعراء الميتافيزيقيين البريطانيين في القرن السابع عشر ، على ايليوت ، إلى جانب تأثير شاعر اميركي معاصر آخر هو عزرا باوند الذي عُرف واياه بأنهما من أسياد المدرسة الشعرية الانكلو ـ اميركية الجديدة .

من أشهر مجموعاته الشعرية نذكر « اربعاء الرماد » (١٩٣٠) .

ومن أشهر مجموعاته المسرحية الشعرية « جريمة قتل في الكاتدرائية » (١٩٣٥) ، قُدمت في مهرجان كانتربري فأحلته مقامه المرموق ككاتب مسرحي . وبعدها راحت تتوالى انتصاراته المسرحية بمأساة « اجتماع العائلة » (١٩٣٩) ، وملهاة « حفلة كوكتيل » (١٩٥٠) .

نال جائزة نوبل للآداب سنة ١٩٤٨ . تزوج مرتين ، وكانت وفاته سنة ١٩٦٤ .

جورج إليوت

George Eliot

جورج إليوت هو الاسم الأدبي الذي عُرفت به ماري آن (أو ماريان) ايفانز الروائية الانكليزية المعروفة (١٨١٩ - ١٨٨٠) .

تلقت الدروس التقليدية التي كان يُسمح لبنات جنسها وقتئذ بتلقيها حتى بلغت السابعة عشرة عندما أصبحت مدبّرة منزل والدها إثر وفاة أمها . فكانت إلى جانب عملها المنزلي تدرس الموسيقى التي أولعت بها ولعها باللغات الالمانية ، واليونانية ، واللاتينية . وكانت شديدة الشغف بالمطالعة . وقد برعت في العزف على البيانو ، ولولا حياؤها الشديد لأسرت مستمعيها فيما لو عزفت أمام الجماهير .

وكانت ماريان في صباها تقية ورعة ، إلا أن تفكيرها ، وانتقال أسرتها إلى كوفنتري سبّبا فقدانها الايمان . وكانت النتيجة المباشرة لذلك انقطاع كل صلة بينها وبين والدها تقريباً ، وهو رجل متدين من المدرسة القديمة . وقد انعكس موقف ماريان هذا في الاسلوب الذي عالجت به المعتقدات الدينيّة في رواياتها .

قامت ماريان ايفانز ، بعد وفاة والدها ، برحلة خارج انكلترا ، ثم عادت إلى لندن حيث أقامت ، وعملت في تحرير مجلة وستمنستر ، وتعرّفت إلى العديد من الشخصيات الأدبية وبينهم جورج هنري ليويس الذي انفصل عن زوجته في حالات جعلت الطلاق بينهما غير ممكن . ونشأت بينه وبين ماريان علاقة كانت تنظر إليها كـ[illegible] زواج . . إلاّ أنه على كل حال كان اتحاداً سعيداً . وقد شجعها ليويس في كتاباتها الخلاّقة التي كانت ثمراتها الأولى القصص الثلاث التي نشرتها سنة ١٨٥٨ باسم مستعار هو جورج إليوت . وقد عرف تشارلز ديكنز على الفور أن صاحبة

هـذه القصص امـرأة لا رجـل وكتب إليهـا يقـول : « ان هـذه القصص تفيض بـالصدق اللذيـذ والرقّـة » ! وفي العام التـالي نشـرت أشهـر روايـاتها آدم بيـد فـاستقبلهـا الـرأي العـام بـالكثـير من الحمـاسـة . ومن روايـاتهـا سـايلاس مـارنـر ، وروممـولا ، وهي قصـة عن عصر النهضـة الايـطالي ، استنفـدت منها جهـداً كبيـراً ، وتنقيبـاً طـويـلاً ، ولكنهـا حملت إليهـا مبلغـاً يسيل له اللعاب : ٧ آلاف استرلينية .

ولها بعض القصائد المنسية اليوم ، وقد اهتمت كثيراً بقضية تعليم النساء .

وكـانت وفاة « زوجهـا » سنة ١٨٧٨ ضـربة قـاسية عليهـا لم تبرأ منهـا تمـاماً . وكـان بين الـذين عرفت التعـزية عـلى يدهم صـديق اميركي يـدعى ج . و . كـروس اقتـرنت بـه سنـة ١٨٨٠ . ولكن زواجهـا كـان قصيـراً إذ توفيت في النسة نفسها . . .

إمرسُون

Rapiph Waldo Emrson

أهنـاك كثيرون يقـرأون إمـرسـون اليوم ؟ أيقـرأون مثلاً مقـالاته وكتبـه الشهيـرة الاعتماد عـلى النفس ، ونـداء في بيتـا كـابـا ، والعـالِم الاميـركي ، والصفـات الانكليزيـة ، وممثلو البشر ، والطبيعـة ، أو يوميـاته ؟ أم ان هـذا المفكـر الاديب الذي اعتبـره الالـوف قـديسـاً وحكيـماً في عصـره قـد اصبح نسيـاً منسياً من الجيـل الحاضر الـذي ما يـزال يشغف بمطالعـة نتاج القـرائح الأميركية المعاصرة لإمـرسون أمثـال : ثورو ، وهـوثورن ، وملفيـل ، وولت هويتمان ؟

ولد إمرسـون ،الذي لُقّب بصـاحب اكبر دمـاغ في اميركـا ،في كونكـورد في ٢٥ ايـار ١٨٠٣ ، وكان الابن الثـالث لأسرة مؤلفـة من والـدين وثمـانيـة

اولاد . اما ابوه فكان قسيساً موحداً (منكر الثالوث) . واما والدته فكانت امرأة وديعة ، فطنة ، متروية في اعمالها ، نشيطة ، شديدة الاهتمام بمصير ذريتها .

كانت بوسطن وكونكورد البيئتين اللتين عاش فيهما صاحب الطبيعة . وكان لوالدته وعمته ماري مودي إمرسون الشاذة ، الغريبة الاطوار ، في ذلك العصر الشاذ الغريب الاطوار ، اكبر الاثر في نفسه وحياته .

كان إمرسون في صغره يحيا حياة الشقاء والامل ، حياة يهذبها الفقر . فلما كبر التحق بجامعة هارفرد ، الا انه كان طالباً متوسط الذكاء ، يعاقر الخمر الفينة بعد الفينة ، ويسترسل في تأملاته واحلامه الذهبية ، وينظم القصائد في بنت الحان .

وتخرّج وانصرف إلى التعليم ، هذه « المهنة البائسة » في نظره . وعلى الرغم من ضعف بصره وكثرة اوجاعه ، واعتلال صحته التحق إمرسون بكلية اللاهوت في جامعة هارفرد .

وتفتّح قلبه للحب . وكانت ايلين لويزا تكر ، فتاة احلامه ، في السابعة عشر من عمرها ، رقيقة ، على جانب كبير من الحسن ، ولكنها كانت ، كالكثيرات من صبايا العصر ، تشكو من ضعف الصدر . وقد اقترن بها بعد معاشرتها ردحاً من الزمن وتأكده من حبه الشديد لها . غير ان زواجهما السعيد لم يعمّر طويلاً . وظلت ذكراها ، بالرغم من زواجه الثاني وسعادته فيه ، تقلق راحته وتعكر صفو ايامه حتى انطفاء سراجه .

وارتحل إلى اوروبا سنة ١٨٤٧ حيث قام بجولة طويلة انتهت به إلى منازل دجون ستيوارت مِل ، وولتر سافيدج لاندور ، وكوليريدج ، ووردزوورث ، ومعبوده توماس كالاريل . فلما عاد إلى اميركا كان قد نضج

فكرياً ، غير انه كان ما يزال بعيداً عن الشهرة التي اصبحت له فيما بعد . وانهمك في القاء المحاضرات ، وكانت جماعات المثقفين والتقدميين تتوافد إلى سماعها . وقد جمع اولى محاضراته في كتابه الاول المعروف الطبيعة ، وإذا به يصبح الفيلسوف الاميركي الاول ، صاحب مذهب التفوق العقلي (القائل بتفضيل المدركات البديهية والعقلية على محض الاختبار) ، ومذهب الذرائع (الاعتقاد بأن أهمية الافكار تظهر في نتائجها الفعلية) ممهداً السبيل امام الفيلسوفين ويليام دجيمس ودجون ديوي ، ويصبح القائد الفكري لتلك النخبة الممتازة من المفكرين والمفكرات امثال برونسون ألكوت ، وهنري ثورو ، ومرغريت فولر وسواهم ، الذين جعلوا من بوسطن وكونكورد عاصمتي الفكر في الولايات المتحدة .

اخذ إمرسون يجنح إلى اليسار شيئاً فشيئاً ؛ واخذ التقدميون والاحرار والمتطرفون يتهافتون على سماع محاضراته ، ويقبلون على مطالعة مقالاته وكتبه وقصائده ، ويسرفون في مناقشتها ، وقد اثار حفيظة الاميركيين في احتجاجه على التحجر الفكري في كتابه العالِم الاميركي ، واكتسب عداوة كلية اللاهوت في جامعة هارفرد طوال ثلاثين سنة .

وكان تطرفه خيراً عليه من الناحية المادية ، إذ اتاح له شيئاً من الطمأنينة المالية .

وظل في برجه العاجي حتى كانت الدعوة إلى تحرير العبيد ونشوب الحرب الاهلية ، فإذا به ينزل إلى المعترك ويبذل نشاطاً فكرياً عظيماً .

فلما انتهت الحرب اضحى إمرسون حقيقة حكيم كونكورد ومحط انظار الصغار والكبار . ولم يكن واسع الثراء ، بل كان يحيا حياة مرفهة . وكان من احب الامور إليه تدخين السيكار والتحدث . وفي شيخوخته لم يعد ذلك المفكر المتطرف كما كان في صباه . وكانت وفاته سنة ١٨٨٢ .

دجين اوستن

Jane Austin

لعلَّ الروائيّة الانكليزية دجين أوستن (١٧٧٥ ـ ١٨١٧) أكثر الروائيات شعبية بين جمهرة القراء الذين لا يعدلون بها أحداً . وأنه ليصعب مجادلتهم في رأيهم هذا إذ ان دجين من أبرز كتاب الرواية . فنظرتها إلى العالم المحيط بها ثاقبة ، وأسلوبها رشيق رائع . ومن أشهر رواياتها كبرياء وتحيّز .

إلا أن الشهرة جاءتها بطيئة متأخرة ، ولم تصبح رواياتها مقروءة إلا منذ أمدٍ قصير نسبياً ، ولكنها مذ ذاك أمست ضرورة من ضرورات الثقافة ، وهي اليوم تعتبر من الروائيين الانكليز الكلاسيكيين .

كان لها معجبون كثر نذكر منهم كوليريدج ، وتنيسون ، وماكولي ، وسكوت وسدني سميث ، ودزرايللي (قرأ روايتها « كبرياء وتحيز » ١٧ مرة) ، والاسقف هويتلي الذي يعتبر مكتشفها .

كانت حياتها عادية ، هادئة ، سعيدة . ولدت في بلدة ستيفنتون (من أعمال مقاطعة هامبشر) حيث كان أبوها راعي الأبرشية . وكانت صغرى أسرة مؤلفة من سبعة أولاد . لم تتزوج ، ولم تغادر بلدتها إلا للقيام بزيارات قصيرة قريبة ، حتى انتقلت الأسرة إلى مدينة باث سنة ١٨٠١ ، ومنها إلى ساوثبمتون ، إلى أن استقر بها المقام في تشوتون سنة ١٨٠٩ حيث عاشت طوال حياتها .

بدأت الكتابة في سن السادسة عشرة ، وهي بعد في المدرسة . إلا أنها لم تدع الكتابة تصرفها عن الشؤون المنزلية . فقد كانت تتقن الخياطة ، والتطريز ، وتقوم بأعباء البيت ، إلى جانب كتابة الرسائل

والقراءة بصوت مرتفع .

وعلى الرغم من هدوء أيامها وضيق محيطها ، فقد شاهدت الكثير من حياة الطبقة الوسطى في المجتمع الاقليمي ، فكان ذلك مادة صحيحة غزيرة لرواياتها ، وكانت تتمتع بخيال خصب لم يؤثر مطلقاً في الصور الحقيقية التي رسمتها حبراً على ورق .

اهتمت كثيراً بوصف حياة أبطالها اليومية ، ولم تحاول يوماً أن تقرن بالأحداث أي عنصر مشوق من عناصر الرواية : الجريمة ، أو الحب العنيف ، أو الدين . وقد تميزت نظرتها بالسخرية اللاذعة ، وتميز أسلوبها بالحبكة الرائعة ، والسلاسة في التعبير .

وضعت دجين أولى رواياتها كبرياء وتحيّز في سنة واحدة (١٧٩٧) ولكن الناشرين لم يأبهوا لها ولم ينشروها ، عن جهل ، إلا سنة ١٨١٣ . وفي سنة ١٨١٥ نشرت روايتها فهم واحساس التي نفضت يدها منها سنة ١٧٩٨ . ولعلّ هذا البرود من الناشرين ثبط من عزيمتها إذ انها لم تكتب شيئاً في الفترة الممتدة بين ١٧٩٨ و١٨٠٩ اللهم إلا مقتطفات بعنوان آل واطسن . أما رواياتها بارك مانسفيلد ، وإيما ، واقناع فقد كتبتها بين ١٨١١ و١٨١٦ .

توماس باين

Thomas Paine

ثائر حر . . كانت الدنيا وطنه والحرية رايته ، ومع ذلك لم يظفر إلا بأربعة يشيعونه إلى مثواه الأخير . . أنصفه التاريخ نفسه الذي ظلمه قرابة قرن ونصف قرن من الزمن .

أبصر توماس باين النور في انكلترا في ٢٩ كانون الثاني ١٧٣٧ .

وفي سنة ١٧٧٤ رحل إلى أميركا حيث انخرط قلباً وقالباً في حركة التحرّر والاستقلال . وما هي إلا سنتان حتى أصدر كتيّباً بعنوان المفهومية ، يدعو فيه إلى الثورة على التاج البريطاني . ومما قال فيه : « ان موعد عالم جديد قد صار قريباً . وسينال جيل من الناس قد يبلغ مبلغ أوروبا في الكثرة ، نصيبه من الحرية . فينبغي ، بدلاً من أن ينظر بعضنا إلى بعض نظرة الشك والتحفظ ، أن يمدّ كل منا إلى جاره يد الصداقة القلبية والاخاء الصريح . وليكن كل رجل مواطناً صادقاً ، وأخاً واثقاً ، ومؤيداً فاضلاً لحقوق الانسانية » .

وكانت عبارات الكتيّب الافتتاحية الرنانة « هذه هي الايام التي تحير نفوس البشر وتمتحنها ، ولا ينكص عن خدمة بلاده غير رجل لا يقاتل إلا في شمس مشرقة » . وقد اعترف الجميع بمساهمة باين الفعالة في الثورة الاميركية . وقيل في كتابه هذا : « لم يحدث قط أن كان لأي كتاب من أي نوع مثل هذا الاثر العميق في شؤون الانسان » .

وعاد إلى أوروبا سنة ١٧٨٧ . فلما صدر كتابه حقوق الانسان ، وهو بمثابة نبوءة عن الديمقراطية ، وقد أهداه إلى جورج واشنطن ، اضطر إلى مغادرة وطنه انكلترا ، فأقام في فرنسا حيث انتخب عضواً في الجمعية الوطنية ، وهي الهيئة التشريعية للجمهورية الأولى الجديدة .

وقد جاء في « حقوق الانسان » قوله : « ان مهزلة الارستقراطية ذاهبة في كل بلد ، وبائدة لا محالة . فلتذهب إذن في هدوء إلى قبرها ولتلحق بالحماقات الاخرى ، وليتعزَّ الحزانى . . . ومتى أمكن أن يقال في أي بلد في العالم ان الفقراء سعداء ، وانه لا فاقة بهم ولا تعاسة وان السجون خاوية خالية من المسجونين ، والشوارع خالية من المتسولين ، والشيوخ لا يعانون ضنكاً ، والعالم الرشيد كله صديق لي ـ لاني صديقه ونصير سعادته ورخائه ـ متى أمكن أن يقال هذا في بلد ما ، فإنه يحق لهذا

البلد عندئذ أن يباهي بدستوره وحكومته .

قال أحد المفكرين : « لقد فعل توماس باين بقلمه ما فعل واشنطن بسيفه لاقامة دعائم الجمهورية الاميركية وتشييد صرحها ! » .

سوى أن شعبيته لم تعمّر طويلاً . فقد سُجن مدة سنة كامله نتيجة لمعارضته في اعدام الملك لويس السادس عشر . واستطاع ، وهو في طريقه إلى السجن ، أن يسلّم أحد أصدقائه مخطوطة كتابه « عصر العقل » ، وهو هجوم على الدين المركّز . إلا أنه كان رجلاً تقياً ، ينظر إلى الدين نظرة شخصية ، فيها جد وصرامة وعقل . فلما رأى الثورة الفرنسية تجتاح الدين ، أحسّ أن عليه أن ينتشله من هذا التيار الدافق . فكتب يقول :

« إني أومن بإله واحد ، لا أكثر ، وأطمع في السعادة بعد هذه الحياة ، وأعتقد أن الواجبات التي يفرضها الدين هي إقامة العدل ، وحب الرحمة ، والسعي لاسعاد بني الانسان » .

وفي سنة ١٨٠٢ عاد إلى اميركا فقيراً معدماً ، بائساً ، ضعيفاً عليلاً . فأقام ردحاً من الزمن في البيت الأبيض في ضيافة الرئيس دجيفرسون . ولكنه توفي في منزله في نيويورك في ٨ حزيران ١٨٠٩ .

بروست

Marcel Proust

كان تأثير بروست ، وخاصة بعد وفاته ، عظيماً جداً . ادخل على الرواية اسلوب التحليل الذي يمكن تشبيهه باسلوب فرويد . وسيظل القارىء يجد لذة في قراءة بروست ، وميلاً شديداً إلى كتبه ، ما بقي هناك ميل إلى السيكولوجية كغاية في حد ذاتها ، وما بقيت لعبة الذاكرة ، والسعي وراء الماضي

يقدمان إلى البعض سبباً كافياً للحياة ، أو طريقة رومنطيقية لعدم الحياة .

لو قيل للكتّاب الذين عاشوا سنة ١٩٠٠ ان واحداً من الكبار بينهم ، هذا الذي سيجدد فن الرواية ، ويدخل إلى عالم الفن الافكار الفلسفية ، ولغة العلماء في تلك الفترة ، كان شاباً مريضاً دائماً ، مجهولاً من الجمهور ومن معظم المثقفين ، يعتبره جميع الذين صادفوه رجلاً من رجال المجتمع « السنوب » ذكياً - ربما - ولكنه عاجز عن القيام بعمل أدبي كبير - اعتقد انه لو قيل لهم مثل هذا القول لاثار الدهشة الكبيرة في نفوسهم . وانه لخطأ كان مزمناً ، استمر حتى بعد صدور المجلد الأول من مؤلفه ، « بحثاً عن الزمن الضائع » . . خطأ مماثل للخطأ الذي ارتكبه سانت - بوف بحق بلزاك ، خطأ يثبت كم ينبغي ان يكون كبيراً حذر النقاد وتواضعهم .

أبصر مارسيل بروست النور في باريس في العاشر من تموز سنة ١٨٧١ ، وكان والده البروفسور ادريان بروست استاذاً في كلية الطب ، وامه ، وتدعى جان فايل ، يبدو انها كانت رقيقة ، لطيفة ، مثقفة ، وبقيت طوال حياتها بالنسبة إلى ابنها مارسيل ، صورة للكمال نفسه . . منها تعلم « الذعر من الكذب ، والتدقيق ، وخاصة الطيبة المتناهية » . ولقد عثر اندريه بيرج ، في احد الدفاتر القديمة ، على مجموعة من الاسئلة التي كانت الصبايا بواسطتها ، « يعذبن » الشبان ، وقد أجاب بروست نفسه على واحدة منها :

« ما هو البؤس في نظرك ؟ »

— « الانفصال عن الام » .

« ابغض الناس إليك ؟ »

— « أولئك الذين لا يشعرون بما هو خير أو حسن ، والذين يجهلون حلاوات المحبة والمودة » .

ولقد بقي بروست مخلصا لذلك الذعر من الناس الذين « لا يحبون حلاوات المودة والمحبة » طوال حياته . وبقي خوفه من التسبب بالالم للآخرين الغريزة المسيطرة في نفسه .

يروي رينالدو هان الذي كان - ربما - أفضل اصدقائه ، كيف كان بروست ، لدى خروجه من احد المقاهي يوزِّع البقشيش يمنة ويسرة . . كان يعطي الخادم الذي حمل إليه طلباته ، ثم يلمح خادماً آخر في ركن من اركان المقهى لم يؤد له أي خدمة ، فيهرع نحوه ليقدم إليه مبلغاً من المال - كذلك - مردداً : « لا بد انه امر صعب ومؤلم بالنسبة إليه ان يبقى منعزلاً . » واخيراً وفيما هو يصعد إلى العربة ، كان يلتفت إلى المقهى بغتة قائلا :

ـ اعتقد انني نسيت ان اودع الخادم . . فهذا امر غير لطيف .

لطيف . . هذه الكلمة مثلت دوراً هاماً في قاموسه وفي اعماله . فما مبعث هذا اللطف ؟ انه في شطر منه ، يصدر من خوف التكدير ، ومن رغبة في كسب العطف والمودة ، والاحتفاظ بهما ، وهما مما يحتاج إليه انسان ضعيف ، ومريض ، يضاف إلى ذلك خيال مرهف ، دقيق ، كان يتيح له ان يتمثل بدقة مؤلمة آلام الاخرين ورغباتهم .

في باريس تابع بروست الدروس في كلية كوندورسه . وحوالى سنة ١٨٨٢ اصبح شخصية محببة في الصالونات الادبية - وخاصة في صالون مدام دو كايافيه ، ومادلين لومير - فكتب عدداً من قصص الغرام التي تحدث في المجتمع ، نشرت سنة ١٨٩٦ تحت عنوان « المسرات والايام » وهي تتميز بالتحليل النفساني الذكي .

وقام باكتشاف دورٍ قُدر له أنْ يمثل في حياته ، وفي فنه دوراً كبيراً : اكتشف الاديب الانكليزي دجون راسكن . فقام بترجمة كتابين من كتبه

هما « توراة آميان » و« سمسم والزنابق » ، محملاً ترجمتيه هاتين الكثير من الملاحظات والمقدمات .

وفي سنة ١٩٠٢ بدأت صحة بروست بالتدهور ، فاضطر مكرهاً ، منذ ذاك ، إلى العيش عيشة منعزلة تحوطها العناية حتى بدا طوال سنوات انه هجر الادب الذي لم يكن اسمه فيه قد تجاوز حلقة صغيرة من الاصدقاء . وهكذا ـ ومع مطالعاته المتعددة المتواصلة وشغفه الشديد براسكن ، وسان ـ سيمون من بين الادباء الفرنسيين الذين اثروا فيه ـ وجد المتسع الكافي من الوقت للانصباب على عمل أدبي طويل النفس ممتع مريح ، مليء بالتفاصيل الدقيقة ، جُمعت فيه ، كما في شبكة ، مجمل تجاربه واختباراته في الحياة ، كما جُمعت فيه حياة الصالونات التي أحبها ، فبعثها حية بدقائقها ، كما بعث سان سيمون ، في مذكراته ، حية حياة البلاط الملكي . . . في هذا العمل الأدبي العظيم الذي أعطاه بروست العنوان العام « بحثاً عن الزمن الضائع » وجمعه في خمسة عشر مجلداً (١٩١٣) سعى وراء الماضي ، وعاشه مجدداً .

وهكذا ، بين سنة ١٩١٠ وسنة ١٩٢٢ ، كتب روايته الضخمة هذه ، وكان يعرف ان كتابه هذا كتاب رائع . فمن المستحيل الا يعرف ذلك . ذلك بان بروست كان ناقداً ادبياً مرهف الحس بحيث لم يكن ممكنا ان يجهل انه كان يبني ، هو كذلك ، عمارة كبرى من عمارات الادب الفرنسي .

ويعود الفضل والشرف في اطلاق شهرة مارسيل بروست إلى الكاتب ليون دودية ، فإذا به يفوز ، بعد مقالات دوديه الحماسية ، وسنة ١٩١٩ ، بجائزة غونكور التي طالما عرفت الرأي العام بكتاب موهوبين .

كان هذا المجد الادبي سنة ١٩١٩ . وقد وافته المنية سنة ١٩٢٢ ولم

يبق امـامـه ، سـاعـة وصـل إلى الجمهـور الا بضـع سنـوات عـلى هـذه الارض، وكـان يعرف ذلـك . ولعله كان يمكن ان يعيش اطـول مما عـاش بسنـوات قليلة فيما لـو اعتنى بنفسه . ولكنـه اصيب بنزلـة صدريـة ، ورفض استـدعـاء أي طبيب ، فمـات في ١٨ تشـرين الثـاني ١٩٢٢ . وكـان قبـل اصـابته بهـذا الداء ببضعة ايام قـد كتب على الصفحـة الاخيـرة من الـدفـتر الاخير كلمة « النهاية » . . .

اميلي وشارلوت برونتي

Emily and Charlotte Bronte

أسـرة بـرونتي تكـاد تكـون نسيـج وحـدهـا في تـاريـخ الأدب لانكليـزي . . فقلما تفجرت مثـل هذه العبقـرية والمهـارة من ينبوع واحـد . كـان الأب باتـريك بـرونتي كاهناً من كهنة كنيسـة انكلترا ، وقـد رزق ستة أولاد خمسـة منهم بنـات ، قبـل أن تمـوت زوجتـه بـداء السـرطـان . ومن هؤلاء البنـات الخمس قُـدِّر لأربـع منهن أن يصبحن كاتبات، منهن اثنتـان ، تشارلوت واميـلي ، اللتـان تعتبـران في طليعـة كبـار الأدبـاء في كـل عصر ومصر .

درس أولاد بـاتريـك في مدرسـة كوان بـريدج الخـاصـة بـأولاد رجـال الاكليـروس في ذلك العهـد . وتوفيت الابنتـان الكبـريـان في هـذه المـدرسـة بداء السل . وقد عنيت بتربية الأولاد خالتهم الآنسة برانويل .

وكـان الفتى الـوحيـد بـرانـويـل معقـد آمـال الأسـرة كلهـا ولكنهـا لم تتحقق . إلا أن شقيقاته حظين بالشهـرة الأدبية التي جـاءت متأخـرة بالنسبـة إلى الشقيقتـين الصغيرتـين . وقد مـارست الشقيقـات بـرونتي الأدب السنـين

الطوال في ظل الفقر والبؤس والحرمان . . حتى أنّ ورق الكتابة كان يعزّ عليهن أحياناً .

أبصَرت اميلي النور سنة ١٨١٨ في هيوارث ، هذا الجزء الغريب من أرض انكلترا الذي انتج النبوغ كما لو كان من ثرواته الطبيعية . وكانت البرية الفسيحة الأرجاء المحيطة بمنزل برونتي موحشة ، منعزلة عن سائر العالم . وكما استوحى الروائي توماس هاردي بعد حوالى خمسين سنة مثل هذه البرّية في كتاباته ، كذلك كان سحر برّية آل برونتي الغامض مصدر وحي وإلهام لاميلي وتشارلوت ، فإذا بهما تكتسبان من غرابتها ، وقسوتها ، مادة لكتاباتهما .

كانت الأخت الكبرى تشارلوت (١٨٢٦ - ١٨٥٥) ، ومن بعدها مؤرخة حياتها السيدة غاسكل ، تعتبران هيوارث والبرية التي تكتنفها عائقاً في سبيل عبقريتهما ، الا أن الواقع هو العكس . فالصبايا الموهوبات (تشارلوت واميلي وآن) كن يجدن لذّة وسروراً في حياكة القصص ، وابتداع الشخصيات قبل أن يكتبن هذه القصص .

كانت اميلي تكنّ حباً عميقاً لأخيها برانويل الذي يقول بعض النقّاد ان له يداً في بعض مقاطع روايتها مرتفعات وذرنغ ، حتى أن أحدهم يجد اميلي وبرانويل في شخصيتي الرواية كاثرين وهندلي أيرنشو ، ويقول : « لقد تخطت اميلي بذلك الاختبار الحقيقي وقتلت نفسها وأخاها وهما ما يزالان في قيد الحياة ! » فإذا كان ذلك كذلك فانهما لم يعيشا طويلاً بعد ظهور الرواية . . إذ توفيا ، كلاهما ، في السنة التي نشرت فيها مرتفعات وذرنغ (١٨٤٨) ، ولم يكن قد تسنى لاميلي بعد أن تقلّب صفحاتها . . .

غير أن اميلي عرفت الشهرة إثر روايتها هذه التي وصفت بأنها أغرب قصة حب في العالم ، وأروع رواية كتبتها سيدة ، فقد بدأت حياتها

الأدبية شاعرة . أصدرت سنة ١٨٤٦ ديوان شعر دعته قصائد يحمل أسماء مؤلفين ثلاثة هم كورر وايليس واكتون بل - وهي الاسماء الرجالية الثلاثة المستعارة لتشارلوت واميلي وآن . . وقد ساهمت اميلي في إحدى وعشرين قصيدة فيه تتجلى فيها عبقريتها الشعرية الصحيحة . قال عنها الناقد ارنولد ماثيوذ : « كانت اميلي برونتي شاعرة في الدرجة الأولى لأن العاطفة ، والعنف ، والحزن ، والأسى ، ليس لها جميعاً أي مثيل منذ لورد بايرون . إلا أن شهرتها الخالدة تقوم على روايتها الوحيدة مرتفعات وذرنغ التي وضعتها وهي بعد في التاسعة والعشرين من عمرها ! »

بدأت اميلي منذ حداثتها تخلق لنفسها فلسفة حيوية جميلة ، وهي واثقة تماماً أنها لن تعرف السعادة الحقيقية في حياتها . وبسبب اعتلال صحتها أيقنت أن مستقبلها سيكون أجدب قاحلاً . إلا أنها مع ذلك وجدت الحياة محتملة ، بل ملأى بالامكانات المثيرة . وقد توفيت سنة ١٨٤٨ وهي في الثلاثين ، ولم تمض ثمانية أشهر حتى لحق بها شقيقها برانويل وشقيقتها آنّ .

أما تشارلوت فلها رواية لا تقلّ شهرة عن رواية شقيقتها هي دجين إر ، صدرت سنة ١٨٤٧ فلاقت الاقبال والترحيب من جمهرة القراء والنقاد . وتعتبر اليوم من التحف الكلاسيكية القليلة التي يتمتع بقراءتها محبو المطالعة أنّى وُجدوا .

كانت البروفسور باكورة روايات تشارلوت ، ولكنها لم تستطع العثور على ناشر وهي حيّة ترزق ، ولم تنشر هذه الرواية إلا بعد أن اكسبتها وفاتها الشهرة الأدبية التي تنعم بها الآن .

اهدت تشارلوت الطبعة الثانية من روايتها دجين أر إلى الروائي الانكليزي ويليام ثاكري تقديراً له واعجاباً به ، وهي جاهلة ، طبعاً ،

أن زوجته ، كزوجة بطل الرواية ، مجنونة ، وقد ذكر أحد نقاد العصر ان ثاكري هو في الأصل بطل الرواية ادوارد روتشستر ، وأن المولفة نفسها هي زوجته المجنونة بيكي شارب .

عاشت تشارلوت وحيدة - بعد موت شقيقها وشقيقاتها - مع أبيها الذي عمّر أطول منها ، وضربت بمعارضته الزواج من مساعده عرض الحائط . . . ولكن صحتها كانت تزداد سوءاً يوما بعد يوم ، فرحلت عن هذا العالم وهي في التاسعة والثلاثين من عمرها .

لقد شغلت اسطورة آل برونتي المؤرخين الأدبيين والمترجمين منذ ذلك الحين ، وتكاد لا تمضي سنة إلا ويضاف إلى رف الترجمات الأدبية العالمية جديد عن سيرة هاتين الشقيقتين !

اندريه بريتون

Andre Breton

بعد ان بدأ بدراسة الطب للتخصص في الامراض العقلية ، واكتشف اعمال فرويد ، وهضمها ، نشر - وهو صديق الشاعر غيوم آبولينير - أول مجموعة شعرية له بعنوان « بنك الرهونات » (١٩١٩) . وفي السنة نفسها اسس مع لويس آراغون ، وفيليب سوبو مجلة « ادب » التي اصبحت لسان حال « الحركة الدادائية » ، ومؤسسها تريستان تزارا ، الشاعر الروماني . فيها ظهرت أول اعماله السوريالية الحقيقية « الحقول المغنطيسية » ، وقد كتبها بالاشتراك مع فيليب سوبو .

وسنة ١٩٢٤ اصدر « بيان السوريالية » ،هي الحركة الادبية الجديدة التي وضع اسسها مع آراغون ، وسوبو ، وايلوار . . . وتولى ادارة مجلة « الثورة السوريالية » . وفي سنة ١٩٢٨ نشر روايته الشعرية « نادجا » ،

وفيهـا يروي مـراحل حيـاته بـأسلوبه الخـاص . واصدر سنـة ١٩٣٠ « بيـان السـورياليـة » الثاني الـذي عمّق فيه المعنى الفلسفي للحـركة ، ونـاهض كل ضغط خارجي سياسي الصبغـة . وسنة ١٩٣٥ قـطع كل عـلاقة لـه بالحـزب الشيـوعي . ولجأ سنـة ١٩٤١ إلى اميركـا بعد ان منعت حكـومة فيشي كتـابه « منتخبـات من الفكاهـة السوداء » . وعـاد إلى باريس سنـة ١٩٤٦ ، فنظم بعد ذلك بسنة معرضاً دولياً للسوريالية .

ولد بريتـون سنة ١٨٩٦ ، وتـوفي سنة ١٩٦٦ . امـا مقامـه فمضمون بـين اسياد النـثر الفرنسي . وهـذا ما جـاء في قامـوس « لاروس » في تعريف السوريالية :

« السورياليـة محاولـة لتخطي الـواقع عن طـريق الاستقاء والغـرف من الخيال واللامعقـول ، حركـة ادبية وفنيـة هدفهـا التعبير عن الفكـرة الصافيـة باستبعاد كل منطق وكـل انشغال بـالاخلاقيـة والجماليـة . وقد انـطلقت هذه الحركة من الاطار الادبي لتصبح حركة فنية فلسفية وسياسية » .

مال بريتون إلى الادب عندمـا قرأ أحـد اساتـذته في الصف ، بصـوت مرتفع ، قصيـدة للشاعـر ستيفان مـالارمه ، وكـان جنديـاً في الحرب العـالمية الاولى ، ارعبه تقتيل الشبيبة الاوروبية فعـزم على مسـاعدة الانسـان الحديث عـلى اسالـة قوى عـاطفية وخيـالية جـديدة ، اعتقـاداً منـه ان افـلاس العـالم والفكر يمكن التعويض عنه فحسب بانماء قوى الانسان اللاوعية .

ومن البـدء ، وكـزعيم للذين اسمـوا انفسهم سـوريـاليـين (لـويس آراغـون ، وبنجامـان بيريـه ، وفيليب سـوبـو) ، لم يحـاول بـريتـون تـدمـير الانسـان ، بل شـاء أن يخلصه من تـوازنـه المتقلقـل ، ويخـرجـه من سـروره وانشراحه ، ويساعده على التعالي فوق فوضاه من خلال اغناء الوعي .

وبين سنة ١٩١٦ ـ عنـدما التقى بـريتون في بلدة نـانت امرأ اسـطورياً

وغامضاً كان له تأثير عميق عليه ـ وسنة ١٩٢٤ ، كان على علاقة بالحركة الدادائية التي ابصرت النور في زوريخ بسويسرا .

وقد درس بريتون الشعراء الفرنسيين ، وعدداً من الشعراء الثائرين امثال ويليام بلايك ، يامون لوتر ، ارتور رانبو ، وغيوم آبولينير . وهذا الاخير الذي توفي سنة ١٩١٨ هو من اوجد لفظة السوريالية .

اما المظاهر التدميرية للسوريالية فلم تكن سوى مقدمة لاعادة بناء الانسان بناءً كاملاً .

كان بريتون شاعراً مبتكراً دون ان يكون شاعراً كبيراً ، في عدد من دواوينه ، من مثل « المسدس ذو الشعر الابيض »(١٩٣٢) . اما تأثيره في الرسم فقد كان اعمق وابقى طوال عقد أو عقدين من السنين ، وقد اكتشف الكثيرون من الرسامين الشباب في فرنسا وسائر البلدان (الالماني ماكس ارنست ، والايطالي جيورجيو دي شيريكو ، والاسبانيان سلفادور دالي ، وخوان ميرو ، وعدد من الاميركيين) دعوتهم الفنية من خلال السوريالية .

هدف بريتون إلى فتح المجاهل امام الادب : مجاهل اللاوعي والاحلام ، وحتى الجنون ، وإلى اعادة الاعتبار للحب ، وتمجيد المرأة على انها ترجمان اسرار الحياة ، وإلى اغراء الانسان الحديث وجره نحو توازن جديد وفوق عقلي . وقد اصبحت السوريالية ، التي ظهرت في البدء بمظهر المنافية لشريعة الادب ، في الواقع ، بحثاً عن اخلاقية جديدة . ومن الذين استوحتهم هذه الحركة المركيز دوساد ، واللاهوتي كورنيليوس جانسن ، والراهب اليعقوبي جان ـ بول مارا .

بريخت

Bertold Brecht

مؤلف مسرحي الماني ، مولود في اوكسبورغ سنة ١٨٩٨ . درس الطب ، وعمل خلال الحرب العالمية الاولى في مستشفى عسكري . وسنة ١٩٢٣ عينه ماكس راينهارت ، مدير « المسرح الالماني » في برلين ، مساعداً في الاخراج ، وقبل منه مسرحيته الاولى « طبول في الليل » (١٩٢٢) . وقد احلته هذه المسرحية في الصف الاول من الكتّاب المسرحيين الجدد .

كان خصماً عنيداً للنازية ، وقد هجر المانيا عندما تسلم هتلر الحكم ، وغاب عنها حتى سنة ١٩٤٨ . وفي المنفى كتب شعراً ، وروايات ، وقصصاً ، ومسرحيات . ومعظم مسرحياته قدمتها في برلين الشرقية « مجموعة برلين » التي ادارها بنفسه حتى وفاته بمعونة زوجته هيلن فايغل .

ومسرح بريشت،الماركسي النزعة،يدور حول هيكل المجتمع الحديث الذي لا يستطيع المرء فيه ، حسب اعتقاده ، ان يعمل دون ان يكون متآمراً مع الظلم . والعمل المسرحي في رأيه لا ينبغي له ان يحمل المشاهد إلى عالم سحري ، بل على النقيض ، ينبغي ان يتيح له التفتح على القضايا التي تطرحها الحياة .

وفي مسرحية « طبول الليل » عرض بريشت كل التجديدات التي كان ينبغي ادخالها على المسرح ، وهو الذي اراد ان يقر الجمهور بالمسرح كمسرح فحسب : المسرح انما يقدم مسرحيات ، وليس من شأنه ان يقدم صوراً وهمية تمثل الواقع وما يحدث في الحياة .

وكانت وفاة بريشت سنة ١٩٥٦ .

بيرنديللو
Luigi Pirandello

لـويجي بيرنـديللو (١٨٦٧ ـ ١٩٣٦) الملقب بساحـر صقلية واحـد من أكبر أساتذة المسرحية المعاصرة . بدأ حياته من القصص القصيرة ، والمقالات النقدية ، والروايات ، والمسرحيات الأدبية بنشر ديوان شعـر قبل نيله شهـادة الدكتوراة في الآداب سنة ١٨٩١ . وقد أعقب ذلك مجلدات .

وكان أول نجاح مسـرحي له سنـة ١٩٢١ عندمـا قدم مسـرحية « ست شخصيـات تبحث عن مؤلف . . . » وتلتهـا مسـرحيـة « هنـري الـرابـع » . وكـان كثير الأسفار . عمـل في الاخـراج المسـرحي ، وانشـأ سنـة ١٩٢٥ « المسرح الفني » في روما . وفي سنة ١٩٣٤ فاز بجائزة نوبل للآداب .

ولد بيرنـديللو في اسرة غنيـة من اسر الطبقـة المتوسـطة . زوجه والـده من انـطونينا بـورتولانـو التي دفعها المـولود الثـالث الـذي رزقتـه ، وافـلاس الاسـرة ، وعسرهـا بعـد يسـرهـا ، إلى الجنـون . ولكنـه ابى ان يحملهـا إلى مستشفى لـلامراض العقليـة حتى وفـاتهـا سنـة ١٩١٨ . وقـد سممت حيـاتـه بغيـرتها الشـديدة . ومن هنـا كـان التشـاؤم الكثيف الـذي يغلف انتـاجـه ، ويكتنف مخيلته .

كـانت قضية الـطبيعة الشخصيـة التي سيطرت عـلى التفكـير الفلسفي في هذا القرن قضيـة حادة شـائكة بـالنسبة إلى بيـرنديللو . ولعـل ذلك مـرده إلى انـه عـاش السنـين الـطوال حيـاة مزدوجـة . . عـاش نفسـه ، وعـاش النموذج المشوه لنفسـه في فكر زوجتـه . فلا عجب، إذن ، إن هو تساءل أيتهما هي النفس الحقيقيـة ، ولا عجب ان تنازعت شخصيـات روايـاتـه مـع هـذه الشكـوك ، في هذه الـروايات التي تبحث عـلى التفكير والتـأمل في سر الحيـاة

الذي هو في مد وجزر دائمين .

بلزاك

Honoré de Balzac

أونوريه دو بلزاك (١٧٩٩ ـ ١٨٥٠) روائي فرنسي الطابع مائة في المائة . أراد له والده أن يدرس الحقوق ، ولكنه أذن له فيما بعد بالاشتغال بالأدب الذي لمع فيه على الرغم من العقبات الجمة التي تثبط الهمم إذا ما اعترضت سبيل الأديب في مستهل حياته . أما الرواية التي عزّزت مكانته وأكسبته الشهرة فهي جلد الحزن التي ظهرت سنة ١٨٣١ .

وضع ست روايات قبل أن يبلغ الثالثة والعشرين دون أن يوقّعها باسمه . وكانت اولى رواياته التي حملت اسمه الصريح « الثوار » ، وتدور حول الثورة الفرنسية .

وما لبث أن رسم خطة لمجموعة مؤلفاته الروائية التي دعاها المهزلة البشرية مستوحياً هذا العنوان من رائعة دانتي الشهيرة المهزلة الالهية التي تتحدث عن الجحيم ، والمطهر ، والجنة . وقد حاول بلزاك في هذه المجموعة الروائية التي تضمّ أكثر من ثلاثمائة شخصية أن يجمع في لوحة كبيرة واحدة المجتمع البشري كله . ولكن تجدر الاشارة إلى أن كل رواية من هذه الروايات وحدة تامة يمكن أن تُقرأ على حدة . وتعتبر رواية الأب غوريو التي ظهرت سنة ١٨٣٥ بعد نشرها متسلسلة ، محور المهزلة البشرية ، وأكثر رواياته حبكاً ومتانة .

وقد ظهرت هذه المجموعة بين سنة ١٨٣١ و١٨٤٢ وهي تتألف من تسع وسبعين رواية تزخر بالتحليل الساخر للبشرية . وقد أثر عن بلزاك أنه كان يعيد كتابة رواياته باستمرار حتى وهو يصحح البروفات لدى

الطبع . وكان يعمل بين ١٢ و٢٠ ساعة كل يوم لبضع سنين ، مقتصراً في طعامه على القليل من الفاكهة ، والكثير من القهوة ، مرتدياً مسوح الرهبان .

كثيرة هي الأحداث في حياة بلزاك وشائقة . وقد كانت أخلاقه عرضة للانتقاد ، إلا أن الكثيرين دافعوا عنه . وكان في حاجة دائمة إلى المال ، يتعاطى مختلف المشاريع التي يمكن أن تدرّ عليه الثروة ، ومن بينها صَناعة حروف الطباعة ، والتعدين في جزيرة سردينيا . وعلى الرغم من دخله غير الثابت،فقد عمد إلى التبذير في شؤون عديدة ، منها شراؤه قصر أحد أثرياء باريس وتأثيثه بمجموعته الفنية الرائعة التي قدّرت بنصف مليون دولار .

وكان طرفاً في دعاوى كثيرة ، وعلى خلاف مستمر مع ناشري كتبه . . حاول الكتابة الصحفية ، وكتابة المسرحيات ، ولم ينجح في محاولاته المتكرّرة للانضمام إلى عضوية الاكاديمية الفرنسية .

وكان في حياته ثلاث نساء : اولاهن مدام دو برني ، وكانت تكبره بعشرين سنة ، وهي سيدة كريمة أثّرت في نفسه أحسن تأثير ، وعطفت عليه كثيراً . . والثانية الدوقة دو كاستري التي أحبها حباً عنيفاً فترة قصيرة من الزمن . . والثالثة الكونتيس هانسكا ، وهي سيدة بولونية نبيلة الأصل بعثت إليه سنة ١٨٣٨ برسالة إعجاب لدى ظهور روايته طبيب الريف ، فكانت هذه الرسالة فاتحة عهد مراسلة وحب بينهما استمر عشر سنين . وكانت متزوجة ، وكان بلزاك أتبع لها من ظلها طوال هذه المدة التي قضاها متنقلاً من بلد أوروبي إلى آخر لمقابلتها . وكانت ترفض الزواج منه حتى بعد وفاة زوجها . إلا أنها وافقت على هذا الزواج قبيل وفاة بلزاك ، فأقاما معاً في قصره الباريسي الفخم .

في سنـة ١٨٩٨ طلبت جمعية اهـل الادب إلى المثّال اوغست رودان أن يصنع تمثالاً لبلزاك ، فلما أتمه رفضت الجمعية تسلّمـه بحجة أنـه لا يشبهه في شيء .

عاش بلزاك مديناً بمبالـغ طـائلة إلى درجة أنه كـان يخشى أن يفتح باب منزله عندما يسمع قرعاً عليه .

وقد أثر عنه انه عنـدما كـان يسير في الشـوارع لا يـدع رقم بيت الا ويسجله ثم يجمع بعد ذلـك الارقام ، فـإذا كان المجمـوع مضاعفـات الرقم ٣ سـار في طريقه ضـاحكاً مستبشـراً ، ومعنى ذلـك دليـل الفـأل الحسن ، والا غيّر اتجاهه إلى شارع آخر . . وهكذا دواليك ! . .

ادغار آلن بو

Edgar Allann Poe

شـاعر وروائي رومنطيقي ممتاز (١٨٠٩ ـ ١٨٤٩) كُتب لـه ان يخطر كـالجبار الكئيب البـائس عبر صفحات الادب الاميـركي . ومـع ذلـك فقـد نُحّي من جـامعة فـرجينيا لادمـانه القمـار والكحول . وفيـما بعـد احيـل إلى المحكمـة العسكـرية وطُـرد من كليـة وست بـوينت الحـربيـة لتمـرده عـلى القوانين والانظمة ، وانصرافه إلى قـرض الشعر بينـما يقوم رفـاقه وزمـلاؤه في الخارج بالمناورات العسكرية ، ويتدربون على اطلاق النار .

اقتـرن اسم ادغـار آلن بـو بـالشقـاء والحـزن حتى عُـرف بـالأديب البـائس . فقـد كـانت حيـاتـه ، بـالـرغم من تـألق نجمـه في سماء الأدب وشهـرته الـذائعة الصيت ، صـراعـاً عنيفـاً مـع الفقر ، والحـزن ؛ والمـرض والسكر .

مـاتت زوجتـه فـرجينيـا التي اصبحت شـريكـة حيـاتـه وهي بعـد في

الثالثة عشرة من سنيها ، مصدورة . فحزن عليها حزناً شديداً ، وتولته كآبة تقصم الظهور ، فقد كان يحبها حباً يقرب من العبادة ، وقد ألهمه حبها العظيم مجموعة من القصائد الرائعة الخالدة التي تعتبر درراً في الادب الانكليزي . . ولكنه سرعان ما تعرف إلى سارة هيلين هويتمان ، فتحابا وتبادلا الرسائل الطويلة الممتعة .

تتميز كتابة ادغار آلن بو بروح الكآبة والسويداء ، التي تخيم عليها ، إلى جانب اسلوب بديع ، رشيق الالفاظ . كان العصر عصر التزويق في الكتابة وتلوينها بالعاطفة . بيد ان بو لم يتقيد ، في مؤلفاته ، بالاصول التي تمشي عليها معاصروه من الادباء .

نسج بو القصص والروايات . ونظم القصائد الرائعة التي أغنت فيما بعد الخزانة الادبية العالمية . ولكنه لم يستطع بيع هذه الكنوز الادبية بما يسدّ به رمقه . من ذلك انه وضع ملحمة بعنوان العقاب استغرق عمله فيها عشرة اعوام فلما باعها لم تدرّ عليه سوى عشرة دولارات ـ أي دولا واحد لكل سنة عمل ـ وقد بيعت مخطوطة هذه التحفة الشعرية اخيراً بعشرات الالوف من الدولارات . تُرى ما الحكمة من ترك العباقرة يتضورون جوعاً وهم احياء يرزقون ثم دفع المبالغ الطائلة لآثارهم بعد ان يغادروا هذه الفانية ؟ . .

اكتشف الجيران ذات مرة ان بو وزوجته الطفلة فرجينيا قد أشرفا على الهلاك جوعاً فحملوا اليهما السلال الملأى بالمأكولات . أفليس هذا محزناً ؟ أجل ، ولكنهما عاشا سعيدين على فقرهما المدقع لأن بو وُهب الروح الشاعرية ،ووُهبت فرجينيا المحبة الفائقة .

وماتت فرجينيا في كانون الثاني . في ذلك الكوخ الحقير . وقد قضت الشهور الاخيرة من حياتها في فراش مصنوع من القشّ ، ليس

عليهـا من الثيـاب والاغـطية مـا يكفي لتـدفئتهـا اللهمّ الا عبـاءة زوجهـا العسكرية القـديمة التي ارتـداها في كليـة « وست بوينت » . وكـان يجلس إلى طرف السرير ويأخـذ يفرك قـدميها لتـدفأ ، في حـين كانت والـدتها تفـرك لها يديها بيـديها للغـاية نفسهـا . وكثيراً مـا كان بـو يحمل القـطة على النـوم عند قدمي المريضة لتزيد في درجة حرارتها. ولمـا ماتت الـزوجة المسكينـة لم يكن في جيبـه المال الكـافي لدفنهـا ، فتطوع احـد الجيران الطيبي القلب للانفاق على مأتمها .

تشيكوف

Anton Tchekov

« تشيكوف هو بوشكين روسيا في النثر ! »

هكـذا وصف تولستـوي صديقـه تشيكوف الـذي كان يعتبـره شخصـاً فـاتنـاً ، متـواضعـاً ، لـطيف المعشر . ومن عجب ان يتعـارف هـذان العمـلاقـان ويتـطور تعـارفهـما إلى صـداقـة متينـة العـرى ، وحب وتقـديـر متبـادلين عـلى الـرغم من انهما لا يتقـابـلان في نقـطة واحـدة . . فتشيكـوف كـان واقعيـاً ، وتـولستـوي متصـوفـاً . . تـولستـوي يتحـدر من اسـرة ارستقـراطيـة ، وتشيكـوف من عـامـة الشعب ، بـل اصله من الفـلاحـين الارقاء .

ابصر انـطون بافلوفتش تشيكـوف النور في تـاغنـروغ سنـة ١٨٦٠ من أب كـان وكيلاً لامـلاك احدى الاسر ، ثم أصبـح تاجـراً ، أما جـده فكـان عبـداً رقيقاً للسـادة تشرتكـوف . درس في المدرسـة اليـونـانيـة الابتـدائيـة في مسقط رأسـه ، وكان في مـطلع حياتـه هادئـاً ، منطويـاً عـلى نفسـه ، يبتعـد عن النـاس ، يشعر أنـه شيء تافـه في هذه الحيـاة . وكـان شـديـد الميـل إلى

الكتابة فأصدر ، وهو بعد في المدرسة ، مجلة « الارنب » التي كان يحررها وينشر فيها نكاته ومداعباته . وقد ساهم في الكتابة للمسرح المدرسي الذي أنشأه .

وأنهى دروسه الثانوية في التاسعة عشرة من عمره ، والتحق بكلية الطب في جامعة موسكو (١٨٧٩) حيث درس أربع سنوات تخرّج بعدها طبيباً ، ولكنه لم يمارس الطب مهنة دائمة بسبب حادثين سيئين وقعا له على الرغم من حبه الشديد للطب الذي يعترف بأنه كان لاختباراته فيه أعمق الأثر في نفسه ككاتب روائي ومسرحي . ومن حسن الطالع أن ميل تشيكوف إلى الأدب واهتمامه بالطب لم يتعارضا قط ، بل أكمل أحدهما الآخر . وقد كانت أولى قصصه رسالة إلى جار عالم من نتاج فترة تحصيله في كلية الطب . وشرع يحرر في عدد من المجلات ، وينشر القصص التي ينحو فيها نحو الهزل والسخرية . وقد أعلن ذات مرة امام افراد اسرته أنه يدفع جوائز مالية لقاء أي حكاية مضحكة ، أو موضوع يصلح لقصة ، وذلك تسهيلاً له على ايجاد شخصيات ومواضيع لقصصه التي راح يؤلفها ، وهو بعد في الرابعة والعشرين من عمره . وكانت مجموعة القصص التي نشرها سنة ١٨٨٦ بعنوان « قصص براقة » و« الشفق » سنة ١٨٨٧ فاتحة عهده بالشهرة الادبية ، وقد نال على اثر صدور المجموعة الاخيرة جائزة بوشكين الادبية التي تمنحها الاكاديمية الروسية . وقد سئل تشيكوف عن عدد القصص التي وضعها في هذه المرحلة من حياته الادبية فاجاب : « أعتقد أنها تبلغ الألف قصة » .

ومن القصص القصيرة انتقل إلى وضع الروايات والمسرحيات التي بوأته مركزاً مرموقاً في الأدب الكلاسيكي الروسي .

وفي سنة ١٨٩٢ ، وهي سنة المجاعة الكبرى في روسيا ، « عمد إلى انشاء حياة جديدة له تكون حافلة بالنشاط والانتاج ، فابتاع قطعة

أرض مهجورة في قرية ميليخوفه ، بالقرب من موسكو ، وأخذ يحرثها ، ويعّبد طرقها ، ويحفر فيها الآبار ، ويقيم عليها المستشفيات ، ويغرس فيها الاشجار ، ويعتني بها كما يعتني المرء باطفاله . . . »

وتوطدت الصلات بين المسرح وتشيكوف الذي غذّاه بالكثير من المسرحيات الناجحة . واشخاص مسرحياته أناس بسطاء ، لا صباغ عليهم ، يتحدثون عن الامور البسيطة بلغة واسلوب بسيطين . . ليس بينهم ندّابون ولا ابطال . . انهم اناس مبهمون يحمل المؤلفُ الناظرَ أو القارىء إلى العطف عليهم . « فتشيكوف نظر إلى الناس بعينيه لا بعيون تولستوي ، ودوستويفسكي ، وتورغنييف . . فلا أبطال لديه وإنما أمزجة مختلفة من الناس » .

سئل تشيكوف مرة عما إذا كان قرأ « الجريمة والعقاب » لدوستويفسكي ، فأجاب انه ارجأها ليبلغ الأربعين . فلما بلغ هذا الحد سئل مجدداً ، فكان جوابه : « قرأتها ولكنها لم تترك في نفسي أثراً كبيراً ! »

« وكان تشيكوف يقول للكتّاب الناشئين انه لا يجوز ان يجلس الكاتب بين أربعة جدران ، وان يستولد المواضيع من ذاته ، بل عليه أن يرى الحياة والناس ويلمس الواقع ، وعليه أن يستمع إلى أحاديث القوم كما هي لا كما يتخيلها ، وأن يسعى دائماً إلى الاسفار والاحتكاك بمختلف العناصر والشعوب . . . وقد نصح احدهم ذات مرة بقوله : سافر إلى اليابان ! . . ونصح غيره بقوله : سافر إلى اوستراليا ! »

في سنة ١٩٠٢ انتُخب تشيكوف وغوركي وكورولينو اعضاء في الاكاديمية الروسية، الا أن القيصر نقولا الثاني حرم غوركي من العضوية ، فرفض تشيكوف على الفور عضوية الاكاديمية احتجاجاً على استبعاد

غوركي وتصّرف القيصر المشين .

وقد اكتشف تشيكوف سنة ١٨٩٧ أنه مصاب بداء الصدر فراح يتنقل من مكان إلى آخر طلباً للاستشفاء حتى حط الرحال في بادن بادن . وفي ١٥ تموز ١٩٠٤ « بعد أن استنفدت جميع وسائل الطب ، اشار الطبيب بتقديم كأس من الشمبانيا إليه ، فلم يفت تشيكوف ، والطبيب ، المعنى من تقديم الكأس المذكورة ، فنهض من فراشه وقال للطبيب بالالمانية : انني اموت ! ثم رفع الكأس وقال لزوجته مبتسماً : لقد مضى علي زمن طويل لم أذق خلاله طعم الشمبانيا . . وافرغ الكأس في جوفه حتى الثمالة ، واضطجع بهدوء على جنبه الأيسر ، وسكت سكتته الابدية » .

بعد وفاة انطون تشيكوف عثر بين اوراقه المتروكة على اربعة دفاتر ملأى بالآراء والاقوال والملاحظات تتناول السنين الاربع عشرة (١٨٩١ ـ ١٩٠٤) . فنشرت مقتطفات منها سنة ١٩١٤ ، ثم نُشرت مجموعة كاملة منها سنة ١٩٢٧ ، قدّم لها البروفسور ليونيد غروسمان . وهي حصيلة مشاهدات في روسيا وخارجها . . .

وفضلاً عن عدة مواضيع لقصص قصيرة استخدم لها تشيكوف بعض محتوى هذه الدفاتر الاربعة ، فان ما تبقّى جديد وغير منشور . وقد اهمل الناشر بعض المقاطع غير المقروءة ، وتلك التي اعتمد فيها التلاعب بالالفاظ مما لا يُترجَم ويبقى على طرافته وجدته .

وهذه بعض أقوال تشيكوف :

عندما نكتب عن النساء فاننا نكتب ، رغماً عنا ، عن الحب .

*

ينبغي أن تكـون الـرغبـة في خـدمـة الخـير العـام قبـل أي شيء آخـر حـاجة من حـاجات القلب ، وحـالة من حـالات السعادة الشخصيـة . فإذا كـانت تصـدر عن اعتبـارات مبـدأية أو سـوى ذلـك من اعتبـارات ، فـإنها تصبح شيئاً آخر .



لـماذا كان هـامليت يقلق ويضطرب من الـرؤيا بعـد المـوت ؟ افليست الحياة مسكونة برؤيا اشد هولاً ؟



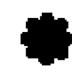
امـرأة حـامـل ، قصيـرة الـذراعـين وطـويلة العنق : تشبـه الحيـوان المعروف بالكنغر .



لا يمكن للإنسان أن يعيش بلا إيمان .



أن الفـلاحـين الـذين يعملون اكـثر من سـواهم لا يستعملون أبـداً كلمة « عمل » . .



كـان بـامكـان أيفـان أن يفلسف الحب ، ولكنـه كـان عـاجـزاً عن الحب .



الإنسان الطيب يخجل احياناً حتى أمام كلبه .



يا للغبطة في تقدير الرجال ! انا عندما أرى كتباً ، فإنني أسخر من معرفة كيف أحبّ مؤلفوها أو كيف لعبوا بالورق . . فأنا لا أعرف سوى روائعهم الرائعة !

*

الفرق بين الرجل والمرأة أن المرأة ، وهي تتقدم في السن تنغمس أكثر فأكثر في مشاكلها وهمومها الصغيرة ، في حين أن الرجل ، كلما تقدمت به السن ، يبتعد عنها جميعاً .

*

أريان تتكلم ثلاث لغات باتقان ـ فالمرأة تهضم بسرعة اللغات الاجنبية لأن في دماغها امكنة فارغة كثيرة .

*

المراؤون العاديون يتظاهرون بأنهم حمامات . . والمراؤون السياسيون والادبيون يتظاهرون بأنهم نسور . ولكن لا يقلقنكم في شيء مظهرهم الكاسر . فإنهم ليسوا نسوراً ، بل هم جرذان أو كلاب .

*

الأهداف هي التي تحدد أعمالنا : والمهم فحسب هو العمل الذي يكون هدفه مهماً .

*

ينبغي للمرأة أن يكون صافياً فكرياً ، طاهراً نفسانياً ، وسليماً جسدياً .

*

وحلمت : ان ما أعتبرته حقيقة لم يكن سوى حلم ، والحلم كان الحقيقة .

*

لاحظت ان الناس ما ان يتزوجوا حتى يفقدوا كل فضول .

*

كلما ازدادت ثقافة المرء أزداد بؤسه .

*

طبيب ، رزين وأخرق ، أولع بحب صبية هي راقصة ماهرة ، ولكي يروق في عينيها تعلم رقصة المازوركا .

*

ثري عجوز شعر بدنو أجله فأحضر صحناً مليئاً بالعسل وابتلع ماله كله مع العسل .

*

ليس عدد الأمراض العصبية أو عدد المرضى هو الذي آزداد ، بل عدد الاطباء الذين بوسعهم ملاحظة هذه الامراض .

*

يقدمون السمك إلى الجد ، فإذا لم يصب بالتسمم ، وإذا بقي في قيد الحياة ، فإن الأسرة كلها تأكل السمك .

*

إن كل امرىء يجب أن يتحدث عن علله ، وذلك هو الوجه الاقل

ثارة في حياته .



النساء ، بلا عشرة الرجال ، يذبلن . . والرجال ، بلا عشرة النساء ، يتبلدون !



رأي لاحد الاساتذة : ليس شكسبير من يثير الاهتمام ، بل التعليقات على شكسبير .



الحب ، الصداقة ، الاعتبار ـ لا تشكل جميعاً أواصر متينة متانة الحقد المشترك .



الكلب يكره المعلم ، وقد حظروا عليه استقباله بالنباح . فصار الكلب يتأمله ولا ينبح ، بل يبكي حقداً .



في الفن يفضل الجمهور كل ما هو مبتذل ، معروف من زمن بعيد ، وتكرسه العادة .



إذا شئت أن تصبح متفائلاً وتفهم الحياة ، فتوقف عن اضافة الايمان إلى ما يقال ويكتب ، ولاحظ ، واسبر غور كل شيء بنفسك !



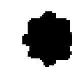
لقد تعبنا من عبوديتنا ومن ريائنا .



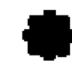
في قطارات الدرجة الاولى نجد حثالة المجتمع



المسرح هيكل مقدس !



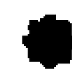
في خلال الحفلة التمثيلية كان زوج الممثلة الذي يحضر الحفلة من مقصورته ، ينهض ويحيي الجمهور .



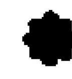
كان الزوج والزوجة يحبان دعوة الاصدقاء إلى منزلهما ، لانهما ، وحدهما ، يتخاصمان .



إذا شئت ان تحصل على قليل من الوقت فلا تفعل شيئاً.



يقولون : « ان الحرية لا بد من ان تنتصر في النهاية » . ولكن هذا غير صحيح .



زوجته روائية ، وهذا لا يروق للزوج ـ ولكنه ، تأدباً ، يلزم جانب الصمت ، ويتألم طوال حياته .



في مملكة الحيوان تصبح الشرنقة فراشة ، اما في مملكة البشر فالعكس يجري .



هو نفسه غني ، ولكن امه تقيم في مأوى الأرامل .



حلمه : ان تشل ساقا زوجته لكي يتاح له ان يعنى بها ويخلص نفسه .



إذا كنت تخشى الوحدة فلا تتزوج .



ما يموت في الانسان هو ما له علاقة بحواسه الخمس . ولكن ما يتجاوز هذه الحواس ، وما هو ، بلا ريب ، عظيم ، وسام ، وفائق حدود التصوير فلا يموت مطلقاً .



مارك توين

Mark Twain

مارك توين هو الاسم المستعار الذي عُرف به صموئيل لانكهورن كليمنز ، الاديب الأميركي الاشهر (١٨٣٥ - ١٩١٠) الذي يعتبر بحق ملك الفكاهة في العالم . وعلى الرغم من سخريته اللاذعة كان محباً للحياة ، شديد التعلق بمبادىء الجمال ، والطيبة ، والخير ، والصدق . . .

وكثيـرون يقـدّمونـه عـلى كبـار الأدبـاء السـاخـرين الـذين سبقـوه أمثـال : أرسطوفانيس ، رابليه ، تشوسر ، سرفانتس ، سويفت ، وغيرهم . . .

إن دعابة مارك توابن سهلة التنـاول ، وفكاهاتـه ذات طابـع عام . وقـد استطاع ان يصبح دولياً مع احتفـاظه بصفتـه القوميـة . فهو اميـركي خالص مـائـة في المـائـة من حيث المصـادر التي استقى منهـا دعـابتـه ، ومن حيث اللوحـات التي رسمهـا لمجتمـع معيـنّ ، وعصر معيـنّ ، وعـادات وتقـاليـد معيّنـة ، ومن حيث دأبـه واسلوبـه الادبي . . . ومـا مؤلفـاتـه العـديـدة الا انعكاس لحياته القلقة المضطربة الحـافلة بالمغـامرات ، وبـالنشاط الجم الـذي لا يحدّ .

ولقـد قـال الـروائي الاميـركي المعـاصر ارنست هيمنغـواي في وصف روايتـه « هكلبـري فِن » : « ان الادب الاميـركي بجمله يصـدر عن كتـاب واحد وضعه مارك توابن هو : هكلبري فِن . . . »

ولـد صمـويل لانكهـورن كليمنـز في فلوريـدا ، وهي قـريـة صغيـرة نـائيـة في ولايـة ميسـوري ، في ٣٠ تشـرين الثـاني ١٨٣٥ . وكـانت اقـرب المـدن الكبرى إليهـا سنت لويس وتعـدادها وقتئـذ لم يكن ليزيـد عـلى عشرة آلاف نسمة . هاجر والداه إلى تلك البقـاع النائيـة على امـل الاثراء في بـلاد جـديدة . فخـاب فألهم ، واضـطر كليمنـز الشـاب أن يعمـل بجـد ونشـاط لكسب قوته إثر وفاة والده .

والتحق بمـطبعة صغيـرة في احدى القـرى يديـرهـا شقيقـه البكـر ، ولكن مـزاجه المغـامر كـان قـد رسم لـه الـطريق الـذي ينبغي لـه سلوكـه . فغـادر عمله ، وهـو بعـد في الثـامنـة عشـرة ، وراح يتنقـل بـين الـولايـات الشرقية ، عـاملاً حينـاً في المطابـع المختلفة هنـا وهنالـك ، إلى أن قرّ رأيـه ، على حين غرة ، على دراسـة شؤون الملاحـة النهريـة بغية ان يصبـح ربانـاً في

نهر المسيسيبي . وقد كانت الملاحة النهرية عهدئذ خطيرة الشأن لأنها كانت اساس التجارة ، وكانت مهنة الربان التي تقتضي مؤهلات ودروساً جدية ، من المهن المرغوبة ، العميمة الفائدة . الا انه ما كاد يفوز بشهادته حتى اندلعت نيران الحرب الاهلية بين الولايات الشمالية وتجار العبيد في الولايات الجنوبية ، وتوقفت الملاحة التجارية . وكان شقيقه البكر مكلفاً اداء مهمة رسمية في نيفادا فعرض عليه مرافقته . وقد كان ، وقضى مارك تواين سنة كاملة هائماً في مناطق الصيد ، يحيا حياة زاخرة بالمغامرات اللذيذة ، مزوِّداً ، في الوقت نفسه ، جريدة « Territorial Enterprise » الصادرة في فرجينيا سيتي ، بالمقالات التي بدأت تثير الاهتمام . وثبّت هكذا مكانته في عالم الصحافة والادب . وعندها اتخذ لنفسه الاسم المستعار « مارك تواين » احياء لذكرى مهنته كربان التي كانت قصيرة الامد . ولكنه مع ذلك احتفظ منها بانطباعات حية استخدمها في كتبه . . . فقد كان ملاحو المسيسيبي يصيحون ، عندما يعلنون عن عمق المياه في المضايق الصعبة : Mark three ! Mark Twain ! (أي العلامة الثالثة ! العلامة الثانية !) فراقت هذه الصيحة لصاحبنا الشاب واتخذ منها ، مذ ذاك ، اسمه الذي مهر به انتاجه الادبي .

وتتصل حلقات حياته المغامرة،فيرحل إلى جزر هاواي لحساب صحيفة في سكرامنتو ، ثم يعود إلى كاليفورنيا ليلقي محاضرات حول مشاهداته في رحلته . ويرافق بعض الحجيج إلى الأراضي المقدسة (فلسطين) بصفته مراسلاً صحفياً . ويعقب رحلته هذه كتاب « السذّج أثناء السفر» يجلب له الشهرة العريضة . ثم يعود إلى القاء المحاضرات ، وتأخذ مكانته الادبية في الازدهار .

ويتزوج زواج حب ، ولكن القدر الغاشم ما يعتم ان يعكر عليه

صفو حياته بقصفه زهرة اعمار اولاده قبل الأوان ، وينشر رواياته « عصر الذهب » ، « توم الحطاب ».، « الامير والفقير » ، فيتيح له دخله منها الاستغناء عن عمله الصحفي وعن القاء المحاضرات .

غير ان المضاربات الفاشلة التي قامت بها احدى دور النشر التي عقد معها شركة توصية افقدته ثمن اتعابه كلها ، فوجد نفسه ، وقد تقدمت به السن ، رازحاً تحت ديون تبلغ مائة الف دولار . وهكذا يباشر سنة ١٨٩٥ جولة حول العالم ينشر بعدها كتابه عن انطباعاته بعنوان متابعة خط الاستواء، فيكفيه مؤونة تسديد ديونه جميعاً . وفي السنوات التالية ارتحل إلى اوروبا وعاد إلى اميركا ، ثم ذهب إلى انكلترا حيث استُقبل احسن استقبال واحرّه . الا انه امسى شيخاً عجوزاً ، يشكو من داء القلب الذي لم يفعل شيئاً لمعالجته . ويصوّره لنا الذين عادوه في تلك الفترة ملازماً سريره ، ولكن روحه شابة ، نشيطة ويقظة ابداً ، ولا يفارق « السيكار » شفتيه طوال يومه بالرغم من نصائح أطبائه . ويفقد عام ١٩٠٩ ابنته التي عاشت حياتها إلى جانبه . فقد ماتت ميتة مؤثرة وهي داخل الحمام . ومذ ذاك تسوء حال العجوز ، فلا يوافي اليوم العشرون من شهر نيسان سنة ١٩١٠ حتى يرتحل الاديب الساخر الكبير عن هذه الدنيا ، وعن خمسة وسبعين عاماً ، بسبب داء القلب .

كان مارك تواين عدة رجال في رجل واحد : كان رائداً ، وخشناً ، واباً عطوفاً ، وحالماً ، وساخراً . . ولكنه فوق هذا كله كان فناناً كبيراً . بل واحداً من العباقرة الحقيقيين القلائل الذين انجبهم الادب الاميركي . . كان يكتب كما يتحدث ، وكان مزاجه غنياً ، دنيوياً محكماً . . قصصه القصيرة ورواياته مدارها أناس وبلاد عرفها معرفة جيدة .

تورغنييف

Ivan Sergeyvich Turgenev

هو أكثر الروائيين الروس قرباً من الغرب ، وفي طليعة الروائيين الذين قرأهم الغرب بشغف واهتمام . أبصر النور في اوريل سنة ١٨١٨ من أب تزوج ـ على ما يُروى ـ طمعاً بالمال ، وأم كانت دكتاتورة في المنزل . وعندما بدأ إيفان يحيا حياة بوهيمية مع المغنية الشهيرة بولين غارسيا (مدام فياردو) قطعت عنه أمه المعاش الذي خصته به ، ولكنه ما لبث أن أثرى عندما توفيت هذه الدكتاتورة سنة ١٨٥٢ . وقد عاش إيفان طوال حياته وفياً لهذه المغنية التي لم تبادله عاطفته ، مما طبع أدبه بطابع الأسى العميق .

بدأ حياته الأدبية شاعراً كسائر الأدباء الشباب . وقد نشر في الصحف والمجلات ، أول ما نشر ، اسكتشات رياضي (١٨٤٧) التي ضمتها دفتا كتاب سنة ١٨٥٢ .

وما لبث أن هجر الشعر إلى التأليف المسرحي ، ثم انصرف بعد ذلك إلى وضع القصص والروايات،فأصدر الحب الأول ، وآسيا ، وأعاصير الربيع ، وآباء وأبناء . . . فنحا فيها منحىً اجتماعياً أورثه نقمة بعض النقّاد . وتُعد « آباء وأبناء » من أشهر روايات تورغنييف على الاطلاق . صدرت سنة ١٨٦٢ ، وهي موازنة بين آراء الجيلين الجديد والقديم في روسيا ، وقد راجت رواجاً كبيراً ، فسرّت الجيل القديم ، ولم تحظَ باهتمام الجيل الجديد .

وهو يعد أكثر الكتّاب الواقعيين الروس نزوعاً إلى الرومنطيقية في أدبه . وقد تأثر في هذا الصدد ، إلى حد كبير ، بأسلوب بوشكين وجورج

صاند . . ورسمه للشخصيات لا يعتمد على التحليل النفسي بقدر اعتماده على الجو الشاعري الذي يصاحب أشخاص القصة كالهالة . . واكثر ما يظهر ذلك في شخصياته النسائية ، التي هي أقوى وأكثر جاذبية من أبطاله الرجال .

في سنة ١٨٥٢ ، وفي عهد القيصر نقولا الأول ، أُكره تورغنييف على الاقامة الجبرية في منزله بأمر من الحكومة لعواطفه الثائرة التي أبداها في مديح الروائي الشهير نيقولاي غوغول بعد وفاته .

وطاف تورغنييف بأرجاء أوروبا هرباً من جو الضغط المسيطر على روسيا القيصرية ، ولكنه لم يلاقِ ترحيباً من مواطنيه المنفيين خارج الوطن، على نقيض الادباء الفرنسيين الذين أحسنوا وفادته وعلى رأسهم فلوبير وغي دوموباسان ،الذي يقال إنه طلب إليه ألاّ يكتب عنه شيئاً . وبقدر ما كان محبوباً من أدباء فرنسا كان مكروهاً من زملائه الروس وفي طليعتهم تولستوي ودوستويفسكي . . . ولقد نظر الجيل الناشىء من الادباء الفرنسيين في ذلك الحين إلى تورغنييف نظرتهم إلى استاذ كبير لهم ! . .

وفي سنة ١٨٨٠ قام بزيارة اخيرة لروسيا فأحسنوا وفادته ، واستقبلوه استقبالاً حماسياً . . ولكنه سرعان ما عاد إلى فرنسا حيث توفي بعد ثلاث سنوات في بوجيفال بالقرب من باريس .

تولستوي

Leo Tolstoy

ان قصة حياة هذا الكاتب الروسي الذي توفي سنة ١٩١٠ هي اعجب من قصص ألف ليلة وليلة . . فقد كان قبل عشرين سنة من

وفاته محبوب الملايين ، يؤمون إلى منزله لالقاء نظرة على وجهه ، أو سماع صوته ، أو لمس طرف ردائه .

كان اصدقاؤه يقيمون في منزله السنين الطوال ويدوّنون بالاختزال كل كلمة يتلفظ بها ، ولو في أي حديث عابر ، ويصفون بالدقة والتفصيل كل حركة من حركاته اليومية . وقد نُشرت هذه الدقائق فيما بعد في مجلدات ضخمة . فبلغ عدد المؤلفات التي كتبت عن تولستوي ٢٣ ألف كتاب ، وبلغ عدد المجلات والصحف التي تحدثت عنه وعن آرائه وافكاره ٥٦ ألف مجلة وصحيفة يومية . أما التراث الذي خلفه هو فيملأ مئة مجلد .

أبصر تولستوي النور سنة ١٨٢٨ في قصر مؤلف من ٤٢ غرفة ، تحيط به الثروة من كل جانب ، فنشأ وترعرع في جو الارستقراطية الروسية القديمة . إلا أنه في اواخر أيام حياته وزع كل اراضيه وممتلكاته ، ومات بذات الرئة وحيداً فقيراً في محطة للسكة الحديدية محاطاً ببعض الفلاحين .

كان في مطلع شبابه انيقاً ينفق امواله على البذخ والفخفخة ، فيرتدي أفخر الحلل . أما في الشطر الأخير من حياته فكان يرتدي ثياب الفلاحين الخشنة ، ويصنع احذيته بيديه ، ويكنس غرفته بنفسه ، ويأكل على مائدة عارية طعامه البسيط ، مستعملاً صحناً وملعقة من الخشب .

عاش في شبابه حياة وصفها بأنها حياة فاسدة ماجنة ملأى بالموبقات ، ولكنه في اواخر أيامه حاول أن يتبع في حياته تعاليم السيد المسيح ويحيا حياة القديسين بحق وحقيق .

في البدء كان سعيداً بزواجه ، ولكن هذه السعادة لم تعّمر طويلاً ، وأصبح لا يطيق رؤية زوجته ، حتى أنه أوصى لدى وفاته بألا يُسمح لها برؤيته .

في صباه فشل في المدرسة ويئس مدرّسوه الخصوصيون من امر ادخال أي علم في جمجمته الكثيفة ، إلا أنه بعد ثلاثين سنة وضع روايتين من اشهر الروايات التي عرفها العالم : الحرب والسلام ، وآنا كارينينا .

أن شهرة تولستوي اليوم خارج روسيا لتفوق شهرة جميع القياصرة الذين حكموا هذه الامبراطورية المظلمة الدامية . ولكن هل سعد تولستوي بكتابة هاتين الروايتين ؟ اجل ، فترة من الزمن ، إذ ما لبث أن خجل من كتابتهما ، وكرّس مذ ذاك حياته لوضع الكتب والنشرات مبشراً فيها بالحب ، والسلام ، وإلغاء الرق . وقد بيع من هذه المؤلفات في اربع سنوات فقط ١٢ مليون نسخة . . كانت تطبع طبعات شعبية وتوزع في العربات على البيوت .

كانت حياة تولستوي مأساة حقيقية ، وقد بيّنت ذلك صغرى بناته التي عاشت بعد وفاته ، وكانت سكرتيرته في الشطر الأخير من حياته ، في كتابها عنه وقدمته « مأساة تولستوي » وكان سبب مأساته زواجه . . تماماً كما كان زواج ابراهام لنكولن وبالاً عليه . كانت زوجته تحب الفخفخة والجاه وهو يكرههما . . تسعى إلى الشهرة التي لا تعني شيئاً له . . تتكالب على الثروة ، وهو ينظر إلى حطام الدنيا نظره إلى الخطيئة . . تعتقد بأن السيطرة يجب أن تكون للقوة ، في حين كان يعتقد ان السيطرة للحب . وفوق كل ذلك كانت شديدة الغيرة ، تكره اصدقاءه ، وقد طردت ذات يوم ابنتها من المنزل ثم عمدت إلى مسدس افرغت رصاصاته على صورة لهذه الابنة معلقة في حجرتها . وكم كانت تنغص عليه عيشه كلما عرفت انه سمح للشعب بأن ينشر كتاباً من كتبه دون أي مقابل .

دجونسون

Samuel Johnson

انتهت دراسة صمويل دجونسون عندما اضطره الفقر وضيق ذات اليد إلى ترك المدرسة سنة ١٧٣١ قبل الحصول على أي شهادة . ولكن ذكاءه ودماغه الكبير جعلا منه لغوياً ، وكاتب مقالات ، وناقداً ، ودكتاتوراً للأدب الانكليزي طوال ربع قرن من الزمن .

ذهب إلى لندن سنة ١٧٣٧ . وفي سنة ١٧٤٤ ظهر كتابه حياة رتشاردسافيدج ـ صديق شاعر مكافح ـ أعقبته مسرحية آرين سنة ١٧٤٩ . وأنشأ مجلة نصف أسبوعية (رامبلار) في السنة التالية ، وبعد ذلك بخمس سنوات نشر قاموس اللغة الانكليزية . وكان يشكو كثرة الديون ، ومع ذلك أصدر سنة ١٧٥٨ مجلة أشبه بالأولى دعاها آيدلار . وقد كتب رواية راسلاس في ليالي اسبوع واحد ليسدد نفقات جنازة أمه .

وفي سنة ١٧٦٣ التقى دجونسون بدجيمس بوزويل الذي كتب فيما بعد ترجمة حياته . وهو من مؤسسي « النادي الأدبي » الذي كان يضم الشعراء ، والمؤرخين ، وكبار محدّثي العصر . وكان دجونسون نفسه محدثاً بارعاً لبقاً لا يشق له غبار . وقد ختم حياته الادبية سنة ١٧٨١ بكتابه حياة الشعراء .

ولد في ١٨ أيلول ١٧٠٩ في لتشفيلد ، وتوفي في لندن في ١٣ كانون الأول ١٧٨٤ ، ودُفن في كاتدرائية وستمنستر .

ومما يؤثر عن صمويل دجونسون انه كان عندما يترك بيته يحمل بيده عصا ليضرب بها القضبان الحديدية التي يمر بها في طريقه ، وإذا أبطأ بضرب أحدها يعود ثانية ليضربه من جديد ، معتقداً أن ذلك يعيد إليه

حيويته ونشاطه .

دجيمس دجويس

James Joyce

روائي ايرلندي (١٨٨٢ - ١٩٤١) ، بعد انهاء دراسته الجامعية ، في جامعة دبلن الايرلندية ، راح يتحول تدريجياً من كاثوليكي ورع تقي ، إلى مناهض حاد للكاثوليكية . وفي سنة ١٩٠٤ غادر ايرلندا إلى القارة الاوروبية ليحيا حياته الخاصة ، ويقرر مصيره كفنان مستقل عن اسرته ، وبلاده ، ودينه . فعاش في ايطاليا ، وسويسرا ، وفرنسا . وكان يكسب معيشته بقيامه بعدد من الاعمال ، ويتلقى مساعدات من اصدقائه . ومع انه هجر دبلن نهائيا إلا أنه كرس حياته بطولها لمعالجة مسقط رأسه في كتاباته والتحدث عنه .

وقد زاول نشاطات كثيرة : تخصص في اللغات في يونيفرستي كوليدج ، وجمع معلومات موسيقية ضخمة - وهو ذو الصوت التينور ، وشرع في دراسة الطب ، وفكر في اصدار جريدة يومية ايرلندية ، وافتتح صالة سينما في دبلن ، وفي زوريخ في سويسرا اشتغل بالمسرح . وهذا التنوع في نشاطه واهتمامه يوضح جيداً الجمع الغريب في كتاباته بين التقليد والتجربة .

وفي سنة ١٩١٤ ، وبعد التأجيل الذي فرضه الناشرون الذين اعترضوا على صراحة دجويس،ظهرت مجموعته القصصية « الدبلينيون » التي ضمت خمس عشرة قصة ، قال فيها : « اتجهت نيتي إلى كتابة فصل عن التاريخ الاخلاقي لبلادي ، فاخترت دبلن لتكون المسرح ، لان هذه المدينة بدت لي مركز الشلل . ولقد حاولت ان ابرزها للجمهور تحت

اربعة من وجوهها : الطفولة ، والصبا ، والكهولة ، والحياة العامة . والقصص منظمة حسب هذا التسلسل . . . » وبمجموعته هذه انضم دجويس إلى قافلة المقدمين في كتابة القصة القصيرة .

وفي سنة ١٩١٦ ظهرت له ترجمة حياته الرائعة بعنوان « صورة الفنان كشاب » ، وهي رواية يسرد فيها وقائع تطور حياة ستيفن ديدالوس ، وتحوله من الدين إلى الفن . وقد ثبت بها قدميه ككاتب روائي مبدع .

وبعد ذلك بسنتين اصدر مسرحية « المهاجرون » ، نحى فيها منحى الروائي المسرحي النرويجي هنريك ابسن .

وفي ذكرى ميلاده الاربعين ، وبعد صدورها مسلسلة في معظمها في مجلة « ذي ليتل ريفيو » ظهرت في باريس روايته الشهيرة « يوليسيس » ، وهي قصة يوم في حياة ثلاثة من سكان دبلن ، هم : ستيفن ديدالوس ، وليوبولد بلوم ، وزوجته مولي بلوم .

وقد وضعته هذه الرواية في قافلة أولئك الذين ، بعد الحرب العالمية الاولى ، عكسوا في الادب فوضى المجتمع التي اختبرت في شتى الاتجاهات ، باللغة الانكليزية ، وسائر اللغات . وقد اصبح دجويس محور عبادة وتناقض معاً . اما كتابه الذي منع في البلدان التي تتكلم الانكليزية طوال سنوات، فقد كان له اكبر التأثير واوسعه في معاصريه . ولعل ابلغ تقييم لدجيمس دجويس وانتاجه الادبي الملاحظة التي اوردها مرة الشاعر تي . اس . ايليوت إذ قال ان دجويس كان اعظم اسياد اللغة الانكليزية منذ ملتون .

درايزر

Theodore Dreiser

كـان ثيـودور درايـزر ، وسيبقى إلى أمـد بعيـد ، من اكثر الادبـاء الاميـركيين غمـوضاً . وسيستمـر مؤرخـو الادب والنقّـاد في انعـام النـظر في المشـاكل التي اثـارتها سيـرة هذا الاديب كـرجل وفنـان ، وهي التـرجمـة التي نشـرهـا اخيـراً روبـرت هـ. ايـلايس في كتـاب يقـع في ٣٧٥ صفحـة تحت عنـوان ثيودور درايـزر : رسول الـطبيعة . وهـو اول كتاب يُنشر عن درايـزر منذ وفاتـه في ٢٨ كانـون الأول ١٩٤٥ . هل كـان دايزر « عبقـرياً مشـوشاً » أم « جبـاراً ضبابيـاً » كما يقـول بعضهم ، أم مؤلف روايات رائعـة كما يقـول البعض الآخر ؟

كثيـرة هي المقالات التي كتبهـا درايـزر عن نفسـه بنفسـه . واشهـرهـا تلك التي جمعهـا في كتـاب نشـره بعنـوان كتـاب عن نفسي ، سـرد فيـه معلومات كثيرة عن شبابه وحياته الاولى ليُـظهر بـوضوح وجـلاء انه كـان من المستحيـل ان يصبـح شخصٌ عـاش في البيئـة التي عـاش هـو فيهـا وتـربّى تـربيته ، احـد مشاهـير الادباء الاميـركيين في القـرن العشـرين ، إذا لم يكن في طليعة ادباء العالم الجديد .

كـان درايزر ابن رجـل غبي غبـاوة فـاجعـة ، متمسـك بكـاثـوليكيتـه تمسكـاً شـديداً ، متـزمت من الـطراز الأول ، عنيـد ، محـدود الادراك والتصـور . امـا الأم فكـانت اكثر انسـانيـة في عـلاقتهـا بعـائلتهـا الكثيـرة العـدد ، المؤلفة من بنـات جامحـات عاصيـات ، وبنين ثـائـرين متمـردين . ولكنها على الـرغم من حبها ، وتسـامحها ، ورحـابة صـدرها ، لم تستـطع ان تجعـل حياة ابنهـا ثيودور حيـاة حلوة مليئة نـوراً وجمالاً . . . ومـردّ جوّ العتمـة والغم والكـآبـة التي خيمت عـلى مـا خـطّه قلم درايـزر إلى مـرارة طفـولتـه

وكآبتها .

بـدأت شهرة درايـزر كـرئيس تحـريـر في دار بـاتـاريـك للنشر قبـل أن يشتهـر كأديب . وفي هـذه الدار اخـذ يفرض عـلى الادباء الـذين يراجعـونـه في نشر مؤلفـاتهم مقياسـاً اخلاقيـاً في كتـابـاتهم لم يتقيـد هـو نفسـه بـه حـين وضع رواياته ، ولا سيما « الأخت كاري» . وسرعـان ما اضـطر للاستقـالة من منصبـه بسبب فضيحة اخـلاقية لهـا علاقـة ماسـة بـاحـدى المستخـدمـات في الدار وابنتها .

بـدأت حياتـه الادبية حـوالى العام ١٩٠٠ نـزولاً عـلى رغبـة صـديقـه هنـري ل . منكن ، وكـانت اولى روايـاتـه « الاخت كـاري » التي وضعهـا دون أن يتهيـأ لهـذا العمـل الـطويـل النفس . وكـان كثيـراً مـا ينقـطع عن الكتـابة فيهـا ثم يعود إليهـا ، وما زال هكـذا حتى أتمها . ولمـا عرضهـا عـلى صـديقه منكن شـطب هـذا منهـا زهـاء ٤٠ ألف كلمـة متتحـلاً لـذلـك شتى الاعـذار . وكانت تلك المـرة الاولى والاخيرة التي قبـل فيهـا درايـزر أن تُمس كتاباته .

وقـد تلقّى النقاد هـذه الروايـة بهجوم عنيف عليهـا ، واعلنت الحـرب عليها الجماعة النيويوركية لمكافحة الرذيلة ، فتأثر بيع الـرواية من جـراء هذه الحمـــلات ، وراجت كثيـراً ، ومـــا لبثت ان احتلت مكـانها بـين المؤلفـات الكلاسيكية .

ومن أشهـر روايات درايـزر مأسـاة اميـركيـة ، والمـالي ، والعبقـريـة ، والجبار .

لم يُقبـل جمهور القـراء الأميركيين على مـطالعة روايـاته . إلا أن النقـاد لم يحجموا عن نشر المؤلفات عنه وعن أدبه .

نسب بعضهم فن درايـزر إلى واقعيـة زولا الفـرنسي . ولكن المعـروف

عن الـروائي الاميركي انـه لما نشر رواياته المتسمـة بـطابـع الـواقعيـة لم يكن قـد قرأ روايـات زولا بعد . بـل كان ولوعاً بقراءة التآليف الشعـرية كقصص هوثورن وواشنطن ايرفنـغ . ولم يكتشف الرواية الاوروبية الا حـين قُدرّ لـه الاطلاع على روايات هاردي وتولستوي .

وكـان درايـزر أميـل إلى اعتنـاق المبـادىء الشيـوعيـة منـه إلى اعتنـاق سـواها من المبـادىء المعروفـة في ايامنـا هـذه . وكـان يـردد : « امـا انـا فـلا أعـرف مـا هـو الجمـال ولا مـا هي الحقيقـة ، ولا مـا هـو الحب ولا مـا هـو الامـل . ولا أؤمن بشيء أو بشخص ايمـانـاً مـطلقـاً ، ولا اشـك في شيء أو في شخص شكـاً مـطلقـاً . وكـل مـا في الأمـر ان النـاس كلهم اشـرار ، إلا أنهم اصحاب نيات حسنة » .

الـواقـع ان حيـاة درايـزر بكـاملهـا كـانت حيـاة صـراع في صـراع : صـراع مع النـاشرين ، صـراع مع نفسـه ، صراع مـع العـالم ، صـراع مـع النساء . وقد لازمه الفقر المدقع طوال حياته .

وجـاء يوم عضـه فيه الجـوع بنابـه ، واشـرف عـلى الهـلاك ، فقـرر ، وهو على مـا هو عليـه من البؤس والشقاء ، ان يضـع حداً لحيـاته . غـير ان شقيقـه بـول درايـزر ، المـوسيقي ، انقــذه من المـوت المحتم ، واوفـده إلى مصح ملدون حيث استجم واستعاد نشاطه وصحته .

دوستويفسكي

Fedor Dostoievski

يقـول المؤرخ البـريـطاني السر بـرنـارد بـارس في كتـابـه « روسيـا » : « عنـدمـا قـرأت دوستـويفسكي للمـرة الاولى ، اعتقـدت انـه رجـل غـير مـوزون . ولكنني ايقنت فيما بعـد ان هذا الاديب الكبـير قـد رسم لـوحـات

رائعة صادقة لاناس غير موزونين » .

يصدق هذا القـول على روايـات دوستويفسكي ، اكـثر مما يصـدق على مقالاته السياسية الموسومة يوميـات ، وقد نشـرها بـانتظام في مجلة « المواطن » الشهرية العام ١٨٧٣ ، وفي سواها من الصحف بين ١٨٧٦ و١٨٨١ .

كـان دوستـويفسكي (١٨٢١ ـ ١٨٨١) ، بقـطع النـظر عن كـونـه موزوناً أو غـير موز ن ، شـديد التعصب لايمـانه بـروسيا . وكـان ايمانـه هذا يقـوم على اساس ان روسيا تختلف اختـلافاً بيّنـاً عن سائـر الدول الاوروبيـة بموقفها العدائي من الاخطار الثلاثة : الاشتراكية الفـرنسية ، والبـروتستانتيـة الجرمانية ، والكاثوليكية الايطالية .

يبدو دوستويفسكي روسيـاً حقيقياً إذ يؤكـد لقرائـه ان الشعب الروسي يحب الألم ، ويسعى إليـه دائماً حيثـما يكون ، وفي كـل وقت ، وانه يجـد لـذة لا تعادلها لذة وسط النكبات والمصائب .

مجّد اللغة الروسية فوصفها بـأنها لا تترجم ،في حين يمكن ترجمـة سائـر اللغـات إليها ، كـما مجّد المرأة . واصـدر مجلة العصر بـالاشتـراك مـع أخيـه ميخـائيل ، ولكنهـا لم تـلاق النجـاح والـرواج اللذين كـان يـرجـوهمـا لهـا ، فـاضطر لـلاستدانـة من النَـاشر سيلوفسكي ، فـراح هـذا يستكتبـه القصص والـروايـات لقـاء مـالـه . فـأخذ يكتب ليـل نهار وبسـرعـة فـائقـة ارضـاء للمـرابي . وقد سـاعدتـه آنا سنيتكينـا ، وكانت تتعلم الاختـزال ، في وضـع قصـة المقامـر وتقديمهـا إلى الناشر في المـوعد المعـين . وفي اثنـاء عملهـما معـاً اقترح الكاتب عليها الزواج.فلم تمانع ، وتزوجا بعد اشهر .

هجـر دوستـويفسكي وطنــه فـراراً من دائنيــه الكثيريـن . وأقــام في الخـارج زهاء اربعـة اعوام كـانت المقامـرة فيها شغله الشـاغـل . وكـان كلما خسر ، كتب إلى امـرأته يستنجـدهـا ، فتبعث إليـه ببعض المـال وهي عـالمـة

بـوجوه انفـاقه . . كـان يقول لها في رسائله مـطمئنـا ايـاهـا : « لا عليـك ، فسيجيء وقت اصبـح جـديـراً بـك ، فـأكفّ عن سلبـك مـالـك كـاللص السافل ! »

ونـذرت آنا حيـاتها وراحتهـا لزوجهـا ، فكـانت مخلصـة لـه الاخـلاص كله ، تستحثـه على العمـل ، وتختار لـه بنفسهـا مـوضـوع القصـة وابـطالها وجـوّها . ومـا زال هذا حـالها حتى جعلت منـه رجل عمـل ونشاط . واتيـح لـه في السنـين العشر الاخيـرة ان يحيـا حيـاة هنـاء واستقرار ، وان يحتـل في دنيا الادب مكانة مرموقة .

كـان اكـثر الـروائيـين الـروس إقليميـة . انصـرف إلى الأدب بعـد خـدمته في الجيش ، وقـد نشر سنة ١٨٤٥ روايتـه شعب فقـير . انقـطع عن الكتابة والتـأليف فجأة سنـة ١٨٤٩ عندمـا قبض عليه وحكم بـالاعدام رميـاً بالرصاص بتهمة الاشتـراك في الثورة . ووقف هـو وزملاؤه الثـوار أمام فـرقة الاعدام بانتظار الرصـاصات المميتـة . ولكن في اللحظة الاخيـرة أبدل حكم المـوت بالنفي إلى سيبيـريا . وقـد خلفت هذه الصـدمة أثـراً عميقـاً دائـماً في نفسيـة دوستويفسكي . وفي المنفى تـزوج زواجاً لم يكن مـوفقاً . وقـد أفـرج عنه بعد خمس سنوات ، وعفي عنه بعد عشر سنين . . .

تـأثر دوستـويفسكي بروايـات تشارلـز ديكنز التي كـان يقـرأهـا بشغف واهتمـام . وقد ذاعت شهـرته الادبيـة وراجت رواياتـه في ارجـاء المعمـور . وكـان له تـأثير كبـير في أدب بلاده وتفكيـرها خـلال السنوات العشـرين التي سبقت الثورة الشيوعية .

***

الكسندر دوما (الأب)

Alexandre Dumas, Pere

كـان ألـكسنـدر دومـا (الأب) (١٧٦٢ - ١٨٠٦) ، مـن أغـرب الـروائيين الـذين غمسوا أقـلامهم بـالحبـر ، وكـان يتبجّـح بـأن عـدد أولاده يبلغ الخمسمائة . وبالرغم من بدانته وقبح شكله فقد كان زير نساء .

والغـريب في أمر دومـا أن ثلاثـة أرباع الـدّم الـذي يجـري في عـروقـه بيضاء والربع الآخر زنجي . فجـدّته ، مـاري دومـا ، كـانت عبدة تعمـل في إحـدى مزارع قصب السكّـر في جـزر الهند الغـربيـة . وكـانت فقيـرة ، جـاهلة ، عاشت ومـاتت مجهولـة دون أن تحلم بأن حفيـدهـا سيلمـع نجمـه فيكرّمه الملوك والأمراء ، وذوو النفوذ والسلطان .

وكـان شهـوانيـاً نهماً أكـولاً ، مـاهـراً في الـطهـو مهـارتـه في نسـج الـروايـات ، إلا أنـه لم يـذق في حيـاتـه القهـوة أو أي شـراب ، ولم يـدخّن التبغ مطلقاً . وكثيراً ما كان ينسى مواعيد طعامه لانهماكه في الكتابة .

ومن شـذوذه أنه كـان شديـد العنـايـة بـانتقـاء أنـواع الـورق وألـوانـه وأصنـاف الأقـلام . . من ذلـك أنـه كـان يكتب روايـاتـه عـلى ورق أزرق وبأقلام خاصة ، في حـين كان يسـطّر قصائـده على ورق أصفـر وبأقـلام غير الأقـلام الأولى . أما مقـالاتـه الصحفيـة فكـان يستخـدم في كتـابتهـا الـورق الـوردي ، ولم يستعمل مـطلقـاً الحبـر الأزرق ، ولم يجلس يـومـاً إلى منضـدة لتـأليف روايـة ، بـل كـان يستلقي عـلى المقعـد ويسنـد كتفـه إلى إحـدى الطنافس الوثيرة .

ولقـد ترك لنـا تراثـاً أدبياً يقـدر بألفـين ومائتي مجلد . . . أجـل ألفـان ومـائتـا مجلد بـين روايات، وقصـائد ، وتـواريخ ، أي مـا يعـادل ضعف مـا

خلفَّـه هؤلاء الأدباء مجتمعـين : غيـلزوروذي ، جـورج بـرنـارد شـو ، ستيفنسـون ، ويلز ، كبلنـغ ، ميري رويـرتس راينهـارت ، وزيـن غـراي . ويلغ دخله من أدبـه أكثر من خمسـة ملايـين دولار ، وهـو رقم لم يصـل إليـه كـاتب قديمـاً أو حديثـاً . وكان في بـدء حياتـه الادبية فقيـراً لا يملك شـروى قبـة منشـاة ليضعهـا في العـرض الأول لبـاكـورة روايـاتـه التي مثلت عـلى مسارح باريس . . فاضطر إلى صنع قبة بيضاءِ من الورق المقوّى .

كـان يعمـل أحيـانـاً في خمس روايـات في آنٍ واحـد ليلبي طلبـات الصحف والمجـلات التي كانت تنشـرها لـه متسلسلة . ولم يجد يـومـاً الـوقت الكـافي لقراءة مـا يدبجـه ، ولكن المجـال اتسـع أمـامـه ليشتـرك في عشـرين مبـارزة بالسيـوف والمسدسـات . ولما تقـدَّم في السن ازداد شغفـه بـالنسـاء ، وتعـددت مغامـراته وغـرامياتـه حتى بلغت حدّ الفضيحـة ، واضطّر ابنـه إلى الابتعاد عنه ممتعضاً .

ولما قلّ ماله تفـرّق عنه الجميـع ، فقضى شيخوختـه في فقر ، وعـزلة ، واهمـال . واضطر إلى رهن مجـوهراتـه ، وردائه ليسـدّد بدل الايجـار ، وكـاد يقضي جوعاً لو لم يسدد ابنه حساب البقّال .

وقبـل وفاتـه رآه ابنه يـطالـع نسخـة من روايـة « الفـرسـان الثـلاثـة » فسـأله : « كيف تجـدهـا يـا أبتـاه ؟ » فكـان جـوابـه : « لا بـأس بهـا ، انها جيدة » .

لقد ظهرت بعـد الفرسـان الثلاثـة آلاف الروايـات ولكنها مـا لبثت أن ذبلت وطـواها النسيـان . أما رائعـة دومـا فخـالدة ، فسيـطالعها أحفـادنـا وأحفاد أحفادنا من بعدنا بمئات السنين .

دوهاميل

Georges Duhamel

حوالى منتصف نيسان ١٩٦٦ توفي في باريس الكاتب الفرنسي وعضو الاكاديمية الفرنسية جورج دوهاميل عن اثنين وثمانين عاماً ، سعى طوالها كروائي وكانسان ان ينصر القيم التقليدية ويحافظ على الحريات الفردية ما وسعه ذلك .

ابصر النور في الثلاثين من حزيران سنة ١٨٨٤ ، ونال درجة في العلوم الطبيعية سنة ١٩٠٨ ، وتخرج طبيباً سنة ١٩٠٩ . وقد انعكس في ادبه وكتاباته اهتمامه البالغ بالعلم والطب ، والموسيقى،والمسرح . وقد ساهمت اسفاره الكثيرة المتسعة في تكثيف خبرته ، وامدته بمعين متدفق من المادة التي يحتاجها كل اديب ، وبخاصة من كان مثله ، اديباً غزير الانتاج متنوع المواضيع .

استهل دوماهيل حياته الادبية بكتابة الشعر ، والمسرحيات ، وبكتابة النقد الادبي . وكناقد كان اول من لفت الانظار إلى مؤلفات بول كلوديل .

وخلال الحرب العالمية الاولى خدم كطبيب جرّاح في الجبهة الفرنسية، فهالته الآلام البشرية التي كان شاهداً عياناً لها ، ومست شغاف قلبه . وايقظته على تفاهة الحروب . وقد سجل مشاهداته واختباراته الكثيرة في كتابين هما « حياة الشهداء » (نشر سنة ١٩١٧) و« حضارة » (١٩١٨) . كما وضع بوحي من الحرب كتاباً بعنوان : « محادثات وسط الضوضاء » (١٩١٩) .

وعزم على التفرغ للكتابة سنة ١٩٢٠ مكرساً لها كل حياته . فراح

مد ذاك يكتب الروايات والدراسات والمؤلفات المختلفة التي تعالج مواضيع اجتماعية واخلاقية . وكان مذهبه الفلسفي والفكري اللاأدرية ، ومحور فلسفته القيم الانسانية وخصوصاً الاعتدال ، والتسامح ، والرفق . وقد عمل على المحافظة على افضل ما في الحضارة مع الحفاظ على الحرية الفردية في عصر ينمو فيه ويتطور التوحيد والتقنين . ولعل مؤلفاته ، في غالبيتها ، تتميز بعدم ثقته بالتقدم الميكانيكي الآلي ، والمادي ، وبخوفه على مستقبل البشرية ، وبعطفه على مآسي الانسانية . ومن ابرز كتبه التي توحي بهذه النظرات نذكر « امتلاك العالم » (وقد صدر سنة ١٩١٩) ـ وهو بمثابة انجيل خير وطيبة ، يبشر فيه بحكم القلب ويدعو إلى هذا الحكم ، و« رحلة موسكو » (سنة ١٩٢٧) ، و« الامير جعفر » وهو مجموعة قصص تونسية (١٩٢٤) ، و« مشاهد من الحياة المقبلة » (سنة ١٩٣٠) وينطوي كتابه هذا على الانطباعات التي عاد بها من الولايات المتحدة الاميركية وهو هجاء لاذع للعالم الحديث الآلي ، وقد اتبعه سنة ١٩٣٤ بكتاب آخر مماثل سماه « الانسان العالم والانسان الآلي » هاجم فيه بعنف وسخرية السيارة ، والسينما ، والراديو . ووضع عدداً من الكتب عن الاطفال ، وللاطفال . كما وضع كتباً تظهر شعوره وعاطفته نحو الطبيعة من مثل كتابيه « المسرات والالعاب » و« حكايات من حديقتي » .

ولعل شهرته العريضة كروائي ترتكز في الدرجة الاولى على دورتين روائيتين تتضمنان الكثير من انعكاسات اختباراته وتجاربه الجمة . واولى هاتين الروايتين هي « حياة ومغامرات سالافان » . وتقع في خمسة مجلدات صدرت بين سنة ١٩٢٠ وسنة ١٩٣٢ ، وقد ترجمت إلى الانكليزية سنة ١٩٣٦ .

وفي الدورة الروائية الثانية التي تتألف من عشرة مجلدات وتحمل

عنوان « كرونيك ذو باسكييه »،وقد اتمها ما بين سنة ١٩٣٣ و١٩٤٤ وصدرت ترجمتها بين سنة ١٩٣٧ و١٩٤٦ يروي جورج دوهاميل قصة أسرة فرنسية من الطبقة المتوسطة تعيش بين سنة ١٨٨٠ وسنة ١٩٢٠ .

ودخل دوهاميل الاكاديمية الفرنسية سنة ١٩٣٥ . وتولى بين سنة ١٩٣٧ و١٩٤٩ رئاسة « الاتحاد الفرنسي » وهي جمعية انشئت سنة ١٨٨٣ لتوسيع رقعة النفوذ الفرنسي في الخارج بواسطة نشر الثقافة واللغة الفرنسيين . وقد كان أول رئيس فخري لهذه الجمعية ، بعد انتهاء رئاسته الفعلية سنة ١٩٤٩ .

كان دوهاميل اديباً سمحاً ، كريم النفس،نظر إلى العالم بعطف وشفقة ، ونظر إلى القيم الانسانية بتقدير ، وشدد على الاحترام الذي ينبغي لنا أن نكنه لها ، والدفاع الذي تستوجبه .

تميز نتاجه الادبي بمواهب العالم النفساني القدير ، وقد عرف كيف يغلف مؤلفاته بالاجواء الحميمة الدافئة ، ذات الالوان المتعددة ، وذات الشاعرية في كثيرمن الاحيان .

ديكنز

Charles Dickens

ظهرت اخيراً ترجمة جديدة لحياة الروائي البريطاني الاشهر تشارلز ديكنز الذي عُرف بربيب الفقر . وضعها هسكت بيرسون الذي ترجم لعدد كبير من الادباء المعروفين كشكسبير ، واوسكار وايلد ، وسيدني سميث ، وغيلبرت وساليفان ، وايرازموس داروين ، وثوماس باين ، ووليام هازليت ، وآرثر كونان دويل وسواهم . .

ليس بيرسون هو صاحب فكرة وضع ترجمة لديكنز بالرغم من اعجابه الشديد به ، إذ ان جورج برنارد شو هو الذي دفعه إلى ذلك بقوله :

ــ الا تظن أن الواجب يحتم عليك أن تترجم لديكنز بعد ان ترجمت لشكسبير وشو ؟ فعكف بيرسون على كتابة هذه الترجمة . وهي تعتبر افضل ما كُتب عن ديكنز حتى اليوم بالرغم من انها تتناول بالتفصيل حياة هذا الاديب اكثر مما تتناول فنه وادبه .

مما يجعل تشارلز ديكنز (١٨١٣ ـ ١٨٧٠) جثة يصعب على المترجمين تشريحها انه يجمع في شخصيته حيوات خمسين انساناً وارواحهم ، على حد تعبير صديقه لي هنْث . وقد انكر الكثيرون من مترجمي ديكنز ان يكون معبودهم قد قصّر عن المثال الذي وضعه هو نفسه : « انسان لامع ، مخلص ، سخي ، سمح ، طروب ، شديد الحنين إلى البيت والموقد . »

كان ديكنز ، اكثر روائيي بريطانيا شعبية ، ذا مزاج متقلب ، يذرف الدموع السخينة ، وينشج احر نشيج ، ولكنه سرعان ما يجفف دموعه وينفجر ضاحكاً ضحكات تكاد تزلزل المكان الذي يكون فيه .

كان حب ديكنز الاول لماريا بيدنل التي احتقرته احتقاراً انتهى اخيراً بطرده طرداً نهائياً من البيت . فتزوج من كايت هوغارث وسيطر عليها سيطرة تامة . وقد انجبت له عشرة اولاد دون ان تتلقى منه كبير شكر أو امتنان . وذات يوم كتب إلى صديق له يقول ممتعضاً : « تحسنت صحة زوجتي بعد ان منّت عليّ (اعتقد انه كان في وسعي الاستغناء عن هذه المجاملة) بالطفل رقم ١٠ . . . لدي فكرة رائعة ، وهي توسّط اسقف لندن لاقامة قداس خاص في كاتدرائية القديس بولس تكريماً لي على الخدمة القومية التي اديتها بزيادة عدد سكان بلادي ! »

كـان على ديكنـز ان يعيل ، إلى جـانب أسرتـه ، والديـه العجوزين ، وارملة شقيقـه الممثلة ايلن ترنـان وولـده منهـا . فكـان يصـل الليـل بـالنهـار عـاملاً عـلى كسب ما يكفي هؤلاء جميعـاً . وقد خبـر حـالات نفسيـة مختلفـة انعكست كلها في اشخاص رواياته .

وكان خفيف الروح ، يـطلع على اصـدقائـه بأنبـاء تدهشهم وتـذهلهم في آن معـاً . وعُرف بغـرابة اطـواره ، وقوة مـلاحـظتـه ، وسـرعـة غضبـه ، وتشـدده في تـربيـة اولاده . فكـان يقيم المنـزل ويقعـده ، ويمـلأه صيـاحـاً وتهـديداً إذا مـا وقع نـظره على قـطعة من الـرياش في غـير موضعهـا ، أو إذا أتت احـدى بنـاتـه امـراً ، أو أهملت شـأنـاً من الشؤون المنـزليـة مهـما يكن طفيفاً .

ومن ابـرز الدلائـل على غـرابـة اطـواره انـه كـان يغـادر منـزلـه وسط الـظلام ويتيه في شـوارع لندن كـالمجنون ، قـاطعاً ١٥ ميـلاً أو ٢٠ في الليلة الـواحدة دون ان يكـون لـه أي مـأرب من هـذه « النـزهـة » الليليـة . وكم مـرة دخل بيـوت اصدقـائه من نـوافذهـا وهو يـرتـدي مـلابس البحـارة ، أو يرقص الرقصات التي تنسجم وانغام الناي . . .

زار ديكنز الولايات المتحدة الاميـركية فأدهشتهـا منـه حركـاته وعـاداته المستهجنـة ، النابيـة ، التي يمجهـا الـذوق ، وثيـابـه المخمليـة القـرمـزيـة أو الخضـراء اللامعـة . ففي احدى المـآدب التي اقيمت تكريمـاً لـه دس يـده في جيبـه وتناول مشـطاً راح يسـرّح بـه شعـره ولحيتـه وشـاربيـه عـلى مـرأى من المشدوهين المتقززين .

وكـان اكـثر المتـذمـرين من تصـرفـات ديكنـز الشـاذة زميله الاميـركي واشنطن ايرفينغ .

وكـان ديكنز نهبـاً لعوامـل الضعف والقوة ، متقلبـاً ، يعجز عن رؤيـة

الحياة (أو عن رؤية نفسه) متناسقة الاجزاء، مما جعل رواياته جميعاً تبدو كأنها بركان ثائر من العبقرية والنبوغ ، محاط بمستنقعات من الوهن والبلاهة .

ارهق ديكنز نفسه بالعمل الادبي اكثر مما ارهق جيوبه ذووه الذين كان يعيلهم (ترك لدى وفاته ثروة تقدّر بنصف مليون دولار) . ولم يقف عند هذا الحد ، بل كان يقوم بجولات ادبية في انكلترا أو اميركا يلقي فيها أروع فصول رواياته ويقوم بتمثيلها . كان يعرف ان في ذلك ارهاقاً لصحته ونشاطه ، وتقصيراً لايامه ، ولكنه لم يبالِ ، بل كان يجد لذة كبرى في مشاهدة المستمعين إليه ، المعجبين بتمثيله ، يكادون يختنقون أو يصابون بالاغماء من فرط الضحك والقهقهة . وكان يشعر ، وهو على المنبر ، ان عدد نبضات قلبه قد ارتفع من ٨٠ إلى ١٢٠ نبضة لما كان يبذل من الجهد في اداء دوره وتغيير لهجته جسب ما يقتضيه الموقف . فإذا ما انتهى ، وترك مكانه ، انهارت قواه .

وكانت وفاته في ٨ حزيران ١٨٧٠ اثر مشهد من هذه المشاهد ، وكانت آخر كلماته على المنبر : « إلى الأرض ! » وسقط أرضاً . فما اقبل الصباح حتى كانت جثته بلا روح. وهو مدفون في كاتدرائية وستمنستر في لندن .

عُرف عن تشارلز ديكنز،انه كان يزين اصابع يديه بالخواتم المرصعة بأغلى الجواهر وادقها صنعاً ، كما عرف عنه انه لم يكن يستطيع الكتابة ما لم يحمل بيده سلسلة ذهبية يلوّح بها على شكل دائرة .

* * *

رابليه

François Rabelais

يختلف المؤرّخون في تحديد ميلاد الروائي الفرنسي فرنسوى رابليه (بين ١٤٨٣ ـ و١٤٩٥) . في سنة ١٥١٩ دخل ديراً فرنسيسكانياً حيث درس وقرأ كثيراً . وبعد تخرّجه التحق بأخوية البندكتيين فترة قصيرة من الزمن . وقد أتقن جميع العلوم التي كانت سائدة وقتئذ ، ونال شهادة في الطب . وقد تنقل في حياته بين مونبولييه ، وليون ، وروما ، وباريس . وكان كريماً ينفق عن سعة ، وماهراً في الطب والمداواة . ويقدرون تاريخ وفاته في ٩ نيسان ١٥٥٣ . أما أشهر مؤلفاته الأدبية فهما غارغنتوى وبنتاغرويل اللذان يؤلفان معاً قصة هزلية كبرى . وقد قال رابليه عن الطبعة الأولى من بنتاغرويل ان النسخ التي بيعت منها في شهرين اثنين يفوق عددها عدد النسخ التي بيعت من التوراة في تسع سنوات كاملة . وفي كتبه سمح رابليه لنفسه بالصراحة اللغوية والتصويرية التامة التي جرّت عليه نقمة السوربون ، وحملت البرلمان في وقت من الأوقات على منع تداولها وبيعها . ولكنها مع ذلك خلدت مع الزمن لما فيها من العطف الانساني العميق ، والمرح !

السر ولتر رالي

Sir Walter Raleigh

هذا الكاتب والسياسي والرحالة الانكليزي (١٥٥٢ ـ ١٦١٨) الذي كان يضع حبّات اللؤلؤ في أذنيه ، وفصوص الألماس في حذائيه . والذي بسط عباءته فوق الوحول لكي تمرّ عليها عليها الملكة اليزابث ، وضع مؤلفاً في

التــاريـخ وهــو في السجن حيث قضى أربعــة عشر عــامــاً بسبب الحســد السياسي .

كـانت الحجرة التي سُجن فيهـا ضيقة ، شـديدة الـرطـوبـة ، تـرشـح جـدرانها بـالميـاه المـوحلة مما أضرّ بصحتـه . وأصيبت ذراعـه بـداء العصبي (الروماتيـزم) ، وكاد الألم يعقـد أعصاب يـده فيشلها عن الحـركة . ولكنـه بالرغم من بؤسه وانكسار قلبـه صنّف مؤلفاً في التـاريخ تـاريخ العـالم يُدرّس إلى اليوم . . بعد انقضاء ثلاثة قرون على وضعه .

اكتسب رضى الملكة اليزابث بـدهائـه وحنكته السيـاسية أثنـاء اشتغالـه بـالسياسـة في ايرلنـدا . فمنحته لقب فـارس سنة ١٥٨٤ ، وهي السنـة التي بـدأ فيهـا بـاقـامــة سلسلة من المستعمـرات في العــالم الجـديــد . . . ولكن محاولاته منيت بالفشل فتخلى عن هذا المشـروع . وكانت لـه علاقـة باحـدى وصفيــات الملكـة فكُشف أمــره ، ونُقم عليــه ، وزُجَّ في السجن فتــرة من الزمن .

وفي سنـة ١٥٩٥ قـام بـأولى رحـلاتـه إلى اميـركـا الجنـوبيـة بحثـاً عن الذهب . ولدى عودته حظي بعفو الملكة ، ووضع كتـابه اكتشـاف غويـانا . وفي السنـة التـاليـة اشتـرك في تحـطيم اسـطول بحـري اسبـاني في قــادش . وبعد سقوط دوق ايسيكس عاد رالي فنعم بحظوة الملكة اليزابث .

وخلال حكم الملك دجيمس الأول اتُهم بالتآمر ضـد الحكومـة فأرسـل سجيناً إلى برج لندن سنة ١٦٠٣ وحُكم عليه بالموت .

وبعـد أربع عشـرة سنة أفـرج عنه لادعـائه انـه يستطيـع العثـور عـلى الذهب في أميركا الجنوبية دون أن يزعج الاسبان المستوطنين تلك البقاع . إلا أنـه لم يستطع تجنب الاشتبـاك معهم . فلما عاد إلى انكلتـرا أعـدم بتهمـة القرصنة .

ويعتبر زواج السر والتر رالي من اليزابث ثروغمورتون من أروع قصص الحب في التاريخ ، لأنها ظلت حية بعد الموت . فبعد أن أمر الملك دجيمس الأول بقطع رأسه بتهمة ممالأته لملك اسبانيا طلبت اللايدي رالي أن يعطى لها رأس زوجها ، فكانت تحمله محنطاً أنى ذهبت طوال فترة ترملها التي دامت ٢٩ سنة . وقد اتبع ابنها كاريو هذا التقليد ، وظل محتفظاً برأس والده حتى وفاته سنة ١٦٦٦ عندما دفن معه . . .

روسو

Jean-Jacques Rousseau

كان جان - جاك روسو (١٧١٢ - ١٧٧٨) الفيلسوف والكاتب الفرنسي،أول قادة الحركة الرومنطيقية ، والمبشّر بالثورة الفرنسية الكبرى ، وبنظرية الرجوع إلى الطبيعة . وهو ابن ساعاتي من جينيف ، بسويسرا ، امتهن عدة مهن قبل أن يحتل مقامه المرموق في حقلي الأدب والفكر .

وتعرّف إلى السيدة دو وارين فتعشقها فؤاده ، وبادلته الحب . وكانت ذات أثر عظيم في توجيه أدبه . وقد خصّص جزءاً من « اعترافاته » لوصف حياته السعيدة في منزلها القروي الفخم ، ليشارميت . ومرّت الأيام فإذا بروسو يتعرّف إلى خادمة أمية تدعى تيريز لوفاسور ، اصبحت زوجته فيما بعد ، وأنجبت له خمسة أولاد أدخلهم المياتم لتتعهدهم كسائر اللقطاء .

وكان روسو يعيش عيشة فقر وتقتير في الكوخ الذي قدمته إليه السيدة ديبينيه، في موغورونسي . وقد عرّفته هذه السيدة إلى الكونتيس صوفي دوديتو ، فهام بها هياماً شديداً وخلدها في قصته الرائعة إيلوبيز الجديدة . وهي تُعدّ في مقدمة روائعه الأدبية .

أما الكونتيس صوفي فقد كانت عواطفها تفتر شيئاً فشيئاً من ناحية روسو مما أحزنه وأمضّه .

كان هذا المربي المشهور والكاتب العبقري القدير يظن أن كلّ انسان في الوجود منافس له حتى أنه كان يخشى البرق والرعد ويظن أن حدوثهما موجه ضدّه ، وهو نوع من انتقام السماء . . وكان لا يأكل إلا الطعام الذي يحضره بنفسه لأنه يخشى إذا أكل طعام طاهيته أن يكون أحد منافسيه قد أغرى الطاهية ودسّ له السّم فيه .

ومن عجب أن يكفّر روسو بكتابه التربوي الجليل «اميل» عن خطيئة ارتكبها بحق زوجته تريز لوفاسور بعد عشرة دامت ربع قرن . « ومضت العشرة بما حملته من نتائج ، ومضى روسو إلى النهاية المحتومة ، وبقي هذا الكتاب في ذمّة التاريخ يحمل من الآراء النظرية والعملية ما عاناه روسو اختباراً ، وما عاينه خبرة ، وما اهتدى إليه بالفطرة التربوية التي أعدها الله فيه . وكما هيأ روسو الأذهان للثورة الفرنسية وللتغييرات السياسية بكتابه العقد الاجتماعي ، فانه هيأ بكتابه اميل الأذهان إلى ثورة فكرية في عالم التربية والتعليم » .

كان روسو لا يستطيع كتابة أي شيء جديد يحمل اسمه إلا إذا غمرت الشمس بأشعتها الفضاء ، وانسكبت بضيائها ودفئها على رأسه . . .

رومان رولان

Romain Rolland

ابصر رومان رولان النور في كلامسي سنة ١٨٦٦ ، في اسرة بورجوازية عريقة في مقاطعة بورغونيا الفرنسية . دخل دار المعلمين العليا

سنة ١٨٨٦ ، ثم تخصص في التاريخ ، وقضى سنتين في الكلية الفرنسية في روما . وهناك عمل تأثير مالفيدا فون مايزنبوغ التي كانت صديقة لكل من ريتشارد فاغنر وفريدريك نيتشه ، واطلاعه الواسع على روائع الفن الايطالي ، على تطوير تفكيره . ولدى عودته إلى فرنسا نال شهادة الدكتوراة في الادب بأطروحته عن « اصول المسرح الغنائي الحديث ، تاريخ الاوبرا في اوروبا قبل لوللي وسكارلاتي » ، وكان ذلك سنة ١٨٩٥ . واجتذبه الادب ، فكتب أول ما كتب روايات تاريخية وفلسفية على جانب من البساطة كبير ، قدّر ان مواضيعها تهم الجماهير ، من مثل آبيرت ، الذئاب ، انتصار العقل ، دانتون ، الرابع عشر من تموز ، لا مونتسبان ، سيأتي يوم .

كان رولان ذا نفس سمحة كبيرة ، تهزها القضايا النبيلة والقلوب الكبيرة . فشغف بحياة العباقرة ، وبأعمالهم ، وخصوصاً الموسيقيين الذين كان يرى فيهم ابطالاً مخلصين لمثال جمالي . فأملى عليه هذا الاعجاب الشديد سلسلة من كتب السيرة تناول فيها كلاً من بيتهوفن ، وميكيل انجلو ، وهاندل ، وتولستوي . وفي هذه الاثناء كان قد اكب على كتابة رواية ضخمة في عشرة اجزاء هي « جان ـ كريستوف » استغرقت السنوات بين ١٩٠٤ ـ ١٩١٢ روى فيها حياة احد كبار الموسيقيين المضطربة ، واثار كل القضايا الكبرى التي تعرض لانسان من القرن العشرين . وقد نال جائزة نوبل للآداب سنة ١٩١٥ ، وتسلمها سنة ١٩١٦ .

وخلال الحرب العالمية الاولى اوحى إليه حبه للسلام كتيباً بعنوان « فوق المعترك » ، آثار احتجاجات عنيفة عديدة في كل من فرنسا والمانيا ، ولكنه ثابر على الكتابة مدافعاً عن قضية السلام . فإذا به يضع في تلك الفترة من حياته ـ أي في سنة ١٩٢٠ ـ احد افضل مؤلفاته « كولاس برونيون » وهي قصة بورغونية تتميز بالعنف والصرامة . . . وفي

سنة ١٩٢٢ اسس مجلة اوروبا ، وبدأ بكتابة روايته الجديدة الطويلة « النفس المسحورة » التي ظهرت بين ١٩٢٢ و١٩٣٤ . وكرس ، بروحه الصوفية الانسانية ، عدداً من الدراسات لمفكري الهند « المهاتما غاندي » ، « حياة راما كريشنا » ، « حياة فيفكانندا والانجيل العالمي » ، في الوقت نفسه الذي كان يظهر فيه عواطفه نحو الاتحاد السوفياتي . ومع انه حورب بشدة الا ان شهرته ما فتئت تتسع ولا سيما في الخارج اكثر منها في فرنسا حيث لم تكن مواقفه تفهم دائما على حقيقتها . وترجمت مؤلفاته إلى لغات عديدة ، وكان على صلة بكبار كتاب العصر والمفكرين ، وله تأثير بالغ على عصره . ومن سنة ١٩٢٤ إلى ١٩٤٤ ظهرت سبعة مجلدات بعنوان : « بيتهوفن : العصور الكبرى الخلاقة » ، اشار فيها مجددا إلى المقام الذي تحتله الموسيقى في حياته،ودلل على اطلاعه وقدرته على تقييم وشرح اروع مؤلفات سيد الموسيقى هذا . ويزداد كذلك رصيده المسرحي برواية روبسبيير ، ورواية « الرحلة الداخلية » التي صدرت قبل نهاية حياته سنة ١٩٤٣ .

ومنذ وفاته نُشرت كتب له كانت ما تزال مخطوطة ، ولعل ابرزها كتابه الرائع في تعريف شارل بيغي ، ومقتطفات من مراسلاته الضخمة ، ومن مذكراته . وقد جاءت هذه تكشف ، أو تؤكد ، نواحي عدة من شخصيته ، وتثبت كم كانت غنية حياته الداخلية واي فضول لا يكل ولا يمل كان يغذيه بالنسبة الى المغامرات الروحية الكبرى في تاريخ الانسانية . وهي تساعد على فهم هذا الرجل الكبير فهماً اشمل . ذلك بأن رومان رولان سعى طوال حياته إلى توجيه طاقة البشر ليس نحو العنف والحرب ، بل نحو مثل اعلى من الجمال والسلام والحرية . وان هذا المثل الاعلى الذي يطبع بطابعه نتاجه الادبي والفكري ليمنحه الرنين الرائع المتواصل ، ويضمن له الاشعاع المتسع .

رينر ماريا ريلكه

Rainer Maria Rilke

ابعد الشعراء الالمان أثراً في عصره ، واكثر من تخطى شعره وفكره حدود البلدان الناطقة بالالمانية . . انه الشاعر رينز ماريا ريلكه .

ان ريلكه،في بعض مناحي عمله الادبي،ذو نسب مع المدرسة الادبية التعبيرية ، ولكن مقامه ، برنينه الانساني ، ليترفع عن كل تصنيف مدرسي ادبي .

في الرابع من كانون الاول من سنة ١٨٧٥،ابصر هذا الشاعر النمساوي الاصل،النور في براغ ، وودع هذه الدنيا في التاسع والعشرين من شهر كانون الاول ، كذلك ، من العام ١٩٢٦ ، بعد ان ساءت صحته وتدهورت بسبب الداء العضال المعروف باللوكيميا (سرطان الدم) .

درس في اكاديميتين عسكريتين في البدء (١٨٨٦ ـ ١٨٩١) ، ولكنه في سنة ١٨٩٢ عاد إلى براغ حيث اختلط بالاوساط الادبية . وبعد ذلك انتقل إلى الدراسة في معهد تجاري ، ثم في جامعات براغ وميونيخ وبرلين .

وإلى هذه المرحلة من حياته تعود مجموعاته الشعرية الاولى وابرزها ديوانه « متوج بحلم » ذو النزعة الرومنطيقية . وفي سنة ١٨٩٨ غادر مسقط رأسه إلى ميونيخ فبرلين ملتحقاً بصديقته لو اندرياس ـ سالومي التي قام معها برحلتين سنة ١٨٩٩ و١٩٠٠ إلى روسيا ، حيث التقى الكاتب الشهير تولستوي .

وظلت « لو » صديقة عمره . وفي سنة ١٩٠١ تزوج المثالة والنحاتة كلارا فستهوف ورُزق منها ابنة ، الا انه هجرهما إلى باريس لكتابة رسالة

عن النحات الشهير اوغست روادن .

وعلى الرغم من انه ظل متعلقاً بزوجته وابنته ، الا انه بدأ يبتعد عن الحياة العائلية ، وراحت الاواصر بين افراد هذه الاسرة الصغيرة تتفكك مع الايام . وعاد إلى باريس بعد اقامة في ايطاليا والدانمرك والسويد في سنتي ١٩٠٣ و١٩٠٤ ، ليعمل سكرتيراً لروادن العظيم من سنة ١٩٠٥ إلى سنة ١٩٠٦ ، ولكن سرعان ما اختلف الفنانان وافترقا . ومنذ ذلك الحين حتى بدء الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ كانت باريس النقطة التي يعود إليها الشاعر سواء من المانيا أو من ايطاليا ، كلما هاجه الشوق والحنين إلى النشاط الخلاق . وتمثّل هذه الفترة من حياته تفتّح عبقريته . . .

في سنة ١٩٠٧ زار كابري ، وجال بعد ذلك في كل من المانيا ، والنمسا ، وايطاليا ، والجزائر ، وتونس ، ومصر ، واسبانيا ، مقيماً في قصور المعجبين به العديدين من الطبقة الارستقراطية . وفي سنة ١٩١٢ أقام في أسبانيا، ولكنه عاد إلى ميونيخ عندما بدأت الحرب العالمية الاولى فنظم من وحي عظمة المأساة خمس قصائد رائعة موجهة إلى إله الحرب . إلا ان ارتفاع مد الوحي انقطع بسبب الالم الفكري الذي سببته له الحرب ، والفترة القصيرة التي اشترك فيها ريلكه بالحرب بين تشرين الثاني سنة ١٩١٥ وحزيران ١٩١٦ ، أولاً لبضعة اسابيع في جيش المشاة ، وبعد ذلك طوال بضعة شهور ككاتب في وزارة الحربية في فيينا . وفي سنة ١٩١٩ راح يتردد بكثرة على سويسرا مقدماً قراءات من اشعاره ، كاتباً شعراً ونثراً . وقد بقي في تلك البلاد حتى وفاته . وهناك انهى ونشر ديوانه « مراثي دوين » (١٩٢٣) ، و« قصائد إلى اورفيه » . وهاتان المجموعتان،مع بعض الاشعار الاخرى التي تعود إلى تلك المرحلة من حياته ، تمثل جميعاً القمة في ادبه : فيهما يتجلى حب الحياة بنبرة مؤثرة

تحاول ان تتغلب على قلق الموت . وخلال السنوات الثلاث الاخيرة من حياته ، كان ريلكه قد اصبح فريسة المرض،فلم ينتج الا القليل من المقطعات الشعرية بالفرنسية . . .

وقد ترجم ريلكه ديوان الشاعرة الانكليزية اليزابث باريت براوننغ « قصائد من البرتغالية » وبعض اشعار ميكيل انجلو الايطالي ، والشاعرة الفرنسية لويز لا ؛ ، . وانهمك بترجمة شعر بول فاليري ، فجره ذلك إلى نظم بعض القصائد بالفرنسية .

ان شهرة ريلكه العالمية التي ذاعت في حياته ما فتئت تزداد ذيوعا بعد وفاته ، يدل على ذلك العدد الكبير من الكتب التي وضعت حوله وما ترجم من آثاره إلى العديد من اللغات الاوروبية . ولقد اثارت شخصيته من الجدل ما اثارته شخصية الشاعر الانكليزي لورد بايرون .

وتؤلف مراسلاته الضخمة ظاهرة ادبية وسيكولوجية شيقة . والجزء الاكبر من هذه المراسلات غير منشور ،ولكن، فضلاً عن مجموعة رسائله المختارة الصادرة في الطبعة العامة ، فان مجلدات متفرقة خاصة بأفراد كان يراسلهم ،ومعظمهم من النساء ظهرت إلى عالم النشر . وكل مراسلاته تساهم في رسم صورة الانسان والشاعر ، وتشكل جزءاً لا يتجزأ من صنيعه الادبي . فبعضها شبيه بالدراسات الادبية ، وبعضها ذو طبيعة وصفية أو تأملية ، والبعض الآخر يحوي هيكل قصائد كان ينوي نظمها . ولعل صدور كل مراسلاته يمهد السبيل إلى اعادة تقييم وقائع حياة ريلكه ، ومناحي شخصيته تمهيداً لكتابة سيرة حياته بصورة حاسمة .

ان شهرة ريلكه الشعرية تقوم على صفاء شعره ، وغنائيته، والمسحة الفلسفية الغامضة التي تتخلل بعض مراثيه وقصائده .

وعلى الرغم من الغموض والصعوبات فان عمق التفكير في شعر

ريلكه ، وجمال التعبير ، يبرران ايمان هذا الشاعر بأهميتها الكبرى في ادبه ككل .

كتب ريلكه الشعر والنثر ، ومع ان غنائيته تتجلى في شعره ونثره معاً ، الا ان النثر عنده بدا انه لغته الطبيعية . وهو يعترف بأن روسيا كانت مصدر وحي كبير له ، ولذا يعتبرها وطنه الروحي . وممن كان لهم تأثير كبير في ادبه وتفكيره الكاتب البلجيكي موريس ماترلنك ، ويظهر ذلك جلياً في مجموعتيه « اسطورة حب وموت الضابط كريستوف ريلكه » و« كتاب الرسوم » . وكان لرودان كذلك تأثير كبير فيه ، فقد حاول ريلكه ان يصنع من الكلمات ما كان يصنع رودان بالرخام أو بالحجر : أي أن يمنح الحقيقة الخارجية للاشياء التي تتأملها العين الخارجية والداخلية ، حقيقتها الروحية كذلك .

إميل زولا

Emile Zola

ابصر الروائي الفرنسي اميل ادوار شارل انطوان زولا النور في باريس سنة ١٨٤٠. لم يستطع إتمام دراسته في كلية سان لوي التي غادرها سنة ١٨٦٠ لفشله في الأدب . وعمل كاتباً في أحد البيوتات التجارية ، ثم انصرف إلى الكتابة والتأليف ، وعاش ردحاً من الزمن في فقر مدقع . وكانت تربطه ببول سيزان صداقة متينة . وجد عملاً في احدى دور النشر فاستعان به على العيش . وكانت مقالاته في الأدب والفن ، وروايته الاولى تيريز راكان قد بدأت تلفت إليه الأنظار . ثم بدأ سلسلته التي تتألف من حوالى عشرين رواية تدور حول اسرة روجون ـ ماكار التي ابتدعها ، ودرس فيها فترة لا بأس بها من التاريخ

الفرنسي . إلا أن العدد الكبير من هذه الكتب لم يلقَ الرواج المنتظر ، ولم ترسخ شهرة زولا كروائي إلاّ بعد اصداره رواية النبّوت التي عالج فيها مشكلة الشراب . وما كاد نجمه يرتفع حتى راحت الروابط بينه وبين سيزان تتلاشى . واصدر نانا والنكبة ،اللتين بيع منهما اكثر مما بيع من سابقتهما . وقرأ سيزان رواية زولا العمل فرأى فيها نفسه ، فانقطع عن رؤيته . وفضلاً عن ذلك يتألف انتاج زولا الأدبي من سلسلة قصصية عن المدن وحياتها ، وبعض الروايات التي يبشّر فيها بانجيله الاجتماعي ، ومجلد من الروايات المسرحية ، وعدد من المجلدات في النقد ، وبعض القصص القصيرة . وكانت حفلاته تضم رجال الادب والفن .

وقد مثّل زولا دوراً كبيراً في قضية دريفوس الشهيرة التي ادّى دفاعه فيها إلى استدعائه للمحاكمة . فرحل إلى انكلترا ولم يعد منها إلا بعد صدور العفو عن كل الذين لهم علاقة بالقضية . وتتلخص هذه القضية بما يلي :

ألفريد دريفوس (١٨٥٩ ـ ١٩٣٥) جندي فرنسي اصاب شهرة لانه ذهب ضحية خطأ قضائي اثار صدى عميقاً في مختلف ارجاء المعمور . نال رتبة كابيتن في الجيش الفرنسي سنة ١٨٨٩ . وفي سنة ١٨٩٤ وقعت بيد السلطات رسالة غفل من التوقيع تفيد ان ضابطا فرنسياً يخون وطنه . فاتهم دريفوس لان الخط كان شديد الشبه بخطه . ودافع عن براءته كثيراً ولكنه وجُد مذنباً ، ونفي إلى جزيرة الشيطان سنة ١٨٩٥ .

واتفق ان اكتشف احد المسؤولين في وزارة الحربية أن كاتب هذه الرسالة هو ضابط برتبة ميجور يدعى اشترهازي ، كان مثقلا بالديون . فلم تتحمس الحكومة للاقرار بخطئها واعادة المحاكمة . وفي هذه الاثناء جرت محاولات عديدة لتبرئة ساحة دريفوس المسكين يتوجها جميعاً كتاب مفتوح ارسله الروائي اميل زولا إلى رئيس الجمهورية بعنوان « اني

اتهم » . وقد اطلق سراح دريفوس سنة ١٨٩٩،ولكن شرفه لم يُردّ إليه الا سنة ١٩٠٦ . وخلال الحرب العالمية الاولى عاد فانخرط في الجيش الفرنسي ، وحاز رتبة ليوتنان كولونيل ووسام جوقة الشرف . وقد توفي في باريس في ١٢ تموز سنة ١٩٣٥ .

أصبح زولا فارساً في جوقة الشرف سنة ١٨٨٨ ثم ضابطاً سنة ١٨٩٣ . إلا أن اسمه شُطب من بعد المشكلة التي خلقتها قضية دريفوس . ورشح نفسه لعضوية الاكاديمية الفرنسية مراراً ، فكان يُرفض قبوله . وقد توفي في منزله الباريسي مختنقاً بالغاز بسبب عطل في الانبوب (وكان في حجرة نومه) في ٢٩ أيلول ١٩٠٢ . ولما بلغ سيزان نبأ وفاته بكى طويلاً . وانزوى في محترفه طوال يوم كامل .

عرف اميل زولا بشرود ذهنه عدة اسابيع . . حتى انه كان لا يكلم احداً خلالها ، ولا يسمح لاحد ان يزوره أو يكلمه . وفي خلال هذه الفترة التي تلازمه، كان زولا يكتب اروع آثاره الادبية التي خلدته . وكان يحرص على غلق النوافذ وإسدال الستائر عليها لأن وميض الشمس كان يعوقه عن الكتابة .

مَدَام دُو سْتال

Mme De Stael

قليلا ما أنصف النقاد مدام دو ستال (١٧٦٦ ـ ١٨١٧) التي مثلت دوراً هاماً منذ فجر الثورة الفرنسية إلى سقوط نابوليون . فالواقع أن هذه الأدبية العظيمة لم تُفهم على حقيقتها لأن الناس لم يعتمدوا في الحكم لها أو عليها إلا ما كتبه عنها معاصروها المتعصبون لنابوليون .

كانت مدام دو ستال من أعدى أعداء نابوليون . على أنها بدأت

بالتحمس له فوجهت إليه رسائل مشبعة بالاطراء . وكانت ترى فيه مجدّد الحضارة القديمة ، وتجاهر بأنه يجمع إلى العبقرية العسكرية عبقرية التنظيم والقدرة على الابداع .

سوى أن نابوليون أبى أن يتخذها ناصحة ، وصدّها بعنف ، فلم تحقد عليه ، بل واصلت الجهد لاكتسابه ، ووسطت جوزفين ، ولكن بدون جدوى . لما أنجزت مدام دو ستال سنة ١٨١٢ كتابها عن المانيا هربت إلى النسما ، مع أولادها وجون روكا ، الضابط السويسري الشاب الذي تزوجته فيما بعد . وفي فيينا راح السفير الفرنسي يصرّ على طردها . ففكرت أولاً في الالتجاء إلى تركيا ثم صحّ عزمها على الذهاب إلى روسيا .

فاحتفى بها القيصر اسكندر احتفاءً عظيماً ، وكان قد شهر على الجيش الفرنسي الكبير موقعة المدى والمناخ التي أهلكته .

ولم تكن مدام دو ستال فرنسية بل جنيفيّة المولد ، ثم صارت سويدية بزواجها، فكان طبيعياً أن تسعى لتسهيل السبيل إلى عقد مؤتمر « أبو » بين قيصر روسيا وبرنادوت ، الأمير الوارث لعرش السويد . وفي « أبو » عقدت تلك المحالفة العسكرية التي أسفرت عن سقوط الأمبراطور .فقدشاءت أن تنتقم، فجمعت بين القيصر وبرنادوت لتضرب نابوليون الضربة القاضية ، وتمّ لها ما أرادت .

ومن « أبو » انتقلت مدام دو ستال إلى ستوكهلم فاحتفى بها بلاط برنادوت والارستقراطية السويدية المشرَبة بروح الثقافة الفرنسية . ولما ذهب برنادوت إلى الحرب ذهبت مدام دو ستال إلى انكلترا . وفي لندن أصدرت كتابها عن المانيا فأحرز نجاحاً عظيماً في جميع أوروبا . وفيما المجتمع اللندني يكرّم الكاتبة الحرة انتهى إليها سقوط نابوليون واحتلال الحلفاء باريس . فاغتمت لأنها كانت تحب فرنسا . فالواقع ان مدام دو ستال التي اعتنقت مبادىء ١٧٨٩ على أنها فجر الحرية كانت عدوة

دجون ستاينبك

Jonn Ernst Steinbeck

عندما كان دجون ستاينبك (١٩٠٢ ـ ١٩٦٨) منكباً على وضع روايته الأولى «كأس من ذهب»، (١٩٢٩)، عرضت عليه وظيفة في بحيرة تاهو الكاليفورنية المعدة لتفقيس الاسماك، فلم يتردد في قبولها. وقد أحب عمله هذا حباً لا مزيد عليه. وكان إذا سألته لماذا، اجابك: «آه! الأسماك الصغيرة!» وفي هذا الجواب الموجز مفتاح شخصية ستاينبك الادبية. فالأسماك الصغيرة والاشخاص العاديون، والحيوانات البسيطة الساذجة، وما شاكل، هي الامور التي كانت تستأثر باهتمامه، وهي المواضيع التي تدور عليها رواياته المتميزة بعمق التفكير، والتفهم الصحيح.

كانت اولى رواياته الناجحة «الاسطول النهري» (١٩٣٥)، وتجري حوادثها في مقاطعة مونتيري المكسيكية الريفية. وقد أخرجت على الشاشة البيضاء شأنها شأن أكثر رواياته. وأعقبتها رواية «فئران ورجال» (١٩٣٧)، وهي قصة مزارعين مهاجرين يعملان في احدى مزارع كاليفورنيا الفسيحة الارجاء ثم روايته «عناقيد الغضب» (١٩٣٩)، التي فازت بجائزة بوليتزر الادبية للعام ١٩٤٠. ومنذ ذلك الحين اخذت رواياته الرائعة تتعاقب وتغزو السوق الادبية في العالمين الجديد والقديم، على السواء. ومن أشهرها «غاب القمر» (١٩٤٢)، التي يبتعد فيها للمرة الاولى عن البيئة الاميركية فيصف خيانة احدى المدن الاوروبية نفسها بنفسها، و«ضجيج معمل التعليب» (١٩٤٥)، و«الاوتوبيس الجامح» (١٩٤٧).

أبصر دجون ارنست ستاينبك النور في سالايناس بكارليفورنيا ، في ٢٧ شباط ١٩٠٢ ، ونشأ وسط المنطقة الكاليفورنية الخضراء هذه المشهورة بجودة خسها . وكسواه من الفتيان ، عمل خلال تردده إلى مدرسة سالايناس الثانوية في حراثة الحقول بواسطة المحركات . وقام بطائفة من الاعمال التي يزاولها اصحاب المزارع وقطعان الماشية في الريف الكاليفورني الجميل ، مما اكسبه خبرة لا تقدّر بثمن عن الاشخاص الذين وصفهم فيما بعد ، في رواياته العديدة . وبعد أن قضى بضع سنوات في جامعة ستانفورد حيث كان يتلّقى ما يحلو له من الدروس دون ان يجتهد في الحصول على اي شهادة بين سنة ١٩١٩ و١٩٢٥ ، انتقل إلى نيويورك والتحق باحدى الصحف ، سنة ١٩٢٦ ، وطفق يحمل إليها الاخبار المحلية . ولكنه سرعان ما طُرد من عمله ، فاضطر إلى كسب قوته من الاشتغال بنقل الحجارة والبلاط لتشييد حديقة ساحة ماديسون العامة . ولم ينجح في نشر قصصه القصيرة . فقفل عائداً إلى كاليفورنيا حيث عكف على كتابة روايته الاولى « كأس من ذهب » ، وهو يعمل في تفقيس الاسماك .

فلقيت بعض الاهتمام ، وقد اتبعها بروايتين اشتهرتا قليلاً هما « مراعي السماء » و« إلى إله مجهول » . . .

وكان نشر روايته « المهر الاحمر » (١٩٣٣) في مجلة « نورث اميركان ريفيو » ، مع ثلاث قصص اخرى سبباً في استقطاب عدد أوسع من القراء وأكبر . فلما صدرت روايته « الاسطول النهري » اكسبته شهرة عريضة ، ضاعفتها روايته « فئران ورجال » وجعلته أحد أبرز كتّاب عصره . وخلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥)عمل مراسلاً حربياً لاحدى الصحف الاميركية ، متنقلاً بين مختلف جبهات القتال .

وراح ستاينك يكتب بغزارة وسرعة . ومن مؤلفاته ، فضلاً عما

ذكرنا ، هناك « مشكوك في نتيجته » و« الوادي الطويل » ، و« بحر كورتيز » ، و« اللؤلؤة » و« يحترق بلمعان » ، و« شرقي عدن » ، و« الخميس العذب » .

ويُذكر أن ستاينبك الذي تأثر ، على ما يظهر ، بالتيارات البروليتارية في الثلاثينات من القرن العشرين ، تبقى أعماله الادبية الغنية بالرموز ليس مجرد النشرات والكراريس السياسية البحت التي غالباً ما تميّز الأدب « الواعي اجتماعياً » ، في تلك الحقبة من التاريخ . . .

سترندبرغ

August Strindberg

في ٢٦ كانون الثاني ١٩٤٩ احتفلت السويد، حكومةً وشعباً ، بذكرى مرور مائة سنة على مولد أوغست سترندبرغ ، أحد مشاهير الروائيين المسرحيين في العالم ، والشاعر ، والرسام ، والموسيقي ، والرجل الذي تعرّف إلى مختلف ميادين النشاط الفكري: من الجغرافيا إلى الكيمياء ، ومن الطب إلى اللاهوت . . .

كان سترندبرغ ذا قدرة فائقة على العمل ، قوي الذاكرة ، شديد التعلق بالحياة ، يعج رأسه بالآراء والنظريات الجديدة على اختلاف انواعها . وكان يرغب في اختبار كل شيء والاطلاع على كل شيء . وقد اشتهر كرسام ، فتخصص في رسم مناظر العواصف البحرية ، وتلاطم الأمواج ، واكفهرار الجو . ووقف قسماً من وقته على الموسيقى والنحت ، فترك بعض الآثار فيهما . وأكب على العلوم يرشف من معينها دون أن يرتوي ، حتى بات لديه من كل علم أخبار وأخبار . . . كان عالماً بالجغرافيا ، والكيمياء ، والفيزياء ، وعلم الحيوان ، وعلم النبات ، وعلم

طبقات الأرض ، والفلكيات ، والرياضيات ، وعلم الآثار ، والاجتماع ، والابحاث اللغوية ، والفلسفة ، والطب ، واللاهوت ، والتاريخ ، الخ . . .

وكان لديه مختبر علمي خاص يُجري فيه مختلف التجارب . وقد وضع كتباً ومقالات عديدة في الاختبارات والمباحث التي كان يقوم بها . ولم يقف عند هذا الحد ، بل درس أصول تكرير المشروبات الروحية ، وصنع الخزف والبورسلين . وتعلم اللغة الصينية وآدابها ، وعقد حول الثقافة الصينية فصولاً لها أهميتها في عالم الصحافة والنشر .

وترك حوالى ٦٠٠٠ رسالة في مواضيع متنوعة تهتم اليوم « جمعية سترندبرغ » بجمعها تمهيداً لنشرها في عدة مجلدات .

قضى سترندبرغ وقتاً غير قصير خارج السويد بسبب نقده اللاذع للمجتمع السويدي ولعدد من الشخصيات المعروفة ، ولم يكن يعرف الهوادة في نقده . عاش في المانيا ، والنمسا ، وفرنسا ، وسويسرا ، وايطاليا ، والدانمارك . وتزوج ثلاث مرات ، ورُزق ستة أولاد ، وكان على أهبة الزواج للمرة الرابعة عندما عاجلته المنيّة سنة ١٩١٢ .

كان في شخصيته وحياته وأدبه وأعماله سلسلة من المتناقضات . كان في وقت ما ملحداً ، وكان في وقت آخر تقياً ورعاً ، شديد التعصب . وكان من انصار الطبقات العاملة ، كما كان ارستقراطياً من الناحية الفكرية يتصرّف تصرّف السوبرمان . كان واقعياً ، كما كان متصوفاً . كان رحب الصدر ودنيئاً ، مقداماً وجباناً ، قاسياً ورقيقاً متواضعاً ، محبوباً ومسبباً للنفور والاشمئزاز ، طيب القلب وفجّاً . . .

ولا عجب ، فإن رجلاً في مثل قوته لا بد له أن ينجذب نحو هذا التناقض الغريب . ولم يكتف سترندبرغ بشن حربه الشعواء على الأفراد ، بل تحدى المجتمع السويدي ، والعالم بأسره .

وكثيرون هم الذين يحبونه ويقدرونه حق قدره ، ولا يقلّ عنهم الذين يمقتونه أشد المقت . أما حياته وشخصيته فهما في عرف الكثيرين قصيدة رائعة غريبة ، تأسر الالباب ، وتبعث على النفور في آن معاً . . .

هارييت بيتشرستو

Harriet Breecher Stowe

على أثر زيارة قامت بها هارييت لشقيقها هنري وورد بيتشر ، تخللها الحديث في موضوع الرق ، تسلمت هارييت رسالة من زوجة أخيها جاء فيها : « والآن يا هاتي . . لو اتيح لي ان استعمل القلم كما تفعلين ، لكتبت شيئاً يجعل هذه الأمة تشعر بأن الرق لعنة فظيعة ! » فكان ذلك الباعث على وضع روايتها كوخ العم طوم ، التي تعتبر مساهمة كبرى من الادب في حركة تحرير العبيد .

أبصرت هذه الروائية النور في ولاية كونيتيكت في ١٤ حزيران ١٨١١ . فتعلمت الخياطة وحياكة الصوف ، وسُمح لها بمطالعة كتب الصلاة ، والترانيم الدينية ، والمواعظ ، إلا أنها قرأت كل ما كانت تقع عليه يداها بما في ذلك كتاب الف ليلة وليلة الذي اكتشفته بنفسها ووجدت فيه متعة وسلوى .

بدأ اهتمامها بقضية الرق اثر زيارتها لكنتاكي التي جعلتها ، فيما بعد ، إطار روايتها كوخ العم طوم ، واقامتها ١٨ سنة في سنسيناتي حيث كان العبيد الهاربون يجتازون باستمرار النهر . تزوجت سنة ١٨٣٥ البروفسور كالفن ستو ، فكانت زوجة وأماً وفية . وقد توفيت في أول أيلول ١٨٩٦ .

ميغيل دو سرفانتيس

Miguel De Cervantes

أن أبـرز من قدمتـه اسبانيـا إلى الأدب العالمي الـروائي الكبـير ميغيـل دو سرفانتيس سـافيـدرا (١٥٤٧ ـ ١٦١٦) الـذي عـاش في عصر اسبـانيـا الذهبي فكرياً وسياسياً .

ولـد في أسرة نبيلة ولكنهـا فقيرة . . . درس في جـامعـة سـالامنكـا ثم في مدريد . تأثرت دروسـه الرسميـة بسبب انصرافـه إلى قرض الشعـر ، إلا أنـه شخصياً كـان يطالـع من الكتب أكثر ممـا يتطلبـه جدولـه الدراسي . فلما بلغ الحـادية والعشـرين رحل إلى رومـا بحثـاً عن الثـروة . وفي العـام التـالي التحق جنـدياً في الحملة التي جُـردت لتحريـر قبرص من الحصـار التـركي . فجرح في معركـة ليبانتـو وشلَّت يده اليسـرى . وفي سنة ١٥٧٥ ، وكـان قد عـاد إلى اسبـانيـا ، أسـره المغاربة فـي الجزائـر ، فقضى خمس سنـوات في السجن ، وبعـد اطلاق سـراحه بـاربع سنـوات تـزوج واستقـرَّ بـه المقـام في مدريد .

نشر روايتـه الأولى غـالاطيـة سـنـة ١٥٨٤،فلم تحظ إلا بـتقـريظ عـادي ، ولم تلق مسـرحيـاتـه العـديـدة التي اصدرهافي تلك الآونـة الـرواج الـذي لقيه القسم الأول من رائعتـه دون كيشوت الـذي ظهر سنـة ١٦٠٥ . انها بحق في طليعــة الـروايـات العــالميـة الـتي ظهـرت في أي أدب مـن الآداب ،. تصور نزاعـاً هزليـاً بين الأحـلام والواقـع . وبعد سنـوات أصدر سرفانتيس التتمـة ، فكـانت في نـظر النقّـاد أكـثر روعـة من القسم الأول . واستقبلتها الأوساط الأدبية العالمية بمـا تستحق من التقريظ .

وخـلال سني حيـاتــه الأخيـرة كـان يتلقى العـون المـادي من بعض

أصدقائه ذوي النفوذ والجاه فيكفي بذلك عوزه ، ولكنه مع ذلك بقي فقيراً حتى وفاته .

وفي العالم اليوم أكثر من ٢٣٥٠ طبعة من قصة دون كيشوت في ٧٨ لغة عالمية .

السر ولتر سكوت

Sir Walter Scott

هذا الروائي والشاعر الاسكتلندي (١٧٧١ - ١٨٢١) أصيب وهو في شهره الثامن عشر بداء السحايا الذي شلّ رجله اليمنى . ويعتقد بعضهم أنه لولا هذه العاهة لأصبح رجلاً عسكرياً بدلاً من أن يصبح رجل قلم .

كان ، منذ نعومة أظفاره ، قوي الذاكرة ، يحفظ كل ما يقرأ . . ويقرأ كثيراً وباستمرار ، وقد أتقن عدة لغات . كانت زوجته فرنسية . وقد أوحى إليه بقرض الشعر اطلاعُه على الشعر الالماني . اشتغل بالمحاماة فترة من الزمن ، كما اشتغل بالسياسة . وعلى الرغم من عمله في الطباعة ، وكتابة المقالات ، ونشر الروايات ودواوين الشعر، كان يجد متسعاً من الوقت للدراسة والمطالعة . وقلما نجد في تاريخ الادب الانكليزي رجلاً يتمتع بمثل هذه العبقرية ، والمواهب الفذة ، والنشاط الجم .

بدأ روايته الأولى سنة ١٨٠٥،ولكنه ألقاها جانباً بناء على نصيحة أحد أصدقائه ، إلا أنه أكملها سنة ١٨١٤ في خلال أربعة أسابيع فقط . وقد نُشرت غفلاً من اسمه . ولاقت رواجاً ونجاحاً كبيرين مثل سائر رواياته التي توالت مذ ذاك ، وأشهرها عروسة لامرمور ، وآيفنهو ، والطلسم ،وكنلويرث .

ونتيجة لحياة البذخ التي كان يحياها وجد سكوت نفسه مفلساً ، ومديناً بمبلغ ١٣٠ ألف ليرة استرلينية لم يرَ بدّاً من تسديدها . وراح يعمل ليل نهار ـ على الرغم من سقم صحته ـ لوفاء ديونه . ومات بعد أن سدَّد نصف المبلغ ، ولكنه مات معتقداً أنه حرّ من كل دين .

أبتون سنكلر

Upton Sinclair

يبلغ عدد المجلدات التي وضعها أبتون سنكلر (١٨٧٨ ـ ١٩٦٨) الخمسين ، والكراريس اكثر من خمسمائة . وقد بيع من كتبه مليونا نسخة في المانيا ، وثلاثة ملايين في روسيا . ولا مغالاة في القول ان رواياته المتطرفة ساعدت على التمهيد للثورة الشيوعية . ومع انه اميركي فإن كتبه اكثر رواجاً في أوروبا منها في العالم الجديد . وقد نُقلت إلى أربع واربعين لغة ، يجهل هو نفسه اسماء أغلبها ، والاماكن التي يجري التخاطب بها .

بلغ من العمر التسعين ، وكان يعيش منذ بلغ السادسة عشرة على ما كان يدرّه عليه التأليف والانتاج الادبي من دخل . وكان فيه شبه كبير من الرئيس الاميركي الاسبق وودرو ولسون ، يسعى جاهداً وراء مثل أعلى وغاية سامية . ذلك بأنه كان يريد القضاء على الفقر ، لأنه ذاق الأمرّين من البؤس والحرمان .

كان والده بائع ويسكي مُدمن الخمرة . وقد اعتاد منذ نعومة اظفاره البحث عن والده السكّير في الحانات الليلية في كل من بولتيمور ونيويورك ، حيث كان تقيم أسرة سنكلر . وكان إذا ما عثر عليه ساعده على العودة إلى البيت ، ووضعه في سريره ، فتأتي أمه وتنقّب في جيوب الزوج المخمور ، فتأخذ ما تبقّى فيها من نقود ، وتحتفظ بها لتبتاع ما

يحتاجون إليه من طعام في اليوم التالي . وكانت هذه الاسرة من الفقر بحيث كانت تقيم في بيت أشبه بالكوخ الحقير . وكانت دائمة التنقّل من مكان إلى آخر ، هرباً من دفع بدل الايجار الذي لم يكن ليتوفر لها .

وابتون سنكلر لم يشرب الشاي ولا القهوة ، ولم يدخّن التبغ ، وكان شديد المغالاة في مكافحة المسكرات . وكيف لا يكون كذلك ، وقد هدمت الويسكي صرحه العائلي ولطخت طفولته ؟ وهو القائل ان الويسكي قصّرت عمر صديقين حميمين له هما الروائيان : جاك لندن ، ويوجين ف . ديبس .

لم يسعفه الحظ بدخول مدرسة قبل العاشرة من عمره ، ولكنه قبل ان يلتحق بالمدرسة كان قد قرأ مؤلفات ديكنز ، وثاكري ، وعدداً من المجلدات ، وجزءاً لا بأس به من دائرة المعارف البريطانية .

ولكي ينفق في اثناء دراسته ويعيل أمه ، عكف خلال اقامته في « كلية سيتي » في نيويورك ، وجامعة كولومبيا ، على وضع الفكاهات والقصص للصحف والمجلات لقاء دولار واحد عن كل فكاهة أو قصة . وكان ذا جلد كبير على الدرس والكتابة ، يكتب كل ليلة قصة مؤلفة من ثمانية آلاف كلمة ، إلى جانب انهماكه في الدرس ، ثماني ساعات يومياً .

ولما غادر مقاعد الدراسة الجامعية ، كان دخله من القصص التي تنشرها له المجلات سبعين دولاراً في الاسبوع ـ وهو مبلغ ضخم بالنسبة إلى أديب ناشىء لم يتجاوز العقد الثاني من العمر . الا ان الانصاف يقضي بالقول ان سنكلر لم يكن يسعى من وراء الكتابة والتأليف ألى جمع المال ، بل كان جلّ همه منحصراً في وضع حدّ للبؤس والظلم . وفي سبيل ذلك تخلى عن هذا الدخل ، وأقام خيمة في نيود جرزي ، وانكبّ على تأليف روايات التشهير الكفيلة بتنظيم العالم من طريق نشر الفضائح

العامة على الملأ . وقضى خمس سنوات ، أخرج خلالها خمس روايات ، لم تدرّ عليه جميعاً سوى الف دولار ـ أي بنسبة مائتي دولار للرواية ، أو ما يعادل ستين سنتاً في اليوم الواحد .

وعضّه الجوع في احيان كثيرة . ففي ذات يوم اشترت زوجته شرشفاً لمائدة الطعام جميلاً بثلاثين سنتاً لفت نظرها . فلما رآه زوجها طلب إليها إعادته ، واسترجاع المبلغ الزهيد الذي دفعته ثمناً له ، لأن الثلاثين سنتاً تعني نفقات طعام يوم بكامله .

وظهرت روايته السادسة « الغابة » فأثارت ضجة كبرى ودرّت عليه ثلاثين ألف دولار . فاستخدم المبلغ كله لتمويل مستعمرة خيالية أقامها على ضفاف نهر هدسن في نيوجرزي ، هي بمثابة تعاونية يعيش فيها الادباء والرسامون والموسيقيون بأقلّ نفقات ممكنة ، في جو ملائم لميولهم وطباعهم . وقد عاش سنكلر هناك ردحاً من الزمن كان يُعنى خلاله بالموقد . ولكنه لم يكن ماهراً في عمله إذ شبت النيران ذات ليلة في المكان الذي يقيم فيه مع زملائه وأتت عليه . وكانت تلك نهاية المستعمرة التعاونية .

وابتون سنكلر كان مصلحاً في مختلف عهوده ، وهو الذي تزعّم ، مع اينيز ملهولاند ، التظاهرة النسائية الكبرى الأولى في نيويورك ، للمطالبة بمنح المرأة حق الاقتراع . وقد كافح كفاحاً مستمراً من أجل إقرار مبدأ تحديد النسل ، وكان من ابرز اشتراكيي اميركا في مطلع هذا القرن . وكان من طبيعته انه إذا أراد شيئاً سعى جاهداً للحصول عليه . فقد أحب مرة ان يتعلم العزف على الكمان . فما كان منه إلا أن أخذ يتدرب على ذلك ثماني ساعات في اليوم ، لمدة ثلاث سنوات متواصلة . فإذا ما تذمّر جيرانه كان يحمل كمانه ويذهب إلى الغابات يعزف للطيور والسناجيب .

وقـد أُوقف اربـع مـرات في حيـاتـه : المـرة الاولى في ولمنغـتـون (ديـلاويـر) حيث أُلقي في السجن ثماني عشرة ساعة للعبـه التنس يـوم أحـد . والمرة الثـانية أوقف وسُجن في نيـويورك مـدة ثـلاثـة أيام لأنـه رؤي يتمشى ذهاباً واياباً صامتاً سـاهماً ، امـام مكتب صاحب الملايين دجـون د . روكفلر .

والمـرة الثالثـة أُلقي القبض عليه لبيعـه نسخة من الكتـاب المقدس إلى شرطة بوسطن .

والمرة الرابعة أوقف لمحاولتـه تلاوة دستـور الولايـات المتحدة الاميـركية وهـو واقف في عقار خـاص بعـد حصـولـه عـلى اذن خـطي من صـاحب العقار . . .

شكسبير

Willial Shakespeare

كتب بن دجـونسون عـلى ضريـح زميله وليام شكسبـير : « لم يكن ابن عصره ، ولكنه ابن جميع العصور » .

كـان دجونسـون على حق في مـا قال ، فجميـع الذين قـرأوا ما خـطته يـراعة شكسبـير من المسرحيـات والقصائـد ودرسوهـا دراسة وافيـة يعـرفـون جيـداً أن للروائي الشهـير آراء صـائبـة في السيـاسـة والاقتصـاد والاجتمـاع تنطبق على مختلف العصور .

لُقب شكسبـير بأديب الـطليعة الحق الـذي نفذ ببصـره وببصيـرتـه إلى المستقبـل فصوره ، في أغلب الأحيـان ، بـأدق مـا يمكن بشـراً أن يصـوره . وقد ألمح شكسبير في مسرحياته إلى الكثير من الأحداث المعاصرة .

أبصر وليام شكسبير النور في بلدة ستراتفورد أون إيفن سنة ١٥٦٤ . ولم يعُرف بالضبط اليوم الذي وُلد فيه ، وكل ما هو معروف عنه أنه عُمّد في السادس والعشرين من نيسان من السنة نفسها . وليس ثمة معلومات راهنة عما تخلل صباه . والمرجّح أنه تأثر خطى والده، فعمل في دار البلدية ردحاً من الزمن .

وفي العام ١٥٨٢ تزوج شكسبير من آن هاثاوي، ورزقا ابنة سمياها سوزانا . ومما يذكر أن هذه الابنة البكر كانت تجهل القراءة والكتابة . وحلّت سنة ١٥٨٥ فرزقا توأمين اثنين هما هامنت ودجوديث .

ويروى أن شكسبير اضطر إلى مغادرة مسقط رأسه بسبب فضيحة سرقة ايّل . غير أن الذين اتهموه بالسرقة لم يستطيعوا إقامة أي دليل يصحّ الركون إليه . . .

لم يتبوأ شكسبير مقامه في عالم التمثيل والتأليف المسرحي إلا بعد أن انفصل عن أسرته وعاش وحده في لندن حيث انضم الى فرقة تمثيلية هي فرقة تشمبرلن ، التي أصبحت فيما بعد فرقة رجال الملك . وقد أصابت هذه الفرقة نجاحاً عظيماً طوال الوقت الذي كانت تضم فيه شكسبير .

طارت شهرة هذه الفرقة التمثيلية ، ووجدت طريقها إلى القصر حيث قدمت أكثر من ثلاثين رواية في عهد الملكة اليزابث . أما سائر الروايات فكانت تقدم على مسرح الفرقة الخاص المعروف بمسرح الغلوب .

وكان شكسبير يتقاضى أكبر حصة من الأرباح بصفته شريكاً في المسرح . وفي اواخر أيامه عاد الروائي ألى مسقط رأسه ستراتفورد اون إيفن ، حيث أمضى زمناً غير قصير في القصر الفخم الذي ابتاعه وسماه « القصر الجديد » . وكان له من العمر عندما قضى نحبه في ٢٢ نيسان

١٦١٦ اثنان وخمسون عاماً .

يقول الفيلسوف الاميركي جورج سنتايانا في إحدى قصائده : « ان الله قد ضاعف الخليقة عندما خلق شكسبير ! »

يقدّر العارفون أن هناك نصف مليون شخص بين ناشر ، وصاحب مكتبة ، ومحاضر ، ومدرّس ، وأمين متحف ، ودليل سياح وسواهم يكسبون أرزاقهم بفضل شكسبير .

برنارد شو

George Bernard Shaw

لا جدال في أن برنارد شو (١٨٥٦ ـ ١٩٥٠) كان اعظم أديب في عصره ، هذا العصر الذي يمتد من عهد الملكة فيكتوريا حتى عهد القنبلة الذرية . كان روائياً،وروائياً اعظم من شكسبير ، وناقداً موسيقياً اخبر من بتهوفن ، واشتراكياً رأى ابعد مما رأى كارل ماركس . وكان اكثر من هذا كله في عرف الكثيرين ، وفي عرف خصومه قبل محبيه والمعجبين به وبعبقريته . خلدّه معاصروه قبل ان يخلده الموت،لأنه عمّر طويلاً . وقد مات عن اربعة وتسعين عاماً، حافلة بالنتاج الأدبي والفكري الرائع الذي قلما يصدر عن واحد فرد .

غير ان اغلبية العالم الادبي رفضت ان تنظر إلى برنارد شو الا نظرتها إلى مهرّج ظريف لطيف ، يمتص بشغف طبقة السكّر التي تغطي حبوب افكاره اللاذعة المرارة .

ان شهرة شو هي ، في الاساس ، شهرة ادبية ، طالما ان مؤلف القديسة حنة يُعتبر اشهر مؤلف مسرحي في العصر الحديث . ويشاطره

هذه الشهرة اديبان مسرحيان هما جيرودو الفرنسي ، وبيرنديللو الايطالي . غير ان نشاط شو يتخطى دائماً حدود الحقل الادبي . فعنده من كل علم خبر ، وقلما ترك موضوعاً لم يكتب أو يناقش فيه .

استهل شو حياته الادبية في الصحافة (مجلة « ستردي ريفيو » الادبية الاسبوعية) ، فعمل فيها عشر سنين . وكانت مقالاته فنية ، يدور اكثرها حول المسرح ، والموسيقى ، والتصوير .

سئل مرة عن افضل عشرة ادباء معاصرين ، فأجاب :

ــ جورج برنارد شو ، برنارد شو ، برنارد جورج شو ، ج. ب. ش ، شو ، ج. ب. شو ، ج. برنارد شو ، جورج ب . شو ، برنارد ج . شو ، شو ج. ب .

وسأله يوماً احد الصحفيين :

ــ اترغب في حياة ثانية بعد هذه ؟

فكان جوابه مفحماً :

ــ كلا ، لأن في ذلك إعترافاً بإخفاقي في حياتي الأولى .

كان برنارد شو ايرلندي الأصل ، أبوه من البورجوازيين الانكليز الصغار ، وامه قروية تملك بعض العقارات البسيطة . وكان ج. ب. ش. تلميذاً مهملاً ، كسولاً . تركت له والدته الحبل على الغارب ، فلم تشأ أن تقسو عليه ، وقد عرفت اشد الوان القسوة في سنيّ دراستها . فلما توفي عنه والده ، التحق كموظف بسيط في شركة تليفونات اديسون ، ولكنه سرعان ما طُرد من العمل . وما لبث ان شرع في التأليف، ولكن احداً من الناشرين لم يوافق على نشر كتبه ، كما أن مديري المسارح رفضوا اخراج مسرحياته . وكان يتلقى هذه الصدمات بسخرية ما بعدها

سخرية يقيناً منه ان الزمن يعمل لمصلحته . . .

ولمناسبة بلوغه التسعين من عمره منحه مجلس دبلن البلدي براءة مواطن شرف في هذه المدينة . فلم يرفض هذا الامتياز الرسمي ، ولكنه اعتذر عن حضور الحفلة التكريمية بقوله : « لم يبقَ مني الا القليل ، ولن يلاحظ احد غيابي ! »

وفي العام ١٩٢٥ ابي شو قبض مبلغ سبعة آلاف استرلينية هي قيمة جائزة نوبل التي فاز بها ، وفضّل توزيعه على الادباء السويديين المعوزين . فكان لهذه البادرة الطيبة ابلغ الاثر في النفوس ، لما عرف عن هذا الاديب من الفقر والشحّ . وذات يوم عرف الصحفيون انه اقرض عمال مناجم ديرهام مبلغ ٣٠ الف استرلينية فهرعوا اليه يستفسرونه عن هذا العمل العظيم . فكان جوابه موجزاً : « بفائدة ستة بالمئة » . ولا ننس انه صاحب المسرحية التي تحمل عنوان لا رائحة للمال التي يتهجم فيها على اصحاب العقارات المبنية الذين لا يعرفون الرحمة ولا يشفقون على المستأجرين البائسين الذين غدر بهم الدهر . اما هو ، فمعذور ، ولا بأس عليه إن طالب المخرجين السينمائيين بمبالغ طائلة للسماح لهم باقتباس مسرحياته . ويقال انه فاز ببضعة ملايين استرلينية لقاء سماحه باخراج روايته قيصر وكليوباتره على الشاشة البيضاء . وجلّ مراده ان يكون حديث الناس دائماً وحيثما كان ، لا فرق لديه نوع الحديث . .
ومن أقواله :

ـ لقد استطعت طوال ستين سنة كاملة إقناع العالم بأني رجل غريب ، مدهش ، روحاني ، حادّ الذكاء ، لامع . فأصبح ذلك جزءاً من الرأي العام الانكليزي ، وليس ثمة قوة في العالم تستطيع تبديل هذا الموقف . فان سمعتي لن يؤثر فيها شيء لانها ترتكز على دعائم متينة متانة الدعائم التي ترتكز عليها شهرة شكسبير .

جورج صاند

George Sand

كان لجورج صاند (١٨٠٤ ـ ١٨٧٦) الكاتبة الفرنسية المعروفة ، وقائع غرامية لا تحصى في الفترة الممتدة من وفاة زوجها البارون دودوفان حتى تعرفّها بشاعر الغزل الرقيق الفريد دو موسه . وكان الشاعر في الثالثة والعشرين من سنيه ، وكانت جورج صاند في التاسعة والعشرين . فلما تعارفا تبين لهما ان مزاجيهما متوافقان .

رحلا معاً إلى ايطاليا ، فكانت رحلة ممتعة قضاها العاشقان في رشف كؤوس الغرام مترعة . ولكن هذه الحال لم تدم طويلاً ، فقد اضطرت جورج صاند للعمل على تدبّر امور معيشتهما . اما الشاعر فكان يستوحي شيطانه في خلوات نفسه تؤنسه فيها الكاس والطاس . وتظل هذه حاله إلى أن تعود صديقته من عملها في آخر النهار .

عرف الشاعر كل انواع الملذات ، فأطلق لشهواته العنان ، وانحدر إلى مهاوي الرذيلة ، فساءت صحته ولزم فراشه عليلاً ، مهدود القوى ، فعكفت صديقته على تمريضه ، والسهر عليه ، والتوفر على العناية به عناية الام الرؤوم بوحيدها . إلا انها ما لبثت ان احبت الطبيب الايطالي باجيلو الذي كان يعنى بالشاعر المريض ، فسافرا إلى باريس تاركين موسه في ايطاليا يتقلب على فراش مرضه .

ولكن سرعان ما ملّت جورج صاند الحياة مع الطبيب الايطالي ، وبرمت به وبحبه . وسئمت العيش بجانب صديقها المريض ، فظلت حيث هي ، بعيدة عنه ، بعد ان قصّت شعرها وارسلته أليه دلالة الندامة وانسحاق القلب . ولكنه لم يغتفر لها خيانتها بدليل رفضه رؤيتها وهو على فراش الاحتضار يعالج سكرات الموت .

وجـورج صانـد هو الاسم الادبي الـذي عرفت بـه الروائيـة الفرنسيـة ارمنتـين لوسيـل اورور ، البارونـة دودوفان . قضت ثـلاث سنـوات في احـد الاديـرة ، ثم تـزوجت من كـازيمـير دودوفـان الـذي انفصلت عنـه سنـة ١٨٣٦ .

ومؤلفـاتهـا التـاليـة تميـز اربـع مـراحـل يُقسم إليهـا انتـاجهـا الادبي : فـالنتين ، وجـاك ، وليـون ليـوني (هي ابـرز روايـاتهـا التي يـطبعهـا طـابـع متـاعبها الـزوجيـة) ، وكـونسـويلو (ابـرز حججهـا في الـدفـاع عن الثـورة الاجتمـاعية) وفـرنسوى لـوكـامبي ، وفـاديت الصغيـرة ، وقـارعـو الجـرس (تبـرز فيها الـروعة الـريفية) ، والمـركيـز دو فيلمير ، ومـدمـوازيـل لاكنتيني (تميز دراساتها الاجتماعية الاعمق في مرحلتها الرابعة) .

وفيما يلي أحدى رسائل الشاعر إلى حبيبته الهاجرة :

« ارثي لـطبيعتي الكئيبـة التي قضت عـليّ بـأن اعيش في نعش محكم الاقفـال ، وابغضي الذين اكـرهوني عـلى هذه الحيـاة . هنـا جـدار سجن ، قلتِ البـارحة ان كـل شيء يتحطم عنـده . اجل ، يـا جـورج ، انـه جـدار حقيقي ، ولكنك نسيت ان وراء هذا الجدار سجيناً مسكيناً .

هـذا هو تـاريخ حيـاتي من الالف إلى اليـاء ، وهـذا مـاضيّ ، وهـذا مستقبلي . لو كتبتُ ابيـاتي الشعريـة على جـدار سجني لكنت خطوت بـذلك قليلاً في طريق السعادة . .

ارثي لحـالي ، ولا تحقدي عـليّ ، سـأقضي قبـل ان اراك ، فـإذا كـان اسمي محفـوراً في احـدى حنـايـا قلبـك ، فـأمنيتي الـوحيـدة عنـدك ان تبقي عليه ، ولا تزيليه مهما يكن اثره ضئيلاً .

أحبي الـذين يعـرفـون معنى الحب ، ويجيدون هـذا اللون من الفن . اما انا فلن اتقن سـوى الالم . لهذا تـرينني أجيده . تمـر عليّ ايـام اشعر فيهـا

بـأنني استطيـع ان ازهق روحي بيدي، ولكني احجم عن ذلـك فأنفجر باكيـاً أو استغرق في الضحك . . . الوداع ، يا جورج ، إني أحبك حب الأطفال ! »

غوركي

Maxim Gorky

ألكسي مكسيمـوفتش بتشكوف ، المعـروف بمكسيم غـوركي ، أبصر النور سنة ١٨٦٩ في مدينة نينيي ـ نوفغورود ، وتدعى اليوم غوركي .

اصـابـه اليتم وهـو بعـد في الـرابعـة من عمـره . فـاعتنت بـه جـدتـه المسكينـة اللطيفة ، واعمـامـه القسـاة الشـرسـو الـطبـاع . وذات مـرة سـأل الصبي اليتيم جدته عن سبب فظاظة اعمامه ، فأجابته :

ـ إنهم، يا حبيبي ، أغبياء وليسوا أشراراً !

ويؤكـد الكاتب ان عـطفه عـلى الاشرار الـذي لا يحـدّ بـدأ بعـد تلك الحادثة بشهرين تقريباً .

عمـل في صغره في احـد الافران ، ثم حمالاً في مرفـأ سمـارا ، وكـان من شـدة البؤس يرتـدي سروالاً مصنـوعاً من كيسي طحـين أو شعـير . وقـد سُجن فتـرة من الزمن ، وحـاول الانتحار تخلصـاً من الحياة لشـدة مـا كـانت ثقيلة الوطأة عليه ، ولكثرة ما كان يحوم حوله من الاكاذيب والنفاق .

بـدأ حياتـه الادبية بـالكتابـة في الصحف ،فكانت كـل آرائه واعمـالـه واخطائه من أجل الوصول بالشعب إلى مستقبل افضل .

وكـان الطاهي سمـوروف ، صف الضـابط السـابق في فـرقـة الحـرس الـروسيـة ، أول من حبّب المـطالعـة إلى غـوركي ودفعـه إليهـا دفعـاً بشتى السبـل . وكثيـراً مـا كـان ينهـال عليـه بـالضـرب المبـرّح ليحمله عـلى انهاء

الكتـاب الذي بـين يديـه ، قبل ان يـأوي إلى فراشـه . وكان غـوركي يعمل في خـدمته . وقـد اعترف فيـها بعد أن قصص تـولسـتـوي كلفتـه غـاليـاً . في حـين كان يقـرأ روايـات الكسنـدر دومـا بشغف دون ان يضـطر الـطاهي إلى ضربه .

كان غوركي يحيا حياة بوهيمية عنـدما أوقفـه رجال الشـرطة ذات يـوم واقتـادوه إلى الـدائـرة ليقـابـل رئيسهم الضـابط . فلما مثـل امـامـه وعـرف الضابط ان المتهم يدعى غوركي سأله :

ـــ ألست انت كاتب القصص الموقّعة بهذا الاسم ؟

ـــ أجل .

ـــ إذن أكتب لي قصة وأنا اطلق سراحك .

فـوافق غـوركي عـلى ذلـك واعـطى الضـابط القصـة التي وعـده بهـا وخـرج حرّاً طليقـاً من كل قيـد . وبعد ذلـك بثـلاثـة ايـام وقـع نـظره عـلى قصته موقعة باسم الضابط ومنشورة في احدى صحف المنطقة .

لم ينظر غوركي الذي احتفلت روسيا بذكرى وفاتـه العاشـرة في حزيـران ١٩٤٦ نـظرة عطفٍ إلى الثـورة الشيوعيـة . وقد صـرح إلى أحد الصحفيـين الاميـركيين عنـدمـا تسلّم لينـين زمـام السلطة في روسيـا بقـولـه : « أني أرى الشعب ينتصر ، ولكني أشعـر بأني غـريب في هـذا الـوسط بعـد ان ضـاعت القوة والنشاط في الصراع . فأنا اليوم أشبه ما أكـون بكريسـتـوف كـولومبـوس الذي خاب أمله باميركا عندما وصل إليها واكتشفها . . . »

ولكن ما عتّم الأمر أن آمن غوركي بلينين ومقدرته .

وكـان في السنـوات الاخيـرة من حيـاتـه يتلقى مئـات الـرسـائــل من الفتيان والفلاحـين والعمال ، يسـألونـه فيها عن سر فنـه في الانشاء ، فكـان

يردّ على كثير من هذه الرسائل . وقد جمع جوهر ردوده في محاضرة القاها في الكتّاب الناشئين .

تساءل غوركي في محاضرته هذه : ما هي القوة التي ترغمنا على الكتابة ؟ وأجاب : « ان رداءة الحياة اليومية وسخافتها وسفالتها وحمقها تمسك احياناً بخناقنا وترغمنا على الصراخ لنتمكن من التنفس . وجمال الطبيعة وفرحة الحب وحنوّ الصداقة وكرامة الرجولة تتدفق احياناً من القلب في سيول من الكلام ، في موسيقى الشعر وبهجة النثر » .

ولكن غوركي حذّر من الارتجال الفطري ، الارتجال الحيواني في تلك الحاجة إلى الكتابة ، وقال انه يجب قبل كل شيء تمرين القلم وتهذيبه . ونصح لتلاميذه الفتيان بأن يتعلموا اللغة الفرنسية ليتمكنوا من قراءة عظماء المنشئين في لغتهم ، وسمّى منهم ثلاثة هم ستندال وبلزاك وفلوبير ، قائلا : « أما فلوبير فيدهش برشاقة ريشته ودقة تصويره . وكثيراً ما كنت، وأنا بعد فتى ، أنعم النظر في الصفحة التي قرأتها رجاء أن أرى خلال الكلام خيال امرأة أصبحت مألوفة عندي . وأما ستندال فهو الالوان بذاتها . . فقد أخذ كل ما عند الاساتذة الايطاليين من أضواء الشمس . وأما بلزاك فهو التصوير الزيتي » .

واسدى غوركي إلى الصحفيين الفتيان هذه النصيحة : « خذوا على الفور ما يقع عليه فكركم أو سمعكم ، ثم حاولوا أن تحملوا إلى قرائكم ما أثّر في نفوسكم سواء من عوامل الدهشة أو الاعجاب أو الغضب » .

من أشهر مؤلفاته « حياتي وأنا فتى » ، و« المشّردون » ، و« الأم » .

كرست جريدة « البرافدا » الروسية صفحتين كاملتين من عددها الصادر في ٢٨ آذار ١٩٤٩ لمناسبة ذكرى ميلاد الروائي الروسي مكسيم غوركي لاحدى وثمانين سنة خلت . وقد اعادت نشر انطباعات غوركي

عن نيويورك العام ١٩٠٦ ، وهي الانطباعات والمشاهدات التي نُشرت في كراسة تحمل عنوان « مدينة الشيطان الاصفر » . ولغوركي مجموعة اخرى من المقالات والدراسات عن الولايات المتحدة بعنوان « في اميركا » طُبع منها نصف مليون نسخة .

يصف غوركي النيويوركيين بقوله إنهم يحسبون أنفسهم أسياد مصائرهم ، ومن عيونهم يشعّ بريق الشعور باستقلالهم . إلا أنه يذهب عن بالهم أن استقلالهم هو استقلال الفأس بيد النجار ، والمطرقة بيد الحدّاد ، والآجرّة بيد البناء المعماري غير المنظور ، الساخر ، الذي يبني بمهارة ومكر سجناً كبيراً يحشد فيه الجميع . . . انه استقلال الادوات العمياء بيد الشيطان الاصفر !

ويمضي غوركي في وصفه فيقول : أنا أشاهد نيويورك للمرة الاولى في حياتي ، ولكن لم يسبق لي أن رأيت سكاناً بمثل تفاهة سكانها ، مسرورين هذا السرور الرهيب بأنفسهم . فالنيويوركيون قوم هادئون ، لا يحركون ساكناً ولا يشعرون بأنهم عبيد الحياة ، وعلف المدينة الكبرى . . .

غولدوني

Carlo Goldoni

كتب أولى مسرحياته وهو بعد في العاشرة من سنيه ، وقد خلف حوالي مئتي مسرحية هزلية نثراً وشعراً بالايطالية ، والفرنسية ، وباللهجة الفينيسية التي ابدع بها اروع تمثيلياته ، ولكنه مات وسط البؤس والشقاء .

كيف عاش هذا الروائي الغزير الانتاج ، الذي ادخل اصلاحات

على الرواية الايطاليةُ التقليدية ، واقام دعائم مسرح شهير؟

كـان ممثـلا متجـولا ، وزيـر نسـاء ، ومحـامياً ، ومغـامـراً ، وزوجاً عاقلاً ، ومـدرس اللغة الايـطالية لـلاميرات الفـرنسيات ، ابصر النـور تحت برج، لا شك هـازل ، كالحيـاة التي حاول رسمهـا لنـا في انتـاجـه المسـرحي الضخم الرائع الذي تضمه أربعة وأربعون مجلداً .

ولنبدأ قصته من البداية :

أبصر كـارلـو غـولـدوني النـور في مـدينـة البنـدقيـة (فينيسيـا) في ٢٥ شبـاط ١٧٠٧ ، وكان والـده طبيباً ، فـأوكل أمـر تعليمه الفلسفـة إلى كـاهن دومينيكـاني ، ولكنه مـا آن بلغ الرابعـة عشـرة حتى هـرب ، ملتحقـاً بفـرقـة تمثيلية متجولة . وعندها ألحقه والده بعم له محام في مدينة البندقية ثم بجامعة البندقية ثم بجامعة بافيا لدراسة القانون ،وهناك اكتشف موهبته في التأليف المسرحي وهو يقول:« بينما كنت انقب في المكتبة وقعت على مجموعات مسرحية انكليزية ، واسبانية ، وفرنسية ، ولم أعثر على أي مجموعة مسرحية ايطالية . وقد تقت لرؤية وطني يرتفع إلى مستوى سائر الاوطان ، فعقدت العزم على المساهمة في ذلك ! »

وكتب روايـة « الجبار » ، وهي مسـرحية سـاخرة يهجـو فيهـا الـطبقـة البورجوازيـة في بافيـا ، فاضحكت زمـلاءه التلامـذة ، ولكنها وضعتـه خارج أبـواب الجامعـة . فعاد إلى مسقط رأسـه يعيش بين ذويـه . واوجد لـه والده وظيفـة مسـاعـد للمستشـار الجنـائي في شيـوغيـا ، ثم في فيلتر ، حيث افـاد كثيرَاً لزيادة معلوماته ومعارفه عن البشر .

ومـات والـده سنـة ١٧٣١ ، فعكف ، بعـد ليلة صـاخبـة ، عـلى الاستعـداد لتقـديم اطـروحـة القـانـون لنيـل الشهـادة التي تؤهله للمـرافعـة وكسب معيشتـه . وكانت أولى دعـاويه الـرابحة قضيـة ساقيـة حول مجـراهـا الـطبيعي . إلا أن عجـز السـاقيـة عن مـلء جيبـه جعله يفكـر بـزواج

مصلحة . فراح يخطب ود امرأة ناضجة من جهة ، وود نسيبة له ، من جهة ثانية ، فأخفق مع الاثنتين . وهو القائل في هذا الصدد : « لا يمكنني أن أنكر أنني ولدت في برج هازل ، ما دامت حياتي مجرد مسرحية هازلة ! »

وهكذا هجر المحاماة ، واستسلم بكليته إلى شيطان المسرح . . . وقد بدأت حياته المسرحية الفعلية سنة ١٧٣٤ عندما التحق بصفة كاتب رسمي لفرقة «ايمر» التي كانت تقدم رواياتها على مسرح «سان ساموييلي» في البندقية ، وعلى سائر المسارح في مختلف المدن الإيطالية . وكان يتبع الفرقة أنّى ذهبت . وفي جنوى سنة ١٧٣٦ التقى نيكوليتا ، ابنة الكاتب العدل ، فاقترن بها ، واضعاً بذلك حداً لغرامياته العديدة الفاشلة . وفي تلك الفترة من حياته أحدث ثورته المسرحية . فجدد في كل شيء كان يعتبر في المسرحية مما لا يمس ولا يقبل الجدل ، الأمر الذي أكسبه عداوة زملائه والنبلاء الذين كان يتناولهم بالنقد الساخر في رواياته . وقد اتهم بأنه يضع نفسه في خدمة «الكونت الشعب» . ولكن لحسن طالعه عقد معه مدير فرقة مسرحية في البندقية يدعى ميدبياك ، اتفاقية لعدد من السنين يقدم بموجبها انتاجه المسرحي لها . وفي مدى سنتين (من سنة ١٧٤٨ إلى ١٧٥٠) مثلت ثلاثة عشرة مسرحية من وضعه على مسرح « سانت انجيلو » . وقد تعهد غولدوني بتقديم ست عشرة مسرحية اخرى للموسم التالي ، ضمنها جميعاً نظرياته ومبادئه الجديدة في المسرح والكتابة له . . .

وليلة المرفع من سنة ١٧٦١ قدم آخر مسرحياته الهزلية الفينيسية بعنوان « ليلة اخيرة من الكرنفال » . وفي شهر آب من سنة ١٧٦٢ ارتحل إلى فرنسا حيث عين مديراً لفرقة « الكوميدي الايطالية » في باريس ، فاقام ثلاثين سنة بطولها . وهناك علم الاميرات بنات الملك لويس

الخامس عشر اللغة الايطالية ، وكتب باللغة الفرنسية مذكراته في قصر فرساي ، ومسرحية بعنوان « الغليظ المحسن » لمناسبة زفاف الملك لويس السادس عشر ، وتعتبر من أفضل ما كتب . وقد مثلت على مسرح « الكوميدي فرانسيز » ، وشهدها نابوليون اربع مرات .

واندلعت نيران الثورة الفرنسية ، فقطع عنه المرتب الذي أجراه عليه الملك لويس السادس عشر . وغشي بصره ، فكاد يصبح ضريراً . الا ان ماري ـ جوزف شينييه اعادت إليه المرتب قائلة : « ان هذا العجوز الثمانيني قد استحق تقدير كل من فرنسا وايطاليا وشكرهما بما كتبه . وانه لينزل إلى الضريح وهو يبارك السماء لانه يموت فرنسياً وجمهورياً » .

ومات غولدوني في الواقع بعد ذلك بتسعة ايام (٦ شباط ١٧٩٣) ، تاركا لارملته ديونا سددتها المسكينة من ايراد حفلة خاصة عرضت فيها مسرحيته الناجحة الغليظ المحسن » .

الأخوان غريم

Jakob and Wilhelm Grimm

ولد يعقوب غريم سنة ١٧٨٥ ، وفي السنة التالية ولد أخوه فلهلم ، في قرية هيسن الوادعة ، في مقاطعة هاناو الالمانية . غير انهما لم يفطنا إلى ضرورة جمع الاساطير المحلية وقصص الجن المختلفة ، وحفظها للاجيال المقبلة ، إلا حين هبطا مدينة كاسل ، عاصمة وسفاليا ، سنة ١٨٠٥ واستوطناها .

كان يعقوب غريم ، وقتئذ ، أمين دار كتب الملك جيروم بونابرت ، ملك وسفاليا ، وشقيق نابوليون الأول . وكان الاخوان غريم يعرفان جيداً أن مسقط رأسهما هيسن ، بجباله الشامخة وغاباته الكثيفة

الفسيحة ، يزخر بالأساطير الرائعة . لم يكونا بحاجة إلى تجشم مشاق الأسفار ليصبحا وسط دنيا الاساطير ، بل كانت أبواب هذه الدنيا مفتوحة لهما على مصراعيها خارج كاسل نفسها وفي ضواحيها .

في ذلك الوقت (١٨٠٦) كانت تعيش في قرية نيدرتسفهرن ، الواقعة في ضواحي كاسل ، فلاحة تدعى دوروتي فيمان . وقيل للأخوين غريم انها تروي عدداً كبيراً من قصص الجن . وهي من عائلة ألزاسية نزحت عن متز ونزلت في هيسن حيث اتخذت لها مقراً في نُزُل متواضع في قرية رنغرها وزن . وفي اثناء اضطلاع والدي دوروتي بادارة هذا النزل الحقير ، كانت الابنة ما تزال طفلة ، تجلس كل مساء تصغي إلى القصص والاساطير يرويها المسافرون الذين يعرّجون على نزل والديها ليقضوا لياليهم ويستريحوا من عناء السفر .

وهكذا عقد الاخوان غريم النية على زيارة دوروتي فيمان ، وكانت قد اشرفت على الخمسين . وصفها يعقوب غريم ، قال : « كان مظهرها ينمّ عن الكثير من القوة والفهم ، والدعة . . . كانت عيناها الواسعتان تنمّان عن ذكاء وصفاء في الذهن والتفكير . . وكانت ، إلى هذا كله ، ذات نظر ثاقب » .

وكان الاخوان غريم يترددان على دوروتي بانتظام بعد زيارتهما الأولى لها . يجلسان إليها كل يوم في المطبخ ، فتسرد عليهما القصص والأساطير التي وصلت إليها بعد أن ترددت على ألسنة الكثيرين من الرواة خلال العصور الطويلة .

كان سرور الأخوين عظيماً بهذه القصص والخرافات تسردها عليهما دوروتي . وقد كتبا لمناسبة اصدارهما مجموعتهما القصصية المشهورة يقولان : « إنما توخينا ، في جمعنا هذه الاساطير ، الدقة والصدق ، فلم

نـزد شيئاً من عنـدياتنـا على مـا نقلته إلينـا راويتها ، ولم نلجـأ إلى التمويـه أو تـزويق الحوادث ، بـل احتفظنـا بالمـادة كما وصلت إلينـا كاملة غـير منقوصـة دون أن ينالها أي تحوير . . »

ووجـد الاخوان غـريم أن ثمة قصصـاً مختلفة تكمـل احداهـا الأخرى وفي الـوسع ضم بعضهـا إلى بعض لتـأليف قصـة واحـدة . ولاحـظا انهما في عملهـما هذا الممتـع في جمع أقـدم قصص الجن الالماني إنمـا وقعا عـلى مفتـاح ميثولوجيا الشعب التوتوني القديم . فكـان عملهما هـذا حافـزاً لسائـر الادباء في العـالم بأسـره كي يتنبهوا إلى أهميـة أسـاطـير بلدانهم وقصصهـا الشعبي ، وضرورة تداركها قبل أن تندثر .

وفي العـــام ١٨٥٠ كتب الأخ الأصغـير فلهلم غـريم يقـول : « لمـا ظهـرت مجموعتنـا القصصية كـانت فـريـدة في نـوعهـا ، ولكن مـا لبث هـذا الحقـل القصصي أن أخصب وأعطى ثمـاراً طيبـة . . . كـانت نـظرة الجميع إلينـا وإلى عملنا ، أول الأمـر ، نظرة استخفـاف ورثاء ، أمـا اليـوم فقليلون جداً أولئك الذين يستخفون بعملنا . . . »

كـانت دوروتي فيمان من رأي الأخـوين غـريم بـوجـوب تقـديم هـذه القصص إلى القـراء تقـديمـاً صحيحـاً لا يشـوبـه أي تحـويـر أو زخـرف . وكـانت تعتقـد اعتقـاداً راسخـاً بهـذه الخـرافـات التي شبّت بينهـا وعـاشت فيهـا . وكثيراً مـا كانت تـذهب بنفسها لـزيـارة الاخوين غـريم في منـزلهـما بكاسل (وقد أصبح هـذا المنزل في المـدة الأخيرة حـانوتـاً لبيع التبـغ) فتعود من عندهما حـاملة الهـدايـا عـلى اختـلافهـا في مقـابـل القصص التي كـانت ترويها لهما وكان جيرانها يحسدونها لحظوتها عند هذين الاخوين .

ساشا غيتري

Sacha Guitry

كـاتب مسـرحي ، وممثـل ، ومخـرج فـرنسي ، كـان والـداه ممثلين معروفين ، فتـرعرع بين الكواليس . نـال شهرة فـائقة وهـو بعد في الحادية والعشـرين بروايتـه « نونـو » التي اتبعها بمسـرحيات نـاجحـة مثـل « هـولنـدا الصغيـرة » و« الحـارس الليـلي » و« فضيحـة مـونتي كـارلـو » و« ديبـورو » و« بـاستـور » و« بيـرانجـه » و« زواج حسن » و« فلورنس » وسـوى ذلـك . وكـان يمثل في كـل مسرحيـاته ، حتى أن الكثيـرين يجدون صعـوبة في فصـل عمله كممثـل عن عمله ككـاتب ، وقـد أجـاد في العملين معـاً . ووضـع قصص أفلام عـدة ، قـام بتمثيلهـا واخـراجهـا . وقـد انتخب سنـة ١٩٣٩ عضواً في أكاديمية غونكور .

تـزوج خمس مرات ، ولقن زوجـاته الخمس ـ وأشهـرهن كانت ايفـون برانتان ـ فن التمثيل .

يبقى أن سـاشـا غيتـري قـد اقـام لنفسـه في فني المسـرح والسينما المعاصرين عرشا لامارة السخرية والفكاهـة اللاذعـة لم يخلفه فـوقه أحـد حتى اليوم . هبط هذا العـالم باسم غـريب ، فعرف كيف يجعـل هذا الاسم أكـثر غـرابـة وشهـرة . ولا غـرو إذا قلنـا ان سـاشـا غيتـري وحـده يجمـع في آن واحد حلة الذهن والكبرياء الفرنسيين .

والنساء . . لم يتحدث عنهن قبله أحـد بمثل هـذا الذكـاء والوضـوح . وفيـا يعترف بحبهن إلى حـد الجنون ، يمنح نفسـه الحق بـأن يجفي من هـذا الحب احيانـاً بعض المـرارة ! وتـراه ينصـح بـالكـذب عـلى النسـاء لأن في ذلك احساساً باننا نستوفي حقنا بالعملة ذاتها .

وكـان عـلى جـانب كبـير من الـظرف وخفـة الـروح ، تشهـد بـذلـك مسرحياته الفكاهية ، ونوادره الكثيرة ، واقواله اللاذعة .

ارتفـع الستـار عن حيـاتـه في ٢١ شبـاط من سنـة ١٨٨٥ ، وانسـدل انسداله الاخير في ٢٥ تموز سنة ١٩٥٧ .

ان منْ يـود الكتابـة عن حياة سـاشـا غيتـري لا تعـوزه الكلمـات . . يكفيـه أن يستخدم كلمـات ساشـا غيتري نفسهـا ، هذه الكلمـات الظريفـة الذكية ، والاقوال التي وزعها عبـر مئة واربـع وعشرين روايـة تمثيلية ـ فضـلاً عن افلامه .

حيـاته كـانت أشبه بمسرحية خفيفـة ، كتبها بنفسـه ومثّل أدوارهـا من اجل متعته الشخصية ، وكانت تلك طريقته في تسلية جمهوره .

أبصر النـور في سان بـطرسبرج في روسيـا . ولكن لمـاذا جـاء إلى هـذا العالم بعيداً كل البعد عن مسـرح نشاطـه ومغامـراته ؟ لأن والـده ، لوسيـان غيتري ، كان متعاقداً للتمثيـل لفترة طـويلة في عاصمـة القياصـرة الروس . وكـانت امه ابنـة رينه دو بـون جست ، الكـاتب الـروائي الشعبي . وكـانت ثمـرة هذا الـزواج اشهر المسـرحيين الممثلين . إلا أن اتحـاد والـديـه لم يعمّـر طـويلا بعـد مجيئه إلى هـذا العالم . فلما انفصـل احـدهمـا عن الآخـر ، حمـل الاب لـوسيان الـطفـل سـاشـا إلى روسيـا ، حيث تنشق للمـرة الاول هـواء الكواليس والمقصورات .

ولمـا بات سـاشـا في سن الـدرس والتعليم ، الحق بمـدرسـة داخليـة . ولكن لمـاذا يتعلم المـرء مـا هـو في الكتب ؟ هـل نتعلم مـا هــو مـوجــود في دليل التلفون ، أو دليل القطارات الحديدية ؟

وقـد طبق هذا المبـدأ بنصه وحـرفيته عبـر المدارس السبـع عشـرة التي

دخلها وطُرد منها ، باستثناء المدارس الاخيرة التي تركها من تلقائه وبمحض ارادته .

أناطول فرانس

Anatole France

طوال ثلاثين سنة ظلّ الأدب الفرنسي تحت سيطرة أناطول تيبو الذي عُرف في عالم الأدب باسمه المستعار أناطول فرانس (١٨٤٤ - ١٩٢٤) . كان فناناً مجّده النقّاد ، وأديباً أثّر في الجماهير . . لم ينعم أحد بعد فولتير بالشهرة التي نعم بها فرانس الذي كُرّم في أواخر حياته عبقرياً وشيخاً جليلاً وقوراً .

كان والده بائع كتب ، وكان هو في صغره مجتهداً ، ذكياً ، شغوفاً بالمطالعة . . حتى أنه كان يفضّل المطالعة على الكتابة . وكان يضع عبارات الدعاية لدور النشر ، ويساهم بكتابة مقال اسبوعي لمجلة « العالم المصور » . ولم يكتب الشعر إلّا إرضاءً لنفسه . فلما صدرت روايته جريمة سلسفتر بونار سنة ١٨٨١ استقبلها النقّاد بالكثير من التقدير والتفاؤل .

وفي سنة ١٨٨٣ التقى فرانس السيدة أرمان دو كايافه ، وكانت امرأة ذكية نشيطة ، لها عدد وافر من الاصدقاء بين شخصيات السياسة والمجتمع . وقد ظلت صديقة له طوال حياته ، وشجعته على الكتابة والتأليف ، وعملت كثيراً على توطيد شهرته . وقد اعترف فرانس بفضلها عليه فقدّم اليها أحد كتبه بهذه التقدمة : « إلى السيدة دو كايافه ، أهدي هذا الكتاب الذي لولا مساعدتها لما وضعته ، لأنني من دون مساعدتها لا ينبغي أن اضع أي كتاب ! »

وواصل فرانس حياته الادبية طوال أربعين سنة ، فنشر زهاء خمسين

مجلداً فضلاً عن القصائد التي نظمها في مستهل حياته . فكان فيها جميعاً روائياً وقصصياً قديراً ، وعالماً بالتاريخ ، ودارساً للجنس البشري . ومن أشهر مؤلفاته تاييس ، والزنبقة الحمراء ، وجزيرة البنغوين ، وثورة الملائكة ، وبيير الصغير ، وسيرة جان دارك . وقد سُمّي ضابطاً في جوقة الشرف سنة ١٨٩٥ ، وانتخب عضواً في الاكاديمية الفرنسية سنة ١٨٩٦ .

كان فرانس في مطلع حياته الادبية متشائماً ، إلاّ أن آراءه بدأت تتبدّل سنة ١٩٠٠ . وأحس بعطف أكيد على الاحزاب التقدميّة ، وما لبث أن انحاز تدريجياً إلى صفوف الثورة . وقد اشترك في إحدى القضايا الشهيرة في تاريخ فرنسا القضائي عندما انضم إلى الروائي اميل زولا في الدفاع عن الضابط ألفريد دريفوس الذي اتهم بالخيانة . وكانت الحرب العالمية الاولى سبباً في اضطراب فلسفته ، وتركته قلقاً على مصير الجنس البشري .

ونال سنة ١٩٢١ جائزة نوبل في الأدب، ولكنه تبرع بقيمتها لمنكوبي المجاعة في الاتحاد السوفياتي .

وكان لأناطول فرانس صلة وثيقة بالقضية المصرية ، فأوقف قلمه ولسانه للدفاع عن هذه القضية عندما طرق سعد زغلول أبواب مؤتمر الصلح في باريس ، وحثّ الكثيرين من كبار الأدباء والصحفيين على شد أزر مصر في محنتها . وقد وضع مقدمة قيّمة لكتاب أصدره وقتئذ الأديب الفرنسي فكتور مرغريت بعنوان « صوت مصر » .

وبلغ الثمانين من عمره فاحتفلت فرنسا بالمناسبة أحسن احتفال ، ولكنه لم يعش بعد ذلك الا ستة أشهر .

فنْلون

Fénélon

فنلون (١٦٥١ ـ ١٧١٥) من الأصوات القوية الأولى التي دافعت عن حرية المرأة وحقوقها في الحياة والمجتمع . لم يشأ أن يراها قعيدة بيت أو قرينة زوج فحسب ، بل لفت النظر إلى مكانتها وامكانياتها الجمّة في البيت والدولة . وله ردود كثيرة على الذين اتهموا النساء بالضعف .

وكما كان فنلون من الأصوات الأولى في الدفاع عن المرأة ، كذلك كان من الأصوات الأولى التي نادت بالمذهب الطبيعي ، أو بالرجوع إلى الطبيعة في تربية الأبناء ، فسبق بذلك جان ـ جاك روسو .

« لم يرَ فنلون الحياة جداً خالصاً ، ولا التربية صرامة قاسية ، بل دعا إلى الجمع بين التهذيب واللعب ، والقران بين الفضائل والمتعة البريئة ، ورأى ألا يُفرض على الأولاد نظام ثقيل يحد من نشاطهم ، ويكدّر صفو حياتهم . . . وقد نادى بالبعد عن الخوف والارهاب في سياسة الصغار ورياضة الأولاد . وشبّه سياسة التخويف في التربية بالدواء العنيف الذي قد يقطع المرض ، ولكنه يضعف المزاج وينهك الأعضاء » .

وعُهد إليه في أن يكون مؤدباً للدوق دو بورغوني ، حفيد لويس الرابع عشر ، فنجح في رياضته وتطويعه ، وجعل منه شاباً آخر ممتلئاً بالأخلاق والصفات الحميدة . ومن أجله ألّف ، الحكايات ، ومحاورات الموق ، وروايته الشهيرة تيليماك ، وفيها الكثير من الاشارات الخفيّة والغمزات والانتقادات غير المباشرة لحكومة لويس الرابع عشر . وقد أثار نشر هذه الرواية سنة ١٦٩٩غضب الملك .

أبصر فنلون النور في أسرة ميسورة الحال ، لها مصاهرات ومودات

نسب بين العظماء . درس في شبابه الآداب ، والفلسفة ، واللاهوت . وبعد أن أصبح قساً سنة ١٦٧٥ راح يعمل في تفسير الكتاب المقدس . وقد عيّن مديراً لمعهد ديني خاص بالنساء . وكان أول مؤلفاته رسالة وضعها في تربية البنات ، جاءت نتيجة خبرته العمليّة الطويلة في هذا الحقل . وقد تضمّنت الآراء الصائبة والأفكار الصالحة بحيث جاءت عميمة الفائدة لتربية البنين والبنات على ، السواء . . .

ومن مؤلفاته القيّمة الرسائل واليوميات وفيها الضوء الساطع على الحالة السياسية . وقد وجهها دون وجل إلى الملك ، ودوق بورغوني ، ودوق أورليان . . . وله كذلك رسالة عن وجود الله وأوصافه ، ومحاورات حول البلاغة ، وأمثال وحكم القديسين

فولتير

Voltaire

يقول فولتير : « تجارتي أن أقول ما أفكر فيه ! » . . و« إني أخالفك في كل كلمة تقولها ، ولكني ادافع حتى الموت عن حقك في قولها ! » كان هذا الذي يقوله الفيلسوف الساحر يجعل الملوك والبابوات يصغون إليه ، ويرتجفون .

اسمه الحقيقي فرنسوى ماري أرويه (١٦٩٤ ـ ١٧٧٨) ، ولد في ضواحي باريس وتعلم عند اليسوعيين ، ومع تعلّمه أصول الدين تعلم كذلك الشك . وعندما بلغ الثالثة والعشرين سُجن في قلعة الباستيل لأنه أهان القصر الملكي . وكان أول شيء طلبه في سجنه اشعار هوميروس . وفي هذا السجن وضع ملحمة هنرياد التي يروي فيها الملك هنري الرابع للملكة اليزابت قصة اضطهاد البروتستانت . وما أن أفرج عنه حتى

سجل نجاحاً كبيراً في مسـرحيته أوديب . وفي سنـة ١٧٢٦ اعتقل من جديد لجرأة أقوالـه وصراحتـه ، ونفي إلى انكلترا حيث قضى ثـلاث سنوات . وعندما نشر سنة ١٧٣٤ ، بعد عودته إلى باريس وسطوع نجمه في صالوناتها الادبية ، كتابه رسائل عن الانكليز الذي أحدث ضجّة كبرى ، اضطر إلى الفرار إلى اللورين بعد أن اختطف زوجة المركيز دو شاتليه ، وهي سيدة مثقفة كانت طوال أربع عشرة سنة عشيقته ورفيقته الفكرية ، ومنافسته . ولما عاد سنة ١٧٤٦ إلى باريس انتخب عضـواً في الأكاديمية الفرنسية ، وانتج بعد استقراره فيها روايتيه صادق ، وميكروميغاس .

وكان لوفاة عشيقته سنة ١٧٥٠ بالغ الأثر في نفسه فنشد السلوى والتعزية في البلاط البروسي تلبية لدعوة وجهها إليه فريدريك الكبير . فأقام ثلاث سنوات ، عاد بعدها إلى باريس حيث وضع أول كتاب فلسفي عن التاريخ « مقالة عن الآداب وروح الأمم » ، محاولاً فيه أن يحلل المسبب الطبيعي وراء تطور الفكر الأوروبي .

وأقام في فريني ، داخل الحدود السويسرية ، ردحاً من الزمن وضع خلاله كانديد ، وساهم في وضع الانسيكلوبيديا (الموسوعة الفرنسية الشهيرة) ، وقاموسه الفلسفي . ومنذ ذاك بدأ باصدار سلسلة من الكراريس والنشرات يهاجم فيها التعصب الديني وتطرّف الكنيسة . ولما عاد إلى باريس ، وهو في العقد الثامن من العمر ، استقبل استقبالاً حماسياً . وقد توفي في ٣٠ أيار ١٧٧٨ بعد أن أسهم في وضع الحجر الأساسي للثورتين الفرنسية والأميركية . وقد عرف بلقب شرارة الحرية !

وقليلون يعرفون أن فولتير هو مخترع الدبابة . فقد كان هذا الفيلسوف في قصره المعروف بقصر اللذات عندما فكّر بالآلة الحربية الجديدة الدبابة ودعاها « عربة احشورش » . وقد وصفها في رسالة بعث

بها إلى المارشال دو ريشيليو في أول تشرين الثاني ١٧٥٦ بقوله : « انها سلاح جهنمي فعّال » .

وكان فولتير رجلاً عملياً ، يحبّ المال إلى درجة العبادة ، الأمر الذي جعله يتصل بريشيليو والمركيز دو فلوريان ليطلعهما على اختراعه ، ويؤمّن ظهوره إلى حيز الوجود .

يقول فولتير للمركيز دو فلوريان « أن صندوقاً صغيراً يوضع على عربة ، ويحتوي على ست من القنابل المزدوجة ، يكون،ولا ريب، سلاحاً رهيباً » .

وكتب صاحب ميكروميغاس إلى المارشال دو ريشيليو في العام ١٧٥٧ يفتخر بدبابته ويعدد مزاياها قائلاً : « كم أودّ أن تُستخدم دبابتي هذه من أجلك أنت ومن أجل وطننا الغالي فرنسا . فهي قليلة التكاليف ، لا تحتاج إلا إلى القليل من الرجال والخيل . وثق بأن عدم نجاحها لا يمكن أن يمني قواتنا المسلحة بالهزيمة كما قد يتبادر إلى ذهنك للوهلة الأولى . ولنفرض جدلاً أن مدفعية الأعداء قد حطّمت جميع دباباتنا ـ وهذا أمر بعيد الاحتمال ـ فإن حطامها المتكدّس سيعرقل ، لا محالة ، تقدم أعدائنا ، ويكون بمثابة حواجز أو دروع تردّ عنا غوائلهم . . . »

ومرّت عشرة أعوام كتب فولتير في نهايتها إلى امبراطورة روسيا كاترين الثانية يصف لها دور عربته الجديدة الحاسم في المعارك .

لم يعر أحد وقتئذ اختراع فولتير نصيبه من الاهتمام . وقد صرح هو نفسه بأنه ينفجر ضاحكاً ، سلفاً ، كلما فكرّ في أن الخلف سيهزون رؤوسهم عندما يعرفون أنه هو صاحب الاختراع .

كان فولتير لا يبدأ الكتابة.إلا عندما يضع امامه مجموعة من أقلام

الرصاص لا يقل عددها عن اثني عشر قلما . وبعد أن ينتهي من الكتابة يكسر هذه الأقلام ثم يلفها بالورقة التي كان يكتب عليها ويضعها تحت وسادته عندما ينام . وكان فولتير يقول ان الكتاب المقدس سيصبح في غضون قرن من الزمن من الكتب البالية المنسيَّة التي لا وجود لها إلا في المتاحف . وانقضت المئة سنة التي حددها فولتير فإذا بمنزله يصبح مقراً لفرع جمعية الكتاب المقدّس في جينيف . وقد بيع أخيراً ٩٢ مجلداً من مؤلفات فولتير بمبلغ دولارين فقط . . .

جول فيرن

Jules Verne

هذا الأديب الفرنسي الذي بشّر بالعصر العلمي الحديث ، فتحدّث في رواياته عن المطاردة تحت البحار ، والقنبلة الذرية ، والميكروفون ، ومكبّر الصوت والصاروخ ، والهليكوبتر ، حتى عُرف بروائي التكهنات ، أبصر النور في نانت في ٨ شباط سنة ١٨٢٨ ، في جزيرة فيدو . وكان أبوه موظفاً ينوب مناب المترافعين في اجراء المعاملات اللازمة مع الحاكم . ومن نافذة المنزل كانت عيناه تراقبان كل يوم ، بل كل ساعة ، حركة الزوارق الشراعية في الميناء . فكان هذا المكان بمثابة مصدر تعطشه للاكتشافات ، وميله إلى الروايات غير المألوفة التي تنطلق في الأجواء بحثاً عن المغامرات والعجائب . وقد سيطرت جزيرة صباه هذه على تفكيره وتأملاته . . وقليلة هي الروايات التي لم يصف فيها جول فيرن جزيرته .

وبلغ من شدة لهفته إلى السعي وراء المغامرات ان تسلل خفية ، وهو بعد في الثانية عشرة من عمره ، إلى السفينة «كورالي» المتجهة إلى «جزر ما تحت الريح» التي يكفي أن يكون هذا اسمها حتى تثير في

نفس الصبي ما ينشد من أسرار وغوامض . كان يريد الذهاب في هذه الرحلة ليعود إلى حبيبته ، وهي إحدى نسيباته ، بعقد من المرجان كانت قد طلبته منه . ولكن والده علم بالأمر ، فمنعه من الرحيل ، وعاد به إلى البيت ليحيا حياة المغامرات بينه وبين نفسه ، على الرغم من أن هذا الوالد سمح لأخيه أن يصبح بحاراً .

وهكذا يعكف جول فيرن على وصف الآفاق البعيدة التي لم يرها قط إلا بخياله الحاد ، الخصب وحده . وفي رواياته هذه يدفع الابطال إلى القيام بمغامرات غريبة عجيبة تبشّر باختراعات لم يبتدعها العلماء أو يكتشفوها إلاّ بعد زهاء نصف قرن من الزمن . وقد قال الاميرال بيرد ، مكتشف القطب الشمالي : « لولا جون فيرن لما ذهبت إلى القطب ! »

قام جول فيرن ، ليكسب قوته ، بمختلف الأعمال ، ولم يتردد ذات يوم في طلب وظيفة اطفائي في أحد المسارح . إلاّ أن طالع سعده ما لبث أن أشرق مرّة عندما التقى الناشر هتزل مصادفة . وكان وقتئذ في الخامسة والثلاثين ، فاستقبله الناشر بلامبالاة ، وتصفّح الرواية التي عرضها عليه وهي تدور حول رحلة بالمنطاد فوق أفريقيا ، ثم التفت إليه قائلاً له أن يعود بعد اسبوعين . . .

وظن جول فيرن أن مصيره مع هتزل لن يختلف عن مصيره مع سائر الناشرين الذين سبق أن قابلهم ، ويبلغ عددهم الخمسة عشر ناشراً . ولكنه لم يكد يقابل هتزل بعد اسبوعين حتى فوجىء بالناشر الذكي الذي بنى مجده على اكتشافه جول فيرن ، يقدّم إليه عقداً بمبلغ ألف جنيه استرليني ثمن حقوق نشر كل رواية من رواياته . ومذ ذاك رسخت أقدام جول فيرن في عالم الأدب . وقد دفعت إحدى مؤسسات لنشر الاميركية مبالغ طائلة ثمن ترجمة روايته خمسة أسابيع في المنطاد .

٧٤ كتاباً تُرجمت إلى ٧٠ لغة من بينها اللغة الصينيــة ، اثبتت أن هـذا الـروائي الفــرنسي كـان عــالمياً ، وان روايــاته لا تقتصر فقط عــلى الفتيان . . .

وعلى أن التاريخ يروي أن جـول فيرن عـاش أحلامـه المنطلقـة أبـداً في أوسـع الآفاق وهـو قابـع فوق كـرسيه الـوثير بـالقـرب من المـوقـد ، فمن الانصاف القول ، انه ابتاع ثـلاثة يخـوت ، ولم ينزوِ طـوال أيامـه في حجرتـه متنعــلاً حـذائيـه الخفيفـين . وقـام بجـولات بحــريـة في المحيط الاطلسي والبحر الأبيض المتوسط .

ولـطالما ردد أن أجمـل رحلة عـلى الاطـلاق هي التي يعـود فيهـا المـرء سالماً ! وقـد قام بـرحلة إلى أميركـا على ظهـر عابـرة المحيط الفخمة « غـريت ايسترن » يوم تدشين هذه الباخرة الاميركية . . .

تـوفي في اميان في ٢٠ آذار ١٩٠٥ ، فكـان الحداد عليـه وطنيـاً ، وقـد نشـرت النبأ مختلف صحف العـالم في صفحاتهـا الأولى . . ومشى في جنـازتـه الملوك ، ورؤسـاء الجمهـوريـات ، والسفـراء فـوق العـادة ، وكـان أبـرزهم الامبـراطور الالمـاني فلهلم الثاني ، والكـونت فـون فلولـوف بنـظارتـه المفـردة « المونوكل » . . .

ألفرد دو فيني

Alfred De Vigny

أبصر الشـاعـر الفـرنسي ألفريد دو فيني (١٧٩٧ ـ ١٨٦٣) النـور في لـوش (على نهري الأنـدر واللوار) ونشأ في بيئـة عسكـريـة ، وكـان كسـائـر زملائه يحلم بالمجد العسكـري . فلما سُمح لـه بدخـول الجيش ، وكان بعـد في منتصف الـربيـع السـادس عشر ، انهارت دعـائم الأمبـراطـوريـة . ثم لم

يلبث أن حاز شهادة ملازم ثانٍ في فرقة الحرس الأحمر على أثر عودة الملكية . وجاء يوم سُرّح فيه هؤلاء الحرس ، وانتشر الضباط بين مختلف كتائب حرس المشاة ، فبدأت حياة الثكنات المملة ، وحلّت العبودية محل المجد العسكري المنشود .

قضى دو فيني ثلاثة عشر عاماً في الجندية قبل أن يُرقّى إلى رتبة كابيتن بالاقدمية . فلم يكن منه إلا أن استقال (١٨٢٧) متبرماً بهذه الحياة تسير على وتيرة واحدة . وكانت شهرته الأدبية قد أخذت تذيع بفضل ديوانه الشعري الذي أصدره سنة ١٨٣٦ بعنوان قصائد قديمة وحديثة، ورواية ظهرت في السنة نفسها تحمل اسم سان مارس . ومذ ذاك انصرف بكليته إلى الأدب متّبعاً الحركة الرومنطيقية . ووقع شاعر إلوى أو أخت الملائكة،في شراك غرام الممثلة الكبيرة ماري دورفال ، هذه العاشقة النهمة التي طبّقت شهرتها ووقائعها الغرامية الآفاق ، فأحبها حباً جامحاً ، ولكنه تألم في حبه هذا ، وشقي إلى أبعد حدود الألم والشقاء بعد أن دامت علاقاتها ست سنوات . ويظهر ألم الشاعر اكثر ما يظهر بعد هجرها اياه وارتمائها في أحضان الروائي الكسندر دوما في كتابيه يوميات شاعر ، وغضب شمشون .

وكانت وفاته سنة ١٨٦٣ ، بعد أن خلّف تراثاً أدبياً فنياً رائعاً نذكر منه : مسرحية « شاترتون » و« المجد والعبودية العسكريان » (١٨٣٥) وديوان « المصائر » (١٨٦٣) ، و« يوميات شاعر » (١٨٦٣) وهي التي وطدت دعائم مجده الأدبي .

أما ماري دورفال التي اعتلت خشبة المسرح منذ نعومة أظفارها ، وتزوجت في سن السادسة عشرة من الممثل آلان، لمعروف بدورفال ، وتلاعبت بألباب الكثيرين من مشاهير الرجال والادباء ، فقد توفيت بائسة معدمة بعد مرض طويل .

لويس كارول

Lewis Carroll

في ٤ تموز سنة ١٨٦٢ ، اصطحب شاب حييّ خجول ثلاث بنات صغيرات للقيام بنزهة في نهرالتيمز ،بانكلترا . كان هذا الشاب مغموراً لدى نزوله إلى القارب ، فلما انهى نزهته ونزل منه بعد ثلاث ساعات ، اخذ يسير في طريق الشهرة . وما عتم ان اصبح احد مشاهير الادباء في القرن التاسع عشر .

كان اسمه الحقيقي تشارلز دودجسون ، ولكن هذا الاسم ليس الاسم الذي عُرف به فيما بعد ، وملأ الدنيا .

كان يُعرف تارة باسم القس دودجسون المحترم ، وطوراً باسم البروفسور دودجسون . ذلك لأنه كان يقضي طوال الاسبوع في تدريس الرياضيات في جامعة أوكسفورد ، ويتولى أيام الأحاد ، مهمة الوعظ والارشاد .

وقد كان الارتباك والخجل يستوليان عليه كلما حاول مخاطبة الكبار ، ولكنه كان بارعاً في رواية الحكايات للفتيات الصغيرات . وهكذا روى لرفيقاته الثلاث ، في نزهتهم النهرية تلك ، قصة من مبتكرات خياله .

فقد سرد عليهن قصة فتاة صغيرة أوت إلى فراشها فاختفت في مكو ارنب ثم استفاقت فإذا هي في بلاد العجائب . فأصغت الصغيرات إلى الحكاية بانتباه شديد ، وعيون تملؤها الدهشة واللذة ، ونسينَ النزهة التي قمن بها ، ورجون الراوي كتابة هذه القصة لهن . فما كان منه إلا أن استجاب لرجائهن ، واقام ليلته تلك يكتب القصة . ولما كانت احدى الصغيرات تدعى « أليس » فقد أطلق على الحكاية اسم أليس في بلاد

العجائب .

ووضع هذه الرواية على الرف ونسي ما كان من امرها لانه لم يحسب يوماً ان احداً يمكن أن يبالي بها ويضيع وقته في قراءتها .

ومضت اعوام واعوام . . .واتفق أن اطلع أحد اصدقائه على هذه المخطوطة ، فتناولها ونفض عنها الغبار واستغرق في مطالعتها . فأعجبته اعجاباً شديداً ، وألح على ضرورة نشرها ، فدهش دودوجسون لما سمع . وكيف يُعقل أن ينشر استاذ للرياضيات في جامعة اكسفورد قصة سخيفة للاطفال يطلع عليها الناس ؟

إلا أن « أليس في بلاد العجائب » ما لبثت ان ظهرت إلى الوجود ، ولكن تحت اسم لويس كارول ، لا اسم تشارلس دودجسون . ولاقت رواجاً منقطع النظير في العالم الانكلوسكسوني ، ونُقلت إلى أربع عشرة لغة مختلفة .

واخذت شهرة أليس في بلاد العجائب تزداد يوماً بعد يوم ، وعاماً بعد عام ، حتى أن المطابع كانت تدور ليل نهار لتخرج من هذه القصة الطريفة مئة وتسعاً وستين طبعة في اللغة الانكليزية وحدها .

كازانتزاكيس

Nikon Kazantzakis

هذا القرن الذي نعيش فيه ، وقد طوى ثلثي عمره ، يمكن أن ينطوي قبل أن يأخذ ادباء مرموقون ـ من مثل الكاتب اليوناني نيكوس كازنتزاكيس ـ حققوا شهرتهم ، امكنتهم في بانتيون الادب . . .

هذا الروائي الشاعر ، الذي توفي سنة ١٩٥٧ عن اربعة وسبعين

عـاما ، حقيق من نـواحي عدة بـالشهرة والمجـد الادبيين ، ولكنـه ينبغي آن ينتظر حكم الزمن البطيء .

فهو كدارس وعـنم قد حـول ابرز سبعـة مؤلفات كـلاسيكية إلى اللغـة اليـونانيـة . وكفيلسوف ، تشـرب فلسفـات بـرغسـون ، ونيتشـه ، وبـوذا ، ولينين ، وكون لنفسه فلسفة خاصة ، فوضوية نوعـاً، بدت انها تحكم على الانسان بالخيبة ، وعلى الحضارة الغربية بالموت .

وكشاعر ، اخيراً ، أضاف ٣٣٣٣٣ الف بيت من الشعر إلى اوذيسة هـوميروس ـ أي ثـلاثة اضعـاف نتاج المعلم الاغـريقي ـ وتجرأ عـلى تسميتهـا تكملة حديثة لتلك الملحمة من فجر التفكير الغربي .

أبصر النـور في جزيـرة كريت في ٢ كـانـون الأول ١٨٨٥ ، ودرس في أثينـا ، ومن ثم في بـاريس ، حيث قـرأ القـانـون . وكـان واسـع الآفـاق ، فـطالع كثيـراً ، وكتب كثيـراً ، وتـرك نتـاجـاً ضخـماً قيـماً ، ومنـوعـاً : كتب دراسـات فلسفية ، وروايـات مسرحيـة تراجيـديـة ، وكتبـاً في الـرحـلات ، وشعراً ملحمياًوغنائياً . اما أوذيسته ، وهي ملحمـة شعريـة فلسفية فتتـألف من ٣٣٣٣٣ بيتـاً ، وتلخص رحلة هذا الكاتب الروحية عبر الحياة . ونقل إلى اللغة اليونـانية عـدداً من المؤلفات الكـلاسيكية ومن ابـرزها « الكـوميديـا الالهيــة » لـدانتي ، و« فـاوست » لغـوتــه . ونقـل إلى عــدد من اللغــات الاوروبية بعض رواياتـه التي حازت شهـرة واقبالاً من جمهـرة القراء وأوسـاط النقـد في العالم ، مثـل روايته « زوربـا اليونـاني » ، وكتابـه « المسيـح يُصلب من جديد » ، و« الاوذيسة » .

وانـه لمن السهـل أن يتتبـع المـرء في كتـابـات كـازانتـزاكيس تـأثيـرات تتـراوح بين الصـوفية البـدائية ، واكـثر انـواع الـواقعيـة تقـدمـاً أو تـطرفـاً ، تشـدها كلهـا قوة شخصيـة كازانتـزاكيس . كما يمكن احيـانـاً ان يلحظ المـرء

عرقا من التشاؤم يبلغ في بعض الحالات حد الفوضوية .

وكـانت وفاة هـذا الاديب اليونـاني الذي يعتبـر واحداً من اكبـر اسيـاد اللغـة اليونـانيـة الحـديثـة إن في بـراعتـه الادبيـة ، أو في تنـوع انتـاجـه ، في الانتيب ، جنــوبي فــرنســا ، في ١٣ تشــرين الأول سنــة ١٩٥٧ ، ودفـن جثمانه في مسقط رأسه جزيرة كريت .

جان كوكتو

Jean Cocteau

يــوم الحـادي عشر من تشــرين الأول سنـة ١٩٦٣ ، وفي منــزلـه في « ميي ـ لا ـ فـورية » بـالقرب من فـونتنبلو ، كان جـان كوكتـو ينتـظر خلوده بهدوء . . .

تلقى آخر مخابرة تلفونية ، وسجل آخر عبارة على دفتر . وبلا خوف ولا وجل أغمض عينيه .

وليس من الـسخـف في شيء القــول ان جــان كــوكتــو مــات من الانفعــال لدى سمــاعه نبأ موت آخــر ، عــلى الـطرف الآخـر من خط التلفون . . .

ان هـذه الطريقـة في الرحيـل لتشبهه كثيراً ، فلقد كـان يخشى العزلـة كثيراً ، فاستقـل القطار نفسـه الذي استقلتـه ايديت بيـاف ، الصديقـة ، أو الشخصية التي كان يمكن أن يبدعها .

ان كـوكتـو اسـطورة من اسـاطير منتصف هـذا القـرن . سيـطر عـلى الادب الفـرنسي في النصف الأول من القـرن العشــرين بتقلبـه ، ونجــاحـه الباهر ، وشغفه بالتناقض والافكار الجديدة .

أبصر النور في ميزون ـ لافيت ، بالقرب من باريس ، في ٥ تموز ١٨٨٩ . ونشأ وترعرع في أسرة بورجوازية تتعاطى اعمال الصيرفة ، وكان طفل باريس المدلل . جرب كل شيء : أول طائرة لرولان غاروس ، والجاز ، والافيون . ووصل في أهوائه إلى الموسيقى والبالية والرسم والمسرح ، فمهر فيها جميعاً ، وصبغها بصبغة خفيفة ولكنها حاسمة .

في منزل والديه التقى كبار الفنانين ، والكتّاب ، والممثلين ، وقد نشر أول كتبه (ديوان شعري بعنوان « قنديل علاء الدين ») وهو بعد في السادسة عشرة . وقد دفعته صداقته لسيرغي دياغيليف ، الامبريزاريو الروسي الذي ابتدع البالية الروسي فاحدث به ثورة في جمالية الرقص سنة ١٩١٢ ، إلى امتهان الكتابة . وسعياً منه وراء إثارة اعجاب صديقه ، راح ينتج الروائع التي ثبتت شهرته الخالدة كطفل مدهش . ومن رواياته نذكر « البوتيوماك » (١٩١٩) و« توما الدجال » (١٩٢٣) وفيها يروي مغامراته اثناء الحرب التي رُفض اشتراكه فيها كجندي لعدم لياقته الصحية ، فالتحق بالبحرية تحت اسم مستعار ، و« الانحراف الكبير » (١٩٢٣) ، و« الأطفال المدهشون » (١٩٢٩) وفيها دراسات رهيبة عن المراهقة و« افيون » (١٩٣٠) وفيها يصف شفاءه من عادة ادمان المخدرات التي استبدت به بعد وفاة صديقه الروائي الشاب ريمون راديغه سنة ١٩٢٣ ، عن عشرين سنة . . . وكان قبل ذلك قد نشر مجموعة شعرية بعنوان « رأس الرجاء الصالح » (١٩١٩) قصائدها مستوحاة من طيران صديقه رولان غاروس اثناء الحرب ، و« عرسان برج ايفل » ، وهي قصة باليه وضع موسيقاها الفريق الموسيقي المعروف بالستة ، (وهم موسيقيون عزموا على التحرر من تأثير ديبوسي ، ورافيل ، وفوريه ، وهم : دوراي ، وهونيغر ، وميلهو ، وبولونك ، واوريك ، وتايفير) . اما الديكور لهذا الباليه فقد تولاه كل من بيكاسو ، وبراك ، ودوفي . في سنة ١٩٣٦ نشر كتابه « رحلتي الأولى »

التي ضمنها انطباعات جمعها خلال جولة حول العالم استغرقت ثلاثة شهور .

واستهواه المسرح فكتب بضع مسرحيات ناجحة ، من مثل المسرحيات الاسطورية « انتيغون » و« أورفيه » و« الآلهة الجهنمية » ، والمسرحيات الاجتماعية ، والأخلاقية ، والتاريخية ، وأبرزها « الآباء الرهيبون » و« النسر ذو الرأسين » . وكانت الأفكار الجديدة تستهويه ، فإذا به يلعب دوراً كبيراً ، مع بيكاسو ، فيما سمي « الروح الجديدة » المقابلة للتقليد الفني . وفي « رسالة إلى جاك ماريتان » سنة ١٩٢٦ ، حاول التوفيق بين الكاثوليكية والتحرر الفني . ورحب بالسينما على انها شكل فني جديد ، وابدع الافلام الطليعية وهي : دم شاعر ، والعودة الخالدة ، والحسناء والوحش ، وأورفيه ، والاطفال المدهشون ، ووصية أورفيه ، وقد اشترك سنة ١٩٥٩ بتمثيل الدور الرئيسي في هذا الفيلم الاخير . .

وكانت الحرب العالمية الثانية ، فقام كوكتو بعد انتهائها بمغامرة فنية جديدة هي الرسم ، والكتابة عن الرسم . فزين بعض الكنائس في فيلفرانش - سور - ميو ، وميي ، ورسم لوحة مثلثة للكنيسة الفرنسية في لندن . ولم يتوقف عن كتابة الشعر . وهو الذي كان يعتبر كل اعماله الادبية مظاهر للشعر . والواقع انه إذا كان ينبغي لنا أن نفتش في هذه الحياة المليئة عن سلك سحري فإنما نقول أنه السلك الذي تمر خلله هذه الكهربائية التي نسميها الشعر . . .

وقد انتخب كوكتو عضواً في الاكاديمية الفرنسية - مجمع الخالدين الاربعين - سنة ١٩٥٥ . وكانت وفاته كما ذكرنا في مستهل هذه الكلمة في خريف سنة ١٩٦٣ ، بالسكتة القلبية ، اثر تلقيه مخابرة هاتفية تنبئه بوفاة صديقته المغنية أديث بياف .

سلمى لايرلوف

Selma Lagerlœf

الروائية والأديبة السويدية (١٨٥٨ ـ ١٩٤٠) أبصرت النور في موروباكا وتوفيت فيها . بدأت حياتها بالتدريس في بلدة لاندسكرونا ، وقد عُرفت في عالم الأدب بعد نشرها ملحمة فوستا برلنغ سنة ١٨٩١ التي آذنت بالنهضة الرومنطيقية في الأدب السويدي . ومذ ذاك نشرت سلسلة من الروايات والقصص القصيرة الرائعة التي ترجمت إلى عدد كبير من اللغات العالمية . . وتمتاز بالاسلوب الساحر ، ونعومة الجو ، والنبض بالاحساس الديني الصادق . وقد أحلّت صاحبتها مقام الطليعة بين الأدباء الاسكندينافيين . رحلت إلى فلسطين في مستهل القرن العشرين، وأقامت ردحاً من الزمن في القدس ، ووضعت بعد عودتها إلى بلادها (١٩٠١ ـ ١٩٠٢) كتاباً ضمّنته انطباعاتها عن هذه البقعة من الشرق .

من مؤلفاتها نذكر : « الروابط غير المرئية » (١٨٩٤) ، « عجائب المسيح الدجال » (١٨٩٧) ، « أورشليم » (١٩٠١ ـ ١٩٠٢) ، « كتاب الاساطير » و« رحلة نيلز هولغرسونز الرائعة عبر السويد » (١٩٠٦ ـ ١٩٠٧) ، « ملك البرتغال » ، « البيت العتيق » ، و« حوذي الموت » (١٩١٢) .

وقد نالت سلمى لايرلوف جائزة نوبل للآداب سنة ١٩٠٩ .

تميزت قصصها ورواياتها بالخيال الخصب ، والتصوير الدقيق لمشاعر النفس البشرية ، والاسلوب الطلي ، والنظرة الانسانية العميقة الشاملة التي تشوبها الروح الدينية . وكانت شديدة العطف والحدب على المساكين والمتواضعين ، وهي تذكّر كثيراً بالشاعر والروائي الدانماركي

هانس كريستيان أندرسن (١٨٠٥ - ١٨٧٥) .

جاك لندن

Jack London

يحتل الروائي الاميركي جاك لندن (١٨٧٦ - ١٩١٦) في تاريخ الأدب العالمي المعاصر مركزاً مرموقاً . فهو من الكتّاب القلائل الذين يمكن وصف نتاجهم بأنه موثوق به ، صحيح ، أصيل . والمقصود من هذا الوصف أن جاك لندن عاش بنفسه حياة أبطاله ، وهي حياة قاسية ، خشنة ، يسودها النزاع المتواصل العنيف ضد البؤس والموت . فلما صوّرها جاءت صورة صادقة ، إنسانية ، لا تشوبها شائبة الزيف والخيال . . . ومن هنا كان لرواياته العديدة جاذب قوي يشعر به كل من يتصفحها . وكانت لصاحبها ميزة على سائر الروائيين الطبيعيين الفرنسيين والانكلوسكسون الذين غالباً ما يعتمدون بصيرتهم وحدّة ذهنهم عندما يرسمون حقيقة سطحية . ومن المؤسف حقاً القول ان الادراك الطبيعي قلما يحلّ محل المعرفة العميقة للحياة ، والاتصال بالأوساط والبيئات الموصوفة .

يعرف جاك لندن ، حين يكتب ، ما يكتب . وقد تمكن هذا الروائي العبقري في فترة ١٦ سنة (من ١٩٠٠ - ١٩١٦) من انتاج ٥٣ مجلداً من الأدب الروائي الرائع .

عمل في بدء حياته ببيع الصحف ، وجمع الاصداف ، ثم عضواً في دورية الخفر البحرية ، فعاملاً على المرفأ يجمع طوال يومه الفحم الحجري ويكوّمه ، وانتهى في أحد المعامل التي تصنع أكياس الخيش وخيوط القنّب . وكان طوال حياته الشاقة هذه يتردد في الليالي إلى دور

الكتب العامة لينصرف إلى الاطلاع على زبدة قرائح الروائيين الكبار أمثال فنيمور كوبر ، وتشارلز ديكنز ، وروبرت لويس ستيفنسون ، وريارد كبلنغ . . .

بدأ لندن بنشر قصصه الأولى في المجلات المحلية سنة ١٨٩٩ ، ولم تذع شهرته إلاّ في العام التالي على أثر صدور رايته ابن الذئب ، ولم يكن بعد قد تجاوز الرابعة والعشرين . ومذ ذاك ابتسم له الدهر ، إلا أنه كان قد اعتاد ، في سنوات البؤس والمحن الشديدة ، ادمان الخمرة ، فتمتلكه هذه العادة السيئة ولم يتسطع منها خلاصاً . وهذا ما يصفه ويسرده بكل دقة واخلاص في روايته دجون بارليكورن . وقد توفي عن أربعين عاماً ضحية دجون بارليكورن (الخمرة) .

هكتور هيو منرو

Hector Hugh Munro

كتبت شقيقة هذا الأديب الانكليزي ايثل منرو، هذه العجالة عن أخيها هكتور « الساقي » :

أبصر أخي الأصغر هكتور النور في اكياب (بورما) حيث كان يقيم والدي في ١٨ كانون الاول ١٨٧٠ ، فلما كان له سنة من العمر عدنا أنا وهو وأخي الاكبر تشارلي مع ذوينا إلى مسقط رأسنا في انكلترا . وما كاد يستقر بنا المقام على أرض الوطن حتى ودعتنا والدتنا إلى العالم الآخر . فحزنا على فقدهاحزناً عميقاً .ولم يطق والدنا الحياة في انكلترا طويلاً فرحل إلى الهند تاركاً ايانا في عهدة والدته واختيه تشارلوت واوغستا بعد أن اتخذ لنا مسكناً في مقاطعة ديفون الشمالية .

كانت حياتنا العائلية هادئة هانئة وكانت معاملة جدتنا وعمتينا ايانا

حسنة وعنايتهن بنا تفوق حد التصور بالرغم من المشاحنات التي كانت تحدث بين الجدة الحنون وابنتيها ، فشب أخي هكتور وهو يشاهد هذه المناظر تتكرر امامه يوماً بعد يوم ، فإذا به وهو بعد طفل يقلدها بمهارة ودقة جديرتين بالاعجاب .

كانت القطط والحيوانات الداجنة والطيور البرية والكلاب اصدقاءنا أيام الطفولة لاننا لم نكن لنرى الاطفال إلا لماماً في الكنيسة ، والحفلات البيتية التي كنا نقيمها في بعض المناسبات ، ولم يكن عددها يتجاوز عدد اصابع اليد الواحدة .

دخل تشارلي المدرسة باكراً ، أما هكتور فكان يشاطرني دروسي الخاصة في البيت تحت اشراف مربية لان بنيته النحيلة لم تسمح له بالالتحاق باحد المعاهد التعليمية كأخيه . ولم يكن في اثناء دراسته ليظهر أي ميل للتأليف وكتابة القصص، باستثناء مساهمته في تحرير صحيفة صغيرة كنا نصدرها نحن في البيت . وكان احب الامور إليه رسم الحيوانات ، وهو رسام ماهر . وفي السابعة من عمره اظهر رغبة في الاطلاع على الشؤون السياسية ، وقد اعتنق مذهب المحافظين ، وظل محافظاً طوال حياته .

كانت « ايكسماوث » المدرسة الاولى التي ذهب إليها أخي هيكتور ومنها انتقل إلى معهد « بيدفورد» الثانوي . وكانت تقارير معلميه الشهرية تحمل هذه العبارة ـ ذكاء وافر ، ومقدرة عجيبة ، ولكن الانتباه قليل » . في العام ١٨٨٦ انفصل أبي نهائياً من الخدمة العسكرية فذهب بنا انا وهكتور إلى مقاطعة نورماندي في فرنسا ، فأقمنا فيها ردحاً من الزمن ، ثم غادرناها ألى دريزدن في المانيا حيث وافانا تشارلي .

كان هكتور وقتئذ قد بلغ الثامنة عشرة من عمره ، ولكنه كان ما

يـزال طفلاً في حـركاتـه وسكنـاتـه . كـان يمضي أيـامـه متنزهـاً في الحـدائق العامة مراقباً العصافير عـلى اختلافها، دارساً طبيعتهـا وحياتهـا وكثيراً مـا كان يوقف الشبان الالمان على قـارعة الـطريق يرسم لهم عـلى الأرض صورة أحـد العصـافـير ويسـألهم هـل في وسعـه أن يجده في تلك البقعة من المانيا . وكـان هؤلاء يكتبون اسم العصفور المنشود امام الـرسم ويدلـونه عـلى المكان الـذي يمكنـه أن يستقي منه المعلومـات الكـافيـة عنـه . ومن المـانيـا انتقلنـا جميعاً إلى براغ ، فد يقوس ، حيث أتيح لنـا أن نمارس مختلف انـواع الريـاضة البـدنية كـالتنس ، وركوب الخيـل ، وتسلق الجبال ، والتـزحلق على الجليـد . وكان التنس لعبــة اخي هـكتور المفضلة ، وقــد تلقى هنـاك بعض الــدروس في الرسم على يد رسام اختصاصي برسم الطيور الجارحة .

لم تستمـر اقامتنـا في ديقوس اكـثر من ثمانيـة اشهر انتقلنـا بعـدهـا إلى بلدة هنتـون الانكليـزيـة ، من اعمـال مقـاطعـة ديفـون . ومن هنـا استقى هـكتـور معلوماتـه عن الحياة الـريفيـة التي يصفهـا بـوضـوح تـام في قصصـه الكثيرة .

أحب الحيوانات الاليفـة والبريـة وبنى حولهـا مواضيـع قصص عديدة ، حتى أنـه « صاحب » في بـورما قـطة من نـوع النمـرة . وكـان قـد سبقـه إلى تلك البقعة من الشرق الاقصى أخي تشارلي ليلتحق بشرطتها .

لم يستـطع هـكتور الاقـامـة في بـورمـا اكـثر من سنتـين اثنتـين لـرداءة الـطقس ، فعاد إلى البيت حيث امضى طـور النقـاهـة . ثم انتقـل إلى لنـدن حيث تعـرف بالسـير فرنسيس غـولنـد (كـان اسمـه وقتئـذ كاروذرز غولد) فحبب إليـه ولوج ميـدان الأدب .كانت كتـاباتـه الاولى سياسـة ، وهي عبارة عن سلسلة من النقـد اللاذع بعنـوان « اليس في وستمنستر » كـانت تنشـرهـا له جريدة « واستمنستر » ويـرسم صورهـا كاروذرزغـولد نفسه . أما الاشخـاص

فهم رجال حكوميون وبخاصة وزراء ، بصورة حيوانات على نسق أشخاص رواية « أليس في بلاد الغرائب » .

كان أخي هكتور كثير التردد على قاعة المطالعة في المتحف البريطاني . وقد اسفرت زياراته المتعددة إلى هذه المكتبة عن وضع تاريخ قيم بعنوان « نهوض الامبراطورية الروسية » نشر العام ١٩٠٠، صور لنا فيه التاريخ الروسي من مطلعه حتى عهد بطرس الاكبر .

وعام ١٩٠٢ رحل إلى البلقان ، هذا الجزء الأوروبي الذي كان شديد الشوق إلى زيارته والاقامة فيه - ذهب إليه مندوباً عن جريدة مورننغ بوست ومن البلقان استقى مادة غزيرة لبعض قصصه الناجحة، ولم تقبل السنة ١٩٠٤ حتى انتقل إلى فرصوفيا، فبطرسبرج ، مراسلاً للجريده المذكورة. وفي بطرسبرج عاش عامين كاملين درس خلالها طبيعة الشعب الروسي ونفسيته .

وفي العام ١٩٠٦ ذهب إلى باريس حيث ساهم في تحرير بعض الصحف وكان يواظب على حضور جلسات المجلس النيابي . وفي العام التالي توفي والدي ، فكان لهذا الحدث ابلغ الاثر في نفس اخي هكتور، فصرح لدى سماعه النبأ الفاجع بأنه فقد بعض حماسته للكتابة في الصحف لانه فقد بموت والده القارىء الوحيد الذي كان يقدّر ما يقرأ حق قدره . وفي العام ١٩٠٨ استقر نهائياً في لندن .وكان يدبج المقالات الادبية والسياسية المصورة لبعض الصحف البريطانية الكبرى كالدايلي اكسبريس ومورننغ بوست ، وبايستاندار ، ووستمنسترغازيت .

أما قصصه فقد وضعها جميعاً بين ١٩٠٤ و١٩١٢ . وأما روايته « عندما جاء ويليام » فلم تظهر الا سنة ١٩٣٣ وموضوعها يدور على الحياة في انكلترا بعد غزوة المانية مظفرة .

وقد اختار اسم « الساقي » لقباً له تخليداً لذكرى الساقي في رباعيات عمر الخيام الشهيرة .

لا يروق الوجود من غير ساقي	ومدام وصوت ناي عراقي
لا أرى العيش ما تفكرت فيه	غير نيل السرور بين الرفاق
راق الصباح فقم أرق بزجاجة	باقي سلافة ليلنا يا ساقي
ثم اسقني كأساً وبادر لحظة	من عمرنا ستزول فالغد باقي

كان شغوفاً بالشعر الفارسي والقصص الشرقي ، ومن امتع قصصه واحبها إلى قلبه قصته التي تحمل عنوان « الرحلة الذهبية إلى سمرقند » ، وكان الساقي محدثاً لبقاً تظهر شخصيته الفذة في حديثه اكثر منها في قصصه وكتاباته المختلفة . وصفه احد اصدقائه بقوله « كان من الطف الرفاق واخفهم ظلاً، وكان شديد الحساسية طيب القلب يجتنب اذية أي مخلوق حتى الكلاب والقطط . . . وكان شريفاً أبياً متواضعاً .

وفي تشرين الثاني ١٩١٥ ذهب كجندي بسيط في فرقته « الرماة الملكيين الثانية والعشرين » إلى فرنسا، حيث كتب رسائل تشرح الصدر عن اختباراته في الحياة العسكرية ، ملقياً ضوءاً على الصعوبات التي تعترض سبيل الجنود ،ضارباً على وتر الوطنية وحب المغامرة . ولم يُقبل أيلول من العام ١٩١٦ حتى رقي إلى رتبة منكب . ولكنه لقي حتفه في ١٤ تشرين الثاني من العام نفسه في معركة برمون . وقد كتب عنه أعز أصدقائه روذاي راينولدز في أيلول ١٩١٨ ، في المقدمة التي صدرت بها روايته « دمى السلام » يقول : « فقدنا بفقد منرو وطنياً فذاً وصديقاً من الطراز الأول . وقد كان من ابرز ميزاته قدرته على اكتساب الاصدقاء والاحتفاظ بهم » .

موباسان

Guy De Maupassant

يعتبـر الـروائي الفـرنسي هنـري رينـه ألبـير غي دو مـوبـاسـان (١٨٥٠ ـ ١٨٩٣) من أشهـر كتّاب القصـة القصيرة في العـالم قاطبـة . كـان شـديد المـلاحظة ، ولعله من أبـرز الروائيـين في هـذه النـاحيـة . وقـد شُبـه بـالعـالم الكبـير الـذي يـدرس البشر كـما يـدرس سـواه مـن العلماء الحشـرات . . . إلا أن قصصـه التي تعتبـر نمـاذج للكمـال الأدبي لا تلذّ قـراءتها لتميـزها بـالتشاؤم . ويبـدو الكثير من عـدم التوازن العقـلي مسيـطراً عـلى القصص التي وضعهـا في الفتـرة الاخيـرة من حيـاتـه الأدبيـة التي لم تستمر أكثر من اثنتي عشرة سنة .

بـدأ حيـاتـه كـاتبـاً في البحـريـة ، وخـدم في الجيش الفـرنسي . فلما انصـرف إلى الكتابـة والتـأليف تـأثـر بـأسلوب الـروائي غـوستـاف فلوبـير ، ونسـج على منـواله . وظـلَّ يتدرّب عـلى الكتابـة ويتلف مخطوطـاتـه قبـل أن يسمـح بنشر قصصه . وقـد ظهـرت سنـة ١٨٨٠ أولى قصصـه الشحم، وهي تـدور حول الحـرب الفرنسيـة البـروسيـة (١٨٧٠) فقضت عـلى سمعـة امـرأة سيئة الـطالع هي بـطلة القصة . وفي السنـة نفسها أصـدر مـوبـاسـان ديوان شعر ومسرحية .

كـان شعاره : « إخف حيـاتك . . كـل ما كُتب عني لا صحـة لـه ! » وكـان أكره مـا يكرهـه نشر صوره ، وأخشى مـا يخشاه المـوت . وقـد تـولتـه الكـآبة في أواخـر ايـام حيـاتـه ، وراحت تكتنفـه التخيـلات المقلقـة إثـر داء

أصابه في الدماغ . وقد توفي أخ له مجنوناً . فلما ظهرت روايته الهورلا ، وفيها وصف لاحساسات رجل على وشك الجنون ، أيقن الكثيرون أن ذلك المصير سيكون مصير موباسان نفسه . وقد أصيب سنة ١٨٩٠ باختلال في قواه العقلية ، وبالشلل الكامل ، فاضطر إلى التخلي عن الكتابة . . وما هي إلاّ سنتان حتى جن جنوناً مطبقاً ، وكان ذلك بسبب إسرافه في العمل ، والتمتع بلذات الحياة .

عُرف موباسان بالواقعية في أدبه . . . أراد أن يصور المجتمع بامانة واخلاص فارتاد الاماكن المشبوهة ، وانغمس في الفساد .

قصصه ترسم صورة لنفسه . وهو فيلسوف لا تخلو فلسفته من آراء طريفة في ما يتعلق بالمرأة والحياة . وهو قاسٍ في حكمه على المرأة . يراها مخلوقاً غادراً قلما يخلص أو يعف ، وهي عنده اداة فتنة وفساد . وقد جمع في انتاجه كل ما في الحياة من مشاهد وصور قد يمر بها الإنسان العادي فلا يجد فيها ما يهز ولكنه يستطيع أن يخلق منها فناً بارعاً .

ولقد وصفته خادمته بقولها : « كان غريب الأطوار ، ولكنه متواضع ، شديد الحدب على مرؤوسيه . . وكان سباحاً ماهراً ، وقد يكون على شيء من الذكاء ! »

اندريه موروى

André Maurois

كان اندريه موروى الرجل النبيل، حسب تعريف القرن السابع عشر . ومنذ اكثر من خمسين سنة بدأ عمله الادبي الضخم الذي كان

يكرس من أجله عشر ساعات كل يوم . شيللي ، بايرون ، جورج صاند ، فكتور هوغو ، دوما ، بلزاك . . . أبطاله هؤلاء كانوا ابطال تاريخ الادب ، وبعد أن كان روائيا وكاتب مقالات ، توصل إلى رفع السيرة إلى مستوى الرواية . وعشية دخوله المستشفى ، في أواخر سنة ١٩٦٧ ، كان قد نفض يده من كتابة مقدمة مذكراته . وكان له من العمر اثنان وثمانون سنة عندما ودع هذا العالم في تشرين الأول من سنة ١٩٦٧ .

توفي اندريه موروى فودعه الوداع الاخير زملاؤه ذوو البزات الخضراء ، رفاق الخميس ـ اعضاء الاكاديمية الفرنسية ، التي كان يقول عنها : « انها نادي » ! ولكم كان يجب أن يشهد ذلك الوداع الاخير . فأمام النعش الذي نصب في فناء مجمع الخالدين الاربعين ، وضعه صديقه جاك شاستنيه في خطابه الوداعي « في سلسلة كبار الكلاسيكيين في القرن الثامن عشر » .

أبصر اميل هرتزوغ ـ وهذا هو اسم موروى الاصلي ـ النور في ايلبوف في سنة ١٨٨٥ . وكان وهو في السادسة من عمره ، صبياً هزيل البنية ، ضعيفها ، وقد اضطر إلى استعمال مشد حديدي نزعه عنه في الثانية عشرة بعد ان اصبح قوي الجسم ، وتوصّل إلى الحلول في المرتبة الاولى في الجمباز .

في كلية كورناي ، في روان ، قال له استاذه الفيلسوف آلان ـ واسمه الاصلي آميل شارتييه : « عش قبل ان تكتب » . وهكذا انتظر هذا التلميذ الشاطر ، الذي كان مقدرا له ان يحترف الادب منذ سنة ١٩٠٢ ، خمس عشرة سنة قبل ان ينشر كتابه الأول . فحتى ذلك الحين ، وعملاً بنصيحة آلان ، بعيداً عن مناقشات المقاهي الباريسية ، عمل الفتى اميل هيرتزوغ جنباً إلى جنب مع الحائكين والنسّاجين في

مصنــع ذويـه في ايلبــوف . فهنــاك امكنــه ان يتفهم الكثــير عن البشر ، وبطريقة افضل من كل المناقشات التي تدور في الحانات والمقاهي .

وفي سنــة ١٩٤٩ احيى موروى في كتــابـه « آلان » شخصيــة ذلـك المفكر الكبير تقديراً وتكريماً من صاحب « دروس في السعادة الزوجية » .

في الحرب العالميـة الاولى عمل ترجمانـاً في كتيبة اسكتلنـدية في الجيش البـريطاني ، فكـانت له اختبـارات جمـة خـلالهـا ، وكـانت حصيلتهـا روايـة « صمت الكـولونيـل بـرامبـل » التي راجت رواجـاً كبيـراً ، إذ بيعت النسـخ المـطبوعـة كلها في غضـون ايام معـدودة . وقد انصف النقـاد كتـابـه هـذا ، وانهالت الدعوات عـلى صاحبـه من اناطـول فرانس ، وكبلنـغ ، وكليمنصو ، وليـوتي . وكان كافياً لان يحـول كتاب واحـد اميل هيـرتـزوغ الصنـاعي إلى الكاتب الشهير اندريه موروى .

وتلت ذلـك كتب اخـرى ، فـأيقن مـوروى انـه لا يستـطيـع مـواصلة نشاطه عـلى جبهتين ، فـاختار الادب . إلا أن المصنـع الذي كـان سبيله إلى معرفة البشر ، ظـل زمناً طـويلاً حاضـراً في انتـاجه الادبي . وبسـرعة احتـل موروى مقامه إلى جانب اصدقائه لدى النـاشر برنـار غراسيـه ، وهـم اندريـه جيد ، وشلومبرجه ، ومارتان دو غار .

تزوج سنة ١٩١٢ ، بعد قصة غرام رومنطيقيـة ، فتاة بـولونيـة حسناء تـوفيت في الحاديـة والثلاثـين من عمرهـا ، تاركـة ثلاثـة أولاد . واننا لنجـد انعكاسات لهذه المأساة في روايته « مناخات » .

وتـزوج ثانيـة سنة ١٩٢٦ سيمـون دو كـايـافـايـه التي اصبحت اقـرب المقـربـين إليـه ، واثمن معـاونيـه ، تقـوم بـالابحـاث المضنيـة في دار الكتب الوطنية ، وتتولى ضرب مخـطوطاتـه على الآلة الكاتبـة ، وتصحح البـروفات المطبعية ، وتحفظ مختلف البطاقات ، فضلاً عن اسداء النصح والمشورة .

وتنشب الحرب العالمية الثانية ، ويصبح من الضروري اقناع الحلفاء اكثر مما هو ضروري مجابهة الاعداء . وكان الاميركيون في حيرة من امرهم ، لا يفهمون هزيمة فرنسا سنة ١٩٤٠ على حقيقتها ، فتولى اندريه موروى مهمة اقناعهم بما فُطر عليه من موهبة في الخطابة طالما الهته من قبل عن الكتابة والتأليف .

وعاد السلام من جديد ، هذا السلام الذي كان بالنسبة إليه مرحلة السير الكبرى . وما كان قد بدأه قبل الحرب من التراجم (شيللي ، دزرايللي ، بايرون ، تورغنييف ، شاتوبريان) واصله ، فوضع تراجم بروست ، وجورج صاند ، وفكتور هوغو ، ودوما (الثلاثة منهم) ، وفليمنغ ، ومدام دو لافاييت واخيرا معبوده : بلزاك . . .

صَمرسيت موم

William Somerset Maugham

كان صمرسيت موم (١٨٧٤ ـ ١٩٦٦) واحداً من كتاب قلة اعتبروا عباقرة وهم احياء يرزقون ، وواحداً من اصحاب الادمغة الاكثر تحضراً في هذا القرن . عرف بأنه سيد من أسياد النثر الانكليزي ، مع ان القدر شاء أن يبصر النور في باريس ، ويتكلم الفرنسية قبل أن يتعلم الانكليزية ، لغته الام ، وقد ثبت دعائم شهرته الادبية برواياته المسرحية ، وقصصه القصيرة والطويلة ، ومقالاته النقدية في تقدير الاعمال الفنية والادبية التي خلفها عدد من أسياد القلم الذين اعجب بهم .

أبصر النور في ٢٥ كانون الثاني عام ١٨٧٤ ، في باريس حيث كان والده ملحقاً بالسفارة البريطانية . وقد توفي ابواه وهو صغير ، فعني

بتربيته عم له كان كاهناً . . . ومن هنا كانت لغته الفرنسية صحيحة ، لا غبار عليها لأنها كانت أول لغة تعلمها . وكان يتكلم بخمس لغات أوروبية بطلاقة .

كانت أولى رحلاته إلى انكلترا حيث التحق بكلية الملك في كانتربري . ثم تابع دروسه في جامعة هايدلبرغ ، في المانيا ، وتلقى دروساً بالايطالية في فلورنسا . وعاد إلى انكلترا حيث درس الطب في مستشفى القديس توما ، ونال الشهادة في عام ١٨٩٨ .

اختباراته الطبية هي التي منحته المادة لاولى رواياته الواقعية « لايزا أوف لامبث » التي احدثت ضجة أدبية كبرى سنة ١٨٩٧ ـ حوالى نهاية دروسه . وقد شجعه رواجها ، والدافع الطبيعي فيه إلى الكتابة والتأليف ، على مواصلة الكتابة بحيث تضم الخزانة الادبية العالمية اليوم عشرات المسرحيات والروايات الناجحة التي ابدعتها براعته ، ومئات القصص القصيرة . . .

جمع صمرسيت موم المواد لقصصه من رحلاته الكثيرة المتواصلة في مختلف بقاع الارض . فعندما قرر أن يمتهن الكتابة ذهب يعيش في اسبانيا ، ثم في ايطاليا . وزار ، بالتتابع ، فرنسا ، واميركا ، والصين ، وبورما ، والهند ، وجزر البحار الجنوبية (في الباسيفيك) واغلبية بلدان أوروبا . وقد عاد منها جميعاً وفي جعبته القصص الرائعة ، بحيث أن قارىء كتبه يطوف العالم وهو مستلق فوق مقعده الوثير في منزله .

زاول الكتابة والتأليف اكثر من ستين سنة ، وقد بيع خلال هذه السنين الطوال اكثر من خمسين مليون نسخة من كتبه . وجمع من وراء ذلك، ومن وراء اقتباس رواياته وقصصه على الشاشة السينمائية ، ثروة طائلة . فمنذ سنة ١٩٣٢ والشاشة البيضاء تقتبس أروع قصصه . وتجدر

الاشـارة هنا إلى أن كـل كلمة من كتبـه خطهـا بيده ، ولم يستخـدم قط الآلة الكاتبة .

وكان صمرسيت موم خفيف الروح ، صـاحب نكتة بـارعة لاذعـة . . من ذلك انه كان مرة في احدى الحفلات فتقدمت منه سيدة قائلة :

ــ أنت لا تجرؤ على وضعي في أحدى قصصك !

فكان جوابه :

ــ ومن قال لك انني اجدك مادة تثير الاهتمام !

ويـذكر سكـرتيره آلان سيـرل انه اقيمت لـه مـأدبـة تكـريمية في سـان فرنسيسكو قبل وفاته بمدة . واتفق أن مقعـده كان بجـوار مقعد سيـدة متـزوجـة من اميـركي مـرمـوق . فحـاول مـوم محـادثتهـا ، ففشـل ، فـلاذ بالصمت . وما هي إلا لحظات حتى التفتت إليه قائلة بصوت مرتفع :

ــ سمعت أنـك امرؤ لامـع ، أيها السيـد موم ، ولكنني وجـدت انـك ابلد شخص عرفته !

فكان جوابه :

ــ انني أجد صعوبة كبرى في أن أبدو محبوباً من اناس لا أحبهم !

كـان موم ينصح لكل من يتحـدث أمامـه عن الحميـة أو الاقـلال من الطعام (الريجيم) بقوله :

ــ ليس افضــل من التفــاح إذا شئت الا يتخــطى الـطبيب عـتبـة دارك .

ويضيف ضاحكاً ، وهو يتذكر قصة فلهلم تل :

ــ وبخاصة إذا كنت تحسن الرماية والاصابة !

مارغريت متشل

Margaret Mitchell

بـدأت مارغـريت متشـل (١٩٠٦ ـ ١٩٤٩) حيـاتهـا الأدبيـة محـررة في « صحيفة أتلنتا » فـور تخرّجهـا من الكلية عـام ١٩٢٢ . وكانت تكتب قصـة العـدد وتوقّعهـا باسم بيغي متشـل . وظلت تمارس عملهـا هذا طـوال أربع سنـوات . فلما كـان العـام ١٩٢٥ تـزوجت دجـون مـارش ، مـدير فـرع الـدعايـة في إحدى الشـركات بـأتلنتا . ومـا هي إلاّ سنـة حتى استقـالت من الصحيفة التي تحرر فيها لتنصرف إلى العناية بشؤون منزلها العديدة . وأخذت روايـة « ذهب مع الـريح » تتكـوّن في ذهنها وتتجسـد بفصـولهـا وأبـطالهـا ، ولكنهـا لم تنشرهـا إلاّ سنة ١٩٣٦ . ومـا كادت تـظهـر نسـخ الـطبعـة الأولى منهـا في المكـاتب ومـع البـاعـة حتى نفـدت كلهـا ، فتحـولت أنـظار العـالم الجـديـد والقـديم إلى الـروائيـة المتـواضعـة المنزوية في منـزلهـا في أتلنتـا . وسـرعان مـا ذاعت شهرتهـا وطبّقت الآفاق ، إذ بيـع من روايتها حتى يـومنـا هـذا أكثر من عشـرة مـلايـين نسخـة في أربعـين بلداً من بلدان العـالم ، وتُـرجمت إلى ثلاثـين لغـة مختلفـة . وكـاد كتـاب ذهب مـع الـريـخ ، الـذي أصـاب رواجاً عـظيماً ، يحـطم الرقم القيـاسي الذي ضـربه الكتـاب المقدّس في سرعـة الانتشـار .

جمعت مـارغـريت متشـل كـل القصص التي سمعتهـا عن الحـرب الاهليـة الاميـركيـة وحـوّلتهـا إلى روايـة طـويلة رائعـة أسمتها « ذهب مـع الريح» . ومن أقـوالها أنها بـدأت بالكتـابة فيهـا وهي بعد في الســادسة عشـرة من سنيهـا . وسلخت اثنتي عشرة سنـة في كتـابـة روايتهـا البكـر ، معتـرفـة بـأنها كَتبت الفصل الأول منهـا إحدى وسبعـين مرة قبـل أن تستقر عـلى رأي حـاسم ، وأنها كـانت تـرغب في تنقيـح هـذا الفصـل نفسـه للمـرة الثـانيـة والسبعين لو تُركت وشأنها . . .

أما الروايات التي وضعتها قبل « ذهب مع الريح » فقد أهملتها اهمالاً كلياً .

وكان من نتيجة شهرة الكاتبة ورواج « ذهب مع الريح » التي أُخرجت بنجاح منقطع النظير على الشاشة البيضاء في هوليوود ، ان أخذت مارغريت متشل وزوجها يقضيان معظم أوقاتهما منهمكين في الرد على الآف الرسائل والمنشورات التي راحت تنهال عليهما من مختلف أرجاء المعمورة ، تساعدهما في ذلك سكرتيرة خاصة تتولى معهما ضبط حسابات النسخ الموزعة والمباعة ، وبيع حقوق الترجمة والاقتباس . وقد سبّبت ترجمة هذه الرواية العديد من المشاكل القانونية بين المؤلفة والمترجمين عبر البحار ، وكثرت الدعاوى والشكاوى ، مما اضطر مارغريت وزوجها إلى التفرّغ لمعالجة ذيول « ذهب مع الريح » من دون سائر الأعمال . حتى إذا سئلت ذات يوم هل في نيتها وضع رواية جديدة ، أجابت :

ــ لدي مئة رواية أخرى أودّ كتابتها ، ولكن أعمالي التي أورثتني اياها روايتي الأولى من الكثرة بحيث لا أستطيع الفراغ منها قبل أن تنطفىء جذوة حياتي . هذه هي الحقيقة الواقعة ، ولو بدت صعبة التصديق ! ومهما يكن من أمر فلن أقوم بوضع أي كتاب في الوقت الحاضر . . .

كانت مارغريت أديبة بكل معنى الكلمة ، موفورة النشاط ، لا تعرف همتها الكلل أو الملل . وكانت من التواضع بحيث انها لم تكتم دهشتها للشهرة التي أصابتها « ذهب مع الريح » . لم تكن لتدّعي العبقرية الروائية ، ولم تكن لتعير الاسلوب الادبي أو الانشائي أقل اهتمام . وقد صرحت لأحد الصحفيين بقولها انها تروي قصصاً لا أكثر ولا أقل ، فليكن انشاؤها سهلاً مبسّطاً . . . ففي التبسيط الجهد المضني .

وقد توفيت مارغريت متشل عن ٤٣ عاماً في المستشفى إثر كسر في عظام الرأس امتد من الجمجمة حتى السلسلة الفقرية ، أصابتها به صدمة

سيارة بينما كانت تعبر الشارع بصحبة زوجها دجون ر . مارش لدخول إحدى دور السينما القريبة من منزلهما .

توماس هاردي

Thomas Hardy

لم يستطع توماس هاردي (١٨٤٠ ـ ١٩٢٨) أن يقرر أي حرفة يحترفها ، الهندسة أو الأدب ، لأنه درس الاثنين معاً وبرع في كليهما . إلا أن الادب سرعان ما تغلّب على الهندسة فأعطى بذلك انكلترا روائياً كان طوال حياته في طليعة رجال الأدب الانكليز .

تلقى دروسه الابتدائية في المدارس المحلية في مقاطعة دورستشر ، وتدرّب على يد أحد مهندسي الاقليم . وقد ظهرت عليه دلائل النباهة والذكاء منذ حداثته ، وكتب وهو بعد صغير ثلاث رسائل غرام بعث بها إلى ثلاث خادمات يقمن بجوار منزل والديه . وفي السادسة عشرة من عمره بدأ يقرض الشعر .

رحل سنة ١٨٦٢ إلى لندن حيث عُرف في ميدان الهندسة . وقد نشر حينذاك قصة قصيرة لفتت إليه الانظار . وسرعان ما تخلى عن الهندسة وانصرف بكليته إلى الكتابة ، فوضع رواية ، وهو في الثلاثين من عمره ، كان مصيرها الاتلاف بعد أن اطلع عليها الروائي جورج ميريديث ، قارىء المخطوطات لدى الناشر الذي تقدّم إليه هاردي . ولكن ذلك لم يفتّ في عضده ، فعكف على كتابة رواية اخرى هي «العلاجات اليائسة» ظهرت سنة ١٨٧١ . ومذ ذاك وحتى سنة ١٨٩٨ احتلّ هاردي مقامه المرموق بين طليعة الروائيين الانكليز . وقد قضى السنوات الثلاثين الاخيرة من حياته الادبية في نظم الشعر .

ومن ابرز رواياته « تحت شجرة الغابة الخضراء » و« بعيداً عن حشد

مادنغ » التي عزاها الكثيرون إلى الروائية الانكليزية جورج إليوت لأنها نُشرت غفلاً عن التوقيع سنة ١٨٧٤ ، و « عودة الأبن » و« تس دوربرفيل » . . .

مُنح وسام الاستحقاق سنة ١٩١٠ . وتزوج ثانية بعد أن توفيت زوجته سنة ١٩١٢ . وقد توفي عن ٨٨ عاماً ، ودُفن جثمانه في كاتدرائية وستمنستر ، إلا أن قلبه دُفن تحت احدى شجرات كاتدرائية مسقط رأسه ويسيكس نظراً الى حبه الشديد لهذه البلدة، وتمشياً مع عادة قديمة غريبة ! . .

همنغواي

Ernest Hemingway

عمل في الصحافة في أول عهده بالكتابة في الولايات المتحدة الاميركية ، وفي أوروبا (فرنسا ، ايطاليا ، اسبانيا ، سويسرا ، المانيا ، اليونان ـ طوال خمس سنوات كاملة) ، فكانت تجربته تلك كافية لتطوير اسلوبه الكتابي الموجز ، الواضح ، الذي كان له اكبر الاثر ، فيما بعد ، في الرواية الاميركية .

بدأ بالنشر منذ سنة ١٩٢٣ ، ولكن نجمه لم يلمع إلا سنة ١٩٢٦ بروايته « والشمس تشرق أيضاً » . وجاءت روايته « وداعاً للسلاح » (١٩٢٩) فثبتت مكانته الادبية كروائي . ومن اروع رواياته يذكر الكثيرون « لمن تقرع النواقيس » و« الشيخ والبحر » ، و« ثلوج كيليمنجارو » ، وكلها اخرجت على الشاشة البيضاء الكبيرة .

سنة ١٩٥٤ نال جائزة نوبل للآداب ، وقد نوهت لجنة منح جوائز نوبل إذ ذاك بـ « امتلاكه ، بقوة ، ناصية الاسلوب الكتابي الممتاز ، وفن الرواية الحديثة » . وقد برع همنغواي في تصوير الطبيعة والبشر الذين يعيشون بقربها بعاطفة وتأثر .

كتب همنغواي مرة التصريح الخاص بالضرائب ، وفي فقرة مظاهر الثروة الخارجية ، ما يلي :

« منزل ، وزورق ، وستة كلاب ، واربع قطط ، وثمانية جراح من اثر شظايا القنابل ، وقطعة فضية تلحم عظام الساق ! . . وهذان المظهران الاخيران هما ، ولا ريب ، من ذكريات الحرب ! » .

ولد سنة ١٨٩٩ ، وتوفي سنة ١٩٦١ في ظروف غامضة .

أو.هنري

O. Henry

من تحسب أنه أعظم كاتب قصصي في العالم ؟

لا شك في أن أكثر المثقفين ثقافة غربية قرأوا بعض مجموعات أو . هنري القصصية التي تضم أكثر من ٦٠٠ قصة والتي بيع منها أكثر من ٦ ملايين نسخة ، وتُرجمت إلى كل لغة حيّة بما فيها : اليابانية ، والاسبيرانتو (اللغة العالمية) والتشيكوسلوفاكية ، والداغركية ، والسويدية ، والنرويجية ، والفرنسية ، والالمانية ، والروسية ، وغيرها . وقد عُرف بأنه موباسان أميركا .

وحياة هذا الأديب ـ واسمه الأصلي وليام سدني بورتر ـ أبلغ مثال على صراع الإنسان ضد عناصر الاخفاق ومعاكسات القدر الغاشم ، ومع ذلك فقد حالفه النجاح على الرغم من العقبات التي اعترضت سبيله .

أبصر النور في غرينزبورو ، بولاية كارولاينا الشمالية ، في ١١ أيلول ١٨٦٢ ،ولم يتلقّ سوى الدروس الابتدائية ، ولم يرَ الجامعة في حياته حتى من الداخل ، ومع ذلك فان قصصه تُدرّس على أنها مثال رائع لحسن السبك والاسلوب الانشائي في نصف جامعات العالم . وكانت بنيته نحيلة ، وخُشي عليه من الموت بداء السلّ ، فنصح له الاطباء بالعيش في

الهواء الطلق ، فعمل بنصيحتهم ، وراح يتعاطى رعاية الماشية في جبال تكساس وبراريها ، حتى استرد عافيته .

وكانت ثالثة الاثافي دخوله السجن ، بسبب بعض اخطاء ارتكبها في دفاتر حساباته ، في اثناء عمله اميناً للصندوق في احد مصارف مدينة أوشن في ولاية تكساس . فقد اعتاد رُعاة البقر واصحاب قطعان الماشية في تلك الارجاء أن يدخلوا إلى المصرف في أي وقت ، يتناولوا ما يشاؤون من المال بعد أن يوقّعوا الايصالات بالمبالغ التي يقترضونها .

وذات يوم اقبل على المصرف احد مدققي الحسابات الرسميين ، فكشف على حسابات هذا المصرف فوجد الصندوق ناقصاً ، وكانت النتيجة ان اتهم أو . هنري ، امين الصندوق بالاختلاس ، وزُجّ في السجن ـ مع أنه لم يمدّ يده إلى دولار واحد من اموال المصرف ـ ليقضي فيه خمسة اعوام .

وكان سجنه في بادىء الامر ضربة قاسية عليه ، بل كارثة عظمى . . . ولكنه افاد منه افادة عظيمة ، فقد عكف خلال المدة التي قضاها مسجوناً على كتابة القصص الرائعة التي جعلت اسمه محترماً محبوباً في كل بقعة يتخاطب أهلها باللغة الانكليزية . وليس من المغالاة في شيء القول انه لولا دخوله السجن لما فكر يوماً في الكتابة وتوفي في ٥ حزيران ١٩١٠.

ويلز

H. G. Wells

لأكثر من مائة سنة خلت كان رهط من الأولاد يلعبون في شوارع ضاحية من ضواحي لندن ، فتناول صبي كبير رفيقاً له صغيراً يدعى برتي ويلز وقذفه عالياً ، وبدلاً من أن يتلقاه وهو يسقط تركه يقع على الأرض ، فكسرت ساقه .

لازم برتي فراشه وهو يتلوى من الألم ، وقد شدت ساقه إلى قطعة معدن ثقيلة . إلاّ أن العظمة المكسورة لم ترجع إلى مكانها السابق . فاضطر الطبيب إلى إعادة كسرها . ويعجز القلم عن وصف الآلام المبرّحة التي عاناها برتي الصغير .

بدت تلك التجربة وقتئذ كمأساة ، ولكن برتي سرعان ما أيقن أن اقامته هذه المدة الطويلة في السرير كانت من حسن طالعه . إذ أصبح بفضل ذلك الأديب العالمي المعروف هـ . ج . ويلز ، صاحب المؤلفات القيّمة التي جاوزت الثلاثين مجلداً . وقد صرّح هو نفسه بأن حادث كسر ساقه يُعتبر أفضل حدث في حياته كلها . لماذا ؟ لأنه بسببه اضطر ألى ملازمة البيت عاماً بكامله ، التهم خلاله كل كتاب وقعت عليه يداه لأنه لم يكن ثمة شيء آخر يستطيع عمله . فكانت النتيجة أنه غذّى في نفسه ملكة المطالعة ، وتذوّق الأدب . وكان ذلك كافياً لاثارته ، وإلهامه . فقرّر أن يرتفع عن بيئته المملّة . والحقيقة أن تلك الحادثة التي كسرت فيها ساقه كانت نقطة التحوّل في حياته . . .

يأتي ويلز (١٨٦٦ ـ ١٩٤٦) في طليعة الكتّاب والمؤلفين الذين أثروا من نتاج قلمهم ، وقد بلغ ما درّه عليه يراعه زهاء مليون دولار ، مع أنه ترعرع وسط الفقر والبؤس .

وكان والده من لاعبي « الكريكت » المحترفين ، يدير حانوتاً لبيع الأواني الفخارية والخزف المطلي ، يترجرج فوق هاوية الافلاس . وقد أبصر هـ . ج . ويلز النور في ٢١ أيلول ١٨٦٦ ، في غرفة صغيرة فوق هذا الحانوت ، في بلدة بروفلي من أعمال « كنت » .

وما لبث حانوت الخزف والأواني الفخارية أن أفلس ، ووقعت العائلة في عسر وضيق ، فاضطرت الأم أن تعمل مدبرة في أحد البيوت الكبيرة في « ساسكس » . وكانت تقيم مع الخدم ، وكان ابنها يذهب

لـزيـارتهـا بـين الحـين والآخـر . ومن هنـاك تسـربـه إلى حياة المجتمـع الانكليزي ـ من جناح الخدم .

بـدأ واضع «ملخص التاريخ» حياتـه كـاتبـاً في مخـزن لبيـع «الخـردة» والمنسـوجات وهـو بعد في الثـالثة عشـرة من عمره . فكـان عليـه أن يستيقظ في الخـامسـة صبـاحـاً فيكنس الأرض ويشعـل النـار في المـوقـد ، ويكـدح ، دون راحـة ، أربـع عشـرة سـاعـة في اليـوم . ولكنـه مـا لبث أن مـلّ عمله هـذا في نهايـة أول شهـر ، فصـرفـه صـاحب المخزن بحجـة أنـه مهمـل ، عديم الترتيب ، مزعج .

واشتغـل مدة شهـر كـذلـك كـاتبـاً في مخـزن أدويـة . ثم عـاد فعمـل كـاتبـاً في مخـزن امتعـة حيث بقي وقتـاً أطـول من ذي قبـل لاضـطراره إلى كسب قـوتـه اليـومي . وكـان يختلس اللحـظات لمـطالعـة مؤلفـات هـربـرت سبنسر في قبو المؤونة التابع للمخزن .

وكـانت هـذه نقـطة تحـوّل أخـرى في حيـاة ويلز ! فهـو لم يتـردد في القـول أن السنوات الـطويلة القاسيـة المملّة التي قضاهـا في العمل في مختلف الحـوانيت كانت نعمـة وبركـة عليه . فقـد كان في طبيعتـه كسولاً ، بليـداً ، خاملاً ، فعوّدته الحوانيت العمل .

وبعـد سنـوات قليلة من ممـارستـه مهنـة التعليم اتفق ان اشتـرك في مبـاراة كرة قـدم . واحتدم اللعب فصـدم صدمـة أوقعتـه أرضـاً ، فـداستـه الأقدام ، وكاد يشرف عـلى الهلاك . وسحقت إحـدى كليتـه واصيبت إحـدى رئتيـه من جراء ذلـك ، ونزف فيه دم كثير ، حتى ان الاطباء قـطعوا كـل رجـاء من بقـائه في قيـد الحياة ، فعـاش الشهـور الـطوال يخيم عليـه شبح المـوت الـرهيب المحتم . وبقي اثنتي عشرة سنـة بعد شفـائه يعيش عليـلاً عاجـزاً ، يتشبث بأهداب الحيـاة الواهيـة . ومـع ذلـك أتيـح لـه أن يغـذي في نفسـه الملكة التي أذاعت اسمه وشهرته في العالم المتمدن .

وأكبَّ على الكتابة والتأليف دون هوادة طوال خمس سنوات . ولكن سرعان ما تبين له ان كل ما خطه من كتب ومقالات وقصص لا قيمة أدبية له فلم يتردد في جعلها طعمة للنيران .

وبالرغم من حالته الصحية السيئة عاد إلى سلك التعليم . وكان بين الطلبة والطالبات في صف علم الحياة (البيولوجيا) صبية جميلة تدعى كاثرين روبنز . فما لبث أن أيقن أن اهتمامه بالطالبة الحسناء يفوق اهتمامه بعلم الحياة . وكانت ضعيفة البنية ، سقيمة مثله . فأرادا أن يعبّا ما وسعهما من السعادة دون ابطاء ، فتزوجا . وعادت اليه قواه وحيويته كأعجوبة . وبرهن على أنه حقاً « دينمو » بشري ، فراح ينتج الكتب بمعدل مجلدين كل سنة ، وجميعها من المؤلفات القيّمة التي لها أبعد الاثر في العالم .

كان عقل ويلز مستودعاً للآراء والأفكار ، وكثيراً ما كان ينهض وسط الليالي لتدوين فكرة طرأت له . وقد صرح هذا الصبي الكسول الذي طرد من عمله في الحوانيت التي أراد أن يكسب منها عيشه في مستهل حياته ، ذات مرة ، بأن في مفكرته من المواد ما يكفي لأن يشغله في الكتابة والتأليف قرناً ونصف القرن من الزمن .

كان يستطيع أن يكتب أين شاء ، . في مكتبه في لندن ، أو في القطار ، أو تحت مظلة واسعة على رمال شاطىء البحر الابيض المتوسط . . . وقد استأجر دارتين جميلتين على ساحل الريفييرا الفرنسية جعل من الواحدة مكتباً ، ومن الاخرى داراً للضيافة . فكان ينصرف إلى الكتابة طوال يومه ، ولا يتفرّغ لضيوفه إلا في المساء .

* * *

مع الخالدين من الشعراء

بايرون

Lord George Gordon Byron

شاعر القوة، والعاطفة، والظرف،. جورج غوردون المعروف باسم لورد بايرون، هو في طليعة شعراء القرن التاسع عشر الذين تحولوا من الكلاسيكية إلى الأشكال الحديثة التي تتميز بالتعبير الحر، وبروز الشخصية الفردية، والتأثر الشديد العميق بجمال الطبيعة.

أبصر النور في لندن سنة ١٧٨٨، وعاش مع أمه لانفصال والديه أحدهما عن الآخر. وكان وسيماً، ثاقب النظر، رخيم الصوت. درس في دولويتش، وهارو، وكلية ترينيتي. وورث لقب لورد عن عمه لأبيه وهو في العاشرة من عمره.

نشر سنة ١٨٠٧ ديوانه الأول ساعات الفراغ فاستقبله النقّاد بفتور أقرب ما يكون إلى العداوة. فكان رده الساخر على الذين هاجموا ديوانه قصيدة تهكمية بعنوان شعراء بريطانيون ومراجعون اسكتلنديون، ثبتت مكانته الأدبية. وبعد رحلة قام بها إلى القارة الأوروبية عاد حاملاً نشيدين من ملحمته تشايلد هارولد التي نشرها سنة ١٨١٢، ولاقت رواجاً منقطع النظير. وأتبع ملحمته بمؤلفات عدة أقل منها قيمة وضخامة، في حين كان منهمكاً بمغامراته الصاخبة في المجتمع اللندني.

تزوج سنة ١٨١٥ الآنسة ملبانك فرزق منها ابنة، ولكنهما انفصلا بعد حوالى سنة من زواجهما. وتراكمت عليه المشاكل ـ إلى جانب مشاكله العائلية ـ فهجر انكلترا إلى الأبد. . .

التقى شللي في جنيف وأصبحا صديقين حميمين. وكانت هذه الفترة من حياته في أوروبا عاصفة. وقد صوَّرها في شعره أصدق تصوير وأروعه. فأتم تشايلد هارولد، ونظم سجين شيّون، ومانفريد، ونحيب تاسو، وكلها قبل سنة ١٨١٩ التي وضع فيها مازيبا، وأكمل قصيدته دون جوان. ووضع في هذه الفترة من حياته عدداً من المسرحيات.

وفي سنة ١٨٢٣ رحل إلى اليونان ليساعدها في حربها للتحرر من السيطرة التركية، فكان عمله رائعاً في تنظيم الكفاح. وقد أصيب بالمرض أثناء عمله، وتوفي بالحمى في ١٩ نيسان ١٨٢٤. وذاعت شهرته في فرنسا، وكانت قصائده مصدر وحي للكثيرين من الكتّاب والرسامين الذين أنصفوه أكثر من زملائه البريطانيين. . .

كان لورد بايرون قوي الحافظة، يمكنه ترديد كل ما نظم من قصائد حرفاً حرفاً، في حين كان السر ولتر سكوت ضعيف الذاكرة إلى حد بعيد. ومن طريف ما يؤثر عن هذا الأخير في هذا الصدد أنه أطرى يوماً قصيدة من نظمه ظناً منه أنها للورد بايرون.

في ٣٠ تموز ١٩٣٠ ظهرت في إحدى الصحف صورة من الصور اليومية التي كان يرسمها روبرت ريبلي تحت عنوان صدِّق أو لا تصدِّق وقد رافقتها العبارة التالية: «بوتسواين ـ كلب بايرون له ضريح فخم، في حين أن الشاعر نفسه لورد بايرون ليس له ضريح»!

وكان لذلك تأثير عميق الأثر في نفوس أبناء المدارس في انكلترا، واعتبروا ذلك إهانة لشاعرهم الكبير، فتنادوا إلى فتح حملة اكتتاب لجمع

مبلغ من المال يبنون به ضريحا للشاعر يليق بمكانته، يعلوه تمثال مناسب.

إليزابث باريت براوننغ

Elizabeth Barrett Browning

لما بلغت الشاعرة الانكليزية إليزابث باريت (١٨٠٦ - ١٨٦١) الخامسة عشرة أصيبت في سلسلتها الفقرية وهي تحاول امتطاء جوادها، فكان ذلك الحادث، بالاضافة إلى مرضها الرئوي والصدمة التي أصابتها إثر غرق شقيقها الأعز، سبباً في بقائها سقيمة طوال حياتها. وأصبحت الكتب عالمها. وفي سنة ١٨٤٤ نشرت ديواني شعر، فاجتذبا أنظار الشاعر روبرت براوننغ الذي رغب في التعرّف إلى صاحبتها. وتعتبر قصة غرامها من أروع القصص في تاريخ الأدب. تزوجا سراً ليقينهما من أن والدها لن يسمح بهذا الزواج. وهربا إلى إيطاليا حاملين معهما خادماً أميناً وكلباً كانت تعنى به إليزابث. ورزقا ابنهما الوحيد روبرت وايدمان براوننغ في فلورنسا. وقد توزعت سنوات سعادتهما بين لندن والقارة الأوروبية. ومن أروع ما أنتجته هذه الشاعرة قصائد من البرتغالية التي وضعتها بعد لقائها بروبرت وتبادلهما الحب. وقصة هذه الفترة التي سبقت الزواج وظلم والدها الغريب روتها لنا السينما الأميركية مؤخراً في فيلم آل باريت في ومبول ستريت. . .

قال روبرت براوننغ في شعر زوجته إليزابث: «يكشف شعرها عن طبيعة جد ملائكية تصدر عن قلب فيه قبس من النور الإلهي».

وقال عنها الناقد باري كورنوول: «كان شعرها أجمل شعر كتبته امرأة منذ قيل الشعر».

وقال ولتر سافيدج لاندور: «لست أعلم أن أحداً قال شعراً أو

يستطيع أن يقول شعراً كهذا الشعر في أي عصر من العصور. وقد أصبحت به نصف سكران».

أما إليزابث نفسها فكانت تقول إن زوجها يستحق المديح أكثر منها عشرين مرة!

روبرت براوننغ

Robert Browning

وُلد روبرت براوننغ في إحدى ضواحي لندن في ٧ أيار ١٨١٢. وكانت دراسته مزيجاً من الدراسة الرسمية في المدرسة والمطالعات الشخصية التي استطاع بواسطتها أن يتقن اللغات الفرنسية، واللاتينية، واليونانية، ويتعلم الموسيقى، والتصوير. وقد اشتهر كراقص، وراكب خيل، وملاكم، ولاعب سيف. تأثر كثيراً بكتابات الشاعر شللي، ونشر وهو في العقد الثاني قصيدة لم يوقعها باسمه، هي مديح في شيللي. وكانت قصيدة باراسيلوس أولى قصائده التي حملت اسمه، وقد نشرها بعد سنتين. وكان روائياً مسرحياً ناجحاً وضع العديد من التمثيليات الشعرية أشهرها بيبا تمر التي تتضمن هذا البيت المعروف: «الله في السماء، كل شيء على ما يرام في العالم!» الذي يلخص تفاؤل براوننغ المرح.

وتؤرخ هذه الفترة من حياته تعرّفه بإيطاليا حيث قضى أسعد أيامه. ذلك أنه في سنة ١٨٤٦ تزوج، هذا الذي اشتهر بين الشعراء برجولته وقوته، من الفتاة النحيلة السقيمة إليزابث باريت وحملها إلى إيطاليا. وقد كانا، كلاهما، مخلصين لهذه البلاد، واهتما اهتماماً خاصاً بحركة تحريرها وتوحيدها.

وعلى أن نتاج براوننغ الأدبي خلال حياته الزوجية لم يكن غزيراً،

إلا أنه بعد وفاة زوجته وضع أروع قصائده.

وعاد إلى انكلترا حيث احتل مقامه المرموق في عالم الشعر. وقد حصل على شهادة فخرية من جامعة أوكسفورد سنة ١٨٦٧. وفي أواخر أيام حياته عاش حياة شبه منعزلة، ومات في منزله في البندقية (فينيسيا) سنة ١٨٨٩. وهو مدفون في ركن الشعراء في كاتدرائية وستمنستر.

بوب

Alexander Pope

ألكسندر بوب من أدباء انكلترا وفلاسفتها المرموقين في القرن الثامن عشر. كانت له في عصره السيادة الأدبية. كتب نثراً وشعراً، فأجاد في اللونين الأدبيين. إلا أن الكثيرين من نقاده تساءلوا، وما يزالون إلى يومنا هذا يتساءلون، هل كان بوب شاعراً حقاً؟ وإلى اليوم لم يصلوا إلى الحل المنشود، ولم يقولوا الكلمة الفصل في هذا الموضوع. ولكن ما الفائدة من حل هذه المشكلة؟ فإذا لم يكن بوب شاعراً حقاً فإنه بلا ريب أديب كبير تخوّله كتاباته النثرية احتلال أرفع مقام في دنيا الأدب الانكليزي.

أحب بوب اللغات القديمة منذ نعومة أظفاره وأظهر ميلاً شديداً إلى درسها والتعمق فيها. وكان له ما أراد، فقد تتلمذ لراهب كاثوليكي أظهره على كنوز الاغريق واللاتين الأدبية، فأتقن لغتي أثينا وروما القديمتين.

وفي الثانية عشرة من سنه نظم قصيدة بعنوان «نشيد العزلة» أهداها إلى الشاعر دجون درايدن. ولم يكد يشرف على الحادية والعشرين حتى وضع مذهبه في النقد، وهو شعر يذكّر بقطعة بوالو الفرنسي في الفن الشعري.

ونقل شعراً أوذيسة هوميروس إلى الانكليزية، فأكسبته شهرة فوق شهرته: وتُعدّ ترجمته لرائعة الشعر الاغريقي من طُرف الشعر الانكليزي الخالدة. وصوّر بوب نفسه وهو على فراش الموت في حالة النزع الأخير بهذه الكلمات: «ليس ثمة شيء يستحق الذكر في هذه الحياة الدنيا كالصداقة والفضيلة. فالصداقة هي جزء لا يتجزأ من الفضيلة نفسها». فقد كانت الفضائل الانسانية جميعاً مجسّدة في هذا الأديب الانكليزي، يعترف له بذلك خصومه قبل مؤيديه ومحبيه، وقادري فنه.

كان بوب يميل في كتابته إلى الجد والصراحة والصدق، وإبراز الحقيقة المجردة. أما أسلوبه الكتابي فكان فاتراً، بل بارداً بعض الشيء، يمتاز بتنميق العبارات، والتزويق، والصناعة اللفظية.

كان ذكياً، وذا ذوق أدبي رفيع.. ولم يكن شاعر الطبيعة بقدر ما كان شاعر الفن، وشاعر الشخصية.

وشاعر الشخصية والحياة المصقولة، يؤثر فيه زي العصر، بل زي الساعة، أكثر مما يؤثر فيه قانون الطبيعة الصارم الذي لا يتبدّل، ويفضّل ما هو اصطناعي من الأشياء الخارجية على ما هو طبيعي.

ومما لا شك فيه أن تفوّق بوب الشعري كان في تصغير الأشياء بدل تكبيرها وتعظيمها، في الصدّ بدل الحض والتشجيع على الاندفاع، في التقطيب لأدنى تفريط في العواطف وإظهار الشعور بدل غض النظر عنها.

بيد أن مؤلفات بوب الأديب لم تخلُ من هفوات متعددة في الصرف والنحو والأسلوب. قال الناقد الانكليزي هازليت في معرض كلامه على أسلوب بوب الانشائي إنه أسلوب أعرج في بعض المواضع، وبعيد كل البعد عن الكمال من حيث التركيب الصرفي والنحوي.

بُودلير

Charles Baudlaire

شارل بودلير (١٨٢١ - ١٨٦٧)، زعيم الرمزية، أو المدرسة الشعرية الحديثة، شاعر اللذة والألم، من أبرز شعراء فرنسا في القرن التاسع عشر، صاحب مجموعة أزهار الشر. قصائد غنية بالصور، والخيال البكر، والعاطفة المتأججة الجامحة، لها رنة موسيقية عذبة. قيل بحق إن المأساة التي دارت فصولها في نفس بودلير وضميره هي المأساة نفسها التي تعاقبت مشاهدها على مسرح القرن التاسع عشر منذ بزوغ فجره إلى غروب شمسه.

كان بودلير فناناً ماهراً يرمي إلى الكمال في قصائده، فإذا أخطأ هذا الهدف الاعلى ترك الشعر والقافية إلى الشعر المنثور، فأجاد في النوعين. وهو في شعره يذكّر براسين أكثر مما يذكّر بفكتور هوغو.

وكان يتقن الانكليزية فنقل إلى الفرنسية ما خطته يراعة الكاتب الأميركي إدغار آلن بو. وصنّف عدة قصائد باللغة الانكليزية.

عندما ظهر ديوانه أزهار الشر شنت الصحف عليه حملة عنيفة فسحت السبل للملاحقات قضائية. فصودر الديوان بتهمة انتهاك بودلير حرمة الآداب العامة. ومثل أمام المجلس التأديبي فحكم عليه بجزاء

نقدي قدره ٣٠٠ فرنك، وحذف بعض قصائد الديوان.

على أن أشهر أدباء العصر قابلوا بالاستنكار هذا الحكم الذي لم يسبق لقضاء أن أصدر مثله. وكتب فكتور هوغو إليه يقول: «لقد قُلدتَ واحداً من أندر الأوسمة التي يستطيع النظام الحالي أن يمنحها. فما يسميه عدله حكم عليك باسم ما يسميه آدابه. وهذا إكليل آخر. فأنا أصافحك أيها الشاعر!»

لم يكفّ بودلير يوماً عن المطالبة برد شرفه إليه، وظل فريسة الألم والقنوط، يعيش في عزلة، على الرغم من مختلف مظاهر التشجيع التي أحاطه بها كبار الأدباء.

كتب شارل بودلير في عام ١٨٥٧ يصف قضاته بعد أن تفرّس في ملامحهم في إحدى المحاكم الباريسية: «إنهم دميمون، ولا تختلف قلوبهم عن وجوههم!» ذلك بأن بودلير كان قد أوقف بتهمة إفساد الأخلاق بنشره ديوانه «أزهار الشر». وقد احتج بشدة على الغرامة التي فرضت عليه.

وفي الأسبوع الأخير من أيار ١٩٤٩تقدم « جماعة الأدباء »بعريضة إلى محكمة النقض والابرام الفرنسية، بموجب القانون الصادر قبل ذلك بثلاث سنوات، يطالبون فيها بإزالة اللطخة التي علقت بالشاعر بودلير ونقض الحكم الجائر. وقد برئت ساحة صاحب «أزهار الشر» بعد مرور ٩٢ سنة على «تجريمه». ومما يذكر أن المدعي العام كان من مؤيدي طلب جماعة الأدباء.

وهذه إحدى روائع شعره المنثور باللغة الانكليزية:

« دعيني أتنشق طويلاً عبير شعرك،

دعيني أدفن في شعرك وجهي ورأسي، كما يدفن الظمآن شفتيه في

الينبوع الرقراق الصافي يعبّ منه حتى يرتوي،

دعيني أداعب بأناملي خصله المتجعدة البديعة لأبعث في الجو الذكريات الحلوة!

آه لو تعلمين كل ما أرى! وكل ما أسمع! وكل ما أشعر به في فرعك! إن نفسي تسبح فوق سحب العطر كما تسبح نفوس بعضهم على أنغام الموسيقى.

في شعرك حلم جميل كامل،

ملؤه الأشرعة والسواري،

فيه بحار فسيحة تهب فوقها نسمات لطيفة تحملني على أجنحتها إلى حيث الطقس البديع.. إلى فضاء أعمق وأشد زرقة، إلى حيث الجو يعبق بأنواع الأريج... أريج الأثمار، وأوراق الشجر الخضراء، والبشرة البشرية. في خضم شعرك تمر تحت ناظري رؤى ميناء تتعالى منه أناشيد شجية مؤثرة، تتجاوب أصداؤها هنا وهناك،

أناشيد بحارة من جميع الأمم تقلهم سفن من مختلف الأشكال والأحجام تعكس دقيق صنعها وهندستها على أجواء واسعة تتراقص عليها بلطف مويجات دافئة مغناج!

في مداعباتي لشعرك الناعم أستعيد ذكرى تهالكي، متعباً، على مقعد وثير في حجرة من حجرات سفينة رائعة تتهادى على صفحة الميناء المتماوجة، في تلك الحجرة المزدانة بآنية الزهور اليانعة والماء المنعش!

في شعرك الدافىء أتنشق رائحة التبغ تخالطها رائحة الأفيون والسكّر،

في ليل فرعك أرى أفق المناطق الحارة اللازوردي اللامتناهي يشعّ باهراً،

على ضفاف شعرك أتمرغ في رائحة القار تخالطها رائحة المسك الزكية، ورائحة زيت الفستق...

بوشكين

Alexander Pushkin

شـاعر روسيـا الأكبر، بـل أمير شعـرائها وواضـع الحجـر الأسـاسي في الأدب الـروسي، أبصر النور في مـوسكو في ٢٦ أيـار ١٧٩٩. وقـد نشر أول مقـال له في مجلة «أخبـار أوروبا» وهـو بعـد في الخـامسـة عشـرة من عمـره، وكان بعنوان «إلى الصديق الشاعر».

تخـرَّج في الكليـة الثانـويـة سنـة ١٨١٧. وفي سنـة ١٨١٩ اشتـرك في جلسـات جمعية «المصبـاح الأخضر» الأدبية التي كـانت على اتصـال بجمـاعـة الـدسمبريـين السياسيـة، وهي «جماعـة من الثـوريـين النبـلاء الـذين كـانـوا يستهدفون ضرب الأوتوقـراطية القيصـرية ونـظام القنانـة في الزراعـة وإقامـة نـوع من حكم ديموقـراطي في روسيا. وقـد أعلنـوا عصيـانـاً سنـة ١٨٢٥ في شهر «دسمبر» [عُـ]ـرفوا، من ثم، بـالدسمبـريين. واستـطاع القيصر نقولا الأول إغـراق هـذا [العصـ]ـيـان في الـدم، لأن الـدسمبـريـين كـانــوا معـزولــين عن الشعب، ولا قــوة لهم إلا في بـعض أوســاط الجيش. عــلى أن حــركـتهـم كانت مقدمة للنهوض الثوري العظيم في روسيا».

وقـد نفي بوشكـين سنة ١٨٢٠ إلى جنـوب روسيا فقضى زهـاء سنتـين متنقـلاً في هذا الجـزء من روسيا حتى وصـل إلى شبـه جـزيـرة القـرم. وكـان دائم التنقـل بسبب نشـاطـه الثـوري، إلا أن تنقّله هـذا لم يحـل بينـه وبـين الانتـاج الأدبي الغـزيـر. ومن روائعـه نـذكـر روايتيـه الشعـريتـين: أوجـين أونيـيجـين، وروصلان ولـودميلا، والمـأسـاة التـاريخيـة بـوريس غـودونـوف، والـروايـة التـاريخيـة بنت الضــابط، وحكـايــات بيليكـين، ومــوتسـارت، وساليري، وضيف من حجر، وحكاية الملك سَلطان، وسواها...

كان بوشكـين عبقريـاً تحسس عبقريـة الشعب الذي نبت منـه وجلاهـا

في أسمى معانيها وأدقها. وكان شديد الاعجاب ببطرس الأكبر، باني مجد روسيا ومجددها.

يقول ميخائيل نعيمة عن بوشكين:

«قيل عن ذي القرنين إنه كان يحسد بطل طروادة لأن الأقدار قيضت له هوميروس شاعراً يذيع أخباره في الخافقين. ويقيني أنه لو جاء بعد بطرس الأكبر لحسده على بوشكين. فأنتم إذ تقرأون كل ما نظمه بوشكين في بطرس الأكبر تشعرون أن هذا الشاعر الفذ ما مجّد باني «بلميرة الشمال» إلا لأنه شام فيه عبقرية تضاهي عبقريته ،حتى أنكم لتحارون في الرجلين أيهما الأعظم. إن يكن بطرس الأكبر قد بنى امبراطورية قوية ،فبوشكين قد خلق لغة غنية وشاد مملكة أدبية. وأكاد أقول إنه قد خلق أمة جبارة. فليس من يعلم مدى تأثيره في بعث القوى الروحية والمادية الماثلة الكامنة في أعماق الطبيعة الروسية».

كتب أمير شعراء روسيا الرسالة التالية إلى امرأته بعد زواجهما بسنتين، وكان الشاعر العظيم ملحقاً بوزارة الشؤون الخارجية، يقيم بعيداً عن زوجته. وفي هذه الرسالة التي تتجلى فيها روح الدعابة والنقد التي اشتهر بها الشاعر، يلوم بوشكين زوجته على تماديها في العبث والاستهتار. ووقف الشاعر من كتاب غفل من التوقيع على علاقة زوجته بالبارون جورج دانتس هيكرن، من رجال الحرس القيصري، فبعث إليه بكتاب يزخر بالسباب والكلام المقذع. فدعاه الكونت إلى البراز، وأصيب بوشكينُ بجراح مميتة، وكانت وفاته في ٢٩ كانون الثاني ١٨٣٧ .

وهذه رسالته:

«انتهى إليَّ أمس كتابك، فشكراً لك،يا عزيزتي. ولكن يبدو أنك أرخيت العنان قليلاً لطيشك، فالرجاء أن تقلعي عن هذه الخطة غير الجديرة بك لأنها لم تبقَ مألوفة، ولأنها دليل على سوء التربية، ولا فائدة

منهـا. أنت جـد مسـرورة لأن الـرجـال يتـوددون إليـك، وليس أدعى إلى سـرور المرأة من تـودد الجنس الخشن إليها. لستِ الـوحيدة بـين بنات حـواء التي تستـطيع أن تكتسب ود الـرجال. فبـراسكوفجـا بترزفنـا صيادة مـاهرة، لا يقـوى رجـل عـلى تجنب شبـاكهـا. وأين أنت من بـواسكـوفجـا؟ لِـمَ تستقبلين في البيت الـرجال الـذين يظهـرون لك الحب والاعجـاب ويتوددون إليك؟ فهل ثمة مبرر لهذا التصرف، يا عزيزتي؟

بـلاد الله واسعة، وأبنـاؤه كـثر، ولا يـدري المـرء أي نـوع من النـاس يلتقي في هذه الحياة الدنيا. إقـرأئي يا عـزيزتي، حكـاية فـوما وكـوسما. فقـد دعت فـوما صـديقها كـوسما إلى تنـاول الطعـام في بيتها، وقـدمت إليه نـوعـاً شهيـاً من السمـك وبعض «الكـافيـار». وطلب كـوسـما إليهـا أن تـأتيـه بشـراب، فلم تلبِّ فـومـا الـطلب. فلم يكن من «الضيف» إلا أن ضـربهـا ضرباً مبرحاً! وانصرف حانقاً، تاركاً فوما تولول وتملأ المنزل صياحاً.

في هـذه الحكايـة يلقي الشاعـر اسمـاعيلوف الأمثـولـة التـاليـة: أيتهـا النسـاء الجميـلات، لا تقـدِّمن إلى المعجـبـين بكنَّ سمـكـاً إذا لم تكـنَّ مستعـدات لتقـديم الشـراب، فقـد يتفق أن يكـون ضيـوفكنَّ من طـراز كوسما.

هـذا مـا أريـد أن تنتهي إليـه ، يـا عـزيـزتي، مهيبـاً بـك أن تختـاري للمـآدب مكانـاً غير بيتي. . . وبعد، فإني أقبِّلك يـا ملاكي كـأن لم يك شيء! ولا يسعني إلا شكـرك لأنـك لم تخفِ عني شيئـاً، بـل وصفت لي حيـاتـك في غيابي بكل إخلاص».

بيرنز

Robert Burns

ولد الشاعر الشعبي روبرت بيرنز في اسكتلندا في ٢٥ كانون الثاني ١٧٥٧، وكان له من العمر سبع عشرة سنة عندما نظم قصيدته الأولى. كانت أسرته فقيرة معدمة، فعمل حارثاً في إحدى المزارع ليكسب قوته. وكان شديد الولع بالخمرة، والنساء، والغناء. وقد تزوج إحدى حبيباته، دجين آرمر، التي أصبحت زوجته فيما بعد. وكان يحب فتاة أخرى تدعى ميري كامبل توفيت بالحمى، فألهمته قصيدته الرائعة « إلى ميري، في السماء ».

وفي سنة ١٧٨٦، نشر، وهو معدم محطم، ديوان شعر ليجمع مبلغاً من المال يؤمّن له السفر إلى جزيرة جامايكا حيث كان سيعمل في إحدى المكتبات العامة. ولكن رواج ديوانه فتح له باب المفاوضات من أجل نشر ديوان آخر، فنزع من رأسه فكرة السفر، وبقي في اسكتلندا، وأقام في أدنبره حيث عاش عيشة بوهيمية.

ولم تكن أيامه الأخيرة سعيدة. فقد ملّ وظيفة الجباية التي كان قد تسلّمها عقب زواجه، وأكسبه عطفه الصريح على الثورة الفرنسية عداء الحكومة.

كثيرة هي روائع بيرنز الشعرية، وكلها تفيض بالاخلاص العميق للشؤون اليومية التي يمارسها الرجل العادي، ويشعر بها، ويفكر فيها...

تشوسر

Geoffrey Chaucer

كان دجيفري تشوسر، أبو الشعر الانكليزي، رجل أعمال، وشاعراً في آن واحد. أبصر النور في لندن حوالى سنة ١٣٤٠ من أب يتعاطى صناعة الخمور. اشترك في الحرب ضد فرنسا وهو في العشرين من عمره، وأُخذ أسيراً. فافتداه الملك ادوارد الثالث، ويقال إنه عُني بتعليمه وتأهيبه للوظائف الحكومية. وبفضل زواجه في سنة ١٣٦٧ أصبح من أنسباء أحد أبناء الملك دجون أوف غونت، الذي حظي برضاه السنوات الطوال. ولمناسبة وفاة زوجة دجون سنة ١٣٦٩ أصدر تشوسر، في تكريمها، «كتاب الدوقة».

قام تشوسر في المرحلة التي تمتد بين الثلاثين والأربعين من عمره بعدد من الرحلات إلى الخارج موفداً في مهمات دبلوماسية. وقد التقى في إحدى رحلاته الشاعر الإيطالي الشهير بترارك، وكانت تلك المرحلة من حياته من أكثر المراحل ازدهاراً. فقد كان يتناول مخصصات طائلة من الأسرة المالكة إلى جانب مرتبه الضخم. وارتقى العرش رتشارد الثاني فثبتت رواتبه وتعويضاته، وتدرَّج في المناصب اللائقة. ولكن الدهر ما لبث أن قلب له ظهر المجن، ولم يبتسم له الحظ إلا بعودة دجون أوف غونت من إسبانيا سنة ١٣٨٩. ولكنه لم يعد إلى سابق عهده من الازدهار. وقد توفي سنة ١٤٠٠، ودفن في كاتدرائية وستمنستر، فكان ضريحه نواة للركن الذي أصبح فيما بعد «ركن الشعراء».

فُقد بعض مؤلفات تشوسر أو أتلف، وبين ما تبقى ترويلوس وكريسيدا، وأسطورة النساء الصالحات، وأشهر مؤلفاته على الاطلاق «حكايات كانتربري» وهي أروع صور للحياة في عصره، فيها الكثير من التفهم للطبيعة البشرية.

تنيســون

Alfred Tennyson

في سنــة ١٨٥٠ خلف لـورد ألفــريــد تنيســون (١٨٠٩ - ١٨٩٢) وليــام ودزويرث في إمـارة الشعـر في انكلتـرا. وقـد بـدأت حيـاتـه الأدبيـة بملحمـة شعريـة من ٦ آلاف بيت نظمهـا وهو في الثـانيـة عشـرة من عمـره، ووضع مسرحية شعرية وهو في الرابعة عشرة.

كـان تنيسون محـظوظاً إذ ولـد في أسـرة رفيعـة الثقـافـة، تملك خـزانـة كتب قيِّمـة. درس في بادىء الأمـر على والـده الذي لم يـرسله إلى الكليـة إلا بعـد أن صار بـوسعه أن يتلو عن ظهـر قلب كل قصـائد هـوراس. وفي كلية ترينيتي، في جامعـة كيمبريـدج، أنشأ عـدداً لا بأس بـه من الصداقـات التي لم يفصم عـراها إلا المـوت. وكان من أصـدقائـه الحميمين وليـام ثـاكـري، ووليـام غلادستـون، وتومـاس كارلايـل، وآرثـر هنـري هـالام الـذي رثـاه تنيســون بقصيدتـه «للذكرى» المعـروفة التي تعتبـر أروع ما قيـل في الرثـاء في الأدب الانكليزي بعد مرثاة ليسيداس لملتون.

كـان تنيسون وسيم الـطلعة، وصفـه غلادستـون بأنـه «كان من أجمـل الـرجـال منـظراً في العـالم». إلا أن صحتــه كـانت سقيمــة، وكـان عصبي المزاج. قام بعـدد كبير من الـرحلات، وانـزوى طويـلاً عن النـاس. رفض لقب بـارون مرتـين: من الملكة فكتـوريـا سنـة ١٨٦٥، ومن دزرايـيـلي سنـة ١٨٦٨. لكنـه رضي بأن يصبـح عضـواً في مجلس اللوردات بنـاء عـلى طلب صـديقه غـلادستون سنـة ١٨٨٣. وقـد بقي تنيسـون متمتعـاً بقـواه العقليـة والجسـدية حتى وفـاته. وقـد انسكب شعـاع القمـر عـلى سـريـر مـوتـه وهـو ممسـك بمجلد لشكسبير كـان يـطالعـه بشغف ومتعـة في سـاعـاتـه الأخيـرة. ودُفن في ركن الشعراء في كاتدرائية وستمنستر.

دانتي

Dante Alighieri

على الرغم من أن دانتي أليغييري سبق عصر النهضة كما تُؤرخ أحياناً، إلا أنه كان بشيراً لهذا العصر الذهبي الأدبي. تفتحت عينا أكبر شاعر إيطالي للنور في فلورنسا في أيار ١٢٦٥. ولسنا نعرف عن عهد صباه أكثر من أنه التقى، وهو في التاسعة، بالفتاة بياتريس التي أحبها، فكانت وحيه وإلهامه طوال حياته. كان ذكياً، شغوفاً بالدرس والمطالعة، عقد العزم منذ نعومة أظفاره على اغتراف علوم عصره. ويبدو أنه أتقن فن الموسيقى، واشترك فعلياً في الشؤون العامة.

وما أن نشر ديوانه القيِّم الأول الحياة الجديدة، حتى أصبح في طليعة شعراء فلورنسا، وفي هذه المختارات من شعره الغزلي الغنائي في صباه ومستهل شبابه يروي دانتي قصة يقظته الروحية من خلال حبه لبياتريس. وأتبع ذلك بقصائد رسخت أقدامه كأديب مرموق، إلا أنه لم يتبوأ المقام الرفيع الذي يتبوأه حتى اليوم إلا بعد ظهور رائعته المهزلة الإلهية، التي تفرَّد فيها بالأسلوب الشعري والأوزان التي أوجدها، والتي لم ينجح في النسج على منوالها أي من الذين عاصروه أو جاؤوا بعده. الحكاية فيها أقل أهمية من فلسفتها.. ففيها أوجز الشاعر حكمة عصره، وكل نواحي مسيحية القرون الوسطى.

وكان لدانتي نصيب رئيسي في حياة عصره السياسية. فقد أصبح عضواً في حكومة فلورنسا وهو في الثلاثين. وكانت الخصومة السياسية على أشدها بين حزب دانتي وخصومه، وسرعان ما انقلبت سنة ١٣٠١ إلى عداء سافر انتهى بنفي دانتي وآخرين من حزبه مدة أربع عشرة سنة خارج البلاد. ولم يُسمح لهم بالعودة إلا بعد أن يعلنوا على الملأ ندمهم

على أعمالهم، فرفض دانتي الاذعان ومضى في تجواله خارج بلاده، فريسة للفقر والألم. وقد لجأ أخيراً إلى رافينا حيث توفي في ١٤ تموز ١٣٢١.

دانتزيو

Gabreile D'Annunzio

عندما دخلت إيطاليا الحرب العالمية الأولى تحوّل غبريللي دانتزيو (١٨٦٣ ـ ١٩٣٨) فجأة من شاعر ماجن، محب للجمال، إلى جندي صلب العود، رابط الجأش، فحارب في سبيل بلاده في الأسلحة الثلاثة: الجيش (الخيّالة والمشاة)، والبحرية، والطيران. فأبلى فيها جميعاً أحسن البلاء.. وكانت مغامراته خطرة، تكاد لا تصدّق. وقد فقد إحدى عينيه في معركة جوية، واستطاع النجاة بحياته في كثير من الرحلات الجوية التي تعرضت فيها طائرته إلى الرصاص.

ووضعت الحرب أوزارها فاحتل دانتزيو مدينة فيومي الساحلية وأعلن نفسه حاكماً عليها طوال خمسة عشر شهراً، متحدياً بذلك الحكومة الإيطالية والقوات الحليفة، صامداً في وجه أوروبا جميعاً... وكان من أشد المتحمسين للحركة الفاشستية الإيطالية.

هذا البطل القومي الإيطالي كان شاعراً رقيقاً، خصب الخيال، وكان ناثراً لا يقل في نثره رقة عن شعره.. وهذه رسالة غرام كتبها إلى سيدة مجهولة بعد الحرب، زمن استيلائه على فيومي (٢٠ آذار ١٩٢٠)..

«استيقظت هذا الصباح وفي دمي شيء جديد مضطرب يسري. شممت أريج السوسن فأسكرني، وشعرت بالألم في صدغيّ. فهل سبب ذلك قرب الزهور من وسادتي؟ أم لأن النشوة لم يذهب بها نسيم الليل؟ لست أدري.

سيدتي.. إن وجهك هذا الصباح لهو محور نفسي، لكنه كان فيها منذ اللحظة الأولى.

ليس في العالم من هي أحلى منك.

ليلة أمس عندما كنت أجثو على ركبتيّ، انساب إليّ صوتك الخافت انسياب الساقية في الليل.. فرجعت بي الذكرى إلى الليالي التي كنت أسبح فيها وحيداً في نهر اللاند الصغير الجاري بين ضفتيه المرتفعتين، وفوق الرمال اللامعة البرّاقة.

إنني أتوق إلى رؤياك من جديد.. إلى احتضانك.. إلى منحك الصمت، وأخذي الصمت منك، هذا الصمت الذي ليس مكانه حنجرتك أو فمك، بل وراء أهداب عينيك...

عيناك هما الصمت والكآبة...

ماذا أفعل؟ أنا خارج الآن... ذاهب إلى التلال برفقة أناس أشداء جشعين. سأنزع غصناً من شجرة كبيرة.. وسأقطف زهرات البنفسج القاتمة من بين الصخور.. سألفظ كلمات بطولية.. وسأرى العطف الخشن في عيون الجنود الذين يرونني شاباً مثلهم.

ولكنني أود أن أكون وحدي معك في مرج يسبح بالشمس، يدي في يدك!..»

عاش دانزيو خمساً وسبعين سنة وضع خلالها خمسين كتاباً أكسبته الشهرة العريضة في عالم الأدب (الشعر والمسرحية والرواية).

وجمع ثروة طائلة أنفقها بلا حساب.. فقد كان مسرفاً إلى حد يفوق التصور.

روى صديقه وكاتم سره توم أنتوغيني في كتابه الخاص عنه أنه كان

إذا دخل حانوتاً يخرج حاملاً ستين منديلاً. وفي حين يقول أحدنا للتاجر وهو يتأمل إحدى السلع: أعندك أرخص من هذه قليلاً؟ كان دانّنزيو يقول:

ـ أعندك ما هو أغلى وأنفس؟

ولم يدخل أبداً محلاً إلا ابتاع منه شيئاً. فقد كان يقول إنه من العار أن يغادر المرء المكان وهو فارغ اليد!..

وكان كذلك مسرفاً في أناقته. فإذا لم يجد ما يشغله انصرف بكل اهتمامه إلى الاستحمام والتعطر وتبديل الملابس من مطلع الصبح إلى غروب الشمس.

وكانت خزانة ملابسه تضم أكثر من مائة بزة دفعة واحدة. وقد بلغ معدل ما كان يصل إلى دانزيو يومياً خمسين رسالة وخمساً وعشرين برقية وخمس عشرة مخطوطة. وكان شغوفاً في إرسال البرقيات، فكتب مرة مئة برقية في جلسة واحدة بعضها يناقض بعضاً.. ففي بعضها يقول إنه مستلق في فراشه، وفي بعضها الآخر يقول إنه يترجل لتوه عن ظهر جواده.

وعُرف عنه كثرة مواعيده وإخلافها. فقد عنَّ له ذات مرة أن يخلف موعداً رسمياً فأوفد سائقه إلى مدينة بعيدة ليبرق منها إلى صاحب الدعوة.. وكانت البرقية تنص على أن السيد دانّنزيو معلق فوق هذه المدينة في منطاد استكشاف ولا يدري متى يُقدَّر له الهبوط إلى الأرض.

ولم تكن مواعيده مع النساء لتختلف عن سائر مواعيده الرسمية والعادية، ومع ذلك فقد تمتع بحظوة غريبة لدى الجنس اللطيف.

ومن أطرف ما يروى عنه في هذا الصدد أنه أرسل مرة برقية اعتذار إلى سيدة كان على موعد معها، ولكنها كانت معه في منزله عندما

أرسل إليها البرقية . . .

وقد أوصى دانتزيو قبل وفاته بأن تُحفر العبارة التالية على ضريحه:
«غبريللي دانتزيو يتقدم إلى الآلهة ليعرِّفها بنفسه!»

شللي

Percy Bysshe Shelly

الشاعر الانكليزي شلّلي، شاعر البوهيمية والجمال (١٧٩٢ - ١٨٢٢)، ورث المجد والثروة، ولكنه منذ نعومة أظفاره تمرَّد على التقاليد، والسلطة، والدين. طُرد من جامعة أوكسفورد وهو في الثامنة عشرة ولم يُسمح له قط بالعودة إلى مسقط رأسه بسبب كراس أصدره بعنوان ضرورة العودة إلى الإلحاد. وفي السنة نفسها تزوج من هارييت وستبروك، شقيقة زميلته في الدراسة، وانتقلا سنة ١٨١٣ إلى لندن حيث طبع كتابه الملكة ماب للتوزيع الخاص. وهرب شللي سنة ١٨١٤ إلى فرنسا برفقة ماري غودوين، ابنة فيلسوف شهير وزوجة لا تقل عنه شهرة هي ميري وولستونكرافت. أما زوجته الأولى هارييت فقد انتحرت بعد سنتين، فأتيح له هكذا الاقتران بميري وقضاء السنوات الباقية من عمره القصير معها في سويسرا وإيطاليا.

وفي سنة ١٨١٦ وضع شللي كتابه آلاستور، وأصبح صديقاً للشاعر بايرون. وكان سر صداقته لبايرون ولعهما المشترك الشديد بالتجذيف على الرغم من أن شللي كان دائم الخوف من الغرق. ولقد تكهن مراراً بأنه سيموت غرقاً.

وفي السنة التالية أصدر ثورة الإسلام التي صب فيها كل كرهه على الظلم والطغيان. ولقد قال مرة ساخراً إنه لولا حملاته العنيفة التي

أكسبته لقب وحش الثورة المخيف لما ذاع اسمه، ولبقي أديباً مغموراً. ونظم مرثاة أدونيس الشهيرة لدى وفاة صديقه الشاعر كيتس الذي كان قد أعجب به أشد الاعجاب بعد صدور كتابه هايبيريون. فدعاه للإقامة معه في روما، فرفض . ولكنه سافر فيها بعد إلى إيطاليا بعد أن أصيب بداء الصدر. ولقد مات شللي غرقاً وهو يجذف في أحد القوارب، ودُفن بجوار ضريح كيتس في روما بعد أن أحرقت جثته في مشهد مهيب. ولم يستطع بايرون تحمل وطأة المشهد، وخانته أعصابه فمضى في سبيله.

كان شللي ينظر باحتقار إلى ملاذ الطعام ـ على الرغم من بوهيميته ـ حتى لقد كان ينسى غالباً ما إذا كان أكل أم لا.. وكان زاهداً تماماً في الأطعمة الفاخرة.

«كانت حياة شللي عبارة عن فترات متعاقبة من النوم والقراءة.. وكان يبلغ به الاعياء من فرط السهر للمطالعة أن النعاس كان يغلبه في النهار فينام فجأة في أي مكان كالطفل!.. وأثناء دراسته في أوكسفورد كان ينفق في القراءة ست عشرة ساعة من كل أربع وعشرين، بحيث كانت عيناه لا تفارقان الكتاب حتى وهو يأكل أو يمشي في شوارع المدينة أو طرقات الحقول. وكانت عادته المفضلة في تلك الفترة أن يقرأ وهو واقف ما استطاع!.. وقد روى صديقه .تريلوني أنه ترك شللي في الساعة العاشرة من صباح أحد الأيام وكان واقفاً بجوار مدفأة غرفة مكتبه يقرأ، ثم عاد إليه في الساعة السادسة من مساء اليوم نفسه فوجده ما يزال واقفاً في الموضع نفسه يقرأ وهو بادي الشحوب والاعياء، وعلم منه الصديق أنه لم يغادر مكانه أو يجلس أو يأكل منذ تركه في الصباح!»

شيللر

Johann Von Schiller

شاعر الحرية، و«بطل الأدب الألماني» ـ على حد تعبير الكاتب توماس مان ـ والكاتب المسرحي يوهان كريتسوف فرديريك فون شيللر، أبصر النور سنة ١٧٥٩ ، وكان أبوه ضابطاً في جيش فرتمبرغ، الأمر الذي أتاح له الدراسة المجانية في أكاديمية دوق فرتمبرغ. غير أن هذه الميزة حتمت عليه واجبات وفروضاً كثيرة إذ كان ميالاً إلى دراسة اللاهوت، فأُلزم بدراسة القانون ثم الطب، فضلاً عن خدمته الدوق بعد الانتهاء من الدراسة.

وفي سنة ١٧٨٠ انخرط شيللر في الجيش، وبعد سنة وضع أولى مسرحياته قطّاع الطرق فجاءت ثورة على أوضاع المجتمع. وحرص على مشاهدة الحفلة الأولى لعرض مسرحيته فذهب إلى مانهايم دون إذن مسبق ، فكلّفه خروجه على النظام أسبوعيّ سجن .

ولم يكن شيللر ليطيق نظام الجندية الصارم ، وكان رفاقه في الجيش يعيّرونه بطول قامته وبزته العسكرية التي لم تكن تناسبها ويطلقون عليه لقب «البجعة» . وقد زاده تبرماً بحياته العسكرية الصارمة أنه حُرم في طفولته من الحرية ، فلا يسعه أن يحرم منها في شبابه . . . فقد حرّم عليه الدوق الاشتغال بالأدب.

وفي ذات يوم فرّ شيللر من الجندية، فقاسى خلال العامين التاليين مرارة البؤس والشقاء والوحدة. ومع أن الجوع والبرد أثّرا أسوأ أثر في صحته إلا أنه ثابر على الكتابة ووضع مسرحيته الثانية المكيدة والحب، وهي ثورة على الطغيان كسابقتها. . .

وذاعت شهرة هذا الكاتب والشاعر الشاب الذي كرّس حياته مدافعاً عن الحرية وحقوق الإنسان.

وأقام في فايمار، مسقط رأس غوته، وعُقدت أواصر الصداقة بين الاديبين حتى عُرفت بأنها كانت أشهر صداقة بين الأدباء وأثمرها. فكان لأفكار شيللر الثائرة بعض التأثير على غوته، في حين ساهمت كلاسيكية غوته في طبع أسلوب شيللر بطابع أوضح وأدقّ.

وكانت الثورة الفرنسية، فإذا بشيللر يصبح أثير الجماهير، وإذا بحكومة الجمهورية الفرنسية تمنحه سنة ١٧٩٣ لقب مواطن شرف فرنسي تكريماً له واعترافاً بأنه شاعر الحرية العظيم.

بيد أن شيللر لم يكن قد أنتج بعد روائعه الخالدة التي تُعتبر في طليعتها ثلاثية فالنشتاين، وهي لوحة رائعة لحرب السنوات الثلاثين، وفلهلم تل، وهي قصة ذلك الإنسان الحر الذي لم يحنِ هامته قط أمام أي قوة غير مشروعة.

ولم يعمّر شيللر إلا ستة وأربعين عاماً، إذ ساءت صحته ووهنت قواه، فكانت وفاته سنة ١٨٠٥.

ولمناسبة مرور مئة وخمسين عاماً على وفاته احتفلت ألمانيا بأسرها بتخليد ذكراه، وأعادت بناء منزله الذي دمّرته قنابل الحرب العالمية الأخيرة، فغدا متحفاً يقصده المعجبون بشاعر الحرية...

وهناك حكاية عن الشاعر يرويها أصدقاؤه عنه وهي أنه ما كان يستطيع الكتابة إلا إذا وضع قدميه على لوح ثلج واستنشق رائحة تفاحة عفنة.

صَافو

Sappho

لم يعش نتاج شاعرة الإغريق الكبرى صافو حتى مطلع هذا القرن إلا في ما اقتبسه من شعرها قدامى الأدباء والمؤلفين. إلا أنه اكتُشف في المائة سنة الماضية بعض المخطوطات من البابيروس (ورق البرديّ) والرق تضم القصائد التي وضعتها صافو، وكلها تدور حول الحب وجمال الطبيعة. وتتميز شاعرية صافو بالانسجام التام بين العاطفة الجياشة وسهولة الأسلوب.

وعلى الرغم من شهرتها الذائعة قليلةٌ هي التفاصيل التي نعرفها عن حياتها. ابصرت النور حوالى سنة ٦٠٠ قبل الميلاد في ميتيلين،من أعمال لسبوس، في أسرة ارستقراطية على ما يرجح. وأُبعدت عن مسقط رأسها في جملة من أُبعد من الأرستقراطيين عقب حدوث ثورة ديمقراطية. ويقال انها ذهبت إلى جزيرة صقلية حيث راحت تدرّس فنها في مدرسة للعذارى كانت تكنّ لهن حباً شديداً. وكانت تنظم قصيدة في كل عذراء تغادر المدرسة لتتزوج. ولا يُعرف شيء عن موتها... فالأسطورة تقول انها ألقت بنفسها من صخرة لوكيديا للتخلص من حياتها بسبب حبها الفاشل للبحار فايون. ولكن ليس ثمة شيء ثابت في هذا الصدد...

طَاغُور

Rabindranat Tagore

شاعر وفيلسوف هندي من أعلام الأدب العالمي (١٨٦١ - ١٩٤١)، كان شديد الوطنية في صباه، تجاوبت أصداء التحرر في قصائده

العـديدة وأنـاشيده. إلا أن وطنيتـه هذه لم تكن لتقف عنـد حدود الهنـد، بل كان في كتاباته يرجّع صدى العاملين على تحرير بلدانهم في العالم أجمع.

كـانت أسـرة طـاغـور من الأسر الأولى التي تفتحت عـلى نفـوذ الأدب الغربي وأصبحت مرتكـز الحركـة الكبرى التي تـدعى اليوم النهضـة الهنديـة، هـذه الحركـة التي أطلقت قوى اجتمـاعية وروحيـة جبارة، وأنجبت عبـاقـرة في كـل ميدان من ميـادين النشاط الإنسـاني. وقد بلغت هـذه الحركـة ذروتها في رابنـدرانـات الـذي جمعت شخصيتـه الغنيـة ، إلى أفضـل مـا في التقـاليـد الثقافية الهندية والشرقية، النظرة العلمية الغربية الحديثة.

ولطاغور على الهند، وبـالتالي عـلى العالم، فضـل مزدوج ؛ فقـد خلق للهنـد عالماً أوسـع ممـا كـانـوا يعـرفـون، وجعـل من العـالم كله بلداً واحـداً يقطنه جنس واحد هو الجنس البشري.

ولم يتحـدث قط أحد قبله بـاستمـرار عن وحـدة الـروح الإنسـانيـة في كـل زمان ومكـان . وكان يـرى أن هذه الثقـافـات العنصـريـة ليست سـوى اختلافات سطحية أوجدتها التربة والمناخ .

ولم يُـثر اهتمام طـاغور شيء بقـدر مـا أثـاره إعـادة اكتشـاف الحلقـات المفقودة في العلاقـات الإنسانيـة السابقـة . ويذكـر السكان في جنـوب شرقي آسيـا كيف ذهب طـاغــور سنة ١٩٢٧ سفيـراً ثقـافيــاً إلى بلدانهم لإعـادة العـلاقـات والاتصـالات التي كـانت بـين شعـوب هـذا الجـزء من العـالم في الماضي البعيد .

وكـما جال فيلسـوف الهنـد وشـاعـرهـا في آسيـا كـذلـك جـال ، في العقـد الثاني من هـذا القرن ، في أوروبـا وأميركـا والشرق الأقصى ، حـاملاً رسـالة السـلام العالمي ، مبشـراً بالإرادة الـطيبـة والتفـاهم بـين الشعـوب . فاستقبلته أوروبا التي مزقتها الحرب العالمية الأولى استقبال المنقذ .

فاز سنة ١٩١٣ بجائزة نوبل للآداب تقديراً له على قصائده الإنسانية المشبعة بروح التدين والوطنية . وقد أنشأ في الهند موئل السلام ، في شنتينيكتان ، حيث أسس مدرسة الغابة الصغيرة وراح يختبر فيها ، على نطاق مصغّر ، تجربته في الإلفة الدولية . وقد دعا مدرسته هذه فسفا ـ بهاراتي (الجامعة الدولية) ، فكانت موطن ثقافات الشرق والغرب جميعاً . وتجري الدراسة فيها تحت ظلال الأشجار المزهرة ، وفي جو يكتنفه الجمال والمحبة والبساطة .

كان طاغور إنساناً رقيقاً ، طيب القلب ، وكبيراً في الوقت نفسه . . . كبيراً في كل شيء ، وفي مختلف الموازين . وقد قال عنه نائب وزير الخارجية الهندية الذي عرفه معرفة وثيقة ولازمة فترة من الزمن غير قصيرة : «إن حياتنا اليوم ، بلا شك ، أحلى كثيراً مما كان يمكن أن تكون لأن طاغور عاش بيننا !»

غوته

Johann Wolfgang Von Goethe

ليس غوته أعظم شعراء ألمانيا ، إنما هو شخصية عالمية فذّة ، أمضى طفولته في فرانكفورت حيث أبصر النور في ٢٨ آب ١٧٤٩ . التحق بجامعة لايبزيغ وهو في السادسة عشرة من سنيه ، فأصدر في هذه المرحلة المبكرة من عمره ديوانيّ شعر غزليين ألهمته إياهما علاقة غرامية . وقد درس في لايبزيغ الرسم ، وخلال فترة نقاهته من أحد الأمراض الخطرة اهتم كثيراً بالفلسفة والكيمياء واللاهوت . ومن ثم درس الحقوق في ستراسبورغ ، والهندسة القوطية سنة ١٧٧١ .

وتعرّف بالكاتب يوهان فون هيردر ، الجرماني المتحمس ، فأصبحا

صديقين حميمين ، وكان لهيردر تأثير عميق في غوته .

وفي هذه المرحلة من حياته أحب ابنة أحد الكهنة، ولكن علاقتهما الغرامية لم تدم طويلاً . وقد ألهمته هذه الفتاة شخصية مرغريت في رائعته الأدبية «فاوست» التي صدر الجزء الأول منها سنة ١٧٩٨ ، فإذا هي «مأساة دينية اختصر فيها حياته العقلية ، وأهواءه ، وتأملاته ، ونضاله الداخلي» . ولم يُصدر القسمين الثاني والثالث من «فاوست» إلا في أواخر حياته التي انتهت في ٢٢ آذار ١٨٣٢ ، في بلدة فايمار . . .

في سنة ١٧٧٤ أصدر روايته آلام فرتر ، وهي تصوير لبعض أحوال شبابه ، وخلاصة لميول عصره ، ومستهل عهد أدبي جديد . . . وُصفت بأنها أشهر قصة حب فاشل جريح . وقد اعترف نابوليون لغوته بأنه قرأها سبع مرات متوالية . . .

هجر المحاماة واعتكف في فايمار مساهماً في نهضة ألمانيا الأدبية ، فأصدر مأساته الكونت ديغمون ، واتبعها سنة ١٧٧٧ بروايته فلهلم مايستر ، ورحل إلى إيطاليا سنة ١٧٨٦ وعاد منها بعد أربع سنوات .

أحب غوته ثلاث مرّات : في بلدة فتسلار حيث مارس المحاماة ، وعلى ضفاف نهر الراين ، وفي فرانكفورت حيث أحب إحدى سيدات المجتمع وخطبها فترة من الزمن .

ودعي إلى بلاط دوق فايمار حيث أصبح وزير دولة (١٨١٥) ، فأدار مسرح البلاط الخاص ، وأبدى اهتماماً جماً بالزراعة والمناجم . وفي البلاط أحب زوجة أحد الموظفين فترة من الزمن . ثم اتخذ له عشيقة فتاة صبية تدعى كريستيان فولبيوس ، رُزق منها ولداً ، وقد جعل زواجه منها ، فيما بعد ، شرعياً .

وفي سنة ١٧٩٤ تعرّف إلى الشاعر شيللر وأصبحا صديقين حميمين أثّر أحدهما في الآخر أفضل تأثير . وبتشجيع من شيللر وضع ملحمته الشهيرة هرمان ودوروتيا . ثم نشر عدداً من قصائده الغنائية ومنها «ملك تولي» و«رقص الأموات» و«هدوء البحر» . وقد كانت هذه القصائد وسواها حافزاً للتأليف الغنائي في ألمانيا . قابل نابوليون سنة ١٨٠٨ في إرفورت وتحدّثا طويلاً عن «فرتر» ، وفي النهاية قال له الأمبراطور تلك العبارة المأثورة : «أنت رجل ، يا سيد غوته» . ومنحه صليب جوقة الشرف .

ولغوته أقوال مأثورة هي أبلغ دليل على تكامل شخصيته ، منها : «كيف يستطيع الإنسان أن يعرف نفسه ؟ إنه لن يعرفها بالتفكير ، بل بالعمل . فحاول أن تؤدي واجبك وستعلم من فورك قدر نفسك .»

و«خطأ فاحش من المرء أن يعلو بنفسه عن قدرها ، أو أن ينزل بها عما هي به جديرة .»

و«ليست التقوى غاية في ذاتها ، لكنها وسيلة . . . وسيلة يبلغ بها المرء ذروة الثقافة إذ يهيىء أخلص ما يستطيع لها من سكون . . .»

فرجيل

Virgil

أثناء مرضه الأخير طلب الشاعر الروماني فرجيل (٧٠ ـ ١٩ ق. م.) واسمه الكامل بوبليوس فرجيليوس مارو ـ رؤية مخطوطة الاينيد التي كان قد أتم نظمها ولكن لم يستطع تنقيحها وهو على فراش الموت ، بغية إحراقها لأنه خشي أن تأتي أقل كمالاً من سائر أعماله الأدبية . ولم تنجُ هذه الملحمة التاريخية إلا بأمر من الأمبراطور اغسطس . فحُفظت هذه

الرائعة الشعرية التي تعتبر أفضل ما خلّفه فرجيل ، وترفعه إلى مصاف أعظم الشعراء في مختلف العصور . إنها ملحمة تدور حول الحياة القومية والشخصية الإنسانية ـ ملحمة تمجد روما والأمبراطور .

وفرجيل ابن أحد الملاكين في مانتوي ، درس الصرف ، والنحو ، والبلاغة ، والفلسفة في مسقط رأسه ، ثم أُوفد إلى ميلانو لمتابعة دراسته . ومن هناك ذهب إلى روما حيث كان لاستاذه الفيلسوف سيرو الأبيقوري أكبر تأثير عليه . وإلى جانب دراسته الأدب ، انهمك فرجيل في دراسة الرياضيات ، والفلسفة ، والطب . ولا نعرف الكثير عن حياة هذا الشاعر الذي يرجح أنه عاد من روما إلى مانتوى لإدارة أملاك والده قبل أن يستولي عليها المحاربون القدماء الرومان على عهد الحكومات الثلاثية . وقد توفي خلال رحلة له إلى أثينا . (في ملحمة «المهزلة الإلهية» جعل الشاعر الإيطالي دانتي زميله فرجيل شخصية رئيسية من شخصياتها .)

ريدارد كبلنغ

Rudyard Kipling

أبصر ريدارد كبلنغ ، الشاعر والروائي الإنكليزي المعروف ، النور في بومباي بالهند في ٣٠ كانون الأول سنة ١٨٦٥ ، حيث نشأ وترعرع فترة طويلة من الزمن في حداثته ، مكّنته من التشرّب بالحياة الهندية وتقاليدها وعاداتها ، وجعلته يُولي كل ما هو هندي وشرقي عناية فائقة . . .

وقد أوفده والده إلى انكلترا للدراسة فذاق في سنواته الأولى ، في انكلترا ، صنوف العذاب والشقاء على يديّ السيدة التي وُضع في رعايتها . فقد كانت شديدة القسوة عليه ، لا تتورع عن ضربه ،

وتعنيفه وتوبيخه لسبب أو لغير سبب ، الأمر الذي حمله على اللجوء إلى الكتب ، والمطالعة بشغف ليبتعد عن هذا الجو الرهيب الذي كان يعيش فيه . إلا أن هذا الملجأ الأمين لم يدم له طويلاً إذ بدأ نظره يشح . فلما عادت أمه إلى انكلترا ألفته فتى نصف أعمى ، وجباناً رعديداً . فما كان منها إلا أن أوفدته إلى مدرسة أخرى بعد فترة نقاهة استعاد خلالها بعض نشاطه ، وثقته بنفسه . وفي هذه المدرسة الجديدة ، التي كانت تضمُّ أساتذة واعين أذكياء ، أدركوا ما تنطوي عليه نفسهُ من إمكانيات أدبية فذة ، فشجعوه وأخذوا بيده ، وصقلوا مواهبه ، وفتحوا أمامه الآفاق الواسعة التي برزت فيها شهرته فيما بعد .

وقد روى كبلنغ في أحد كتبه « ستوكي وشركاه » حياته في هذه السنوات التي انتهت بعودته إلى الهند حيث عمل محرراً في الجريدة المدنية والعسكرية الصادرة في لاهور . وقد زاده عمله الصحفي هذا اطلاعاً على الهند ، وتعمقاً في شؤونها ، فراح يضع القصص والروايات عن بلاد السحر والأرواح . فكانت قصصُه الأولى « قصص التلال البسيطة » التي شرع بكتابتها سنة ١٨٨٥ ، تُستخدم «سدّات» في الصحيفة التي يحررها عندما تعوزه الأنباء .

وفي السنة التالية نشر أول ديوان شعري له . . . وما لبث أن انتقل إلى مدينة الله آباد لتحرير جريدة الرائد ، شقيقة الجريدة المدنية والعسكرية . وقبل أن يعود كبلنغ إلى انكلترا سنة ١٨٨٩ طاف بالصين ، واليابان ، وأميركا . وكانت شهرته قد طبّقت الآفاق وهو بعد لم يتجاوز السابعة والعشرين .

وارتحل إلى أميركا سنة ١٨٩٢ حيث تزوج فتاة أميركية عاش وإياها في فيرمونت أربع سنوات، وضع خلالها عدداً من مؤلفاته القيِّمة. وخلال حرب البوير ذهب كبلنغ إلى افريقيا الجنوبية حيث مثّل، خلال هذه

الحـرب، دوراً إيجابيـاً ولو أنـه لم يكن رسمياً. وظـل سنواتٍ طـوالا يتناوب، مع أسرته، الإقامـة بين انكلتـرا ومنطقـة «الكاب» في جنـوب افريقيـا شتاءً. وكـان صديقـاً لسيسيـل رودس، فتعـاون مـع بـاني الامبـراطـوريـة في تنمية افريقيا وتعميرها. وقد توفي في ١٧ كانون الثاني سنة ١٩٣٦.

نال رديارد كبلنغ سنة ١٩٠٧ جائزة نوبل للآداب . ومن بين أشهر مؤلفاته نذكر روايتيه « كيم » و« غنغادين » اللتين أخرجتهما هوليود على الشاشة البيضـاء في السنوات الاخيرة . . . وله عدد من المجموعات القصصية للصغار ، والدواوين الشعرية .

دجون كيتس

John Keats

ظهـرت منذ سنـوات في السـوق البـريـطانيـة الأدبيـة ثـلاثـة كتب عن الشـاعـر دجـون كيتس (١٧٩٥ ـ ١٨٢١) دفعـة واحـدة هي: «دجـون كيتس: مقـدمـة ومختـارات شعـريـة» لـريتشـارد تشـرش، و«دجـون كيتس: عنـوان الجمال» للورد غـوريل، و«أشعـار دجـون كيتس» نشـرهـا وقـدَّم لهـا دجـون مـدلتـون مـوري. وليس أدل عـلى صحـة مـا ذهب إليـه ريتشـارد تشـرش في كلامـه عن كيتس من أن لهذا الشـاعر رسـالة خـاصـة إلى العصر الذي عاش فيه، من ظهور ثـلاثة مؤلفـات في وقت واحد عن شـاعر الجمـال الشاب.

فكيـتس، كـما يقـول تـشـرش، عـاش وكتـب في نهايـة عصر من الحروب، وإن تكن هذه الحروب تبدو تـافهة بـالقياس إلى الحـربين العـالميتين الأخيـرتـين. فهي، مـع ذلـك، حـروب لا تختلف في شيء عن الحـربـين المذكورتـين من حيث النوع، وإن اختلفت درجـة الوحشيـة والتقتيل والـدمار في كـل منهـا. ويخلص تشـرش إلى القـول إن كيتس عـرف داء عصـره.

وأورد مقطعاً من الرسائل التي تظهر بوضوح أن الشاعر لم يكن غريباً عن الأخطار الخارجية التي كانت تهدد سلامة أوروبا وآسيا. وجاء في إحدى رسائله: «إن أسوأ ما فعله (الضمير عائد إلى نابوليون بونابرت الذي يتحدث عنه الكاتب) تعليمه الروس كيف ينظمون جيوشهم الجرّارة. . . وإذا استطاع الروس أن يحافظوا على الأمن الداخلي ويقضوا على قلاقلهم في غضون سنين قليلة، فلا يُستبعد أن تمضي روسيا في فتوحاتها فتبلغ الصين. ولا أستبعد أن تنهزم الصين أمام روسيا. . . وعندئذ تقف روسيا الشمالية الأوروبية وتكشر عن أنيابها في وجه سائر أوروبا».

كان كيتس في الواقع يعكس الرأي العام في أيامه، ومخاوفه، فلم يبتدع شيئاً. . . غير أن المقطع السابق يحمل على الاعتقاد بأن ليس ثمة شاعر شاب، مهما يكن مخلصاً لمبدأ الجمال، يستطيع أن يتجاهل الأحداث التي يعيش في وسطها. ويتساءل تشرش إلى أي حد ينبغي للشاعر نفسه ولشعره أن يتأثرا بما حولها، فيجيبه كيتس أفضل جواب إذ يقول: «إن السبيل الوحيد لتنمية تفكير المرء وتقويته هو العزم على عدم الاهتمام بشيء، وترك العقل صفحة بيضاء، بل ممراً لمختلف الآراء، دون أن يحاول الانحياز إلى جبهة معينة». وهنا السر في الحياة الشعرية الخالصة.

لونغفيلو

Henry Wadsworth Longfellow

من أحب الشعراء الأميركيين إلى قلوب أبناء وطنه، وقد دُعي شاعر العائلة . أبصر النور في بورتلاند، بولاية ماين سنة ١٨٠٧، وتعلّم في أكاديمية هذه البلدة ثم انتقل إلى جامعة بودوين سنة ١٨٢١. ومع أنه في

أواخر أيامه في الجامعة أظهر عناية فائقة بالأدب وفكّر في احترافه، إلا أنه إثر تخرّجه (١٨٢٥) شرع في دراسة الحقوق في مكتب والده. وطلبت إليه الجامعة بعد حين أن يدرِّس فيها اللغات الحديثة، فوافق بعد أن قام بجولة دراسية واستطلاعية في أوروبا قابل خلالها الكاتب واشنطن أيرفنغ مؤلف كتاب الاسكتشات، الذي كان قد قرأه وهو في الثانية عشرة من عمره فأعجبه كثيراً، ولعلّه الكتاب الذي ألقى ضوءاً على شاعريته المتفتحة.

وقد تميزت فترة تدريسه في جامعة بودوين بعدد من المؤلفات الشعرية وضعها لونغفيلو وأكسبته شهرة في الداخل والخارج، وعرضاً من جامعة هارفرد لتدريس اللغات الحديثة والأدب فيها، وهو بعد في الثامنة والعشرين من سنيه. وانطلق إلى أوروبا مجدداً تأهباً واستعداداً لعمله الجديد، فتعرّف هذه المرة إلى توماس كارلايل وروبرت براوننغ، وكانت ترافقه زوجته التي توفيت في روتردام. وفي صيف العام التالي (١٨٤٣) تعرّف في سويسرا إلى فرانسيس اليزابث آبلتون، من بوسطن، فتزوجها.

بدأ عمله في جامعة هارفرد سنة ١٨٣٦ واستمر ثماني عشرة سنة كانت ملأى بالجهد الأدبي. وفي هذه المرحلة من حياته أنتج أروع شعره.

وفي سنة ١٨٦١ أصابته الكارثة الثانية في حياته عندما اشتعل ثوب زوجته الصيفي من إحدى الشمعات فقضت احتراقاً قبل أن يستطيع أحد إنقاذها. ولما أصبح في وسعه استئناف عمله بعد هذه الفاجعة عكف على ترجمة ملحمة دانتي «الكوميديا الإلهية» التي أنهاها سنة ١٨٧٠، فكانت آخر عمل أدبي قيِّم ينتجه قبل وفاته في ٢٤ آذار ١٨٨٢ . . .

دجون ملتون

John Milton

يحتل هذا الشاعر المقام الثاني في الأدب الانكليزي... فالمقام الأول يتربع فيه شكسبير غير منازع. أبصر النور في لندن سنة ١٦٠٨، وكان شكسبير قد نفض يده من مسرحيته انطونيوس وكليوباترة»، والسر والتر رالي يعمل في «تاريخ العالم». درس في مدرسة القديس بولس وفي كلية يسوع في كيمبريدج. قرأ في سن مبكرة الروائع الكلاسيكية كافة في الأدبين الانكليزي والإيطالي، وقد ظهرت له قصيدتان بعد انتهاء دراسته تُعتبران من روائع شعره القصير وهما قناع كوموس وليسيداس، وهذه الأخيرة مرثاة لزميل له في الدراسة.

وفي سنة ١٦٣٩ التقى بغاليليو في إيطاليا. وفي أثناء تجواله في القارة الأوروبية بلغته أنباء ثورة الشعب الانكليزي على الملك تشارلز الأول، فقفل عائداً إلى انكلترا. وفي السنوات العشرين التي تلت وتميزت بالحرب الأهلية الضارية، وقف ملتون كل موهبته على كتابة النشرات الدينية، والاجتماعية، والسياسية، وأشهرها خطاب من أجل حرية الطباعة غير المرخص بها.

وعُيّن سكرتيراً للغات الأجنبية في مجلس الدولة في حكومة أوليفر كرومويل، فوضع عدداً من الكتب للتوزيع في الخارج يدافع فيها عن الكومونويلث الانكليزي. وأصيب بالعمى سنة ١٦٥٢، فاضطر إلى التخلي عن منصبه الرسمي، ولكنه استمر في كتابة رسائله السياسية حتى سنة ١٦٦٠ عندما عاد فتسلّم الحكم الملك تشارلز الثاني وأكره زعماء الكومونويلث على النجاة بأرواحهم. وأُحرق الكثير من مؤلفات ملتون وصدر الأمر باعتقاله. فخبأه بعض أصدقائه حتى هدأت الخواطر ضده.

وفي عزلته التي تلت دخل مرحلة جديدة من حياته وضع خلالها الفردوس المفقود، والفردوس المستعاد، وشمشون أغونستس.

لم يكن ملتون، نبي التجدد الاجتماعي، ومبدع أروع وأنبل المقاطع في الأدب الانكليزي، سعيداً في حياته الخاصة. تزوَّج ثلاث مرات ولم يسعد مع أي من زوجاته.. فالأولى كانت امرأة سطحية لم تفهمه، والثانية التي لم يرها قط يبدو أنها كانت تحبه إلا أنها توفيت بعد ١٥ شهراً من زواجهما. أما الثالثة فكانت أصغر منه بثلاثين سنة، وقد عنيت به في أواخر حياته، سوى أنها لم تكن على المستوى الذي كان يتطلبه. وقد أهملته بناته الثلاث من زواجه الأول في فترة عماه الأخيرة. كن يقرأن له بصوت عالٍ ما يريده، ولكنهن يتذمرن دائماً من هذا العمل. وكانت وفاته في ٨ تشرين الثاني ١٦٧٤.

آدم ميكيفتش

Adam Mickiewicz

يحتل آدم ميكييفتش (١٧٩٨ - ١٨٥٥)، الشاعر البولوني الشهير، الذي احتُفل بذكرى ميلاده الخمسيني بعد المئة في كل من بولونيا وروسيا منذ سنوات، مقاماً مرموقاً في تاريخ الأدب العالمي، إلى جانب بوشكين، وغوته، وشيللر، وبايرون، وهوغو.

ظهر له أول ديوان عام ١٨٢٢. وفي العام التالي أتبعه بديوان آخر، فكانت قصائده حدثاً جديداً في الأدب البولوني. فقد استوحى فيها الأغاني والأساطير الشعبية المحلية. أما قصيدته «قصيدة الشباب» لتي يتطلع فيها إلى يوم يبزغ فيه فجر الحرية والاستقلال فقد أصبحت النشيد الوطني للشباب البولوني التقدمي...

في روسيا توطدت عرى الصداقة بين ميكييفتش وشعراء الثورة كريلييف وبستوتشيف وتومانسكي وسواهم، وفي مقدمتهم أمير شعراء روسيا ألكسندر بوشكين. ومما زاد عرى الصداقة وثوقاً بين ميكييفتش والشعراء الروس الوحدة الفنية والعقائدية المشتركة فيما بينهم. أعجب أدباء روسيا بعبقرية زميلهم البولوني الشعرية، وقدروا فيه حبه الشديد لوطنه المتألم. وأزهرت شاعرية ميكييفتش في هذا الجو المشبع بالود الخالص، والصداقة الخلاقة. فإذا به ينظم أروع قصائده الوطنية وفي طليعتها ديوانه «قصائد من شبه جزيرة القرم»، وملحمة «كونراد فالنرود».

وبينما كانت الأوساط الأدبية ترحب بمنظومات ميكييفتش، كانت الأوساط الأدبية البولونية الرجعية تفرض رقابة شديدة عليها وتتناولها بالنقد اللاذع والتجريح.

وفي روسيا اتسع أفق تفكير ميكييفتش، وعمقت شاعريته، وأصبحت نظرياته وأفكاره أشياء ملموسة. وقد صدق الشاعر الروسي كوزلوف في ما قاله لزميله البولوني أودينييك في أيار ١٨٢٩ عندما قفل ميكييفتش راجعاً إلى بولونيا: «كان قوياً عندما هبط روسيا، ولكنه عاد إلى بولونيا جبّاراً»!

وفي العام ١٨٣٨ ـ ١٨٣٩ بدأ سلسلة محاضرات في جامعة لوزان، بسويسرا. وفي العام التالي انتقل إلى باريس حيث درّس في «كوليج دو فرانس» الأدب السلافي. وقد انضم في أثناء إقامته بالعاصمة الفرنسية إلى حلقة توفيانسكي الصوفية. فلما هبت عاصفة الثورة سنة ١٨٤٨ رحل إلى إيطاليا لتنظيم الفرق البولونية في صراعها ضد النمسا من أجل حرية إيطاليا وبولونيا معاً. وفي العام ١٨٤٩ أسّس في باريس جريدة يومية دعاها منبر الأمم راح ينشر فيها آراءه التقدمية، منددّاً بالظلم والطغيان، وتحكّم الطبقة البورجوازية، مؤيّداً نظام الحكم الديمقراطي.

وكانت وفاته بداء الهواء الأصفر (الكوليرا) في القسطنطينية.

هاينريش هاينه

Heinrich Heine

هاينه (١٧٩٧ - ١٨٥٦) من أشهر شعراء الألمان في قرض الشعر الغنائي والأناشيد. ضرب في ديوانه المعروف كتاب الأغاني على وتر جديد في هذا اللون الأدبي الجميل، فتراقصت أوروبا من أقصاها إلى أقصاها طرباً على أنغام الشاعر الشاب. وكانت مصدر وحيه وإلهامه ابنة عمه آمالي هاينه، التي أحبها حباً يقرب من العبادة، فانبعثت أنفاسه قصائد رائعة أكسبتها الألحان والموسيقى روعة على روعة، حتى باتت على كل شفة ولسان، شعراً ولحناً...

وبزواج آمالي فقد هاينريش مرحه، واسودّت الدنيا في عينيه، واضطربت حاله. ولكنه سرعان ما أحب تيريزا، شقيقة آمالي.

اندلعت نيران الثورة الفرنسية في باريس العام ١٨٣٠، فرحّب بها الشاعر هاينه ترحيباً حاراً، واعتبرها فاتحة عهد جديد من الحرية. فغادر وطنه، مما أغضب عمه سولومون هاينه أحد أغنياء هامبورغ، وصاحب مصرف كبير فيها، فخفّض راتبه. وفي باريس تزوج الشاعر من أوجيني ميرا التي كان يدعوها «نونوت» للتحبب. وكانت نونوت هذه خليلته قبل أن تصبح حليلته، وهي امرأة أمية، متلاف، ولكنها أحبته حباً عميقاً، وألهمته الكثير من روائعه الشعرية.

وما هي إلا سنوات حتى أصيب الشاعر بمرض في سلسلته الفقرية ألزمه الفراش الذي كان يدعوه قبر الأحياء. وفي آخر شهور حياته تعرّف إلى اليز فون كراينتز، الكاتبة الشهيرة التي كانت توقع مقالاتها باسم

مستعار هو كاميل سيلدان، فكانت الشعاع الذي أطبقت عليه عيناه، ومصدر الإلهام الأخير. وكان يلقبها بالذبابة...

لم يحظ شاعر من شعراء الألمان بمثل ما حظي به هاينه من مكانة عالية في قلوب الألمان الذين كانوا وما زالوا يتغنون بقصائده وأبياته في أناشيدهم وترانيمهم. بل لقد انتحل رجال الدولة الألمانية الثالثة قصيدته المسماة «لورلاي» وطبعوها في كتاب التلاميذ بتوقيع «شاعر مجهول».

والحقيقة أن هذا الشاعر، وإن عاش غريب الديار، إلا أنه خدم اللغة الألمانية خدمة كبيرة. فإذا كان مارتن لوثر صاحب الفضل في تكييف اللغة الألمانية لتكون صالحة للتعبير عن المعاني السماوية العميقة، وكان فيلاند صاحب الفضل في جعلها لغة سهلة اللفظ، كما كان فضل غوته واضحاً في توسيعها وتسليطها على جميع المسميات والمدلولات، كذلك كان هاينه صاحب الفضل في إعطائها شيئاً من اللطف والرونق الشاعري.

فكتور هوغو

Victo Hugo

أبصر الشاعر والروائي الفرنسي فكتور هوغو النور في بيزانسون في ٢٦ شباط ١٨٠٢. رافق في صباه والده الجنرال في جيش نابوليون إلى نابولي ومدريد. وقد تركت هذه الرحلات التي كانت ترافقها الاستقبالات والاحتفالات الرسمية الفخمة تأثيراً حياً في فكر الفتى، فإذا هي على النقيض تماماً من الحالة السيئة التي وجدت الأسرة نفسها فيها بعد سقوط نابوليون. وفيما عدا ثلاث سنوات قضاها هوغو في إحدى مدارس باريس، لم تكن دراسته تامة، ولا منتظمة. كان ذكياً في الرياضيات،

وشديد الشغف بالمطالعة. وقد ظهر أول ديوان شعري له وهو في العشرين من عمره، فلفت إليه الأنظار، ولا سيما البلاط الملكي، الذي خصه بمنحة كان في أمسّ الحاجة إليها. وتزوج رفيقة صباه أديل فوشيه التي كان يحبها شقيقه. وقد جن هذا الشقيق أثناء العرس ونقل إلى مستشفى الأمراض العقلية. وكانت أديل على جانب عظيم من الحسن والدلال، عيناها سوداوان، تضرب بشرتها إلى السمرة، وشعرها فاحم جميل تتدلى ذؤابتاه على كتفيها.

وراح هوغو يتخلص شيئاً فشيئاً من الكلاسيكية التقليدية التي كانت معروفة في الأوساط الأرستقراطية. وفي سنة ١٨٢٧ أصبح بحق وحقيق نبي الحركة الرومنطيقية في الأدب. ومُثلت له مسرحية «إرناني» سنة ١٨٣٠ فدرّت عليه ١٥ ألف فرنك. وفي السنة التالية ظهرت روايته نوتردام دو باري. وقد راجتا رواجاً كبيراً مع روايتيه لوكريس بورجيا وري بلاس. وثبّتت جميعاً شهرته الأدبية. وفي سنة ١٨٤١ أُنتخب عضواً في الأكاديمية الفرنسية، وهو في أوج مجده. ولكن بعد ذلك بسنتين اثنتين فشلت إحدى رواياته فشلاً ذريعاً، وغرقت إحدى بناته في السين. فتخلى موقتاً عن الشعر وانصرف بكليته إلى السياسة، وأصبح من الأشراف سنة ١٨٤٥. وكان هوغو في السياسة جريئاً لا يستسلم إلى العاطفة. نُفي سنة ١٨٥١ بعد تحطيم الجمهورية، ولم يعد إلى فرنسا إلا سنة ١٨٧٠ عندما انهارت الامبراطورية الثانية التي كان يكرهها. وفي خلال هذه الفترة الطويلة التي قضاها في الخارج واصل الكتابة، فأبدع، وهو على جزيرة غرنيزي البريطانية في بحر المانش رائعته البؤساء.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أن أطول جملة هي الجملة الفرنسية الواردة في رواية «البؤساء» والمؤلفة من ٨٢٣ كلمة. وقد استعمل فيها ٩٣ فاصلة، ونقطة واحدة في نهايتها. . وإن أقصر رسالتين معروفتين

هما اللتان تبادلهما هوغو وناشره. فقد أرسل الأول إلى الثاني قصاصة ورق رسم عليها علامة استفهام، ففهم منها الناشر أنه يستفسر عن روايته «البؤساء»، فرد عليه بقصاصة ورق مماثلة رسم عليها علامة تعجب، دلالة على شدة إعجابه بها!

وقد تميزت سنوات نفيه الأخيرة بالحزن والأسى إذ هجرته زوجته التي ما لبثت أن ماتت، وهربت ابنته مع ضابط بريطاني. عاش ثمانين سنة، ودُفن في البانتيون، مدفن العظماء من رجالات فرنسا. وكانت وصيته الأخيرة أن يوضع في نعش الفقراء. وقد بقي نعشه معروضاً تحت قوس النصر طوال ليلة كاملة...

أراد أحد الأميركيين المعجبين بالشاعر هوغو أن يعرف مكانته في العالم بأسره، فأرسل إليه كتاباً على مظروفه هذه العبارة: «إلى أشعر من في الأرض!» وحُمل الكتاب إلى أوروبا، وظل يتنقل بين بلدانها، ويتسلمه شاعر بعد آخر، ولكن أحداً منهم لم يجرؤ على قبوله. ووصل الكتاب أخيراً إلى فرنسا، فسلمه ساعي البريد إلى الشاعر لأمارتين فقال له بعد أن قرأ العنوان: «أرسلوه إلى هوغو!» ولكن هوغو رده ثانية إلى لامارتين. وظل الكتاب حائراً بين الشاعرين حتى سئم هوغو كثرة الأخذ والرد ففتحه، فإذا به موجه إليه!

وحياة فكتور هوغو ملأى بالطرائف، والأخبار التي تروى عن نظرة الناس إليه لا تحصى. وكذلك الحوادث التي جرت بينه وبين عظماء عصره. ومنها أن بسمارك، بطل الوحدة الألمانية، كان مشغولاً بضم الولايات الألمانية بعضها إلى بعض عندما ظهرت نوايا نابوليون الثالث في إعداد العدة لغزو ألمانيا. فما كان من بسمارك إلا أن بعث إلى فكتور هوغو برسالة تبدأ بهذه العبارة: «من عظيم ألمانيا إلى عظيم فرنسا...» راجياً الشاعر الكبير أن يوجه الشعب الفرنسي ضد نابوليون الثالث، وضد

فكرة الحرب التي كان يكرهها هوغو كرهاً شديداً.

فما كان من نابوليون الثالث إلا أن اعتقل فيكتور هوغو. فهاج الشعب الفرنسي هياجاً شديداً، وراح يهدّد الامبراطور إن هو لم يفرج عن الشاعر. وأمام الأمر الواقع، اضطر نابوليون إلى أن يرسل إلى هوغو رسالة بخط يده جاء فيها أنه عفا عنه... فغضب الشاعر وأعاد الرسالة إلى الامبراطور بعد أن كتب على ظهرها يقول:

أبريء يعفو عنه مجرمٌ   كيف تُسدي العفوَ كفُّ المجرمِ

وبمناسبة الحديث عن نابوليون الثالث نذكر الحادثة الطريفة التالية:

فبيا كان نابوليون يسير في مركبته الامبراطورية بأحد شوارع باريس الكبرى، تكاثر الناس حوله يريدون أن يتفرجوا عليه... فسرَّ نابوليون بهذه «الشعبية»... ولكنه ما لبث أن رأى الناس يتفرّقون عنه فإذا هو في مركبته وحيد ليس حوله إلا حراسه. ونظر ناحية الناس الذين تركوه فجأة فإذا هم يلتفّون في الشارع المقابل حول أحد المارة ويهتفون بحياته... ولما سأل عن الخبر، قالوا له إنّ المار الذي اجتذب الناس إليه هو فكتور هوغو.. فغضب الامبراطور وحسد الشاعر. وأمر أحد رجال الشرطة بأن ينظّم محضر ضبط بالشاعر بتهمة الإخلال بالأمن... ففعل. والطريف أن هذا المحضر وُجد أخيراً في إحدى خزانات الدولة الفرنسية، فحفظته حكومة باريس كذكرى لهذه الحادثة.

ومن أطرف الحوادث، أن الأميركيين عندما بلغتهم شهرة فكتور هوغو، طاروا إعجاباً به، ثم ما لبثوا أن أرسلوا إليه أجمل أربع وعشرين فتاة أميركية لزيارته في فرنسا والتقرّب إليه لكي يأتيهم منه نسلٌ عبقري!

هوميروس

Homer

إن ما نعرفه عن هوميروس، شاعر الملاحم الاغريقية، وصاحب الشهرة الأدبية العالمية، قليل جداً بالنسبة إلى صيته الأدبي الذائع. حتى أننا لا نعرف بالتأكيد هل كان هوميروس رجلًا فرداً أو مجموعة من الرجال. والروايات العديدة عنه تقليدية ولكنها غير موثوق بها. وهي تصفه بأنه كان ضريراً، فقيراً معدماً، ومتقدماً في السن، يتسكع من مدينة إلى أخرى.

وتختلف الروايات حول تاريخ ولادته، ويتراوح هذا التاريخ بين سنة ٦٨٥ إلى سنة ١١٩١ قبل الميلاد. وكثيرة هي المدن اليونانية التي تدَّعي أنها مسقط رأسه، غير أنها كلها تفتقر إلى الدليل الحسي الذي يثبت ما تذهب إليه. وعلى أي حال، فالذي لا يرقى إليه الشك أن القصائد الهوميرية كان لها أبلغ الأثر في الثقافة والأدب والتربية الاغريقية. فقد كان يُنظر إليها على أنها أساس للأخلاق، ومعين للعلم والمعرفة، وكتاب للبلاغة، ومقياس للنقد الأدبي.

إن أروع ما خطه يراع هوميروس ملحمتاه الأوذيسة والإلياذة اللتان تحتلان مقاماً مرموقاً في الآداب العالمية. إنها عبارة عن مغامرات شيِّقة سُبكت في قالب قصصي، تعطي فكرة واضحة عن أخلاق ومذاهب سكان اليونان في عهده مع العلم أنها لا تلقي أي ضوء على حياة هوميروس نفسه.

أما الالياذة فتروي قصة الأسابيع القليلة التي جرى فيها حصار طروادة على أيدي الإغريق، وتاريخ سنوات الحرب التسع.

وأما الأوذيسة فتسرد مغامرات البطل عوليس، أحد المحاربين الاغريق، خلال السنوات العشر التي هام فيها على وجهه بعد أن غادر طروادة قاصداً منزله في اليونان. وتُختتم قصة حصار طروادة وسقوط المدينة في أيدي المحتلين بواسطة حصان طروادة الخشبي المعروف الذي يعتبر من أشهر الخدع الحربية في التاريخ.

وولت هويتمان

Walth Whitman

عُرف باسم شاعر الديمقراطية (١٨١٩ - ١٨٩٢). انتقل والداه للسكنى في بروكلين وهو طفل. كان والده نجاراً، فلم يتلقَّ إلا دروساً ابتدائية. ولما أصبح في الثانية عشرة من عمره راح يساعد أباه في عمله، ويعمل في تنضيد الأحرف في إحدى المطابع وينشر بعض القصائد في الصحف، ومن هنا كان ميله إلى احتراف الأدب. وفي سنة ١٨٤٨ قام برحلة إلى نيو أورلينز حيث اشتغل في تحرير إحدى الصحف، فأفاد كثيراً من هذه الرحلة. ونشر أول ديوان شعر له سنة ١٨٥٥ بعنوان أوراق العشب فلم يلقَ رواجاً. فأهدى نسخاً منه إلى عدد كبير من الكتّاب الذين تراوح استقبالهم له بين اللامبالاة والتقدير. فقد ألقاه الشاعر هويتيار في النار فور مطالعته، بينما قال عنه الفيلسوف رالف وولدو إمرسون: «لقد وجدت فيه مادة زاخرة بالحكمة وخفة الروح لم يصدر مثلها من قبل في الأدب الأميركي!»

ولكن سرعان ما طُبع هذا الديوان ثلاثاً، وظل يلقى الرواج المنقطع النظير حتى ثورة التحرير التي كانت ذات تأثير بالغ في نفسه وأدبه. فأصدر سنة ١٨٦٥ ديوانه قرع الطبول الذي اعتبر أفضل ما نُشر

بوحي من هذه الحرب الأهلية.

وفي سنوات الحرب الأخيرة قام هويتمان بالتمريض في مستشفيات البلدة التي كانت تأوي الجنود. وفي سنة ١٨٦٥ صُرف من وظيفته العادية في وزارة الداخلية. ولكن بفضل تدخل بعض أصدقائه عُيِّنَ في منصب في مكتب النائب العام. وقد أصدر سنة ١٨٧١ كتابه نافذة الديمقراطية.

كانت أكثرية الأميركيين تنظر إليه على أنه شاعر متطرف، وكان له عدد لا بأس به من المعجبين في الولايات المتحدة الاميركية وأوروبا.

وقد أُصيب سنة ١٨٧٣ بالشلل الجزئي، وعاش في أواخر أيامه في كامدن، في نيو دجرزي، فقيراً معدماً إلى درجة أنه اضطر إلى بيع كتبه بنفسه على رصيف كامدن وفيلادلفيا ليكسب لقمة العيش. ولكنه احتمل بصبر جميل سوء صحته، وبؤسه، وعدم تقدير الناس له ولأدبه.

دجون هويتيار

John Greenleaf Whittier

بدأ هذا الشاعر الأميركي الذي أبصر النور في ١٧ كانون الأول ١٨٠٧ حياته الأدبية شاعراً محلياً، تخطى الكثير من العقبات قبل أن تصبح له الشهرة التي أصبحت له فيها بعد. ولم يكن والده راضياً عن انصرافه إلى الشعر ليقينه أن الأدب لا يطعم خبزاً. ولم يسمح له بأن يدخل المدرسة إلا بعد أن ساءت صحته وهو فتى من شدة التعب الذي ناله في عمله الشاق المضني في إحدى المزارع. ولكنه لم يستطع دخول الجامعة، فاكتفى بما حصّله من دروس ثانوية، والتحق محرراً في الصحف والمجلات بسبب بنيته الضعيفة التي كانت تضطره أحياناً إلى التخلي عن العمل والإقامة في المزرعة لاستعادة بعض نشاطه. وفي سنة ١٨٣١ نشر

أساطير نيو انغلاند، نثراً وشعراً.

وانضم الشاعر بعد سنتين إلى حركة تحرير العبيد، مع علمه الأكيد بأن عمله هذا لا بد أن يحطّم شاعريته وطموحه السياسي. فلما عزم على نصرة هذه القضية الانسانية كان يعتقد أن عليه أن يهجر الشعر، ولم يفطن إلى أهمية الشعر كوسيلة للدعاية إلا فيما بعد. وإلى جانب انهماكه بقضية تحرير العبيد وسائر قضايا الإصلاح نظم أبدع روائعه الشعرية. ولم ينصرف تماماً إلى الشعر إلا بعد نهاية الحرب الأهلية.

أوسكار وايلد

Oscar Wilde

أوسكار وايلد كاتب موهوب ممن أحسنوا النكتة، وأجادوا السخرية، وبرعوا في الحديث حتى بلغوا فيه القمة.. كان قصّاصاً ومحدثاً موهوباً حاد الذكاء، صاحب أسلوب رائع في الانكليزية. شق طريقه خلال عاصفة ومعارضة قوية. فما كاد يغادر جامعة أوكسفورد في طريقه إلى لندن، حتى تقبّله الناس فيها قبولاً حسناً، وكانت شهرته في الجامعة قد سبقته إليها فذاع صيته بين قومه، واشتهر بجمال حديثه، وروائع حواره، فدعوه إلى حفلاتهم وفخروا به في مجتمعاتهم وأنديتهم، فاستثمر موهبته في الحديث إلى أبعد حدود الاستثمار، وبلغ في أحاديثه الغاية، غرابة، ودعابة، ومجوناً، حتى لقد ذهب بعضهم يقول: إنه يتكلّم بلغة الآلهة، وكان صوته ينعم بنغمة موسيقية خاصة».

كان أوسكار وايلد يضرب بسهم كبير من المعرفةوالثقافة، وقد تأثر بباتر، الأستاذ في جامعة أوكسفورد، الذي كان يقول بأن الغاية من الحياة هي أن يتمتع الانسان بلذاتها على تعدد ألوانها بكل ما فيه من حدة الحواس، على نقيض زميله زاسكن الذي كان يقول بضرورة طلب

الجمال في كل شيء، على أن يرتكز على الآداب. . .

رحل سنة ١٨٨٠ إلى أميركا لإلقاء بعض محاضرات أكسبته شهرة في الأوساط الطلابية ودرّت عليه بعض المال. وهبط باريس في تلك السنة، وأقام فيها بعض الوقت فتعرّف إلى عدد كبير من الكتّاب بينهم فكتور هوغو وبول بورجيه وبول فرلين. فلما عاد إلى لندن كانت قد طبقت شهرته الآفاق فأصبح القاسم المشترك في كل مأدبة ووليمة لطلاوة حديثه.

وقد قال أحد النقّاد الانكليز: «إن من عاش في لندن في القرن التاسع عشر ولم يسمع بأوسكار وايلد يتكلم، كمن عاش في اليونان في عهد بيريكليس ولم يرَ البانتينون» .

ولقد بلغ تأثر اللندنيين بمذهب وايلد في الجمال مبلغاً حمل الشباب على الاعتقاد بأن الجمال كان قبل وايلد، ولكن وايلد هو الذي أدخله إلى العالم! . .

«كان أوسكار وايلد ذلك الأديب الذي يعتنق الجمال الحسي ولا يتورع عن المخاطرة بحريته وشرفه في الدفاع عن هذا الجمال. وإذا نحن أجلسناه في وسطه التاريخي كانَ بمثابة تمرد عنيف على عصره، يجمع بين إباحية بايرون وشللي، هذين المتمردين اللذين اضطرا إلى هجر وطنهما، واعتدال برنارد شو وويلز اللذين لم يقسط له في مثل قوتهما العقلية وتفكيرهما التوجيهي. سوى أنه يبقى نسيج وحده في التاريخ الانساني. . فقد أراد أن يوفّق بين ملذات الحس وملذات الروح فأخفق لأن القوة التي وهبته الذكاء والظرف، ووهبته القدرة على الإقناع والقدرة على التسلية، لم تهبه نعمة الحكم السليم. . .»

مع الخالدين من الموسيقيين

إركل

Erkel

ليس هذا الموسيقي المجري موسيقياً مكافحاً مناضلاً فحسب اقتحم بفنه معركة عنيدة ضد الظلم والبغي، وأفنى كيانه وكيان فنه من أجل انتصار بلاده على العدوان، بل هو رمز للكفاح والنضال في كل زمان ومكان.

أرّخ فيرينك أركل بموسيقاه نضال شعبه الذي انتفض ولم يبالِ بالحديد والنار في سبيل الوصول إلى شاطىء السلامة، وقاد هذا الشعب إلى مشارق النور.

كان هذا الموسيقي في مطلع حياته رئيساً للفرقة الموسيقية في المسرح المجري سنة ١٨٣٧ التي تقدّم ألحاناً راقصة وأنغاماً رقيقة... ولكنها أنغام وألحان سرعان ما عافتها نفسه الطامحة الوثابة. إنه ينظر إلى الموسيقى على أنها رسالة وتثقيف، وهذا النوع من الموسيقى لا يؤدي مهمته الحقيقية ورسالته الخالصة في وطنه المحتل.

ويطلب نفر من أصدقاء أركل أن يستغل موسيقاه لبث معاني البطولة والتضحية والإقدام في نفس الشعب ليهبّ لمقارعة الاستعمار والتخلّص من نير النمساويين المحتلّين. ويذعن إركل للطلب ويعكف بالتعاون مع المؤلف ايغرش على وضع أوبرا «ماريا باتوري» التي تهدف

إلى حث الشعب على الجهاد ونفض غبار الاستسلام ، ومقاومة الاستعمار النمساوي. وكان فرانتز ليست من أصدقاء إركل فأشار عليه أن يطوف وإياه أرجاء أوربا داعياً لقضية المجر بموسيقاه . ووافق على الفكرة وكادا يبدآن الرحلة لو لم يعترض سبيل إركل حادث كان نقطة التحوّل في حياته . فقد كان النمساويون يرحّلون الوطنيين الأبرياء منتزعينهم من ذويهم وأسرهم وأبنائهم . ويرى إركل مشهداً يقشعر له بدنه. . . فهذا وطني هارب يُقتل أمام عينيه فتبكيه أمه بدموع حرى.

وتوقف إركل في مكانه ولم يتقدَّم قيد خطوة ، بل التفت إلى زميله ليست قائلاً: « سأبقى هنا. . . في بلادي. . إرحل وحدك ».

ويمضي ليست في سبيله تاركاً إركل، مباركاً جهاده في سبيل وطنه.

في نفس اركل التقت آلام الشعب المجري ومحنه التي جرها عليه الاستعمار. فثار بموسيقاه التي كان يسبغها على كلمات صديقه ايغرش لدفع هذه الآلام والمحن كأنه هو وحده الشعب المستعمر، وألهب بهذه الموسيقى الحماسة في النفوس. . .

وقام الشعب المجري بثورته الوطنية الكبرى ضد الاستعمار، عام ١٨٤٨، وكان الشاعر المتحرّر بيتوفي يلقي بنفسه على المسرح المجري، وفي الشوارع والطرقات، وفي كل مكان، قصيدته الخالدة:

« انهضوا يا أبناء المجر ، لقد دقت الساعة ، فلتضعوا الحد الفاصل بين الحرية والعبودية، اقسموا بالله العظيم أن تكافحوا ولا تستعبدوا بعد اليوم».

باخ

Johnann Sebastian Bach

ينحدر يوهان سيباستيان باخ (١٦٨٥ - ١٧٥٠)، أحد مؤسسي الموسيقى المتعددة الأصوات ، من أسرة المانية اشتهرت بمن انجبت من موسيقيين. فلما أصابه اليتم في العاشرة من عمره أقام مع شقيقه الأكبر الذي ساءه كثيراً أن يتمتع باخ الصغير بمثل هذه الموهبة الموسيقية الفذة. فكان هذا يلجأ إلى الدرس والتأليف ليلاً وساعة يظن أخوه أنه مستغرق في النوم. وقد وضع الكثير من المقطوعات للقيثارة في ضوء القمر مما أتعب عينيه كثيراً.

وتوفي شقيق باخ وهو بعد في الخامسة عشرة من عمره، فاضطر أن يكسب عيشه بموارده الخاصة. وكان يعكف وهو طفل صغير على نسخ كتاب بيديه الاثنتين. وقد ظلّ كذلك ستة أشهر ،ينسخه في ضوء القمر لا في ضوء الشموع. وكان يسافر من بلدته إلى بلدة أخرى على قدميه ليستمع إلى عجوز يعزف، على الأرغن. وقد التحق بجوقة مدرسة لونيبرغ، واستطاع أن يؤمن قوته بتدريس الموسيقى. وعكف على دراسة العزف على الكمان والأرغن، والتأليف، فأتقنها جميعاً. ولكنه كان دائب السعي للوصول إلى الكمال الفني.

وتقلّب في عدة مناصب. . فعمل في بلاط دوق فايمار، وبلاط الأمير ليوبولد، وفي مدرسة القديس توما الدينية في لايبزيغ ، وفي بلاط دريزدن ، عاصمة سكسونيا. .وفي هذا البلاط انتج روائعه الدينية الخالدة. . . وفي لايبزيغ برزت شهرته الفائقة كعازف أرغن.

كان باخ رب أسرة شديدة التقى والورع، تتألف من سبعة أولاد

رزقهم من زوجته الأولى، إحدى نسيباته. وقد تزوج بعد وفاتها (١٧٢٠) بسنة صبية ذات صوت «سوبرانو» رائع، رزق منها ثلاثة عشر ولداً. وقد أصبح الكثيرون من أولاده موسيقيين. واضطره اهتمامه الشديد بتدريب أولاده التدريب الديني الصحيح إلى التخلي عن منصب رفيع والاكتفاء بمنصب عادي. وقد انعكست نظرته الدينية هذه في موسيقاه لأن الموسيقى كانت في عرفه نوعاً من العبادة. ومن أشهر مؤلفاته كونشرتو براندنبورغ، وآلام القديس يوحنا، وآلام القديس متى.

ومن أبرز الأحداث في حياته زيارته سنة ١٧٤٧، بعد الدعوات المتكرّرة، لبلاط فريدريك الكبير، الذي بالغ بالحفاوة به وأكرم وفادته. وكان لدى هذا الملك مجموعة من البيانوات طلب إلى باخ تجربتها.

وما هي إلاّ سنتان حتى بدأ نظر باخ يشح، وما لبث أن أصيب بالعمى التام... وقد توفي في لايبزيغ.

قيل ان باخ كان رياضي الموسيقى، وبتهوفن فيلسوفها، وموتسارت شاعرها...

بارتوك

Bela Bartok

أبصر بيلا بارتوك النور في بلدة مجرية أصبحت اليوم رومانية (١٨٨١-١٩٤٥). وتوفي والده فاضطرت أمه إلى مزاولة التعليم لتكسب معيشة أسرتها.. درس العزف على البيانو والتأليف في معهد بودابست الموسيقي. ولقد صرف اهتمامه في أول الأمر إلى الموسيقى الشعبية المجرية، فراح يتنقل من قرية إلى قرية جامعاً الأغنيات والألحان التي تؤلف فولكلور بلاده. في سنة ١٩٠٧ أصبح أستاذ البيانو في الكونسرفاتوار، وفي سنة ١٩٤٠ قام بعدد من الرحلات في أوروبا، والولايات المتحدة، وأفريقيا حيث

أحيي في مدنها الكبرى حفلات موسيقية كبرى . وكان يقدم عزفاً منفرداً على البيانو ويلاقي استحساناً كبيراً . وقد استقرّ وأسرته سنة ١٩٤٠ في الولايات المتحدة ، ولكن حياته كانت بائسة .

وقد توفي عام ١٩٤٥ مخلفاً للعالم تراثاً موسيقياً يعتبر مع تراث سترافنسكي وشوينبرغ أحد الأناجيل الثلاثة لموسيقى القرن العشرين .

باغانيني

Niccolo Paganini

أطلّ على الوجود في مدينة جنوى سنة ١٨٧٢ وليد جديد لم يكن إنسان يقدّر أن أنامله الرّخصة ستصبح يوماً أطرافاً سحرية تمسّ أطراف الكمان فتنبعث منه أروع الألحان.

كان الوليد الجديد نيكولو باغانيني، الذي لقب بساحر النساء. وكانت عائلته فقيرة. إلا أن الهيام بالموسيقى كان أصيلاً صميماً في رب هذه العائلة. فلم يكد نيكولو يبلغ أول وعيه حتى دفع إليه والده بمندولين طفق يمرنه عليها في أوقات الفراغ. وما لبث أن ألقى بين يديه كماناً إلى جانب المندولين.

وحذق باغانيني الصغير العزف على الكمان في وقت يسير، وشرع ينزع منه الوتر تلو الوتر، حتى لم يبق إلا وتر واحد، ومع ذلك كان في قدرة باغانيني أن يستنبط من هذا الوتر وحده فوق ما يستنبطه سواه من الكمان وهو مكتمل الأوتار.

ذاع صيت باغانيني في مسقط رأسه. وبلغ السادسة من عمره فأذنت له الكنيسة بأن يشترك في حفلات العزف أيام الآحاد. فكان كلّ من يستمع إليه يشعر بأن عبقرية جديدة تبزغ في العالم.

وفسح له كبار الفنانين في سنة ١٧٩٣ ، وكان في الحادية عشرة من سنيه، المجال في أوساطهم، فاشترك في حفلاتهم وعزف بعضاً من مؤلفاته الموسيقية. وسارع الكثيرون من المتمولين إلى مدّ يد المعونة إليه ليتم دروسه . فتوجه بصحبة والده إلى بارما يتتلمذ على يد رولا ، مفخرة إيطاليا يومئذٍ في العزف على الكمان. وكان رولا طريح الفراش لا يستقبل أحداً ولا يأذن لأي كان بالدخول عليه. فلما وصل باغانيني ووالده استقبلتهما الخادمة وأجلستهما في ردهة الاستقبال ريثما تنبىء سيدها بقدومهما. ولفتت نظر باغانيني قطعة موسيقية موضوعة على المنضدة ، فتناول الكمان ومضى يعزفها. فأصغى رولا بكل اهتمام مأخوذاً بروعة العزف، ثم هبَّ من فراشه وفتح باب الغرفة متسائلاً :

- من عزف قطعتي ؟

فأجابه باغانيني :

- أنا ، يا سيدي .

وبعد أن تأمله رولا قال له :

- ليس لي ما ألقنك إياه. . . فامض ، وفقك الله!

ولكن باغانيني لم يمضِ ، بل أقام سنتين في بارما يدرس أصول العزف والتأليف.

وفي سنة ١٧٩٠ قام باغانيني، يرافقه والده، بجولة موسيقية في أواسط أيطاليا وشمالها كان نجاحه فيها عظيماً.

« وحل موعد عيد القديس مارتان في مدينة لوك. وكانت تقام لهذه المناسبة حفلات يغزر فيها العزف الموسيقي. فعزم باغانيني أن يشهد تلك الحفلات ليسهم في العزف فعارضه والده أول الأمر لأنه لم يكن يستطيع أن يصحبه بنفسه. على أن الوالد ما لبث أن نزل عند رغبة الأبن!

فكانت المصادفة هذه مفترقاً في حياة باغانيني المثقلة بالإبداع والألم والمغامرة والشرود. لقد أحرز في لوك ظفراً غمر نفسه بالنشوة. فقرَّر أن لا يعود بعد اليوم إلى كنف عائلته. واستفزّه بطر شديد من جزاء الحرية التي أصبح يتمتع بها، ومن جراء المال الذي انصبَّ عليه انصباباً. وهكذا انغمس في غمار من الحب والشراب والقمار انغماساً دفع به في بكرة من العمر إلى براثن الداء».

بتهوفن

Ludwig Van Beethoven

مثلما قاد فولتير وروسو ثورة الفكر والأدب، قاد بتهوفن ثورة فنية من نوع آخر... فكان أول الثائرين على سلبية الموسيقى في عصره. ولما كان الطريق أمامه مليئاً بالصخور، محفوفاً بالأشواك، فقد بدأ بتطوير الموسيقى من ارستقراطية راقصة إلى شعبية راقصة.

كان مؤمناً مخلصاً في ثورته، ولذلك نجح في تخليص الموسيقى من أدران الزخارف والنعومة، وخلق لوناً من الموسيقى التعبيرية الزّاخرة بمختلف المعاني والاحساسات الإنسانية النبيلة حتى باتت موسيقاه حافلة بالمعاني والأفكار.

ولا تزال سنفونياته التسع ومؤلفاته العديدة نبعاً ينهل منه كلّ محب للموسيقى، وبمثابة النور الساطع الذي يضيء الطريق لأنصار الحياة...

ولد بتهوفن في بون (المانيا) في ١٦ كانون الأول ١٧٧٠ وتوفي في ٢٦ آذار ١٨٢٧. عاش حياة مثقلة بالهموم والأحزان، ولاقى من عنت أسرته الأمرّين.. ولعلّ الشقاء الذي أحاط بحياته هو الذي أظهر شخصيته النبيلة، وأوحى إليه بتلك الأناشيد الغنائية الرائعة.

كان يعيش من إعطاء دروس في العزف على البيانو لعدد من فتيات الأسر النبيلة، ويتكفّل بإعالة أمه المريضة بداء الصدر، وأخويه، ووالده السكير القاسي القلب الذي كان يسيء معاملته وإن كان قد انفق عليه ليتعلم أصول العزف على البيانو. وقد شاء هذا الأب أن يخلق من ابنه طفلاً عجيباً فجعله يتدرّب على عزف القيثارة وهو بعد في الثالثة من عمره.

في فيينا قابل الموسيقي هايدن وتلقى عليه بعض الدروس، وكان قد درس زمناً قصيراً على يد موتسارت. وقد أصيب بالصمم في أواخر حياته، وكان يتجنّب النّاس ويلجأ إلى الطبيعة يدوّن فيها أنغامه وألحانه، فخلق موسيقى إنسانية تعبّر تعبيراً صادقاً عن أحساس الإنسان...

قصة بتهوفن هي قصة فنان نشأ فقيراً، ومات فقيراً، ولكنّه لم يحد طوال حياته عن مبادئه العليا، وظل مخلصاً لفنه: فحينما اندلعت الثورة الفرنسية، تنادي بمبادىء الحرّية والمساواة والاخاء شارك بتهوفن الثوار بكل مشاعره وجوارحه، وكتب سنفونيته الثالثة مهدياً نابوليون إياها بوصفه أحد أبناء الثورة الفرنسية المخلصين. وأسماها «إيرويكا» أي البطولة... ولكن بتهوفن ما لبث أن مزّق الأهداء غاضباً ثائراً، حينما علم أن نابوليون جعل نفسه امبراطوراً وراح يستعمر البلاد المجاورة، ويلغ في بحر من الدماء...

كان بتهوفن يكتب موسيقاه للخلود فتنبع من أعماق روحه الكبيرة، الخلاقة، الواعية، وقلبه المرهف الكبير، مستهدياً بالمثل العليا التي تنير أمام البشرية معالم الطريق إلى العدل والمجد...

«وفي أواخر أيام هذا العبقري الأصم البائس، زاره الموسيقي الإيطالي روسيني في منزله الحقير، فلما رأى بتهوفن غلبته دموعه، فقال له:

ـ يـا مـولاي . . . سبقتني دمـوعي إلى تقبيـل الأرض التي وطئتهـا قدماك! مولاي أنت قبلة طبعتها العناية الإلهية على حياتنا جميعاً.

ولم ينطـق بتهوفن، بـل نطقت دمـوعـه. . . وأومـأ إلى زميله الايـطالي أن يجلس. وتابع روسيني كلامه:

ـ مـولاي . . أنـا استـطيـع أن أمـوت الآن دون أي أسف بعـد أن رأيتك.

واتجـه إلى أحد المقـاعـد وأزاح كسـرة من الخبـز الأسـود، وقـطعـة من الجبن، وزجاجة فيها بعض النبيذ.. جلس ولم يستطع أن يرفع رأسه. . . والتفت بتهوفن إلى البيانو وراح يحرك أصابعه بقوة. . .

ولم يقـو روسيني عـلى النـظر إلى بتهـوفن وإنمـا تسلل من البيت. وعنـدما وجـد نفسه بعيـداً عن بيت بتهوفن قـال لزميـل له: لـو بقيت هنـاك مـدة أطول لأصـابني الجنون. فـأنت لا تستطيـع أن تـرى عـظمـة الـرجـل، وفقـره في آن واحـد. . . إنـه يعيش مـع الآلهـة بفنـه، ويحيـا مـع الكـلاب بطعامه وشرابه وملبسه!»

ومما يروى عن شيـخ الموسيقى بتهـوفن أنه كـان لا يضـع لحنـاً إلا إذا صبّ على رأسه كميات كبيرة من الماء البارد.

من الشعـراء أحب بتهـوفن بلوتـارك ، وشكسبـير ، وهـوميـروس ، وغـوته، وشيللر. . ومن المـوسيقيين فضّـل هـانـدل وبـاخ ومـوتسـارت عـلى سواهم. فهذا الجبار لم يشأ أن تكون غير الآلهة دليلاً له ومرشداً.

وبتهـوفن الذي كـان خاتمـة الكلاسيكيـين وفي طليعة الـرومنطيقيـين لم يفتـأ يعبّر عن ألمـه. وها هـو يقـول في إحـدى وصـايـاه في سنـة ١٧٠٢، ولم يكن قد تجاوز الثانية والثلاثين:

« آه منكم أيها الناس الذين ترونني كئيباً، حقوداً، فظ الخلق. . .
إنكم تظلمونني هكذا. أنتم لا تعرفون السبب الغامض لسلوكي هذا. فمنذ سنيّ الطفولة تفتّح قلبي وتفتحت روحي على الرقة والطيبة. . وكان هدفي دائماً الوصول إلى الكمال، وتحقيق الأمور العظيمة. ولكن فكروا في أنني أعاني، منذ ست سنوات، من ألم لا شفاء له، زاده أطباء عاجزون.

ولدت حاد المزاج، مرهف الاحساس لمسرات الحياة والمجتمع، ولكنني سرعان ما اضطررت إلى الانسحاب من الحياة العامة واللجوء إلى الوحدة، وعندما كنت أحاول أحياناً التغلّب على ذلك، كنت أُصدّ بقسوة. . ومع ذلك لم يكن بوسعي أن أقول للناس : « ارفعوا صوتكم! صيحوا! فأنا أصمّ».

يا لشدة المي عندما يسمع أحد بجانبي صوت ناي لا أستطيع أنا سماعه ، أو أن يسمع آخر غناء أحد الرعاة بينما أنا لا أسمع شيئاً. . . . كل هذا كاد يدفعني إلى اليأس، وكدت أضع حداً لحياتي البائسة. . . إلا أن الفن. . الفن وحده هو الذي منعني من ذلك»!.

وهكذا أنقذ الفن. . بل أنقذت الموسيقى التي تفجّر النيران من نفوس الرجال، والتي تفوق قوة الحكمة والفلسفة، بتهوفن من اليأس في كل مرة كان يدفعه فيها إلى الجحيم.

برامز

Johann Brahms

كان يوهان برامز آخر الموسيقيين الكلاسيكيين الألمان الكبار. ولد في هامبورغ في ٧ أيار ١٨٣٣ ، وتلقّى أول دروسه الموسيقية على يد والده،

وما لبث أن اشتهر كعازف على البيانو. وكانت نقطة التحوّل في حياته سنة ١٨٥٣ خلال إحدى الجولات الموسيقية التي اشترك فيها برامز بالعزف على البيانو. ولم تكن البيانو «مدوزنة» دوزاناً صحيحاً فاضطر برامز إلى عزف قطعته مغيراً في مقامها مما أدهش عازف الكمان الألماني الشهير جوزف يواكيم الذي كان بين الحضور. فأعطاه رسائل توصية إلى كبار الموسيقيين آنذاك وبينهم فرانتز ليست وروبرت شومان. وقد حمل برامز إلى هذا الأخير بعض مؤلفاته فتوسم فيه العبقرية. وفي مقال كتبه بعنوان «سبل جديدة» تكهن شومان بأن برامز سيكون عظيماً.

وواصل برامز، على الرغم من شهرته، الدرس وإقامة الحفلات الموسيقية، والتأليف، وأقام في فيينا من سنة ١٨٦٢ حتى وفاته سنة ١٨٩٧، مع أنه زار إيطاليا، والمانيا، وسويسرا. وبسبب خوفه من البحر رفض الدعوة إلى انكلترا لتسلم الدكتوراه الفخرية في الموسيقى من جامعة كيمبريدج. وقد منحته جامعة بريزلاو الألمانية لقب دكتور في الفلسفة. وفي سنة ١٨٨٩ منح لقب مواطن شرف في مدينة فيينا.

احتلّ مكانته في قلوب الألمان سنة ١٨٦٨ بقطعته الجناز الألماني الذي وضعه تخليداً لذكرى الجنود الألمان الذين سقطوا في الحرب مع النمسا. ومن أحب مقطوعاته لرقصات المجرية، وأغانيه، والكونشرتات التي وضعها للبيانو والكمان، وأربع سنفونيات. لم يحاول قط أن يؤلف أوبرات. وكان إذا شهد إحدى الأوبرات يغادر المسرح قبل النهاية مبدياً دائماً قرفه من مزج الموسيقى بالتمثيل. ولم يعترف بعظمة رتشارد فاغنر كمؤلف موسيقي مع أنه لم يخلُ تماماً من التأثر به.

ومما يروى أن زوجة صديقه يوهان شتراوس، ملك الفالس، قدمت إليه «أوتوغرافها» ذات يوم طالبة إليه أن يكتب لها عبارة ويوقعها، فما كان منه إلا أن كتب المقاطع الأولى من فالس «الدانوب الأزرق الجميل»

ووقـع تحتهـا بهـذه العبـارة: « لسـوء الحظ أنني لست واضعهـا ! ـ ي . برامز » .

وكان برامز مغرماً بأرملة الموسيقي روبرت شومان ولكنهما لم يتزوجا .

برليوز

Hector Berlioz

كان الموسيقي الفرنسي هكتور برليوز (١٨٠٣ ـ ١٨٩٦) ابن طبيب أراد له والده أن يصبح طبيباً مثله ، ولكن حجرة التشريح كانت أشد وطأة عليه مما يتحمّل ، فتحول إلى دراسة الموسيقى في كونسرفاتوار باريس ، مكافحاً ضد البؤس والفقر . فقد كانت أيامه الأولى في الميدان الموسيقي عصيبة إذ ان المبلغ الذي خصّه به والده لمتابعة دروسه الفنّية لم يكن ليكفيه فاضطر إلى اعطاء دروس في العزف على الفلوت والغيتار كيلا يقضي جوعاً . وعمل ناقداً موسيقياً فوصف هاندل بأنه « برميل من لحم الخنزير والبيرة » . . وأهمل كلّاً من شوبرت وشومان ، وامتدح بتهوفن . . ولكنه كان يكره عمله هذا . فلما حصل سنة ١٨٣٠ على منحة دراسية ارتحل إلى إيطاليا . وعاد فرأى من خلال سحب دموعه دار الفتاة التي أحبها صغيراً . وكان ما يزال يحبها ، ولكنه عرف أنها تزوجت .

ووقع في حب ممثلة إيرلندية هي هنرييتا سميثسون التي ألهمته السنفونية الغريبة . تعرّف إليها وهي تغني في أوبرا « هاملت » (١٨٢٧) وهدّد بجرع السمّ إن هي لم تبادله الحب ، ولكنها لم تبالِ ، ولم تكلف نفسها عناء سماع هذه السنفونية . ولكنه انتصر عليها أخيراً وتزوجها . غير أنهما انفصلا بعد سبع سنوات من الشقاء .

وأحب فتاة روسية كانت تعمل في إحدى الجوقات الموسيقية ، فكتب من أجلها روميو وجولييت . ومن أشهر أوبراته بنفينوتو تشيلليني ، وفاوست . . سوى أن ما شهد ببراعة برليوز ليست أوبراته ولا سنفونياته وإنما مقدرته في فن التوزيع الموسيقي

الذي خلد اسمه بين أساطين النغم في أوروبا والعالم .

وعبثاً كافح برليوز طوال حياته لفرض نتاجه الموسيقي في بلاده ، ولم يعرف هذا النتاج الشهرة إلا خارجها بعد أن قام بجولة موسيقية واسعة قدّم فيها وقاد مقطوعاته ومقطوعات سواه من عباقرة النغم الكلاسيكيين والرومنطيقيين . ولولا هذا التقدير الذي لقيه في الخارج لقضى حياته بائساً معدماً .

وفي فرنسا لم يفهم أحد موسيقاه ، وقد أورثه طبعه النزق عداوة الكثيرين . . ولكن الدهر ابتسم له ذات يوم ، وأرضى كبرياءه ، وذلك عندما استمع باغانيني إلى « السنفونية الغريبة » ، فتقدم منه وخرّ راكعاً أمامه من فرط تقديره .

وكانت أيامه الأخيرة عذاباً أليماً إذ أصيب بداء الاعصاب الحاد ، ولم يجد الراحة إلا عندما رقد بسببه رقاده الأخير . . .

بروكنر

Anton Bruckner

وُلد انطون بروكنر (١٨٢٤ ـ ١٨٩٦) في قرية صغيرة من القرى النمساوية ، وتلقى بعض المبادىء الموسيقية على والده . فما ان توفي الوالد حتى التحق مغنياً في جوقة دير سان فلوريان الكنسية حيث تعلّم العزف على الارغن والكمان والبيانو . وقد أصبح فيها بعد مدرّس الموسيقى في هذا الدير . ولكنه عاش طوال حياته يشكو من مركّب النقص ، ويسعى إلى تثبيت دعائم شهرته الموسيقية بالحصول على الشهادات والجوائز الفنية . وقد تأثر كثيراً بالموسيقي الالماني رتشارد فاغنر ، وكان لاوبرا تانهاوزر لفاغنر أثر كبير في تحويله إلى التأليف الموسيقي .

ومما يؤثر عنه أنه كان لا يرى شجرة إلا ويقف ليحصي عدد أوراقها . . ولا يفتح كتاباً دون أن يعتقد أن عليه أن يحصي ما تحتويه صفحاته من نقاط وفواصل .

كان بروكنر أثناء تدريسه الموسيقى في معهد فيينا الوطني (الكونسرفاتوار) في نزاع منستمر مع زملائه المدرّسين بسبب غيرتهم الشديدة منه وحسدهم اياه . وتحدث فضيحة تؤثر في نفسه بالغ الاثر ، وتورثه كره معاصريه . وتتلخص هذه الفضيحة بأنه أخطأ ذات يوم ونادى إحدى تلميذاته بعبارة « كنزي الثمين العزيز » . فتعلّقت الصحافة بهذه العبارة ، وضخمها الرأي العام فجعلاها فضيحة كبرى . ولكن الامبراطور جوزف ما لبث أن عوّض على الموسيقي ما لحق به من ضرر في وطنه ، فأغدق عليه النعم والرتب . إلا أن بروكنر كان يشكو من عقدة نفسيّة قاتلة ، واضطراب في الأعصاب ، فلم يرَ بداً من الاستقالة من منصبه والعيش في عزلة تامة عن الناس الذين كان يجد راحة تامة في الابتعاد عنهم . وقد توفي سنة ١٨٩٦ دون أن يتمكن من أنهاء سنفونيته التاسعة ، تاركاً للعالم تراثاً موسيقياً رائعاً .

بروكوفييف

مؤلف موسيقي وعازف على البيانو ، وقائد اوركسترا ، روسي - ابصر النور في ايكاتيرينوسلاف ، في جنوبي روسيا في ٢٣ نيسان ١٨٩١ ، وتوفي في ٤ آذار ١٩٥٣ بالقرب من موسكو .

مُنح سنة ١٩١٠ جائزة روبنشتاين تقديراً لعمله الموسيقي الأول « الكونشرتو للبيانو » . وقد لفتت مؤلفاته منذ البدء ، الاهتمام بأصالتها ، وجرأتها ، مواصلاً بذلك افضل تقاليد الموسيقى العالمية الكلاسيكية .

وعندما كتب الموسيقى للمسرح اختار مواضيع عناصرها الغرابة والتهريج والهجو اللاذع ، من مثل عمليه « المهرج » (١٩٢١) ، و« حب البرتقالات الثلاث » (١٩٢١) .

عاش فترة من الزمن خارج وطنه ، فلم يفقد تفرده واصالته ، ولما عاد إلى روسيا

سنة ١٩٣٢ إذا بموهبته الفنية تتفتح بكل قوتها واتساعها . وقد خلف تراثاً موسيقياً رائعاً يضيف لبنة جديدة إلى صرح المجد الفني الروسي والعالمي على السواء . أما رصيده فيتألف من ثماني اوبرات ، وسبع باليهات ، وسبع سنفونيات ، وخمسة كونشرتات للبيانو ، والاناشيد ، والسوناتات ، والاغاني ، والكثير من الكانتات - وهي تأليف موسيقي كبير للغناء بمصاحبة الاوركسترا أو الآلات الموسيقية المنفردة ، يتألف من اقسام جوقية ومنفردة .

وعلى كثير من مسارح الاتحاد السوفياتي والعالم تقدم بنجاح باليهات بروكوفييف الرائعة : « روميووجولييت »و« سندريلا » ، و« حكاية زهرة من حجر » ، وفي سنة ١٩٥٧ منح جائزة لينين بعد الوفاة على سنفونيته السابعة . وبروكوفييف هو القائل : « اني اتمسك بتلك الفكرة القائلة ان الملحن ، كالشاعر والنحات والرسام ، مدعو إلى خدمة الانسان والشعب » .

وعمل هذا الفنان الواقعي بوحي هذه الفكرة ، فصور بقدرة عجيبة ومهارة ، بطولة الشعب الروسي في نضاله الوطني ، وحب الوطن بأجلى مظاهرهما . ومن ابرز اعماله في هذا الميدان اوبرا « الحرب والسلام » .

بوتشيني

Giacomo Puccini

يعتبر النقاد جياكومو بوتشيني (١٨٥٨ - ١٩٢٤) من أشهر مؤلفي الاوبرا الايطاليين بعد جوسيبي فيردي . ألحقته أمه بإحدى مدارس الموسيقى مع أنه لم يظهر أي موهبة أو اهتمام بهذا الفن . . ولكن أحد المدرّسين من ذوي الصبر استطاع أن يوقظ عبقريته الكامنة .

طرأت لبوتشيني فكرة كتابة أوبرا عندما شهد أوبرا عايدة لفيردي . وكانت محاولتاه الاوليان ناجحتين نسبياً ، إلا أن ثالثة أوبراته مانون ليسكو لاقت شهرة

ذائعة . وأتبعها باوبرا البوهيمية التي فاقتها شهرة . وقد سجل انتصاراً باهراً في أوبرا مدام بترفلاي مع أنها لم تنجح لدى عرضها للمرّة الأولى . وقد فشلت أوبراه لاتوسكا في بادىء الامر ، ولكنها ما تزال تقدَّم إلى يومنا هذا .

وقد كلفته دار متروبوليتان للأوبرا في نيويورك وضع أوبرا اميركية فكتب اوبرا فتاة الغرب الذهبي التي لاقت شعبية لدى تقديمها ولكنها سرعان ما فقدتها فيما بعد . .
وقد ألف بوتشيني العديد من الاناشيد ، بينها نشيد وضعه سنة ١٩١٩ لتخليد الذكرى السابعة والخمسين بعد المائتين لتأسيس مدينة روما .

صرح الموسيقي الايطالي بوتشيني بهذه العبارة وهو على فراش الموت : « إذا لم تؤمن بنفسك فلن يؤمن بك احد » .

كتم بوتشيني هذه العبارة في نفسه طوال حياته وترجمها إلى جهد وكفاح وإصرار ودراسة وانتاج ، وترك للتاريخ مهمة تسجيل عمر طويل لم يعرف فيه الهدوء لحظة واحدة . في طفولته سار مشياً على قدميه من قريته لوكا إلى مدينة بيزا ليشهد أوبرا عايدة . وطرده الحراس في الليلة الاولى فأصرّ على الدخول في الليلة الثانية . وذهب إلى كونسرفاتوار ميلانو لدراسة الموسيقى فلم يجد فيه الاساتذة ما يبشر بشيء ، وتقدم للامتحان سبع مرات ، وفشل في كل مرة ، ورغم ذلك ظل يدرس وينتج حتى كتب أوبرا مانون ليسكو وبدأ نجمه يلمع في مدينة تورينو . القصص التي يرويها معاصروه عن كفاحه أشبه بالأساطير ، ولكنها تمتاز بحقيقة واحدة ، هي أن هذا الموسيقي الذي مات مؤمناً بنفسه عاش مؤمناً بالعلم الذي استطاع به أن يصهر حيوية العزف الآلي في حيوية الأداء الصوتي .

بيزيه

Georges Bizet

كانت اوبرا كارمن ، وتعتبر اليوم تحفة الموسيقي الفرنسي جورج بيزيه ، المحاولة الاخيرة التي بذلها هذا الفنان لكسب ثقة ورضى الجمهور الذي لم يشأ أن يستقبل من

قبل بأي تقدير أو حماسة أيا من مؤلفاته الموسيقية . وقد أخرجت كارمن للمرة الأولى في ٣ آذار ١٨٧٥ فتنكر لها الجمهور واستقبلها بفتور . غير أن بيزيه كان يعتقد اعتقاداً راسخاً انه ألّف اوبرا رائعة . وقد صدق اعتقاده هذا إذ ان كارمن اليوم تعتبر من اكثر الاوبرات العالمية شعبية وشهرة .

واوبرا كارمن مأساة غرامية مقتبسة من قصة كتبها بروسبير ميريمه ، ونظمها للاوبرا ميلهاك وهاليفي . . وزمان وقوع حوادثها بداية القرن التاسع عشر . . اما مكانها فمدينة اشبيلية وما يجاورها من الجبال .

ولقد أثر فشل كارمن وقتئذ في نفس الموسيقي المسكين فقضى بداء القلب ضحية الحزن واليأس بعد ثلاثة أشهر من ظهورها على المسرح . . .

أبصر جورج بيزيه النور في ضواحي باريس (١٨٣٨ - ١٨٧٥) والتحق بالكونسرفاتوار في التاسعة من عمره . وتجلى نبوغه في وقت مبكر ، ونال الجوائز الفنية السنية وهو لم يتجاوز العشرين . ففي سنة ١٨٥٧ نال جائزة روما الكبرى بأغنية كلوريس وكلوتيلد . أما أول أوبرا وضعها فكانت صيادو اللؤلؤ ، واتبعها باوبرا حسناء بيرت . وإلى جانب التأليف الموسيقي كان بيزيه عازف بيانو من الطراز الأول ، وقارىء نوتة بارعاً . . ويُعد من اشهر اعلام الموسيقى في فرنسا في القرن التاسع عشر .

وبقدر ما حالفه التوفيق في حداثة سنه ، فقد تخلى عنه الحظ بعد ذلك طوال ايام حياته . لقد انتج بعد عودته من ايطاليا اربع اوبرات لم تلق واحدة منها نجاحاً ، وكان نصيبها الفشل جميعاً . وقد تحمّل هذا الاخفاق بصبر واناة مما اضطره إلى كسب عيشه عن طريق تدوين المقطوعات الموسيقية المشهورة وتوزيعها لآلات معينة يمكن ان تقوم بادائها .

تشايكوفسكي

Petr Ilich Tchaikovsky

كان تشايكوفسكي (١٨٤٠ـ١٨٩٣) في الثانية والعشرين من عمره عندما اعتزل عمله في وزارة العدلية ليلتحق بالمعهد الموسيقي في بطرسبرج . وكان استاذه في الموسيقى رجلاً يدعى انطون روبنشتاين الذي لم يقدّر مطلقاً مواهب تلميذه الفنية .

تكشّفت مواهب تشايكوفسكي لنيقولا روبنشاين ، شقيق انطون ، فعزّ عليه ان يرى هذا الشاب في معهد موسيقي لا يقدره قدره ، فدعاه لأن يتولى تدريس الموسيقى في معهد موسكو الجديد . ولم يمض طويل وقت على تشايكوفسكي حتى شرع يضع الالحان والسنفونيات الرائعة ، فبوأته المقام المرموق بين كبار رجال الموسيقى الروس ، واكسبته شهرة ذائعة في عالم الفن .

وتعرّف في هذه الأثناء بأرملة غنية على جانب من الجمال تدعى نادجدا فون مك كانت تمده بالمساعدات المالية ، ثم عيّنت له مرتباً سنوياً قدره ثلاثة آلاف دولار اميركي .

واستمرت صداقتهما هذه ثلاث عشرة سنة ، كانت صديقته الارملة خلالها تسهر على راحته ، فتدبر شؤون منزله ومعيشته يوماً فيوماً ، وترعاه رعاية الام لوحيدها دون ان يتخاطبا أو يبدو عليهما انهما متحابان .

وكرّت الايام ، واضطر تشايكوفسكي لان يتزوج من انطونينا ايفانوفا ميلوكوفا

ولكنه سرعان ما تبرّم بحياته الزوجية ، فهجر المنزل الزوجي بعد ثلاثة أشهر . وعرفت الارملة الغنية بما حدث ، فأمدته بمبلغ من المال يستعين به على تدّبر شؤونه .

إلا أن نادجدا قطعت عنه المساعدات فجأة ودون ما سبب ، وكفّت عن الكتابة إليه واضعة بهذه المقاطعة حداً لصداقتهما الغريبة . وما هي إلا سنوات حتى قضى الموسيقي الروسي نحبه وهو في الثالثة والخمسين من عمره (١٨٩٣) ، وقبل وفاة صديقته الارملة المحسنة ببضعة شهور .

توسكانيني

Arturo Toscanini

ولد أرتورو توسكانيني ، ويعتبر الموسيقي الأول في القرن العشرين ، في مدينة بارما، بايطاليا في ٢٥ آذار ١٨٦٧. وفي سن مبكرة أظهر ميلاً شديداً نحو الموسيقى ، فأدخله والده كونسرفاتوار بارما، حيث درس أصول العزف على « التشيلّو » ، فأبدى تفوقاً نادراً ، كما أظهرا ميلاً طبيعياً نحو الاوبرا . وكان أترابه في الصف يلقبونه بالعبقري . وفي سنة ١٨٨٤ قاد أحد أعماله الموسيقية . وبعد أن تخرّج من الكونسرفاتوار ، التحق بعدة فرق موسيقية في أوروبا ، ثم توجّه إلى العالم الجديد .

وكان في التاسعة عشرة ، فظهر للمرة الأولى ظهوراً رسمياً ، على المسرح في ريودي جانيرو ، وقاد أوبرا عايده . وقد كرّس أربعين سنة لفن الأوبرا ، ثلاثين منها في لا سكالا في ميلانو ، وسبع سنين في المتروبوليتان أوبرا في نيويورك . وقد عرفت هذه السنوات باسم « السنوات الذهبية في تاريخ الأوبرا » . ومما يؤثر عنه أن كان يقود كل الحفلات من ذاكرته دونما لجوء إلى دفاتر النوتة الموسيقية .

ومما لا شك فيه أن توسكانيني هو والد اوركسترا ناشونال برود كاستنغ كومباني الأميركية التي قال فيها كبار النقاد الموسيقيين انها من أعظم الفرق الموسيقية في العالم ، وقد كانت هذه الفرقة بادارته واشرافه ، وكانت تقدّم برنامجاً اسبوعياً من جميع محطات

الراديو والتلفزيون في الولايات المتحدة الاميركية .

ويقال ان أجره عن اذاعة السنفونيات من شركة ناشونال برودكاستنغ كومباني بدأ سنة ١٩٣٧ بمبلغ أربعة آلاف دولار ، بعد حسم الضرائب ، عن كل ساعة ونصف الساعة . . .

عُرف عنه حبّه الشديد للحرية والديمقراطية مما جعله يرفض العودة إلى بلاده عندما كان موسوليني يسيطر عليها . وبقي في أميركا حيث توفي في ١٦ كانون الثاني ١٩٥٧ .

في الذكرى الثمانين لميلاد هذا العازف العبقري سئل ابنه ولتر عما يعده والده أعظم أعماله وأهمها ، فكان جواب الابن :

ـــ لا يمكن أن يكون ثمة شيء من هذا القبيل في نظره . . فان كل ما يتفق أن يكون قائماً به قد يكون أعظم شيء في حياته ، سواء أكان يعزف سنفونية أم يقشر برتقالة !

كان توسكانيني يكره الدعاية الشخصية كرهاً لا مزيد عليه ، وكان شديد الحياء . أمّا ذاكرته فقد كانت معجزة حقاً . فقد كان بوسعه حفظ عدة أوبرات في يومين اثنين ، فترسخ بكل دقائقها طوال أعوام . وحدث ذات مرة أن قال له أحد عازفي فرقته ، في فترة الاستراحة ، خلال إحدى الحفلات « ان خللاً أصاب آلته الموسيقية فلا يستطيع أن يخرج منها نغمة معينة ، فكان ردّ توسكانيني الفوري :

ـــ لا تقلق ، فإن ما تبقّى لنا من السنفونية ليس فيه شيء من هذه النغمة .

وكان إذا ساءه عزف موسيقييه في فترات التدريب أو الأداء في الحفلات ، يمضي إلى منزله صامتاً ساهماً ، ويأبى تناول الطعام ، متوقعاً من أفراد أسرته مشاطرته صيامه .

وكان رقيق القلب ، يؤثر عنه أنه أرسل ذات مرة ثلاثين ألف حذاء إلى إيطاليا لتوزع على فقرائها من مواطنيه الاصليين . ولا غرو فقد كان من أكبر الناس دخلاً في

دفورجَاك

Antonin Dvorak

تُعتبر المختارات الموسيقية «المجون» التي وضعها ابن القصاب البوهيمي من اروع الالحان الشائعة . فقلما تمر ساعة من ساعات النهار أو الليل الا وتُعزف هذه المقطوعة في مكان ما من العالم . اما مؤلفها فيدعى انطونين دفورجاك . هبط الولايات المتحدة وهو في العقد الخامس من العمر ، الا انه لم يستطع العيش في نيويورك الصاخبة فهجرها إلى قرية وادعة هي قرية سبيلفيل من اعمال ولاية ايووى . وفي هذه البلدة الصغيرة عكف دفورجاك على وضع جزء كبير من سنفونية العالم الجديد التي تعتبر من اجمل المقطوعات الموسيقية واروعها على الاطلاق . وقد تردد طويلاً قبل تسميتها بهذا الاسم لانه رغب بادىء ذي بدء بأن يطلق عليها اسم سنفونية سبيلفيل تخليداً لذكرى حقول الذرة التي عاش وسطها ابان وضعها .

ابصر دفورجاك النور (١٨٤١ - ١٩٠٤) في قرية نائية في بوهيميا . ولم يتلق أية دروس عليا لانه اضطر إلى مساعدة والده القصاب معظم الوقت . وكان رأسه يضج بالأغاني والالحان وهو منصرف إلى صنع المقانق ، ووزن قطع اللحم وبيعها . وسرعان ما غادر قريته إلى براغ لدراسة الموسيقى . ولم يكن في جيبه سوى بضع قطع نقدية حصَّلها من المارة الذين كان يعزف لهم على كمانه في الشارع . وقد استأجر غرفة حقيرة في براغ اقام فيها مع خمسة زملاء آخرين توفيراً منهم واقتصاداً .

وكانت الغرفة شديدة البرد شتاء . . وكثيراً ما كان يبيت على الطوى اقتصاداً منه للمال اللازم لاصلاح الخلل الذي كان يطرأ على البيانو . وعلى هذا البيانو وقّع دفورجاك اروع ما يمكن لنفس بشرية ان تسكبه من ألحان وأغان . ولكن هذه الروائع الفنية لم يُتح لها النشر لأن صاحبها لم يملك وقتئذ ثمن الورق لكتابتها . وكم من مرة

التقط أوراقاً قذرة مهملة ملقاة في الشارع ليكتب عليها الحانه . ولكن لا يحزنن ذلك أحداً ، اذ ان عبقرية دفورجاك تفجرت من هذا الحرمان الفظيع .

كان دفورجاك يجد لذة في الوقوف في محطات السكك الحديدة ، وفي شم رائحة الدخان ، وسماع صوت القطارات . . فكان يذهب إلى المحطة كل يوم ويتجه إلى شباك التذاكر طالباً تذكرة مقابلة ، سائلاً : متى يقوم القطار المسافر إلى فيينا ؟ فيقال له : بعد نصف ساعة . فيقول : اذن لقد تأخر هذا القطار عن موعده عشر دقائق . وهذه هي المرة الأولى يتأخر فيها منذ خمس سنوات !

كان يعرف مواعيد القطارات واحداً واحداً ، وأسماء سائقيها ، وأرقامها ، وأسماء عمال الباب في محطة براغ ، ويعرف أسماء أولادهم وزوجاتهم ، فإذا ما وقف على الرصيف راح يعتذر للمسافرين عن تأخر القطار . وكثيراً ما كان يوفد تلامذته يستفسرون عن سبب تأخر القطارات ، وبينهم موسيقيون ممتازون امثال ليهار ، وسوك . وكان هذا الموسيقي قد تقدم لخطبة ابنته . وذات يوم سأله دفورجاك : متى جئت ؟ فأجاب سوك : اليوم ، الساعة العاشرة ، في القطار رقم ١٧٨٢ ، وقد مررنا بعشرات القرى . . وتوقفنا عند قرية واحدة بسبب عطل أصاب القطار ، وكان اسم السائق جوزف .

فثارت ثائرة دفورجاك والتفت إلى ابنته قائلا : أهذا هو الرجل الذي تريدين الاقتران به ؟ أهذا هو ؟ ان رقم ١٧٨٢ ليس رقم القطار ، يا سيدي ، انه رقم التشغيل . . والقطار رقمه ٣٤ . والسائق لا يدعى جوزف ، بل جورج . وبعد كل ذلك تريد ان تقترن بابنتي ؟! وخرج غاضباً . . .

ديبوسي

Claud Debussy

أبصر هذا الموسيقي الفرنسي النور في سان جرمان سنة ١٨٦٢ ،

ودرس الموسيقى كسائر موسيقيي بلاده في كونسرفاتوار باريس، واشترك في المباراة للحصول على جائزة روما الكبرى التي نالها بأغنية « الطفل العبقري ». وقد تقدم الى هذه المباراة بقطعتين سنفونيتين هما : « الربيع والآنسة المختارة » التي ألهمته إياها قطعة روزيتي « الآنسة المباركة »فاستبعدتها اللجنة التحكيمية لصبغتها الفردية. وبعد أن أقام سنة واحدة في إيطاليا قام بزيارة روسيا حيث تشرّب الكثير من الموسيقى الشعبية، وبخاصة موسيقى موديست موسورغسكي. وكانت شهرة ديبوسي بطيئة في الذيوع. وله أوبرا واحدة هي بيلياس وميليساند أخرجت سنة ١٩٠٢، ولكنها لم تفهم على حقيقتها، وعدد من المعزوفات للبيانو. وتعتبر موسيقاه كالرسوم التأثرية، رقيقة، دقيقة، سريعة العطب.

حرر ديبوسي الموسيقى الفرنسية من كل قيد تقليدي وشجع فيها الابتكار، وخاصة في اختيار المواضيع.

« أما سنفونية البحر فهي من أحب مقطوعات ديبوسي إلى نفسه لأنه كان من عشاق البحر، حتى أنه كتب مرة إلى أحد أصدقائه يبشره بأنه التحق بالبحرية.

وقد ضمّن هذه المقطوعة كل ما عنده للبحر من حب، وكل ما يوحيه إليه من تأملات... وهي من النوع السنفوني، نسمعها وكأننا نقتحم أخطار البحر، أو كأننا نناجي أبعاده وأعماقه، وصورة السماء فيه. وقد قسمها إلى ثلاثة أقسام: الأول، على البحر من الفجر إلى الظهيرة.. والثاني، ألعاب الموج... والثالث، محاورة بين البحر والهواء.. وجميع هذه الأقسام حملها ديبوسي منتهى ما تستطيع أن تقدمه الاوركسترا من تصوير، وإيحاء وجمال، وقوة... »

كان ديبوسي جالساً ذات يوم في أحد مقاهي مونمارتر الباريسية، وحانت منه التفاتة فأبصر شاباً غريب المظهر، شاحب الوجه، يعتمر قبعة عالية، في يده مظلة، وعلى عينيه نظارتان غليظتان.. في عينيه ألم، وعلى شفتيه مرارة. وتقدم منه وعرفه بنفسه.. كان اريك ساتي، أغرب شخصية في عالم الموسيقى.. ولكن الصداقة التي ربطته مذ ذاك بساتي أثرت تأثيراً عميقاً في موسيقاه، بل في الموسيقى الفرنسية كلها.

وكان ساتي يقيم في غرفة لم يعرفها أحد إلا قبيل وفاته سنة ١٩٢٥. عاش فيها وحده ثلاثين سنة. وكان يكره المال والمتعاملين به. وقد اتفق أن قدّم له أحد الناشرين ذات مرة مبلغاً لمؤلفاته فثار في وجهه قائلاً: ماذا تحسبني يا هذا، جزاراً، أو بائع أكاليل؟ إنني فنان، مع الأسف.

واعتذر الناشر.

وحدث مرة أن هاجمه أحد النقاد فلم يجد ساتي وسيلة للرد إلا إرسال بطاقات بريدية يومية اليه من خلال النافذة يلعنه فيها، حتى ضاق الناقد ذرعاً وأبلغ الأمر إلى النيابة العامة. وحوكم الموسيقي الشاذ، الغريب الأطوار بتهمة القدح والذم، وحكم بالسجن ثمانية أيام، ولكن الحكم لم ينفذ.

ولما توفي وجدت في غرفته مجموعة من الحشرات لا يمكن أن تجتمع في غرفة واحدة.. كما وجدت ملابس له نظيفة لم يرتدها قط، بل أوت اليها الحشرات. وعجز الأطباء والعلماء عن أن يفسروا للعالم كيف استطاع هذا الفنان أن يقاوم هذه الآفات جميعاً.

رافيل

Maurice Ravel

كــان الموسيقي الفــرنسي مــوريس رافيــل (١٨٧٥ ـ ١٩٣٧) سيّىء الحظ في محـاولاتـه المتعـددة من سنـة ١٩٠١ إلى ١٩٠٥ للحصـول عـلى جـائـزة رومـا المـوسيقية. . فقـد فضـل المحكمـون عـلى إبـداعـه وخلقـه وبساطته ميزات سائر المتقدمين للمباراة.

كـان محبـاً للعـزلـة، شغـوفـاً بـالاستقـلال. . . رفض العـديـد من الـوظائف الـرسمية، كـما رفض سنة ١٩٢٠ وسـام جـوقـة الشـرف من رتبـة فـارس. وقـد اشتـرك في الحـرب العـالميـة الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨)، وقضى حيـاته في منـزلـه الـريفي مكـرسـاً وقتـه وجهـده لعمله الفني وسط مجمـوعـة رائعــة من التحف الفنيـة. وأصيب بحـادث سيـارة سنــة ١٩٣١ لم يبـرأ من أثــره، وتــوقّف عن التــأليف. ومــا لبث أن أصيب بـالشلل، وفقــد النـطق. وكانتِ وفـاته إثـر عمليـة جـراحيـة عجّلت بنهـايتـه. فـاستـراح من الألام المبرحة التي ذاقها في أواخر سني حياته.

كــان أسلوبـه في التــأليف للبيــانــو قـريبــاً من أسلوب زميله كلود ديبـوسي إلى حـد جعـل النقـاد يتســاءلـون حتى اليــوم: من الـذي اثــر في الأخـر؟ رافيـل أو ديبــوسي؟ فكـلاهمــا استـوحى الكثــير من الشـرق، ولا سيـما أفـريقيـا. . . وكـلاهمـا كـذلـك استـوحى الكثـير من الـطبيعــة فبـات اسلوبهما وجوهما متشابهين!

رمسكي ـ كورساكوف

Nikolairimsky - Korsakov

بدأ نيقولاي رمسكي ـ كُورساكوف (١٨٤٤ ـ ١٩٠٨) التأليف الموسيقي منذ التاسعة من عمره. إلا أن والديه، وهما من أصل ارستقراطي نبيل، طلبا إليه أن يختار مهنة غير الموسيقى تليق بمركزه الاجتماعي. فأضطر إلى الالتحاق بالكلية البحرية حيث التقى بالموسيقي بالاكيريف الذي كان له الأثر الحاسم في توجيه حياته نحو الموسيقى . . .

وبفضل وجوده في البحرية قام، خلال ثلاث سنوات، بجولة حول العالم. . ثم استقال ليكرس حياته كلها للموسيقى، ويصبح استاذاً في المعهد الموسيقي في بطرسبرج. وقد تزوج سنة ١٨٧٣ من عازفة بيانو شهيرة. ولكنه فصل سنة ١٩٠٥ من وظيفته لمطالبته باستقلال كونسرفاتوار بطرسبرج. إلا أن صديقه غلازونوف أعاده إلى سابق عمله عندما تسلم إدارة هذا الكونسرفاتوار.

ولقد تخرج على يدي كورساكوف عدد كبير من الموسيقيين الروس الذين اصبحوا ذوي شهرة عالمية.

وضع كورساكوف أولى سنفونياته سنة ١٨٦٥ وقادها صديقه بالاكيريف. إلا أنه قاد الأوركسترا السنفونية الروسية في سان بطرسبرج أربع سنوات متكاملة (١٨٨٦ ـ ١٨٩٠). وقد عزفت مقطوعته كابريشيو اسبانيول التي وضعها سنة ١٨٨٧ للمرة الأولى في إحدى الحفلات الكبرى التي قاد فيها الأوركسترا المذكورة.

وبالإشتراك مع جماعة من المؤلفين الموسيقيين أنشأ كورساكوف « المدرسة الروسية الفنية » التي وقفت جهودها على قضية الموسيقى

القـومية. وغـالبـاً مـا استخـدم الفولكلور الـروسي في مؤلفـاتـه التي ضمَّت السنفـونيـات، والأوبـرات، والإفتتـاحيـات، والأغـاني الخ. . . ومن تـراثــه المــوسيقـي الخــالــد نــذكــر شـهــرزاد، وعـيــد الـفـصــح الــروسي، وسنغوروشكا. . .

قيـل بحق ان المـوسيقى الـروسيـة بـدأت بـرمسكي ـ كــورسـاكــوف وانتهت بـه. ذلـك بـأنـه قبـل ظهـور كـورسـاكـوف لم يكن ثمـة أي تــراث قـومي للمؤلفـين المـوسيقيـين السـلافيـين. فكـل مـا فعله المـوسيقي غلينكـا أنـه البس النماذج الإيـطالية مـلابس الفلاحـين. أما كـورساكـوف فقد رفـع عـاليـاً الـرايـة بكــل معنى الكلمـة. فلما تــوفي سقـطت هــذه الـرايــة من عليـائها بعـد أن تلاشت الحيـاة التي زينتهـا وزخـرفتهـا. وسـطعت القـومية الفخـور التي زرع بـذورهـا كـورسـاكـوف في الأفق وتــلألأت، ولكن لفتـرة وجيزة.

كـان كورسـاكوف مـا يزال في الكليـة البحريـة، وفي السـابعـة عشـرة من عمـره عندمـا تعـرف إلى المـوسيقى بـالا كيـريف ، وكـان يكبـره بثمـاني سنـوات. فكـان لقـاؤهمـا هـذا نقـطة تحـول في حيـاة كـورسـاكــوف الـذي تحـول مـذ ذاك الى المـوسيقى. ولكنـه لم يبــدأ بـدراســة المـوسيقى دراســة صحيحة إلا في السابعة والعشرين.

كـان بالاكيـريف يتزعم جمـاعة من المـوسيقيـين عُرفت باسم « جماعة الخمسة »ما لبث أن خلفه في زعامتها رمسكي ـ كورساكوف وهو بعد في بـزتـه العسكـريـة البحـريـة. وكـان من أعضـاء هـذه الجمـاعـة التي خلقت بحق المـوسيقى الروسيـة الحديثـة: مـوسـورغسكي، وبـورودين، وكـوي وجميعهم كانوا يعملون في الإدارات الحكومية لتحصيل معيشتهم.

كـان بالاكيـريف كـاتبـاً في إدارة السكـة الحـديـديـة الامبـراطـوريـة،

وموسورغسكي موظفاً في دائرة الاحراج، وبورودين استاذاً للكيمياء في أكاديمية الطب الامبراطوري ،وكوي مهندساً تابعاً للجيش القيصري. ذلك بأن أسرة رومانوف الحاكمة كانت ترعى الفنون. والفنانين ، وتلك مأثرة تسجل لها .

سيبيليوس

Jean Sibelius

أبصر سيبيليوس النور في فنلندا في ٨ كانون الأول ١٨٦٥ . . وهو يعتبر مؤسس الموسيقى الوطنية الفنلندية. وكثيرة هي الحكايات التي تروى عن فقر هذا الموسيقي العظيم في مستهل حياته، ومنها أنه باع أحد مؤلفاته الموسيقية بدولارين اثنين فقط. ولكنه عاش فيما بعد بالقرب من العاصمة هلسنكي، ومنح مبلغ ١٠٠ الف مارك، وهو اضخم مبلغ دُفع إلى مواطن فنلندي باستثناء رؤساء الجمهورية. ومما يروى أنه خلال الحرب الروسية ـ الفلندية خبيء سيبيليوس وأحيط بالحماية كما لو كان كنزاً وطنياً. وعندما زار الولايات المتحدة سنة ١٩١٤ لقيادة بعض أعماله منحته جامعة « ييل » شهادة الدكتوراه في الموسيقى. وخلال إقامة معرض نيويورك الدولي سنة ١٩٣٩ أذاع مقطوعاته الموسيقية لأميركا من فنلندا نفسها.

إن القسم الأكبر من موسيقى سيبيليوس يقوم على الأناشيد الشعبية (الفولكلور) والأساطير . وأعماله الكبيرة كثيرة، ومن أشهر أعماله الصغيرة الفالس الحزين الذي يعرفه الجميع ويستسيغونه.

وعندما توفي سنة ١٩٥٧ نعته الصحافة العالمية أبلغ نعي، وكتبت عنه تقول: « لقد خسر العالم رجلاً عظيماً ». و« انه أحد الأصوات الصادقة التي أفصحت عن أفضل ما في نفوس البشر»

« كان سيبيليوس موسيقياً كلاسيكياً، ولم يكن أعظم المؤلفين الموسيقيين المعاصرين بل من أعظم مؤلفي الموسيقى في التاريخ »

وقال عنه السر مالكوم سارجنت، أشهر مايسترو بريطاني معاصر : « ملك راحل . . ملك لم يخلف وارثاً »!

إن سيبيلوس ليذكر بيتهوفن أكثر مما يذكر بسواه من واضعي السنفونيات. ومؤلفاته الأخيرة تشتمل على رزانة وصفاء ذهن الفيلسوف الذي هو صديق الطبيعة.

كان سيبيلوس وطنياً متحمساً، ولكنه لم يكن إقليمياً . . . كان فنلندياً، وهو اليوم خالد مع الخالدين.

رتشارد شتراوس

Richard Strauss

ولد رتشارد شتراوس في ميونيخ سنة ١٨٦٤ وتوفي سنة ١٩٤٩ . كان والده يوهان شتراوس أحد أفراد جوقة البلاط الملكي في ميونيخ . . بدأ العزف على البيانو والكمان والتأليف الموسيقي وهو بعد في السادسة من عمره. وفي العشرين قاد للمرة الأولى جوقة موسيقية دون أن يتعلم قط مبادىء قيادة الجوقات، ودون أن يجري أي تمرينات مسبقة.

وقد أصبح خلال قرن أشهر مايسترو في العالم، إلى جانب موهبته في التأليف الموسيقي. ويعتبر وماهلر من أبرز تلامذة الموسيقي الكبير فاغنر ، ومن متممي رسالته الفنية، ليس في موسيقى الأوبرا فحسب بل في الموسيقى السنفونية . . .

طاف بأرجاء أوروبا، فكان يقود الفرق الموسيقية في مقطوعاته

ومقطوعات غيره من المؤلفين القلائل الذين عرفوا الشهرة في حياتهم، وعاشوا في يسر مادي.

يوهان شتراوس

Johann Strauss

في سنة ١٨٤٤ نظم الموسيقي الشعبي النمساوي يوهان شتراوس أوركستراه الخاصة به وقاد أول كونشرتو من تأليفه. فوضعه نجاحه على صعيد واحد مع والده رتشارد الذي كان حتى ذلك الحين أشهر قائد جوقة راقصة في فيينا القديمة... فلما توفي الأب وحّد يوهان الفرقتين الموسيقيتين.

أبصر يوهان النور سنة ١٨٢٥، فكانت دروس العزف على البيانو مكافأته على العلامات الجيدة التي ينالها في مدرسته. الا أن والده لما سمعه مرة يعزف بمهارة فائقة على الكمان انتزعه منه من فرط غيرته. فابتاعت له أمه كماناً آخر جعل يتدرب عليه في بيوت الاصدقاء. وذات يوم اندفع يوهان منشداً في أحد الصفوف فطّرد من المدرسة التجارية... وبدلاً من أن يتعلم تأليف الموسيقى الدينية راح يعزف ألحان الفالس على أرغن الكنيسة.

كان يوهان في التاسعة عشرة من عمره عندما تم الطلاق بين والديه، فألفى نفسه بحاجة إلى كسب المال. فاندفع يعمل قائداً ومؤلفاً موسيقياً. ولم تمض عشر سنين حتى أصبح معبود فيينا، ومختلف البلدان الأجنبية التي قام فيها بجولات موفقة. وقضى عشر سنين كذلك قائداً للحفلات الموسيقية الصيفية التي كانت تقام في سان بطرسبرج، في روسيا.

تـزوج شتـراوس في سنــة ١٨٦٢ من هنـريتــا تـريفــز، وهي من أسـرة عريقـة، موسـرة. وفي سنة ١٨٦٤ عـين مـديـراً لموسيقى الـرقص في بـلاط فيينـا. ومـا هي إلا ثـلاث سنـوات حتى غـزا بـاريس والعـالم بـأجمـل فـالس وضعـه« الدانوب الأزرق »، وعـزفـه للمـرة الأولى في معـرض بـاريس الـدولي (١٨٦٧) . . . فعـلى ايقـاع هـذا الفـالس رقص الملوك والأمـراء في طـول اوروبـا وعـرضهـا. وقـد وصف الكثيـرون هـذا الفـالس بـأنـه من أجـدى الوسـائل لتخفيف الهمـوم وتجـديـد الآمـال. وتحـوّل شتـراوس بعـد ذلـك إلى الأوبـريتـات، فكـانت أولاهـا انـديغــو سنة ١٨٧١ . وفي العـام التـالي قـام بـرحلة إلى الـولايـات المتحـدة الأميـركيـة حيث استقبـل أفخم استقبـال. وحفلت السنـوات العشـرون الأخيـرة من حيـاتـه بـالاحتفـالات الصـاخبـة والمـآدب السخيـة التي أقيمت عـلى شـرف ملك الفـالس في كـل مكـان. وقد بلغ عـدد مقـطوعـاتـه الـراقصـة زهـاء الخمسمـايـة أشهـرهـا: حكـايـات من غـابـات فيينـا، حيـاة الفنـانـين، خمـر ونسـاء وغنـاء، فـالس الامبـراطور، وأصـوات الـربيـع . . . أمـا اوبـريتـاتـه فـأروعهـا كـارنفـال في رومـا، الوطـواط، والبـارون الغجري.

كـان لشتـراوس اصـدقـاء احبهم إلى قلبـه يـوهـان بـرامـز. . . وكـان فـرانتز ليسْت أول من أعتـرف بصـلاحيـة فـالسـات شتـراوس كمقـطوعـات للبيانو. . .

شوبان

Frederic Chopin

« عـاش شـوبـان عمـر الـزهـور، ومضى قبـل أن تبـرد حـرارة قبلتـه عـلى ثغـر الـوجـود، ولكنـه تـرك خلفـه أريجـاً يعـطر أنفـاس الـدنيـا إلى الأبد ».

في ٢٢ شباط سنة ١٨١٠ ولد فريدريك شوبان من أم بولونية وأب فرنسي.. واتفق ساعة مولده أن كانت إحدى الفرق الموسيقية المتجولة تعزف تحت نافذة الغرفة التي ولد فيها سيد الموسيقى.

وعلى خلاف العادة، لم يفتح الوليد فمه ليستقبل النور بالبكاء، وإنما فتح أذنيه ليسمع الموسيقى، همزة الوصل بين الأرض والسماء. ولما بلغ شوبان الخامسة عشرة من عمره، وكان قد بلغ المرحلة الجامعية، عزف أولى مؤلفاته الموسيقية أمام الامبراطور اسكندر، قيصر روسيا، وما كاد ينتهي حتى ضمه القيصر إلى صدره، ونزع من أصبعه خاتماً ثميناً قدمه إليه قائلاً: «لقد أردت أن أضفي شرفاً على هذا الخاتم يخلده، وأعتقد أنك عندما تضعه في إصبعك ستكتب له الخلود»!

عندما غادر شوبان فرصوفيا وهو في العشرين من عمره ليبحث عن أكاليل الغار في عواصم أوروبا الموسيقية (برلين ولايبزيغ وبراغ وفيينا وميونيخ) كان أشد ما يعذبه اعتقاده بأن عينيه لن تكتحلا بعد ذلك برؤية وطنه بولونيا. لذلك ملأ كأساً صغيرة بتراب وطنه الحبيب كان يحملها معه أنى ذهب. وما هي إلا عشرون سنة حتى قضى نحبه في باريس بداء الصدر. فلما ووري نعشه الثرى نثر أصدقاؤه محتويات الكأس الصغيرة فوق النعش.

كتب شوبان مرّة من اسكتلندا يقول: «عزيزتي بولونيا، أراك من خلال الضباب الكثيف بعيني أمي، وفمها، وذقنها.. بولونيا التي تنشدين وتبكين.. أيتها الأرض الحبيبة المسكينة، إن قلبي لك»!

ولقد تُرجمت عواطف قلبه الكبير إلى موسيقى خالدة.

يمكن أن تكـون االمـوسيقى لغـة عـالميـة، ولكن جـذورهـا غـالبـاً مـا تكـون متـأصلة في أعمق أعمـاق التـراث الـوطني للمؤلف المـوسيقي ســواء أعـرف ذلـك أم لم يعـرف. ولقـد عـرف شـوبـان ذلـك. . فكــان أن اتجـه بمـوسيقـاه إلى ألحـان الشعب وأغـانيـه لأن بـولـونيـا كـانت تـرزح تحت نـير روسيا القيصرية.

ولقـد احتفلت فرصـوفيا، عـاصمة بـولونيـا، بعد تحـريـرهـا من النـير النـازي إثـر الحـرب العـالميـة الأخيـرة ،بـرجوع قلب شـــوبـان المحفــوظ في صنـدوقة صغيـرة احتفالاً حمـاسيـاً. فقـد نقـل البـولـونيـون أثنـاء الاحتـلال الألماني هذا الأثر الثمين من مكانه ووضعوه في مكان أمين.

ولكن هـل قلب شـوبـان كله في فـرصـوفيـا ؟ ألم يتـرك شيئـاً منــه في فـرنسـا عـلى مقـربـة من صـديقــاتـه الجميــلات اللواتي انشـدن لــه أغنيـة « الليـل » وهو عـلى فراش المـوت ؟ ألم يتـرك شيئـاً منه لجـورج صـانـد التي لم تحضر وفاته؟

قـال شـوبــان وهـو يلفظ أنفــاسـه الأخيــرة : « أين جـورج ؟ لقــد وعــدتني بـأنني ســأمـوت عــلى ذراعيهـا »؟ . . ففي سنــة ١٨٣٦ تعـــرّف بـواسطة المـوسيقي فرانـتز ليست إلى الكاتبـة الفرنسيـة جورج صـانـد ووقـع في غـرامهـا. ولكن عـلاقتهما انتهت سنــة ١٨٤٤ بعـد حب عنيف أضنــاه فـوق مـا كـان يعـانيـه نفسـانيـاً وجسمـانيـاً من متـاعب. وكـانت وفـاتـه في باريس بعد عودته من لندن حيث عاش سنتين .

شوبرت

Franz Schubert

« ينبغي لــك أن تــولــد فقيــراً إذا أردت أن تـصبــح مــوسـيقـيــاً

عـطيـا ! . . فـالقمر يـزرع في اعمق اعمـاق النفس شيئـا سـريـا جميـلا ، شيئاً يولدالشعور،والقوة ، والعطف والرقّة ».

هـذا مـا يؤكـده ليـوبـولـد أوار ، استـاذ الكمـان الـروسي الشهـير ، الـذي اكتشف ودرَّب العـدد الأكبـر من عبـاقـرة الفن والموسيقى في جيلنـا الحاضر.

لم يلق مـوسيقي من شـظف العيش في طفـولتـه وشبـابـه مثلما لقيـه فـرانز شـوبرت (١٧٩٧ ـ ١٨٢٨). لم تكن ظـروف حيـاتـه لتسـاعـده عـلى التـزود من الثقافـة الموسيقيـة، ولكن مواهبـه الجمـة عـوضتـه هـذا النقص. ولعـل الانصـاف الـوحيـد الـذي لقيه في حيـاتـه التي ابتسمت لـه بعض الـوقت هـو وقـوعـه في غـرام فتـاة من أسـرة كبيـرة كـان يـدرسهـا وبعض أفـراد اسـرتهـا المـوسيقى. وقـد أوحى إليـه هـذا الغـرام بفكـرة لحن رائـع بـدأ في كتـابتـه ، غـير أنـه لم يتمـه لأن غـرامـه هـذا انتهى قبـل أن يتم اللحن. وقـد وقف بـاللحن عنـد هـذا الحـد، فـاطلقـوا عليـه اسـم « السنفونية الناقصة » .

ويـروى أن شوبـرت أرسل مخـطوطة « السنفونية النـاقصة » إلى مـدير إحـدى الجمعيـات المـوسيقيـة التي احتفظ بهـا ٤٢ سنـة دون أن يـذكـر أنها بحوزته. ولم يستطع شوبرت الاستماع إليها.

وكتب فـرانـتز ليست عن شـوبـرت يقـول : « كـان أكـثر المـوسيقيـين شاعرية » .

كـان مؤلفـاً مـوسيقيـاً غـزيـر الانتـاج في مختلف أنـواع المـوسيقى، إلا أن المؤلفـات التي خلدتـه هي أغـانيـه التي بلغت حـوالى الخمسمـايـة، وتعتبـر بحق الأغـاني الحـديثة الأولى. وقـد تعـرف شـوبـرت سنـة ١٧١٧ عـلى المغني يوهـان فوغـل، نجم البـاريتـون في أوبـرا فيينـا، فغنى لـه بعض

أغـانيه، ولكن شـوبـرت لم يلق ـ رغم نجـاح ألحـانـه ـ أي إنصـاف من الناشرين الذين كانوا يشترونها بأبخس الأثمان.

كـان يؤلف بسـرعـة فـائقـة، ولا يـراجـع مـا يكتبـه إلا لمـامـاً، وقـد قيـل انـه كـان بـاستـطاعتـه أن يشتـرك في أي حـديث أو منـاقشـة يـدوران أمامه دون أن يتوقف عن كتابة النوتة لقطعة موسيقية بين يديه.

ولـد شـوبـرت في فيينـا في ٣١ كـانـون الثـاني ١٧٩٧، وتجلّت موهبته الموسيقية في وقت مبكـر. وكان صـوتـه جميـلاً فـأصبح المغني الأول في الكـورس. فلما شبَّ وسـاء صـوتـه أنصـرف إلى تـدريس المـوسيقى كـوالـده. فكـان يكسب دخـلاً منتـظماً من التـدريس، إلا أنـه عـاش فقيـراً بائساً طوال حياته.

وقـد تـوفي في فيينـا بـداء التيفـوس في ١٩ تشـرين الثـاني ١٨٢٨، ودفن في ضـريـح مجـاور لضـريـح بتهـوفن لا يفصله عنـه إلا ضـريحـان اثنان.

ويـروى أنـه عنـدمـا سـافـر الموسيقي الألمـاني فيبـر إلى المـانيـا قـابله شـوبرت وعـرض عليـه بعض أوبـراتـه التي وضعهـا وهـو بعـد في السـابعـة عشرة من عمره. فقال له فيبر:

ـ سيـدي المـوسيقي شـوبـرت، ان مؤلفـات الشبـاب كـالكـلاب الصغيرة ينبغي أن تلقى في الماء!

شومَان

Robert Schumann

بـدأ روبرت شـومان (١٨١٠ ـ ١٨٥٦) بـوضع المقـطوعات المـوسيقيـة

وهـو دون الســابعـة من سنـه . . مـات أبـوه ، وكـان صـاحب دار للنشر في سكسـونيا ، فصـرفتـه أمّـه ووليـه عن المـوسيقى ، وأدخـلاه كليّـة لايبــزيغ لـدرس الحقوق . غـير أنه لم يهتم في قليـل أو كثير بـدراسـة القـانـون ، بـل انصـرف إلى تأليف الأغـاني ووضع الألحـان في حين كـان يتلقى دروساً عـلى البيـانو تحت اشـراف فريـدريك فـيك . وكـان يطمـح إلى أن يصبح عـازفـاً عـلى البيانـو من الطراز الأول . ولكن جهـده المتواصـل في سبيل تحقيق هـذه الأمنيـة الغاليـة أثرّ في أعصـاب يده ، ووجـد نفسـه في النهـايـة عـاجـزاً عن التـوقيع عـلى البيانـو . عندئـذ عكف على التـأليف الموسيقي . وكـان في هذا الحقـل أسعد حـظاً ، فلمع وأضحى من مـوسيقيي العالم المشهـورين . وقـد بلغت مؤلفاته الموسيقية أربعـة وثلاثـين مجلداً . وكان عـام ١٨٤٠ ـ ويسمونـه عام الأغاني ـ اسعد الاعوام في حياة شومان .

تعـرّف شومـان بكلارا فـيك ، ابنـة معلمه ، فتحـابا . غـير أن والـد الفتـاة عـارض في زواجهـا . وبعـد ثـلاث سنـوات قضــياهـا في تبـادل الـرسـائـل ، ضـربـا بمعـارضـة والـديّ كـلارا عـرض الأفق ، وتـزوجـا في شـونيفيلد بـالقـرب من لايبـزيـغ . فكـان زوجـاً مخلصـاً وأبـاً كـريمـاً لسبعـة أبناء . . .

كانت كلارا تجيـد العزف عـلى البيانـو . وقد عمّـرت أربعين سنـة بعد وفـاة زوجها ، وكـان لها الفضـل في نشر نتاج شـومان الفني في أوروبـا. وقـد نشـرت رسائـل الحبيبين الغـرامية بعـد وفاتهـا . . وهـذا نمـوذج من رسـائـل شومان إلى زوجته قبل اقترانه بها :

« لي إليـك رجاء واحـد ! لما كـان يستحيل لقـاؤنـا لاسبـاب تعـرفينهـا رأيت أن اضـع الخطة التـاليـة : غـدا صبــاحــاً ، السـاعـة الحـاديـة عشـرة تمـاماً ، سـأوقع جـزءاً من قطعـة موسيقيـة لشـوبـان ، وسـأحصر في الـوقت نفسـه تفكيري فيـك . وكل مـا ارجوه منـك هو ان تحـذي حذوي ، فنلتقي

نحن الاثنين ، على بعد الشقة بيننا ، وتمتزج روحانا . . . سأنتظر ردك على هذا المطلب الغريب ، وآمل أن يصل إلي في الوقت المناسب . . . » .

وحوالى سنة ١٨٣٣ بدأت تظهر على شومان دلائل الضعف في قواه العقلية . . فحاول سنة ١٨٥٤ الانتحار بقفزه إلى نهر الراين ، ولكنه أنقذ . إلا أن أعراض الجنون ما لبثت أن بدت عليه ، فقضى السنتين الاخيرتين من حياته في أحد المصحّات العقلية . وقد توفي في ٢٩ تموز ١٨٥٦ عن ٤٦ عاماً .

ومن أشهر أعماله الموسيقية المقطوعات التي ألفها للبيانو ، والكونشرتو للبيانو ، وسنفونياته الأربع . . .

غريغ

Edvard Grieg

ولد ادفاردغريغ ، الموسيقي النرويجي ، في برغن سنة ١٨٤٣ ، فكانت أمه أول من علمه الموسيقى . تلقى دروسه الفنية في لايبزيغ ، ثم أتمها في كوبنهاغن في الدانمارك . وكان لمندلسون اكبر تأثير على غريغ . أما أبرز التواريخ في حياته فهو لقاؤه الموسيقي النرويجي رتشارد نوردراك الذي يقول عنه : إن الفضل يعود إلى نوردراك في تعلّمي الاغاني الشعبية السكندينافية (الفولكلور) .

والواقع انه كان لهذا الفورلكور الغني تأثير كبير في غريغ الذي أكبَّ عليه ينهل من معينه ليطبع به مؤلفاته الرائعة .

ويموت نوردراك،فيكمل غريغ بمفرده عمله في تجديد الموسيقى السكندينافية ، والتخلص من كل تأثير اجنبي فيها لا سيما التأثير الالماني .

وهكذا أسس المدرسة الشمالية في الموسيقى .

ويتزوج غريغ مغنية تروح تردد ألحانه وأناشيده في طول أوروبا وعرضها، الأمر الذي يجلب لهما الشهرة العريضة .

وخلال رحلة قام بها غريغ إلى ايطاليا تعرّف بالموسيقي المجري فرانتز ليست ، وبالروائي المسرحي الاشهر ومواطنه هنريك إبسن الذي طلب اليه أن يتعاون وإياه قائلاً انه يود ان يضع له لحناً لمأساة رمزية يعمل في تأليفها هي بير جنت .وقد وافق غريغ على المشروع وعكف على وضع الموسيقى المطلوبة فأتمها في سنتين . . .

غونو

Charles François Gounod

لدى نهاية سنته الأولى في كونسرفاتوار باريس الذي دخله في الثامنة عشرة من عمره ربح شارل فرنسوى غونو (١٨١٨ ـ ١٨٩٣) جائزة روما الثانية بأغنيه ميرّي ستيوارت وريزيو، المقتبسة من قصة غرام ميري ، ملكة الاسكتلنديين . وفي سنة ١٨٣٩ كسب جائزة روما الكبرى بأغنية فرنان .

اشتهر غونو بمقطوعاته الموسيقية الدينية والدراماتيكية . وقد لفت إليه الأنظار ـ بعد نجاحه الباهر في الكونسرفاتوار ـ بقطعة القداس الاحتفالي التي ظهرت سنة ١٨٥١ . وقد سجل نجاحاً في ميدان الاوبرات عندما وضع في السنة نفسها أوبرا صافو . ولقد تسلمّ منصب المراقب العام لتعليم الغناء في المدارس الحكومية في باريس ، ومنصب المدير لجمعية الترنيم الخاصة بهذه المدارس . وخلال الحرب الفرنسية الالمانية نظّم جوقة في انكلترا .

أُخرجت أوبرا فاوست التي اشتهر بها غونو في ١٩ آذار ١٨٥٩،

فلم تلاق الشهرة المنتظرة حينذاك . فلقد فضل النقاد الفرنسيون أوبراه روميو وجولييت عليها لأنها - كما ذكروا - ذات قيمة موسيقية أكبر . ومن أشهر الأوراتوريو التي وضعها نذكر الفداء ، وحياة وموت القديسة سيسيليا .

فاغَنْر

Richard Wagner

أبصر رتشارد فاغنر النور في ٢٢ أيار ١٨١٣ في لايبزيغ، في المانيا. من أب موظف في شرطة هذه المدينة . مات والده وله من العمر ستة أشهر ، وتزوجت والدته وهو بعد في الثانية من الممثل والمؤلف المسرحي والرسام والمغني لودفيغ غاير ، وأقامت وأياه في دريزدن . ولما أصبح في الثامنة من عمره توفي زوج أمه الذي كان يعطف عليه عطفاً شديداً ، ويحبه حباً كبيراً ، جعل ألسنة السوء تتهم زوج الأم هذا بأبوّة رتشارد . وكان لرتشارد من الاخوة ثمانية بين صبيان وبنات ، تميز أربعة منهم بشغفهم الشديد بالفنون . ولقد تزوج مغنية حسناء تدعى مينا بلاتر كانت عبئاً ثقيلاً على عبقريته في المرحلة الأولى من حياته الفنية الحافلة بعدم تقديرها مكانة زوجها . إلا أنها كانت شديدة الاخلاص له في أيام العسر التي عرفاها . . .

عُرف فاغنر بقدرته العجيبة على التجديد ، والخلق والابداع . وقد اختلف الناس في تقديره ، فمنهم من يجده مثال العبقرية الانسانية ، ومنهم من لم ينكر عليه هذه العبقرية بل رأى فيه « شاعراً مهووساً ، وموسيقياً معقد التركيب ، شائك المسلك . ويكفي ان نذكر في هذه المناسبة ما قاله عنه نيتشه من انه موسيقي الانحلال والنذير بانحطاط أوروبا وأفول نجمها . . . » .

كان فاغنر موسيقياً ، وأديباً ، وشاعراً ، وناقداً فنياً ، وقد جدد في كل هذه الميادين ، وحاول أن يقلب رأساً على عقب القيم الفنية كلها . اشتهر بوقائعه الغرامية لأنه عاش انساناً بكل معنى الكلمة وأحب وتألم . . . سعى وراء الحب ينشده في حياته ، كما ينشده في مؤلفاته الموسيقية التي يدور معظمها حول هذه العاطفة الكبيرة . ومن أشهر أوبراته العاطفية نذكر تانهاوزر ، منشدو نورنبرغ ، خاتم القزم ، تريستان وايزولت ، فالكيري ، سيغفريد ، بارسيفال .

ولا غرو إذا قلنا أن مقطوعات فاغنر الموسيقية هي أروع الأناشيد التي رفعها موسيقي للمرأة والحب !

كان فاغنر يعتبر الرقم ١٣ فألاً حسناً . فاسمه يتألف من ١٣ حرفاً ، وقد ولد سنة ١٨١٣ التي تجمع أعدادها ١٣ . وترك المدرسة وهو في سن ١٣ . ووضع ١٣ أوبرا ، وأحب ١٣ امرأة ، وكان أسم امه يتكوّن من ١٣ حرفاً . أما الوظيفة التي شغلها ، وهي تدعى بالالمانية « كابلمايستر » فتتألف كذلك من ١٣ حرفاً . وقد توفي في ١٣ شباط ١٨٨٣ .

فيردي

Giuseppe Verdi

يقترن اسم الموسيقي الايطالي جوسيبي فيردي (١٨١٢ ـ ١٩٠١) باوبرا عايده التي وضعها خصيصاً لكي تُقدم على مسرح دار الاوبرا في القاهرة . ومما يذكر في هذا الصدد أنه عندما طُلب إليه الحضور إلى مصر للاشراف بنفسه على اخراج الاوبرا طلب بناء جسر من الساحل الايطالي إلى الساحل المصري لأنه كان يخشى ركوب البحر ! . .

بدأ العزف على الارغن في العاشرة من عمره . عرف الفشل في

بعض اعمـالـه ، وذاق مـرارة الحـزن بـوفـاة زوجتـه وولـديـه . ومن اشهـر أوبـراتـه التي خلدت اسمـه بين أسـاطين النغم : اوبـرتـو ، مـاكبث ، ريغوليتو ، عطيل ، عايدة .

في سنة ١٨٦٩ طلب الخديوي اسماعيل إلى فيردي ، وكان في ذروة مجـده الفني الخلاّق ، أن يؤلف أوبـرا تقدَّم خـلال الاحتفالات بتـدشين قنـاة السويس . فكان جـوابه الـرفض . وفي العام التـالي اغتنم الخديـوي فرصـة وجـود المـوسيقي في بـاريس فجـدد طلبـه بـواسطـة صـديق لفيـردي يـدعى دولـوكل ، واعـداً اياه بمكـافأة سنيـة . فرفض فيـردي مرة اخـرى ، ورحـل إلى ايـطاليـا . ولكن دولـوكـل أرسـل إليـه ، بعـد أسبـوع أو أسبـوعـين ، سيناريو موجزاً لاوبـرا اكتشف فيه المـوسيقي الايطالي مـوضوعـاً رائعاً يستنـد إليه التعبير الموسيقي ، وقرّ رأيه على تلبية رغبة الخديوي .

وممـا تجدر الإشـارة إليه أن بعضهم اتهم فيـردي بـأنـه قلّد ، في أوبـرا عـايده ، المـوسيقي الألماني رتشـارد فاغـنـر . فـأثّـر هـذا الاتهـام السخيف في نفسه أبلغ تأثير لأن عايـده كانت بـالنسبة إليـه النهايـة المنطقيـة الحتمية لأكـثر من ثـلاثين سنـة كرّسهـا لخدمـة فن الاوبرا الايـطالي . وعـلى الـرغم من ان عـايدة ، وسـائر أعمـاله المـوسيقيـة السـابقـة ، جـرّت إليـه الثـروة والشهـرة العريضة في العـالم الفني ، فإن الاتهـام بالفـاغنريـة أقضّ عليه مضجعـه زمناً غـير قصير . ذلـك بأنـه ليس في اوبرا عـايدة مـا هو غـير ايطالي ، أو مـا هو غريب عن روح فيردي . . .

ليست

Franz Liszt

يُعـد ليست (١٨١١ ـ ١٨٨٦) بحق أشهر من داعبت أنـامله الـرهيفـة

الطيعة أصابع البيانو العاجية في جميع العصور . ولد في ريدنغ ،في المجر ، وكان أبوه من الموسيقيين الهواة . فلما بلغ العاشرة ، وكان قد ورث هذه الموهبة الفنية عن والده ، لفت إليه أنظار الموسيقيين ، وموّل أمدّه بالمال ليتلقى دروسه الفنيّة في فيينا وباريس . وأصبح موسيقياً مرموقاً . فلما بلغ ذروة مجده انزوى في بلدة فايمار حيث صرف اهتمامه وجهوده إلى إدارة دار الأوبرا ، ووضع المقطوعات الموسيقية التي خلدت ذكرها .

وقد عُرف بالحلم ، ورحابة الصدر ، وعزة النفس ، وسعة الخلق ، ولطف المعشر ، مما أكسبه اعجاب الكثيرات من الجنس اللطيف وتقديرهن . وكان بينهنَّ جورج صاند ، والكونتيس داغولت التي أنجبت له ثلاثة أولاد ، والأميرة كارولين ساين ـ وتغنشتاين . ويقال انه انتظم في سلك الرهبنة الفرنسيسكانية ليتخلص من الاقتران بهذه الأميرة الهائمة به . وقد رسمه البابا بيوس التاسع راهباً بصفة استثنائية . ومن رسائله الغرامية إلى الكونتيس داغولت تلك التي يقول لها فيها :

« لا تعيري كلامي اذناً صاغية إذا ما كان يدور على غير الحب والسعادة . مزقي رسائلي واحرقي صفحاتها إذا ما احتوت على اسم غير اسمك ، أو إذا كان فيها ما لا يروقك سماعه . عودي إلي ثانية إذا شعرت برغبة في ذلك . . تعالي ، تجديني وحيداً . . اجل وحيداً ! بدونك لا اعرف الشمس ، ولا الطبيعة ، ولا الله ، ولا المعبد ، ولا الحياة ؟ »

ومن أشهر مؤلفاته الموسيقية : القصائد السنفونية الثلاث عشرة ، وسنفونيتا فاوست ودانتي ، والرابسودي المجرية .

كان الموسيقي ليست يعزف على البيانو في بلاط قيصر روسيا . ولم يكن القيصر ينقطع عن الثرثرة طوال الوقت ، مما أزعج ليست وجعله يسأل عن أسم الثرثار . فلما عرف أنه القيصر تجاهل الأمر ، وانصرف

إلى العزف .

غير أنه لم يستطع مواصلة عزفه للجلبة التي كانت تتصاعد من مقعد القيصر والمقاعد المجاورة له . فتوقف ، وتعلقت به الأنظار ، وتساءل الجميع عما سيحدث . وما عتم القيصر أن قال :

ـ لِمَ توقّفت عن العزف ؟

فأجاب ليب بأدب جم :

ـ عندما تتحدث الجلالة الامبراطورية يصمت الجميع !

ماتهيسون

Johann Mattheson

من أشهر العباقرة الألمان ـ موسيقي ، ومغنٍّ ، وفيلسوف ، وعالم طبيعي ، أبصر النور في هامبورغ سنة ١٦٨١ . عزف على الارغن في عدد من الكنائس وهو في التاسعة من عمره . وفي الثانية عشرة أتقن العزف على القيثار ، والكونترباس ، والكمان ، والفلوت ، والمزمار . وفي الثالثة عشرة شرع في دراسة الحقوق ، وتعلّم اللغات الانكليزية ، والفرنسية ، والايطالية . وفي الخامسة عشرة غنّى الأدوار الأولى في دار الأوبرا في كيل . وفي الثامنة عشرة أخرج أوبرا وضعها بنفسه . وفي الثانية والعشرين عندما قابل الموسيقي هاندل ، كان يشغل وظيفة سكرتير في المفوضية البريطانية في هامبورغ ، وكان قد وضع عدداً من الاوبرات ، والاوراتوريو ، والأناشيد ، وعدداً من الكتب في المرسيقى ، والفلسفة ، والعلوم . وكان يطمح إلى اصدار كتاب كل عام طوال حياته . وقد حقق هذا المطمح إذ انه توفي عن ثلاث وثمانين سنة (١٧٦٤) بعد أن أصدر ثمانية وثمانين كتاباً . . أي أنه وضع أكثر من كتاب في العام الواحد .

غير أن هذا العبقري لم ينعزل عن العالم ليقوم بهذا العمل الجبّار في حقلي الموسيقى والكتابة . فعلى الرغم من نشاطه واجتهاده كان يجد المتسع الكافي من الوقت للتسلية والترويح عن النفس . . فقد كان لاعب سيف ممتازاً ، وراقصاً بارعاً ، وزير نساء من الطراز الأول .

وكان ماتهيسون أكبر عون لصديقه هاندل في حياته الموسيقية . فهو الذي ساعده على الانضمام إلى فرقة هامبورغ الموسيقية كعازف ثانٍ على الكمان . . وهو الذي عرّفه إلى السفير البريطاني السر سيريل ويكي ، وكان من عشاق الموسيقى ، الذي ساعده في تدبير التلاميذ له والحفلات ، ومهّد له السبيل فيما بعد للاقامة في انكلترا . . .

وتخاصم الصديقان ذات يوم كما يتخاصم كل الأصدقاء . . تخاصم ماتهيسون وهاندل بسبب تنافسهما الموسيقي . كان ذلك لمناسبة تقديم اوبرا كليوباترا لماتهيسون التي قادها بنفسه ، وقام فيها بدور انطونيو ، فكان إذا نزل عن المسرح تولى القيادة على قيثارته ،فإذا ما حان دوره للغناء ترك القيثار لهاندل ليعزف عليها . وحدث أن مثّل ماتهيسون دوره الأخير ، وهو موت انطونيو ، وعاد إلى مكانه مع الجوقة ليتسلم القيثار من هاندل ، فأبى هذا أن يعطيه إياه لانسجامه في العزف . وانتهت الحفلة ، وخرج الاثنان من المسرح فصفع ماتهيسون صديقه هاندل الذي طلبه إلى المبارزة . وجرت المبارزة بينهما في ساحة السوق العامة فنجا هاندل من الموت باعجوبة . . فقد ارتد سيف ماتهيسون عن صدر هاندل بفضل زر معدني كبير في معطفه . وعندها تعانق الصديقان العنيدان ومضيا معاً لاجراء التمرينات على أول أوبرا وضعها هاندل « حظ الميرا » . وكان هاندل وقتئذ لم يتجاوز العقد الثاني من العمر . وقد غنّى ماتهيسون في هذه الاوبرا ، واوبرا نيرون التي أعقبتها مباشرة ، الدورين الرئيسيين ! . .

مندلسون

Felix Mendelssohn

لقيت مواهب فيليكس مندلسون (١٨٠٩ - ١٨٤٧) كمؤلف موسيقي وعازف بيانو كل تشجيع في مسقط رأسه هامبورغ بحيث أنه كان يعزف البيانو في الحفلات الموسيقية الكبرى وهو بعد في التاسعة من عمره . وقد شرع في التأليف وهو في الثانية عشرة . ومما تجدر الاشارة إليه أن الافتتاحية المشهورة « حلم ليلة صيفية » وضعها وهو في السابعة عشرة . وفي سنة ١٨٢٩ قاد جوقة (كورس) مؤلفة من ٣٥٠ صوتاً في قطعة « آلام القديس متى » التي ألفّها يوهان سيباستيان باخ ، والتي كانت أول عمل من هذا القبيل يُقدّم بعد وفاة باخ سنة ١٧٥٠ . وقد عيّن مندلسون مديراً للموسيقى في دوسلدورف سنة ١٨٢٣ ، وبعد سنتين أصبح مديراً لجوقة لايبزيغ ، وهو أرفع منصب موسيقي في ألمانيا وقتذاك . وفي سنة ١٨٤٦ اضطر للاستقالة بسبب سوء صحته . وتوفي السنة التالية عن ٣٨ عاماً .

كانت رحلته إلى اسكتلندا سنة ١٨٢٩ مصدراً ألهمه « السنفونية الاسكتلندية » وافتتاحية الهيبريد . أما سنفونيته الايطالية فتعكس ذكرياته في روما ، والبندقية ، ونابولي . ومن أشهر أعماله سنفونية الاصلاح ، واوراتوريو ايليا . . .

كانت طفولة مندلسون سعيدة هانئة لأن أسرته كانت ترتع في بحبوحة من العيش . ولعله من بين الموسيقيين القلائل الذين نعموا في حياتهم باليسر والشهرة معاً .

وقد أسس معهد لايبزيغ الموسيقي وتولّى ادارته ردحاً من الزمن .

إلّا أن جده وعمله المتواصلين نهكا قواه ، فساءت صحته . ولما أصيب بداء في القلب لم تستطع بنيته تحمّل النوبات الثلاث التي قضت عليه سنة ١٨٤٧ ، بعد أن نفض يده من اوراتوريو ايليا .

موتسَارت

Wolfgang Amadeus Mozart

كان الامبراطور فرانتس الأول يلقب فولفغانغ موتسارت (١٧٥٦ ـ ١٧٩١) ، الطفل النمساوي العجيب ، بالساحر الصغير . . فقد جلس إلى البيانو وهو في الثالثة ، ووضع القطع الموسيقية وهو في الخامسة ، وقاد الفرق الموسيقية وهو في السابعة ! وراح يطوف باوروبا كلها مع أبيه . . فكان الناس في دهشة مما يرون . . ذلك انهم لم يروا من قبل عبقرياً في مثل سنه . أما رجال الدين فاعتقدوا أن أباه على اتصال بالشياطين والجن . فقاموا إلى الطفل وسجنوه في غرفة أحكموا اقفالها ووضعوا له فيها قليلاً من الطعام والماء ظناً منهم أنه سيعجز عن الابداع لحؤولهم بينه وبين الاتصال بالجن . . فكانت النتيجة قطعة موسيقية جديدة للطفل موتسارت .

أهمل هذا الموسيقي فنه ردحاً من الزمن انصرف بكليته في اثنائه إلى وقائعه الغرامية مع ألويزيا فيبر ، ابنة أحد الممثلين المحترفين الفقراء . وكاد هذا الحب المتبادل ينتهي بالزواج لولا تدخل موتسارت الوالد وحؤوله دون تحقيق رغبة الحبيبين .

واحتجب الموسيقي الساحر مدة عن ألويزيا قضاها في باريس حيث أحرز انتصارات فنّية باهرة . ثم عاد ألى وطنه فألفى حبيبته قد تبدلت ، وشعر بأن الحب الذي كانت تكنّه له قد فتر فلم ييأس ، ولم يبال ، بل

حوّل وجهه وقلبه شطر شقيقتها الصغيرة كونستانتسه التي كانت رفيقة صباه . وما عتم الأمر أن تزوجها .

وظلّ الفقر ملازماً له حتى آخر أيام حياته بيد انهم يرجحون ان حياة موتسارت مع زوجته كانت حياة هانئة ، تكتنفها السعادة ، مع العسر الذي كانا عليه . . يدل على ذلك رسائله العديدة التي تظهر بوضوح أن أشهرها وأرشقها أسلوباً هي تلك التي كان يبعث بها إلى زوجته .

كان موتسارت فقيراً إلى درجة أنه كان عاجزاً عن شراء الحطب لتدفئة غرفته الحقيرة . فكان يضع يديه في جواربه ليحفظ حرارتها وينصرف إلى وضع موسيقاه الرائعة التي رفعت اسمه إلى أوج الشهرة والمجد . وقد قضى نحبه في الخامسة والثلاثين من عمره بداء الصدر نتيجة سوء التغذية ، والجوع والبرد . أما جنازته البسيطة فلم تكلف سوى ثلاثة دولارات فقط . . وقد مشى خلف نعشه المصنوع من خشب الصنوبر ستة أشخاص لم يكملوا طريقهم ألى المقبرة لتساقط الأمطار بغزارة .

وفي المهرجان الكبير الذي أقيم عام ١٩٥٥ في سالزبورغ احتفاء بمرور مئتي عام على مولد موتسارت ـ الذي لقّب بالارستقراطي ـ قال رئيس جمهورية النمسا : « إن النمسا لن تسمح بأن يعيش عبقري فقيراً ، ولن تسمح له بأن يموت منسياً ! »

ولكن موتسارت مات فقيراً في الخامس من كانون الأول سنة ١٧٩١ ، ودفن في مكان لا يعرفه أحد .

كان يبدو كأنه صُنع من الموسيقى . . الالحان تتراقص على شفتيه ، وتنبعث من رؤوس أصابعه . ولم يكن السفر المتواصل إلا مصدر وحي

وإلهام له .

أحبه وقدره عباقرة الموسيقى جميعاً . . فهايدن قلده في التأليف ، وكان يردد على مسامع أبيه ليوبولد موتسارت : « ان ابنك لهو أعظم موسيقي عرفه العالم » . وبيتوفهن كان يدرس موتسارت دائماً .

وشوبان كان متشرباً بروح موتسارت ، وقد قال وهو على فراش الموت : « اعزفوا مقطوعات موتسارت عندما تريدون أن تذكروني ! » . وبرامز عدَّ موتسارت جباراً بين الجبابرة . . حتى فاغنر المتكبّر كان يحني له رأسه . وباخ ، ابن الموسيقي الشهير سيباستيان باخ، كان يقول عنه : « كثيرون من الموسيقيين لم يكونوا ليعرفوا من أصول الموسيقى في أواخر حياتهم مثلما كان موتسارت يعرف في طفولته ! »

وليس من الغلو في شيء القول إن في الوسع إعادة الكثير مما هو رائع وجميل في اوبرات فيردي ، والروح المرحة في فالسات شتراوس ، وأكثر ألحان شوبرت وشومان إلى ينبوع موتسارت الرقراق الصافي ! . .

موسورغسكي

Modest Moussorgsky

الموسيقي الروسي موديست بتروفتش موسورغسكي (١٨٣٩ ـ ١٨٨٠) معروف باوبرا بوريس غودونوف الرائعة الالوان . دخل الجيش في سن السابعة عشرة . . وقد عرّفه احد زملائه بموسيقي كان فاتحة تعرّفه بموسيقيين آخرين درس على ايديهم .

أُخرجت له اوبرا بوريس غودونوف للمرة الأولى في دار الاوبرا الامبراطورية الروسية سنة ١٨٧٤ فنالت شهرة كبيرة لحيويتها . وفي السنة التالية اتم اوبرا تاريخية دعاها غوفنتشينا .

ومع ان موسورغسكي عمل في هذه الاوبرا طوال حياته فإن زميله رمسكي ـ كورساكوف اتمها سنة ١٨٨١ ، ولم تقدم الا بعد وفاة موسورغسكي . وتدور قصتها حول مؤامرة على القيصر بطرس الاكبر . وقد وضع هذا الموسيقي قطعاً عدة للبيانو اشهرها صور في متحف . وتكهن موسورغسكي عن التطور الحديث في الفن فقال : « تكون البناية جميلة عندما تكون ـ إلى جانب مظهرها الخارجي البديع ـ مبنية على تخطيط هندسي تام متين ، وعندما يشعر المرء بالغاية نفسها من اقامتها » .

هاندل

Georg Friedrich Handel

السكسوني الشهير . . أو جورج فريدريك هاندل (١٦٨٥ ـ ١٧٥٩) ، كان على نقيض باخ . . فلم يبصر النور في عائلة موسيقية . . حتى ولا في عائلة تعترف بقيمة الموسيقى أو تقدّرها حق قدرها . فأبوه جورج هاندل كان حلاقاً يعمل في خدمة الدوق أغسطس السكسوني . نجح في مهنته هذه ، واستطاع أن يبتاع منزلاً فخماً في « هاله » . وقد تزوج مرتين : الأولى من أرملة أحد الحلاقين ، والثانية من ابنة أحد رجال الدين . أنجبت له الزوجة الأولى ، وكانت تكبره بعشر سنين ، ستة أولاد ، وأنجبت له الثانية ، وكانت تصغره بثلاثين سنة ، أربعة أولاد . وكان جورج فريدريك الابن الثاني من الزواج الثاني . وعندما أبصر النور في ٢٣ شباط ١٦٨٥ ، كان والده في الثالثة والستين من عمره . وقد أنعم عليه الخالق منذ نعومة أظفاره بعقل راجح ، وقلب طيب فتيّ .

أظهر في سن مبكرة ميلاً شديداً إلى الموسيقى ، ولكن والده كان

حجـر عشرة في سبيله ، فقـد أراده أن يمتهن مهنتـه التي درت عليـه مـالا وفيـراً ، وأمّنت لـه حيـاة سعيدة مـرفهـة . وإذا لم يشـأ جـورج الصغـير أن يصبـح حلاقـاً فليدرس القـانون ويصبـح محاميـاً . ليصبح أي شيء ، ولكن ليبتعد عن الموسيقى .

فالموسيقيـون في نظر والـده جماعـة من المتشردين ، مكـانتهم لا تختلف بشيء عن مكـانـة الخـدم ، بـل عـلى العكس أدنى منهـا . فـالخـدم الألمـان ينعمـون بطمـأنينة استخـدامهم الذي يـوفر لهم معـاشهم ، أمـا المـوسيقيـون فانهم يعزفون ، ويغنون ، ويتضورون جوعاً .

غـير أن بذرة المـوسيقى كانت متـأصلة الجـذور في نفس هـذا الـطفـل الـذي لم يتجـاوز السـادسـة من عمـره . وكـان من الصعب عـلى والـده ، بـالرغم من تهـديده ووعيـده ، أن يقتلعها من نفسـه ، وأن يصرفـه عن هذا السبيـل الذي أراد أن يسلكـه . فقـد استـطاع الصغـير هـانـدل أن ينصـرف إلى التـدرّب على العـزف على قيثـارته في بيت المؤونـة كل ليلة ، بعـد أن ينام ذووه . ومـا لبث الأب أن اكتشف حيلة ابنـه ، فهـدده بقـطع أنـامله إن لم ينصرف عن الموسيقى ، ولكن دون جدوى . . .

وتشـاء المصادفة أن ينـطلق الأب بـرفقـه ابنـه ـ وهـو بعـد في السـابعة ـ إلى زيـارة ابن عم له يـدعى جورج كـريستيـان هـانـدل ، يعمـل وصيفـاً لدوق فـايسنفلس . وبينما همـا في البلاط تسلل هـاندل الصغـير ذات يـوم إلى الكابيـلا الخاصـة بالـدوق ، وجلس إلى الارغن ، وراح يعزف دون مـا رقيب أو حسيب . وسمعـه الـدوق ، وسـأل من يكـون هـذا العـازف العبقري ، وحثّ والده على تعليمه المـوسيقى تشجيعاً لمـواهبه . وكـان طلب الـدوق هذا بمثـابة أمـر . . فلـم يرَ الأب بـداً من تنفيذ هـذا الأمـر ، وعهـد بابنه الى عازف الارغن الشهير فـريدريـك فلهـلم زاكاو . وكـان كل اعتقـاده ان هـذا الجنـون سيكـون قصـير الأمـد ، ولن يلبث أن يـرى الابن الضـوء

الساطع فيقلع عن القاء « النوتات » السمجة في آذان البشر ، لينصرف إلى اقتلاع الشعيرات من ذقون الناس . . .

ولكن الأب كان واهماً . فلم تكن الموسيقى نزوة عابرة في نفس هاندل ، بل عاطفة ازلية كرّس لها كل حياته فأبدع فيها ما شاء له الابداع . وكان زاكاو معلّم موسيقى ماهراً ، وملهماً في آنٍ معاً ، فسرعان ما تفتحت عبقرية هاندل على يديه ، وتجلى نبوغه . وجاءت موسيقاه عالمية ، لا تختص بزمان أو مكان معينين . ومن هنا كانت روعتها . . ومن هنا كان تذوّق الجميع لها ! . .

بدأ حياته الفنية عازف ارغن في سكسونيا ، ثم أصبح عازف كمان في اوبرا هامبورغ . وسافر إلى انكلترا سنة ١٧١٠ وتجنّس بالجنسية البريطانية . وأسس هناك « الاكاديمية الموسيقية الملكية » ، وبنى فيها شهرته الموسيقية كمؤلف اوبرات واوراتوريو . غير أنه لم يكن محبوباً من زملائه الانكليز الذين حاربوه بشتى الوسائل المشروعة وغير المشروعة . أصيب بالعمى في اواخر أيامه . ولكنه بعد أن مات ودفن في كاتدرائية وستمنستر أصبح الانكليز يعتبرون هذا الموسيقي الألماني كأي موسيقي انكليزي ! . .

وفي غمرة بؤسه وفقره عرضت عليه جامعة أوكسفورد الدكتوراه الفخرية في الموسيقى فرفضها لأن هذا الشرف يكلفه خمسماية دولار . وساءت صحته ، كما ساءت من قبل حالته المادية . فأصاب الشلل جنبه الأيمن . وجاء الدائنون يلقون القبض عليه مهددينه بالسجن . وحدّثته نفسه بأن يلقي سلاحه ويستسلم ، إلا أن عبقريته تململت وألهمته أروع مقطوعاته الموسيقية الدينية أوراتوريو المسيح ، وقد وضعها في ثلاثة اسابيع . وشهدا أول عرض لها . وفي وسط الحفلة أصيب بنوبة إغماء فنُقل إلى سريره الذي لم يقم منه .

وكان قد تمنى أن يموت يوم الجمعة العظيمة « على أمل أن ألقى الإله الطيّب، إلهي الحبيب ومخلصي ، في يوم بعثه ! » - على حد تعبيره - وقد تحققت أمنيته ، إذ أنه في صبيحة يوم سبت النور الموافق ١٤ نيسان سنة ١٧٥٩ التقى وجهاً لوجه الموسيقي ومسيحه !

هَايْدن

Franz Josef Haydn

تقوم شهرة فرانز جوزف هايدن (١٧٣٢ - ١٨٠٩) الموسيقي النمساوي على تخصصه في وضع الموسيقى للآلات الوترية التي وضع منها ٧٧ قطعة ، وعلى سنفونياته التي جاوزت المائة . درس الموسيقى بفضل المال الذي استدانه من أصدقائه ، والذي جمعه من تدريسه الموسيقى . فلما عُرف أنه استاذ موسيقي ومؤلف تلقّى مساعدات مالية جمة من الكثيرين من رعاة الفنون الاثرياء ، الأمر الذي يسّر له حياة رغيدة . وأفاد من كلّ الفرص والظروف ، وذاعت شهرته في طول أوروبا وعرضها . أما زوجته التي لم تكن تحبه ولا تليق به فقد كانت تستعمل مخطوطاته الموسيقية في فتل شعرها ، أو لتصر بها بعض الحاجيات . وكانت تبذر دخله على شؤون الزينة والتبرّج .

وكان من أعز أصدقائه الموسيقي موتسارت . قابله بتهوفن ، وكان بعد في الثانية والعشرين من عمره ، اثر عودته من انكلترا حيث قدم سلسلة من الحفلات الموسيقية الكبرى ، ووضع سنفونيته « المفاجأة » . وقد درس بتهوفن على يده طوال سنة كاملة . . .

كان هايدن . شأنه في ذلك شأن أكثر الموسيقيين العظام ، دليلاً حياً على ازدراء الطبيعة التقسيمات الزائفة للقيم البشرية . فقد كان والده

صانع عربات ووالدته طباخة . ولم يتردد هو ، في سبيل تلقي أسرار الموسيقى ، في العمل خادماً لدى دكتاتور الموسيقى النمساوي نيقولا بوربوى . وكان ذلك نقطة التحوّل في حياته . ولما لم يكن يملك من المال ما يدفعه لبوربوى فقد اتفق معه على أن يعمل لديه كخادم خاص مقابل تلقيه أسرار الموسيقى وهكذا كان ، إذا اصبح هايدن يمسح لبوربوى ثيابه وشعره المستعار ، ويخضع لنوبات غضبه ، ويبتلع اهاناته وهو يحفظ معلوماته .

والتقى هايدن ـ عن طريق بوربوى ـ بنبيل نمساوي يدعى كارل جوزف فون فيرنبرغ ، فارتبط معه بعقد يتوجب عليه فيه أن يؤلف المقطوعات ويعزف لهذا النبيل . فوضع في هذه الفترة ثماني عشرة قطعة للآلات الوترية ، وهي تجربة نمت منها فيما بعد سنفونياته .

ويبدو أن الحظ قد ابتسم لهايدن بعد طول عبوس ، فقد انتقل من خدمة البارون إلى خدمة الكونت مكسميليان فون مورتسين ، ومنه إلى الأمير اشترهازي . . وبهذا الانتقال النهائي الذي تمّ سنة ١٧٦٠ وجد الموسيقي الشاب نفسه في بداية حياة موفقة مضمونة المستقبل .

أما في الناحية الفنّية ، فقد استطاع هايدن أن يضرب رقماً قياسياً في عدد المقطوعات التي وضعها . فقد كان يتمتّع بالهدوء وراحة البال في ظلّ الأمير اشترهازي وكان ـ مقابل ذلك ـ يقود فرقة الأمير الموسيقية ، ويضع لها الألحان لتسلية ضيوف الأمير . وقد وصف هايدن الأمير بقوله : « انه كان يريدني أن أعدو عدواً في التلحين لكي يحطم ساقيّ الزمن ، كما قال » .

وفي ٢٨ أيلول سنة ١٧٩٠ توفي الأمير اشترهازي، ولكنه لم ينسَ أن يوصي له بمرتب سنوي قدره ألف غولدن . فاستطاع هايدن أن ينطلق

حـراً يضرب في ارجـاء أوروبا . فـزار لندن مـرتـين حيث حـظي بـاعجـاب الجماهير ، ونال دكتوراه الشرف من جامعة أوكسفورد .

وعندما بلغ هـايدن السـادسة والستـين وضع تحفتـه الموسيقيـة الخالـدة الخليقة . . وضعها عـلى أساس مقـطوعة الشـاعر ملتـون الفردوس المفقـود ، فإذا هي مزيـج من التدين والتصـوف . وفي عيد ميـلاده السادس والسبعـين وضع له أصدقاؤه برنامجاً ينعم فيه بنصـره النهائي في تلك المقـطوعة ، فنُقـل عـلى مقعـد يسـير عـلى عجـلات إلى حفلة خـاصـة تعـزف فيهـا مقطوعة « الخليقة » .

ودخـل هايـدن إلى القاعـة فنهض جميع الحـاضرين إجـلالاً . وعندمـا وصلت جوقة المنشـدين إلى مقطع « ثم كـان النور » أخـذت الجماهـير تصفق وتهتف ، فنهض هـايدن عـلى قدميـه وأخذ يهتف قـائلاً : « لست أنـا خـالق ذلك ، بل القوة العليا هي التي خلقته » .

وبينـما هايـدن يُدفـع فوق عجلتـه الى خارج القـاعة تقـدم منـه شـاب أشعث وقبّل يده . . وكان هذا الشاب بتهوفن .

وقد توفي اثر صدمة عصبية أصيب بها لدى سقوط قذيفة على مقربة من منـزلـه في فيينـا في أثنـاء تبـادل نيـران المـدفعيـة بـين جيـوش نـابـوليـون والجيوش النمساوية .

مع الخالدين من الرسامين والنحاتين

إل غريكو

El Greco

لم يـرسم أحد روح أسبـانيا المعـذبة أفضـل مما رسمهـا ابنها بـالتبني إل غريكو (١٥٤١ ـ ١٦١٤) باشكالها المستطيلة ، ووجوهها الذاهلة .

كـان يـونـانيـاً ، وُلـد في جـزيـرة كـريت ، واسمـه الأصـلي دومنيكـو تيوتوكوبولي . إلا أنه كان من المدرسة الحديثة في الرسم ، ولا نتوقـع أن نجد في لـوحاتـه الهدوء الـذي تتميز بـه رسوم الفنـانين اليـونانيـين القدامى امثـال فيـدياس وبـراكيستيل . وهي أقـرب ما تكـون إلى رسـوم طبقـة الـرسـامـين المتصـوفين أمثـال ويليام بـلاديك ، وفنسنت فـان غو ، وإلى طبقـة المصلحين امثال لويولا اليسوعي .

قليلة هي المعلومـات التي وصلتنا عن حيـاته . ففي سنـة ١٥٧٠ كـان في البندقية ، بإيطاليا، حيث درس مع بعض الـرسامـين امثال جـاكوبـو باسانو وتيسيـان . واستقـر في طليـطلة في اسبـانيـا حـوالى سنــة ١٥٧٥ حيث بقي حتى وفاته . ومن أشهر اعمالـه تلك اللوحات الـدينية الـرائعة : العنصـرة ، تتـويج العـذراء ، الصلب ، القـديس فـرنسيس ، إلى جـانب لـوحـاتـه التي ترسم مناظر الطبيعة الخلابة المحيطة بطليطلة .

روزا بونير

Rosa Bonheur

لقرن مضى لم يكن العالم ينظر إلى المرأة الفنانة نظرة جدية . فتزيين المراوح ، وزركشة الاقمشة ، والرسم بالالوان المائية كانت الفنون الوحيدة التي تدخل ضمن نطاق مهارة النساء ، إلا أن امرأة واحدة حطمت هذا التقليد ، هي روزا بونير (١٨٢٢ - ١٨٩٩) ، الفتاة الباريسية ، الضئيلة الجسم ، الجذابة الملامح .

كانت روزا في الحادية عشرة من عمرها عندما توفيت والدتها ، تاركة اربعة اولاد هي اكبرهم ، وزوجاً فناناً لا يكاد يكسب قوت اسرته . فإذا بروزا تتدرب على يديّ خياطة لتساعد والدها في اعالة الاسرة . غير أنها كانت قد قررت بينها وبين نفسها أن تكسب معيشتها بالفرشاة بدلاً من الابرة ، وأقنعت والدها بأن يلقنها ليلاً أصول الرسم .

وفي الحادية والثلاثين من سنيها ادهشت روزا بونير العالم بلوحتها الكبيرة الرائعة سوق الخيل التي عرضت في « صالون باريس » سنة ١٨٥٣ . ويبلغ طولها ١٦,٥ قدماً وعرضها ٨ أقدام . وقد استغرق صنعها ١٨ شهراً قضتها روزا في التردد على سوق الخيل ليلاً نهاراً متنكرة بلباس الرجال ، مختلطة بالسائسين والتجار والفرسان لتكوّن أصدق فكرة وصورة عما اعتزمت نقله على القماش . . . وقد باعت روزا هذه اللوحة بمبلغ ٤٠ ألف فرنك ، فلما أراد أحد الاثرياء الاميركيين أن يبتاعها ليهديها إلى متحف متروبوليتان للفن في نيويورك دفع ثمناً لها ٢٥٠ ألف فرنك (حوالى ٧ أضعاف ثمنها الأول) .

ووقف في صالون باريس يتأمل هذه التحفة الفنية الرائعة

الامبراطور نابوليون الثالث وزوجته اوجيني ، وقد اخذتها الدهشة . وقد طلبت الامبراطورة إلى زوجها ان يقوم بسابقة لا مثيل لها ، فيمنح روزا بونير ارفع وسام من اوسمة الاستحقاق ـ وسام جوقة الشرف . فاقتنع الامبراطور ، ولكن مستشاريه قاوموا الفكرة . إلا أنه بعد اثنتي عشرة سنة ، وبينما كان الامبراطور بعيداً عن فرنسا واوجيني تتولى الوصاية على العرش ، ذهبت الامبراطورة ذات يوم تحفّ بها حاشيتها إلى محترف روزا لتنعم عليها بالوسم الرفيع قائلة لها وهي تعلّقه على صدرها : « لقد أسبغت على جنسك امتيازاً جديداً ! »

ولكنه كان ينتظر روزا بونير تقديرٌ أسمى . . ففي سنة ١٨٩٥ سميت ضابطاً في جوقة الشرف ، فكانت أول امرأة تبلغ هذه المرتبة .

أقامت في ضواحي غابة فونتنبلو حوالى اربعين سنة . . اقامت في مملكة للحيوان انشأتها ، ضمت مختلف أنواع الحيوانات الاليفة التي كانت تحبها حباً شديداً ، وقد أطلق عليها اسم ديانا فونتنبلو . لم تتزوج مع أنه كان لها عدد كبير من المعجبين . وقد قال احدهم إنه يشعر بأنه أشبه ما يكون بدودة الارض عاشقة النجمة !

عاشت روزا بونير لفنها ، ولم تكن لتستطيع تلبية كل الطلبات التي كانت تردها من انكلترا واميركا .

وقد قال فيها فكتور هوغو : إني أضعها كفنانة مبدعة خلاقة في المقام الأول بين النساء !

بيكاسو

Pablo Ruiz (y) Picasso

هذا الرسام الأسطورة ، اسباني الأصل ، فرنسي الجنسية والإقامة ، أبصر النور في مالاقة ، في ٢٥ تشرين الأول ١٨٨١ . وهو رائد المدرسة

التكعيبية في الرسم ، وربما كان له التأثير الأقوى على الفن في القرن العشرين . كان والده فناناً ، واستاذاً في أكاديمية الفنون الجميلة في برشلونة ، وعلى يديه تتلّمذ بيكاسو الصغير ، وتلقى أول دروسه في فن الرسم . وكان في الرابعة عشرة عندما دخل الأكاديمية الفنية ، وأنجز في يوم واحد مشروعاً فنياً كان يعطى المرشح مدة شهر كامل لوضعه . ومع كونه اسباني المولد ، إلا أنه تطور في فنه في فرنسا ، حيث بات أحد زعماء المدرسة الفنية المعروفة بما بعد الانطباعية .

إن أعمال بيكاسو الأولى تُظهر موهبته كرسام صور ذي طابع عاطفي . وقد اختار ، مثل طولوز ـ لوتريك ، موضوعات رسومه من حياة السيركات ، ومن الجوانب الكئيبة في المدينة الكبيرة ، وقدّم باحساس كثير نظرات ممثلات المسرحيات الهزلية من المستهترات وذوات الغنج ، والبهلوانات ، والمهرّجين ، المتوترة ، والحزينة ـ كل ذلك بفرشاة ترسم بوضوح ، وباللون الرمادي الضارب إلى الزرقة . ولكنه بدءاً من سنة ١٩٠٥ راحت ألوانه تميل إلى الوردي .

وبين سنة ١٩٠٦ و١٩١٠ ، أوجد مع الرسام جورج براك المدرسة التكعيبية . وبعد سنة ١٩١٨ عاد بيكاسو بصورة رئيسية ، إلى المناهج التقليدية ، وراح يقيم أُسس رسومه على الشكل الطبيعي . وعلى الرغم من كونه معادياً للنازية ، فقد بقي مقيماً في باريس أثناء الاحتلال الألماني ، وواصل عمله . وعقب التحرير ، تحرير باريس ، أعلن أنه بات شيوعياً ،

وقد اعتمد المؤتمر الشيوعي للسلام العالمي حمامة ابتكرها بيكاسو كرمز لحركات السلام الشيوعية المختلفة .

كانت شهرة بيكاسو الفنية عالمية ، وكان يكفي أن تحمل أي لوحة توقيعه حتى تُباع بأفحش الأثمان . . . كان يكره الظهور ، ولا يوافق إلا

لماماً وبعد إلحاح شديد ، على عرض لوحاته الفنية .

هبط بيكاسو الأسباني الأصل باريس سنة ١٩٠٠ ، وكان له من العمر وقتئذٍ تسع عشرة سنة . فأقام مع صديق له شاعر يدعى ماكس جاكوب ، في حي مونمارتر ، وجعل يقضي لياليه في التصوير .

وكان من أغنى أغنياء الفنانين والشيوعيين ، وكان باراً بالفقراء ، يُساعد كل من يلجأ إليه . ساعد الجمهوريين الأسبان إبّان الحرب الأهلية بالمبالغ الطائلة . وله لوحة فنية تمثل مدينة « غيرنيكا » التي أزالتها الطائرات النازية وقتئذٍ من الوجود . وفي اثناء الاحتلال الألماني لفرنسا ، زاره بعض الضباط النازيين في محترفه بباريس ، فوقع نظرهم على هذه اللوحة ، فسألوه : أأنت فعلت هذا ؟

فأجابهم : كلا ، أنتم فعلتم هذا !

وعلى ذكر هذه اللوحة بالذات ، نُشير إلى أنها كانت موضوعة في « متحف الفن الحديث » في نيويورك ، في نهاية الحرب الأهلية الأسبانية . وقد طُلب عدم إعادتها إلى أسبانيا إلا بعد أن تتحول الى دولة ديمقراطية . وقد احتفل الأسبان بعودتها إلى متحف « البرادو » في العاصمة مدريد ، في ١٠ أيلول ١٩٨١ ، بعد غياب استمر ٤١ سنة كاملة ، وبعد رحيل صاحبها عن هذه الدنيا في سنة ١٩٧٢ .

ويُذكر أن وزير الثقافة الأسباني آنذاك رافق هذه اللوحة من نيويورك إلى مدريد ، وسط تدابير أمن مشدَّدة للمحافظة عليها من ساعة إرسالها إلى ساعة وضعها في المتحف الأسباني الشهير . وعُرضت « غيرنيكا » الشهيرة في ٢٥ تشرين الأول ١٩٨١ ، لمناسبة الاحتفال بالذكرى المئوية الأولى لولادة بيكاسو .

عاش بيكاسو ٩١ سنة ، رسم خلال ربع قرن منها ، ١٥ ألف لوحة زيتية ، جمع منها المال أكثر مما حصّل أي رسام في التاريخ . ونذكر ههنا أن الرسام الهولندي رامبرانت الذي يأتي بعده مباشرة من حيث غزارة الانتاج لم يرسم في حياته التي امتدّت ٦٣ سنة ، وحسب ، إلاّ ٢٨٠٠ لوحة !

ومن أقوال بيكاسو هذه الطائفة التي تلّخص نظرته إلى الرسم والرسامين :

- الناس الذين يحاولون شرح الصور والرسوم غالباً ما يخطئون القصد .

- الرسام يرسم لكي يتحرر من عبء مشاعره ورؤاه .

- كان ينبغي لي أن أكون تاجر لوحات فنية . ذلك بأن تلك هي المهنة الوحيدة التي يربح فيها المرء بكل اللوحات !

- إن قيمة الفنان تتوقف على ندرة صنيعه الفني .

- عبقريتي هي الوسيلة الوحيدة التي وجدتها للتهرّب من العمل .

واستناداً الى هذه الأقوال ، وبخاصة القولين الأخيرين ، كيف يمكننا التوقف بينها وبين انتاج بيكاسو الضخم الذي يكاد لا يُصدَّق ، والذي استحق عليه لقب « بيكاسو الأسطورة » ؟!

تيسيان

Titian

ان غنى الألوان والغبطة في الاشياء المادية تصل إلى الذروة في أعمال

هذا الفنان الذي تأثر ـ كما يبدو من لوحاته الأولى ـ بالرسام البندقي (من فينيسيا) جيورجيوني . ففيها يبدو أنه يعالج بجبن الأشكال الجامدة، على نقيض ما يتجلى في لوحاته التالية من حيوية وقوة . وقد كسفت ضربات ريشته السريعة الفن الفرنسي الحديث .

أبصر تيزيانو فتشيليو (ويدعى تيسيان) النور في الألب الفينيسية حوالى ١٤٧٧ . درس الرسم على يد الفنان جيوفاني بيلليني في البندقية ، ثم دخل محترف جيورجيوني . وبين سنة ١٥١٤ و١٥١٩ كان في فيريرا يعمل في بلاط الفونسو ذيستي ، زوج الحسناء الساحرة ، الداهية ، لوكريس بورجيا . وعاد إلى البندقية ليقيم قليلاً قبل دعوة الامبراطور شارل الخامس له سنة ١٥٢٩ إلى بلاطه في بولوني . وقد صنع له عدة رسوم ، احدها وهو ممتط صهوة جواده . . فكانت تلك الصورة نموذجاً يحتذى في رسوم الاشخاص على ظهور الجياد . وقد صنع كذلك رسوماً تعتبر دراسات نفسية عميقة كصورة البابا بولس الثالث ، والرجل ذو القفاز . ومن رسومه الكلاسيكية والرمزية نذكر الحب المقدس والدنس . وله من الرسوم الدينية الرائعة صعود العذراء ، والدفن . وقد توفي في البندقية في ١٧ آب ١٥٧٦ .

تشيلليني

Benvenuto Cellini

حياة هذا الفنان الايطالي سلسلة متشابكة من الخلافات ، والمؤامرات ، والعداوات، والسجون ، والمصالحات ، والوقائع الغرامية ، تتوّجها جواهر عبقريته الخلاقة . مضى على زواج والده بأمه عشرون سنة قبل أن يرزق به في أول تشرين الثاني ١٥٠٠ . وعلى الرغم من أن والده كان يود أن ينصرف ابنه إلى دراسة الموسيقى وعزف الناي ، إلا أن

الابن لم يظهر أي ميل للموسيقى ، فعمل في محل احد الصاغة بفلورنسا . وما لبث أن اضطر إلى الهروب إلى سيينا إثر احدى المشاحنات ، حيث راح يتدرب على شؤون الصياغة والحفر على المعادن .

أقام تشيلليني سنة ١٥١٩ في روما ، ودخل في خدمة البابا الذي كان يقدّر مواهبه حق قدرها . وقد صنع له « بروشاً » تحليه الماسة ، وهو يمثّل عرشاً يجلس عليه الله يحيط به الملائكة .

وعادت حياة هذا الفنان تتميز بالعنف عندما أخذ بثأر أخيه فقتل قاتله . واضطر فيما بعد إلى مغادرة روما فراراً من نتائج عراكه مع احد الكتّاب العدول . ولم يعد إلى منصبه في ادارة سك النقود حتى اعتلى العرش البابوي البابا الجديد بولس الثالث . الا أن مؤامرات ابن شرعي لهذا البابا اكرهته على الفرار إلى فلورنسا ثم إلى فينيسيا . ولكن سرعان ما اعيد إلى روما . وقد سُجن بعد سنوات بتهمة سرقة مجوهرات من التاج البابوي . ولم تكن الأدلة كافية فبرئت ساحته . وقضى بعض الزمن في بلاط الملك فرنسوى الاول في فرنسا ، ولكن مؤامرات عشيقة الملك قززت نفسه بحيث انسحب إلى فلورنسا سنة ١٥٤٥ . وقد توفي فيها سنة ١٥٧١ .

إلى جانب اعماله الفنية الرائعة التي أتلف الكثير منها ، وضع تشيلليني ترجمة لحياته بدأها في فلورنسا سنة ١٥٥٨ ، يظهر فيها بمظهر الفنان الدعيّ ، والوغد الجذاب . ووضع كذلك رسائل مطوّلة في فن الصياغة ، والنحت ، والتصميم . وكان تشيلليني شديد الاعجاب بميكيل انجلو .

سلفادور دالي

Salvador Dalli

ولـد سلفـادوردالي،الـرسام السـريـالي ،والنحـات ، والمصـوّر ، والنقـاش الاسبـاني في ١١ أيـار ١٩٠٤ ، في فيغـويـراس ، في مقـاطعـة كتـالونيـا ، ودرس في كل من بـرشلونة ومـدريـد ، حيث طـرد من أكـاديمية الفنـون الجميلة . ولقـد تـأثـر بجيـورجيـو دو شيـريكـو ، وايف تـانغي ، ومـاكس إرنست ، والفن الجديـد ، وفن الرسم الهـولنـدي . وكـان الـطفـل الـرهيب في الحـركـة السـوريـاليـة ، فـانضم إلى الفـرع الأصفـر ، او النيـو- سوريـاليـة،لتلك الحركـة في بـاريس السنـة ١٩٢٩ ، ومـذ ذاك بـات من اشهر أنصارها .

وبالاشتراك مـع لويس بـونويـل ، انتج فيلمـين سينمائيـين سوريـالين همـا « الـكلب الانـدلسي » (١٩٢٩) ، « والـقصر الـذهبي » (١٩٣١) . ولكن الشـرطـة البـاريسيـة منعتهما . ومنـذ السنـة ١٩٣٢ راحت اعمـالـه تُعـرض في مختلف ارجـاء اوروبـا ، وفي الـولايـات المتحـدة الاميـركيـة ، وفي الشـرق . وارتحـل الى الـولايـات المتحـدة الاميـركيـة سنـة ١٩٤٠ ، وعـرض لـوحـاتـه في متحف الفن الحـديث ، في مـدينـة نيـويـورك في سنـة ١٩٤١ ، ونشر سنـة ١٩٤٢ سيرتـه بقلمـه تحت عنـوان « حياة سلفـادور دالي السرية » .

منـذ اكـثر من خمسين سنـة ،وأعمـدة الصحف البـاريسيـة تـزخـر بـأخبـار هـذا الـرسـام الغـريب الأطـوار سلفـادور دالي ،الـذي لقّب بحق « عبقـري الفضائح » . وهو في كـل مـا يقـوم بـه من أعمـال ، ومـا يصـدر

عنه تصرفات ، لا يخشى أحدا .

ويصف نفسه بقوله :

ـ أنا أكبر عبقري في زماننا الحاضر ، وأسوأ رسام عرفه التاريخ !

دعي مرة ألى لندن لالقاء محاضرة . فلما وصل إلى العاصمة البريطانية احاط به الصحفيون ، وراحوا يمطرونه بأسئلتهم ، فكان ان دار بينه وبينهم هذا الحوار :

ـ أين ستقيم خلال وجودك في لندن ؟
فأجاب :
ـ لا يسؤوني في شيء أن أقيم في قصر بلنهايم .
ـ ولكنه قصر تاريخي ، وهو من أشهر قصور انكلترا .

ـ لا اهمية لذلك ، فانني اكتفي به !

ـ ولكن دوق مارلبور ويقيم فيه طوال السنة .

ـ أنا على أتم استعداد ، خلال اقامتي فيه ، لأن اسمح له باستخدام حجرة من حجرات الخدم !

ودقت ساعة القاء المحاضرة ، فمثل امام الجمهور وقد تنكر بزي الغواصين ، وامسك بيده حبلا مشدوداً الى كلبين . وما كاد يقف بضع دقائق هكذا حتى وقع مغمى عليه . فهرع منظمو المحاضرة ألى تحطيم جهاز الغوص الذي كاد يختنق فيه بفأس من مثل تلك التي يستخدمها رجال الاطفاء . فلما استعاد رشده . صرح بقوله :

ـ بالطبع لم يسمع احد منك ما قلته وأنا داخل هذا الجهاز . ولكن

على أي حال لم أقل شيئاً لانه ليس لديَّ ما أقوله الليلة . وفضلاً عن ذلك فأنا لا أتقن الانكليزية .

ومع ذلك طالب بالمبلغ الموعود به كاملاً غير منقوص : ٧٥٠ ليرة استرلينية !

ودعي مرة لالقاء سلسلة محاضرات في اوستراليا ، ولكنه لم يقم هناك سوى يومين عاد بعدها الى فرنسا وهو يردد : « أنا لم استطع قط الحياة في جزيرة . . فان الشعور الذي ينتابني في الجزيرة هو أني سأموت مختنقاً »

ومما يذكر ان اوستراليا اكبر من فرنسا بخمسة عشر ضعفاً تقريباً ، اذ تبلغ مساحتها ٧ ملايين و٧٠٣ الاف و٣٠٠ كيلومتر .

ومن أقواله اللاذعة خلال زيارته للولايات المتحدة الاميركية .

ـ تبدو لي نيويورك خضراء ضاربة إلى اللون الرمادي ، وذات بياض وسخ كجبنة الروكفور . ولكني أحب الروكفور !

ـ أنا لا آخذ على بلادكم ـ اميركا ـ سوى افتقارها إلى الذباب . فالذباب هو الحضارة ! ولقد كان الذباب يغطي كلاً من سقراط وافلاطون .

كان لسفادور دالي أفكار ومبتكرات لا تخطر ببال احد ، تباع بالذهب : مقعد (ديوان) وردي اللون على شكل شفتي ماي وست ، كباريه على شكل توتياء البحر . تلفونات مصنوعة من سرطان البحر . . . وهو يرسم ربطات عنق ، واقمشة ، ويبتكر مجوهرات تباع الواحدة منها بربع مليون دولار . وقد انتج عطراً سماه « روك اند رول » ، وزين صفحات اغلى كتاب في العالم « دون كيشوت » الذي بلغ ثمن النسخة

رقم واحد منه ربع مليون دولار .

وله عدد من المبتكرات العجيبة الغريبة :

جهاز لصنع « كلل » مربعة ، اسطوانات « ميكروسيون»معطرة ، الاظافر الاصطناعية المصنوعة من المرايا الصغيرة ، الاحذية ذات الرفاصات لتسهيل المشي ، النهود الزائفة الاضافية في الظهر !

ومن رأيه أن سيدة المجتمع الحديث هي تلك المرأة التي ترميك بنظرة ازدراء ، والتي تنتف شعر حاجبيتها وتستعيض عنهما بالصباغ . . ليس إلا !

ان هذا النجاح المادي الخيالي هو نتيجة حملة دعائية يرعاها دالي بكثير من الحكمة والحنكة . وهو القائل : « انا اعبد الدعاية لان انتاجي مرتبط في الدرجة الاولى بشخصي . ومن الاهمية بمكان كبير ان اثق بدالي » .

وهو يعترف بكل بساطة انه يرهب الموت :

ــ ان اخشى ما اخشاه المجهول بعد هذه الحياة ، والنسيان !

وسلفادور دالي فخور جداً بشاربيه البالغ طولهما ٢٥ سنتيمتراً اللذين يفتلهما بالمساحيق اللزجة ويعقفهما ، ويرفعهما فوق طرفي شفتيه ، وهو يصفهما بقوله :

ــ انهما يشكلان الانتين لي ، وهما جهاز الرادار الذي التقط بواسطته الوحي والالهام . وهما يتيحان لي احياناً تنظيف اظافري بعد تناول التمر ، ويبتلعان كل الغبار الذي يمكن أن يفسد اللوحات أثناء انهماكي برسمها .

وقـد نشر أخيـراً مجلداً طـواه عـلى ذكـريـاتـه ، وسمـه بعنـوان « حيـاة سلفادور دالي الرائعة ، بقلمه » .

وهوذا مطلع الفصل الاول منه وهو بعنوان « هل انا عبقري ؟ »

ـ في السـادسة من عمـري احببت ان اكـون طـاهيـة . وفي السـابعة نابوليون . ومذ ذاك وطموحي ما فتىء يكبر ويكبر باستمرار ! . .

ولكي يضمن دالي عـدم ابتعاده عن الملايـين التي يسعى وراءهـا كـان يعيش بـرفقة اصحـاب الملايـين العـالميـين امثـال اونـاسيس ، ودوق ودوقـة ونـدســور ، وهيلينـا روبنتشــاين ، وأســرة روتشـيلد ، ومـلك الســلاح نياركوس . . .

ولكنـه عندمـا يخلو إلى نفسه ليمـارس الرسم ، فـانه يتفـرغ لـه بكـل حواسه ، ويعود ذلك الـرسام الاصيـل المنصرف إلى فنـه الذي يـدهش العالم باسره .

وسلفـادور دالي رجل أعمـال من طـراز رفيـع ، يحب المـال إلى درجـة العبـادة ، ويسعى وراءه يجمعـه بلذة وشغف . ويتقـاضى ، مـع بيكـاسـو ، من دون سـائر الـرسامـين العـالمين ،أضخم المبـالـغ ثمنـاً للوحـاتهم . وهـو القـائـل ان كـل شيء يقـربني من بيكـاسـو . هـو من أصـل اسبـاني ، وانـا كذلك . . وهو عبقري ، وانا كذلـك . . وهو شيـوعي ، وانا لست شيـوعياً كذلك !

وهـو لا يتـورع عن التبجـح بحبـه للمـال بـل يقـول صـراحـة للذين يتحدثون امامه عن الرسامين « الملتزمين » ، وهو يقهقه :

ـ ان الشيء الـوحيد الـذي أقر بـالالتزام من اجله هـو أن اكسب اكثر ما يمكن من مال !

وهو القائل : الحب كالحرب : نبدأ متى نشاء ، ونتوقف ساعة نستطيع !

ومن أطرف التسميات التي أطلقها على لوحاته نذكر :

ــ أنف نابوليون وقد تحول إلى امرأة حامل تتنزه بين أطلال قرطاجة برفقة الحزن والكآبة . . .

ــ زوجتي وهي تتأمل بشرتها التي تتحول إلى سلم . . .

ــ بيض في الصحن ، بلا صحن .

ورسم صورة زوجته غالا ، الزوجة السابقة للشاعر بول ايلوار ، وقد وضع قطعتي كستليته على كتفها ، وقال في تبرير عمله هذا :

ــ أنا أحب الكستليته ، وأحب زوجتي ، ولست أرى ما يحول دون رسمي الاثنتين معا ! . .

وتتولى زوجته غالا تصريف مختلف شؤون الحياة : فهي التي تقود السيارة ، وتسدد الفواتير ، وتردّ على الرسائل ، وتقف كنموذج للرسم . ولكي يشكرها على كل ذلك اسبغ عليها الشهرة بلوحاته التي تمثلها ، فضلاً عن انه منذ سنوات راح يوقع كل لوحة يرسمها باسميهما متعانقين : غالا ــ دالي .

* * *

دولاكروى

Eugene Delacroix

وصف اوجين دولاكروى بأنه واحد من أمجاد فرنسا الوطنية .

لم يكن هذا الرسام الفرنسي الكبير يستطيع الرسم بسرعة فائقة فحسب ، بل كان في وسعه أن يرسم كذلك بأساليب متنوعة رائعة . وقد فتح دولاكروى الباب للمدرسة الحديثة في فن الرسم . فهبط فان غو باريس لغاية وحيدة هي رؤية لوحة المعلم « الشفقة » التي نسخها غير مرة . وفي محترف سيزان كانت اللوحة الوحيدة التي رسمها رسام سواه نسخة نقلها عن لوحة لدولاكروى . ويدين له كل من مانيه ، ورينوار ، وماتيس ، ودوغا ، ودورر . أما لوحة بيكاسو الشهيرة « غيرنيكا » فهي من السلالة المباشرة للرسم الذي صنعه دولاكروى احتجاجاً على مذبحة اليونانيين في جزيرة خيوس التي ذهب ضحيتها عشرون الفاً منهم .

ابصر فردينان فكتور أوجين دولاكروى النور في احدى ضواحي باريس سنة ١٧٩٨ بعد الثورة الفرنسية بتسع سنين . ويؤكد معظم الذين ترجموا له أن والده الحقيقي هو الداهية السياسي تالبران الذي عرف بلقب « الشيطان الاعرج » (أما والده الاسمي فكان وزيراً مفوضاً لفرنسا في هولندا) . وقد كانت الموهبة الفنية الفذة من خصائص ذوي امه واخواله . وكانت علبة للالوان في عيد ميلاده فاتحة عهده بالرسم وسلوكه هذا السبيل . فلما بلغ السادسة عشرة توفي والده وتلاشت ثروة الاسرة . وقد كتب دولاكروى فيما بعد مشيراً إلى حالة العسر تلك يقول : « ليس ثمة حالة اسوأ من عدم معرفة المرء اين سيأكل في الاسبوع التالي » .

وكان شديد الحساسية ، مرهف الذوق ، رأى مرة لوحة اثارت

اعجـابه ، فعـدا في شوارع بـاريس حتى بلغ غرفتـه لكي يرسم اللوحـة قبل ان تتـلاشى انطبـاعاتـه . وقد ظهـر أمام الجمهـور لاول مرة وهـو في الرابعـة والعشرين ، عندمـا ع رض لـوحته في « صـالون بـاريس » ، وكان فقيـراً فلم يستطع شراء اطـار ليضع فيـه لوحتـه التي بلغ عرضهـا ثماني اقـدام . ولو لم يمـد إليه احد المحسنين ، إذ ذاك ، يـد المساعـدة لما عـرضت تلك اللوحـة وهي بعنـوان « دانتي وفرجيـل » وتمثل الشـاعـرين الكبيـرين في الجحيم تحيط بهما اجساد الهالكين المتلوين . وهي اليوم معروضة في متحف اللوفر .

وهـرع دولاكروى إلى المعـرض يـوم الافتتـاح ليستمـع إلى آراء النـاس في أولى لـوحاتـه . ولكن بدلاً من المـديح الـذي كان يتـوقعـه إذا بـه يسمـع ضحكات الاستهزاء والتهكم . قال احد النـاقدين : « رسـام عديم الشكـل وغير منتظم » . وصاح آخر : « مشعوذ » . وفي اليوم التالي ابتاع الصحف فـوجد في واحـدة منها ، نقـداً في مصلحته . وقـد قال أودلف تييـر ، الـذي اصبح وزير التجـارة فيـما بعـد«ان لـوحتـه كـانت لـوحـة جميلة و« فيهـا هنـا وهناك تفجر عبقـرية » . فـأنقذ ذلـك الموقـف ، ومـا عتم دولاكروى ان نسي تماما النقد الجارح المعاكس .

كانت تلك بداية حياة مبدعة خلاقة تفوق الحد . وقد كتب يقول : « العمـل هـو حبي الـوحيـد » وأي حب هــو ؟ كـان يستيقظ عنــد الفجـر فيتنـاول كسرة من الخبـز ، ثم يعكف على الـرسم دونما انقـطاع حتى سـاعـة متـأخرة من بعـد الـظهـر . فـإذا مـا اعـوزه الانفعـال مـال إلى قـراءة الشعـر لتجديد قواه .

في تلك الايام وقبل اختـراع آلة التصـوير كـان الطلب عـلى الرسـامين كبيـراً من اجل رسم المشـاهد التـاريخية . وقـد لوّن دولاكـروى الكيلومترات من القمـاش لصفحات التـاريـخ هـذه مما جعله خـالـداً بـين الخـالـدين من الرسامـين . وكان يـردد: « ان اللوحة ينبغي أن تكـون قبل كـل شيء مأدبـة

شهية للعين » . والواقع انه كان طاهياً استاذاً .

وجعله تخصصه هذا واسع الثراء ، فقد كانت الحكومة تطلب تزيين المباني العامة . ومن الفقر ارتفع دولاكروى إلى قمة الثراء ، فبات واحداً من الرسامين الذين اثروا من فرشاتهم في العصر الحديث .

منذ سن الثانية والعشرين راح دولاكروى يشكو من سوء صحته . فالملاريا التي كانت تلازمه كأي مرض عضال ، والالم في حنجرته غالباً ما الزماه الفراش . ولكن على الرغم من نحول بدنه ، ومرضه ، وطيب قلبه ورقته ، رسم دولاكروى مشاهد تبلغ ذروة العنف . فلوحاته التاريخية غالباً ما كانت تصور المذابح المخيفة . وقد ارعبت لوحته « المذبحة » الجمهور بأحد تفاصيلها : طفل يرضع من ثدي امرأة ميتة . الا انه حتى في اكثر لوحاته دموية وعنفاً كانت طبيعته الرقيقة بارزة . فوجه العامل الذي يموت في لوحته « الحرية تقود الشعب » وصُف بأنه واحد من أكثر الوجوه التي تحرك العاطفة في تاريخ الفن .

ودولاكروى كان في طليعة من رسم المناظر الافريقية الشمالية . قضى في تلك الانحاء ستة شهور،فلم يدع مكانا الا زاره ، حاملاً دفتر الرسم ، راسماً الناس والمناظر ، جامعاً الافكار والوحي ذخيرة تكفيه طوال ايامه .

وفي الجزائر تمكن من الحصول على اذن بدخول الحريم لغايات فنية . ومن تلك الزيارة كانت لوحته الشهرة « نساء من الجزائر » التي يعتبرها النقاد رائعته .

ولدولاكروى كذلك حق بالخلود ألى جانب رسومه : فقد كان يدون مذكرات يومية مفصلة ملأى بالاحاسيس والمشاعر ، صورت في ثلاثة مجلدات ، شريطاً كاملاً دقيقاً لحياته ، وقد وضعت بمصاف يوميات

صمـويل بيبيس ، فيهـا يمـر كـما في العـرض ، عـظماء الـرجـال والنسـاء في ذلـك العهد : شـوبان ، جـورج صانـد ، فكتور هـوغو ، الكسنـدر دوما ، وزوجة الشاعـر شيللي . وكان لـون بشرتـه داكناًنوعاً ، وعينـاه شرقيتـين ، وشعـره طويـلاً اسود ـ بقي كـذلك حتى وفـاته ـ وشاربـاه رقيقـين ، مما جعله محبـوبا من النسـاء اللواتي كن يلاحقنـه بلا هـوادة ، فيسمـح لنفسـه احيـانـاً بـأن يقع في شـراكهن . وكان حبـه الكبير للبارونة جـوزفـين دو فـورجيـه التي كان ولا ريب سيتزوجها لولا سوء صحته .

ومـع تقـدمـه في السن ازداد الم حنجـرتـه سـوءاً عـلى سـوء . فكـان يقضي ايـامـاً دون ان يستـطيـع التلفظ بكلمـة . فتقف مـدبـرة منـزلـه جيني التي خـدمته طـوال ٢٨ عامـاً ، على بـاب حجـرتـه لتمنـع الـزائـرين من ان يثقلوا عـلى صحته أو يلهـوه عن الرسم . الا أن جـوزفـين وصـديقـه الحميم فريدريك شوبان كانا يدخلان عليه ساعة يشاءان .

وفي ١٣ آب سنـة ١٨٦٣ ارتحل دولاكـروى إلى العـالم الاخـر عن ٦٥ عاماً .

وكـانت احدى آخـر ملاحـظاته : « آه ، إذا تحسنت حـالتي فسـأصنـع اشياء رائعة . ان رأسي ليغلي بالافكار » .

ولقـد ذُكـرت هـذه العبـارة الاخيـرة في السجـل الـذي أُصـدر سنـة ١٩٦٣ لمناسبة اقامة المعرض المئوي للوحاته .

رَامْبرانت

Rembrandt

وُلد رامبرانت في لايـدن بهولنـدا سنة ١٦٠٦ ، من أب طحـان . وقد عـوّل منذ الصغـر عـلى أن يصبـح رسـامـاً . درس في لايـدن وامستـردام ثم

أقام في لايدن ابتداءً من ١٦٢٦ . لم يذهب قط إلى ايطاليا ، ولكنه كان يجمع عدداً من اللوحات والمحفورات من صنع رفايل وسواه من الفنانين الايطاليين . ومن بين رسومه الأولى التي صنعها عندما كان الهولنديون يؤسسون نيو امستردام التي أصبحت فيما بعد نيويورك ، نجد اللوحات ذات المواضيع الدينية ، ورسوم أسرته ، وبعض معارفه . وقد بدأت رسومه تجذب إليه انتباه محبي الفن ومقدّريه في أمستردام الذين حثوه على الانتقال إلى مدينتهم . وقد كان ، وبقي فيها حتى وفاته .

وفي سنة ١٦٣٤ تزوج ساسكيا فان اويلنبورخ ، وهي حسناء كانت نموذجاً لعدد كبير من رسومه . وقد رُزقا عدداً من الأولاد ، وكانت محور حياته حتى وفاتها سنة ١٦٤٢ . وقد جمع رامبرانت في تلك الفترة العديد من الأصدقاء ، وقام بالكثير من الاعمال ، وحشد في منزله مجموعة رائعة من الأسلحة ، والملابس ، والكتب ، وروائع الفن بيعت كلها فيما بعد بأبخس الأثمان لتسديد ديونه . ومرت على رامبرانت بعد وفاة زوجته أيام سوداء ، ومالت الأنظار عن روائعه الفنية مع أنه كان في الذروة من حيث الجد والنشاط والانتاج . وتراكمت الديون عليه ، وزاد الطين بلة أنه في سنة ١٦٥٤ رُزق سفاحاً بابن من خادمته هاندريكه ستوفلز . وفي سنة ١٦٥٦ أشهر افلاسه ، وبيع منزله ، فانتقل مع خادمته وابنه تيتوس (من زوجته) إلى مكان حقير مظلم في المدينة حيث عاش فقيراً منسياً حتى وافته المنية في ٤ تشرين الأول ١٦٦٩ .

كان رامبرانت رسام هيئات - إفرادية ومجموعة - ومناظر طبيعية ، وأشياء جامدة . ومن أشهر لوحاته الافرادية الرجل ذو المناظر المكبِّر ، والرجل ذو الخوذة الذهبية ، ولوحة لهاندريكه في متحف المتروبوليتان ، وعدد من اللوحات تمثله ، وتمثل ابنه تيتوس . . . وهناك لوحات المجموعات وأبرزها : درس في التشريح ، الحراسة الليلية ، والعروس

اليهودية . ولـه عدد من اللوحـات ذات المواضيـع الاسطوريـة والدينيـة تبرز بجلاء ووضوح سيطرته التامة على الاضواء والظلال .

ولعـل رامبـرانت كـان في طليعـة الحفـارين عـلى المعـادن ، ومن تحفـه الـرائعة في هـذا الفن : أشجار ثـلاث ، المسيح يبشر ، الصلبـان الثـلاثـة ، المسيح يشفي المرضى ، والمسيح على جبل الزيتون .

رفَايل

Raphael Santi

غـالـباً مـا تمطر السـماء نعمها وثـرواتهـا التي لا تحصى عـلى واحـد من البشر ، مختـار . . هذه النعم والثـروات التي تُوزّع عـادة على فتـرات طـويلة من الـزمن وعلى أفـراد عديـدين . وان ذلك ليصـدق عـلى رفايـل سـانتي . . أشهـر فناني عصر النهضـة الأوروبية الـذي عُـرف بـاسم الـرسـام الالهي . . أبصر النـور في مدينـة أوربينـو يـوم الجمعـة العـظيمـة سنـة ١٤٨٣ ، وكـان والده جيوفـاني دو سانتي رسـاماً متـوسطاً ، ولكنـه ذكي ، مثقف . لم يشأ أن تعنى بـه مربيـة ، ولا أن يُرسـل إلى أي مكان للدراسـة . فتـربىّ في أحضـان أمـه ، وأظهره والـده على أصـول الرسم ومبـادئه منـذ نعـومـة أظفـاره . فلما شبَّ أيقن الـوالد أنـه أعجز من أن يلقّنـه هذا الفن الـرفيع فـأوكل امـره إلى أشهـر رسـامي العصر بييتـرو بيـروجينـو . وقـد درس عـلى يـديـه ردحـاً من الـزمن وتأثـر بأسلوبـه ، وقلّده تمامـاً ، حتى أن الكثيرين لم يكـونـوا ليفـرّقـوا بين لوحات الرسامين .

وسمع رفايل بأعمـال الفنانـين ليونـاردو دا فنتشي وميـكيل انجلو ، فآل على نفسه أن يـدرسهـا ، فـانـطلق ألى فلورنسـا حيث كـان لـدراسته هـذه الاعمال ، مع أعمال الرسام ماسـاكيو القـديمة والـراهب فرا بـارتولـوميو دي

سان ماركو ، أبرز الاثر في تقدمه السريع في ميدان الفن . وما لبث رفايل أن غادر فلورنسا إلى روما بناء على دعوة الباب يوليوس لتزيين بعض حجرات القصر البابوي (الفاتيكان) .

وفي روما تعددت أعمال هذا الفنان ، فحفلت حياته القصيرة (٣٧ سنة) بجلائل الأعمال . . فقد كان المهندس المشرف على الفاتيكان ، وكاتدرائية القديس بطرس ، وعدد كبير من الأعمال الانشائية ، والمشرف على الحفريات في منطقة روما بأسرها ، ومنفّذ الكثير من الالتزامات التي كانت تتدفق على محترفه . وقد صمم عدداً من القصور في روما وفلورنسا .

وكان الكاردينال بيبينا ، صديق رفايل الحميم يحثه ، دائماً على الزواج . وكان وسيماً ، ذا حظوة لدى النساء . فكان رفايل يؤجّل الزواج دون أن يرفض الفكرة نفسها . وأخيراً رضي بأن يقترن بابنة أخي الكاردينال ولكنه أجّل الزواج لسبب شريف ، وجيه . فقد قيل ان البابا ليو العاشر كان يود أن يكافئه على أعماله ويقدّر مواهبه بجعله كاردينالاً . . .

وبينما كان رفايل عائداً ذات ليلة من احدى زياراته السرية وقع فريسة حمى شديدة أخطأ الاطباء في تشخيصها وعالجوه على أساس أنه مصاب بزكام حاد ففصدوه بينما كان المسكين في حاجة إلى كل نقطة دم تقوّي جسمه الذي انهكه بالعمل المضني المتواصل . وعندها كتب وصيته ، تاركاً للفتاة التي كانت ستصبح زوجته مبلغاً من المال تتعيش به ، وقسم املاكه بين تلامذته . ثم اعترف اعترافه الاخير وأسلم الروح في مثل اليوم الذي ولد فيه . . يوم الجمعة العظيمة سنة ١٥٢٠ . . ولعل هذا المعلّم الذي زيّن العالم بمواهبه العديدة يزيّن السماء بروحه الحلوة الطيبة .

رسم رفايل لوحة لا يمكن الحصول عليها اليوم بأقل من مليون دولار ، ولكنه باعها في حينه لقاء وجبة طعام لم تكلف إلا ربع دولار . . رسمها في احدى الامسيات الهادئة عندما أبصر الرسام الشهير أماً تحتضن طفلاً ، وقد وقف بجانبها طفلها الآخر . ولما لم يكن لديه اي قطعة قماش أو أي مسند للرسم عمد إلى غطاء برميل للشراب ونقل إليه هذا المشهد الرائع . ويقال انه لما فرغ منه اعطاه إلى اصحاب النزل لقاء عشائه .

وتُعتبر هذه اللوحة بين أروع ما أنتجه الفن في مختلف العصور . وتُعرف بلوحة « السيدة الجالسة » ، وهي معلقة في قصر بيتي في فلورنسا . وقد عرضتها الحكومة الايطالية سنة ١٩٣٩ في معرض نيويورك الدولي على أنها تمثل أثمن الروائع الفنية . . .

رُوبنس

Peter Paul Rubens

بيتر بول روبنس ، رسام من الفلاندر (البلاط الواطئة) تتسم لوحاته بحرارة الرجل السعيد . بدأ بدراسة الفن في سن مبكرة ، وبعد اقامته مدة قصيرة في موطنه رحل إلى ايطاليا حيث عاش ثماني سنوات كان لها اثر بعيد في حياته الفنية . وقد عاد بعدها إلى انتويرب إثر وفاة والدته عام ١٦٠٨ ، حيث تزوج ايزابيلا برانت ، واصبح رساماً للارشيدوقات ، حكام بلاده .

كان روبنس دبلوماسياً إلى جانب كونه فناناً ، فكلف في سنة ١٦٢٧ اجراء مفاوضات من أجل عقد سلم بين انكلترا واسبانيا . وكانت الشهور التي قضاها في مدريد من اهم فترات حياته لأنه التقى زميله

الشهير فيلاسكيز . وخلال اقامته في انكلترا مُنح درجة علمية فخرية من جامعة كيمبريدج ، كما مُنح رتبة فارس .

ولما بلغ الثالثة والخمسين (وكان قد ترمل قبل اربع سنوات) تزوج من فتاة في السادسة عشرة من عمرها هي ايلين فورمان فأنجبت له خمسة أولاد . وكانت نموذجاً رائعاً ، فبدت في عدد غير قليل من لوحاته .

ويبدو أن روبنس خالف القاعدة التي تقول ان العبقرية لا تخلو من شذوذ . . فكان بين الرسامين العظام ، اسلمهم صحة عقل .

ولد روبنس في ٢٩ حزيران سنة ١٥٧٧ وتوفي في انتويرب في ٣٠ أيار ١٦٤٠ ، مخلّفاً نتاجاً فنياً بالغ الروعة نذكر منه اشهره : لوحات عبادة الملوك ، تاريخ ماري دي مديتشي ، محاكمة باريس ، حديقة الحب ، النعِم الثلاث . . .

رُودَان

Auguste Rodin

ولد هذا النحّات والمثّال الفرنسي في باريس سنة ١٨٤٠ ، وقد ظهرت أولى الدلائل على اصالته وابتكاره في صنيعه الفني سنة ١٨٦٤ عندما فرغ من تمثاله الرجل ذو الأنف المحطم . وبين سنة ١٨٧١ و ١٨٧٧عمل رودان في بروكسل لدى المثّال البلجيكي فان راسبورغ . بدأ تمثاله الضخم القوي بوابة جهنم سنة ١٨٨٥ ، وهو من أشهر أعماله ، وقد استوحاه من ملحمة دانتي المعروفة المهزلة الالهية .

وفي خلال معرض باريس سنة ١٩٠٠ اقامت العاصمة ، بكثير من التردد ، بناية خارج أبواب مدينة المعرض عرض فيها رودان عدداً كبيراً من ثماثيله بينها فقراء كاليه وبوابة جهنم . ولرودان عدد من التماثيل

والمحفورات ، أو النقوش ، أشهرها صورة لفكتور هوغو، وعصر البرونز، والقبلة ، التي عرضت للمرة الأولى سنة ١٨٩٨ ، ويد الله التي عرضت في لندن سنة ١٩٠٥ . وقد خلف رودان الرسام الاميركي دجيمس هويسلر سنة ١٩٠٤ في رئاسة الجمعية الدولية للنحاتين والرسامين والنقاشين . وقد توفي قبل نهاية الحرب العالمية الأولى بسنة واحدة (١٩١٧) معروفاً بعد سنين طويلة من النسيان والحقد الذي قال هو فيه : مما لا شك فيه أن باريس لو كانت أشبه بايطاليا على زمن آل بورجيا لكان دُس لي السم في الدسم .

سارجنت

John Sargent

لم يشاهد سارجنت (١٨٥٦ ـ ١٩٢٥) وطنه اميركا ، مع انه من والدين اميركيين ، الا عندما بلغ العقد الثاني من العمر .

كانت والدته من فيلادلفيا ، ولها ولع خاص بالاسفار ، تجبر افراد اسرتها المطيعين من مكان إلى آخر دون ان تستقر في مكان يمكن ان تؤسس فيه بيتاً عائلياً هادئاً . فلما بدأ سارجنت في التاسعة عشرة دراسة فن الرسم في باريس ، استطاع ان ينمي بسرعة اسلوباً فنيا رفيعاً يعكس اختباراته بدقة ووضوح . ولما كان كثير الاقامة في الفنادق والفيلات المستأجرة فقد اتيح له ان يراقب عن كثب ثقافات لم يكن ليشارك فيها .

فما كان ليرى الا المظاهر الخارجية ، ولا فرق بين ان يكون منظراً طبيعياً أو امرأة ، فانه كان يترجمه للحال إلى صورة رائعة التلوين . وبضربة فرشاة واحدة كان يستطيع أن يمنح الصورة ، فضلاً عن الشكل واللون ، تركيب الاجزاء ، والهيئة، والشعور بأنها حقيقة . إلى هنا وصل

فنه فحسب ، إذ لم يكن عنده أي افكار أو انفعالات ليضمنها رسومه ، وكانت مخيلته تستطيع جمع عدة وجوه في لوحة واحدة .

وكانت موهبته في رسم الوجوه السبب في شهرته العريضة التي نالها في باريس ، ولم يكن قد تجاوز بعد الخامسة والعشرين . فلما رسم السيدة غونترو ، أجمل حسان العاصمة الفرنسية ، وعرض هذا الرسم الرائع في المعرض الوطني الشهير ، اثار ضجة كبرى ، بل فضيحة في أوساط المجتمع . ذلك بأن سارجنت لم يرسم حسناء من تصميمه ، بل نقل بدقة ملامح حسناء معروفة ببراعة فتنتها وسحرها ، فبدت في ثوب غير لائق ، سطحية ، تركز اهتمامها بنفسها . وفي حين كانت الجماهير المشدوهة تتدفق على «الصالون» كانت السيدة غونترو ترغي وتزبد في محترف الفنان المسكين . وقد ساءه ذلك وهو الذي لم يعتد إلا المديح ، فحزم امتعته وانتقل إلى لندن .

وقد عُرف رسم «السيدة غونترو» فيما بعد برسم «السيدة المجهولة» واعتُبر تحفة سارجنت الفنية . وأصبح سارجنت اشهر رسامي عصره ، وجاب انحاء أوروبا والولايات المتحدة ، راسماً الاغنياء والاقوياء . وقد سئل عما إذا كان يرسم ما وراء النقاب فأجاب : إذا كان ثمة نقاب فعليَّ أن أرسم النقاب . فأنا أرسم ما أرى !

ومع ذلك كان يتوق إلى أن يصبح فناناً خيالياً . ففي أواسط عمره حول اهتمامه إلى رسم المواضيع الدينية ، والرسوم الرمزية لتزيين جدران المنازل في بوسطن . إلا أن واقعيته لم تتح له أن يرتفع برسومه الدينية هذه إلى درجة الروحانية المنشودة . فأنبياؤه اشبه بشيوخ يتصرفون بغرابة ، واصنامه وحيواناته تبدو كأنها هاربة من السيرك .

سيزآن

Paul Cezanne.

كان هدف بول سيزان ، الرسام الفرنسي ، الجمع بين المدرسة التأثرية في الرسم والفن القديم . وقد كانت لوحاته الأولى تتميز بابراز سمو عواطفه الخاصة اكثر مما تمتاز بالألوان . إلا أن اتصاله بالرسام التأثيري كاميل بيسارو ساعده كثيراً على الاحساس بعلم الألوان . ومن اعماله الباكرة بعث ألعازر والمأدبة . وقد برع سيزان برسم الاشياء الجامدة ، التي لا حياة فيها ، وأشهرها الساعة الرخامية السوداء وصحن الفواكه . كما رسم الشخصيات (غوستاف دجيفري والسيدة سيزان) وعدداً من الرسوم الشخصية ، والمناظر الطبيعية (طريق القصر الاسود والسد النهري) ، وعدداً من المناظر تبين جبل سانت فكتوار . ومن روائعه في سنواته الاخيرة لوحة لاعبو الورق .

ولد سيزان في إيكس سنة ١٨٣٩ ، وربطت بينه وبين الروائي اميل زولا صداقة منذ عهد الصبا ، وانصرف الاثنان إلى الفن . عاشا في باريس ، ولكن سيزان لم يشعر يوماً بالراحة في العاصمة الفرنسية ، وكان يعود دائماً وباستمرار إلى مسقط رأسه . وظل اسمه مغموراً في باريس حتى لفت الانظار معرض له أقيم سنة ١٩٠٤ ، فكانت تلك المرة الاولى يذوق فيها طعم الشهرة وهو حيّ . وقد توفي سنة ١٩٠٦ ، دون أن يدري أنه سيكون له ولأعماله تأثير كبير في الفن الحديث .

فان غو

Vincent Van Gogh

على الرغم من شبح الجنون الذي عاش في ظله الرسام الهولندي

فنسنت فـان غو (١٨٥٣ ـ ١٨٩٠) في سني حيـاته الأخيرة،فانـه لم يمل يـومـاً عن عمله الفـني ، ولم يتـوقـف عن الخلق والابــداع . والـواقـع أن تلك المرحلة من حياته هي في عرف الكثيـرين مرحلتـه الذهبيـة . فقد ظـل يرسم حتى آخر نفس من أنفاسـه ، مبدعـاً الرسـوم التي بررت ايمـان اخيه تيـو بـه وبمقدرته . وقد كان أحـد القلائـل الذين آمنـوا به . ومن أشهـر لوحـاته : آكلو البطاطا ، سـاعي البريـد ، سلسلة « الآرليزيـين » ، حقول القمـح عند غياب الشمس ، نهوض ألعازر من الموت ، وحديقة في آرل . . .

لقي فـان غو مشقـة وعناء كبيـرين في احتـراف مهنـة من المهن . فقـد عمـل لحساب بـائعي الصـور والـرسـوم ، ودرس الـلاهـوت ، وعـاش بـين عمـال المنـاجم في احـدى منـاطق الفحم الحجـري بعـد أن تشـرّب بمبـادىء الشيـوعية المسيحيـة . واخيراً قـرَّ رأيه عـلى دراسة الفن ، فلحق بـأخيـه تيـو إلى بـاريس سنة ١٨٨٦ ، حيث تعلَّم أن يلقي جـانبـاً الألـوان الـداكنـة التي تميـزت بها لـوحاتـه السابقـة ، ويلجأ إلى الألـوان الزاهيـة المشعة . وفي سنـة ١٨٨٨ ذهب إلى آرل في جنـوب فـرنسـا حيث مـا لبث أن وافـاه زميله بـول غـوغان . وفي احـدى نوبـات جنونـه هـدد غـوغـان بـالقتـل ، ثم قـطع لـه احـدى اذنيـه ، وخشي أن يعـاوده هـذا الجنـون الخـطر فـانتحـر بـاطـلاق الرصاص على نفسه .

لما مات فـان غو عن ستـة وأربعين عـاماً لم يمش في جنـازته إلا سبعـة اشخـاص . في حـين أن أحـد المعـارض التي أقيمت في نيـويـورك للوحـاتـه جمـع زهاء مئـة وثلاثـين ألف متفـرج ، عـدا الـذين اضـطرت إدارة المتحف الذي أقيم فيه المعرض المذكور إلى رفض دخولهم .

ولم يتجـاوز دخله من لـوحـاتـه ، طــوال حيـاتــه ، المئـة والخمســين دولاراً ، في حــين بيعت لـوحــة واحـدة منهــا بعـد وفــاتــه بمبلغ ٨٥ ألف دولار . أما ثمن لوحاته كلها فيقدّر بحوالى عشرة ملايين دولار .

دا فنتشي

Leonardo Da Vinci

شخصية من شخصيات التاريخ الفذة التي قلما يجود الزمان بمثلها . كان رساماً ، ومثالاً ، وموسيقياً ، ومهندساً ، وفيلسوفاً . ومع انه عاش قبل فرنسيس بايكون بزمن طويل فقد تفهّم مبادىء التجارب العلمية احسن من بايكون . وعرف ما سيكتشف العلماء امثال غاليليو واسحق نيوتن . ويقدّر العارفون انه لو عرف عصر دا فنتشي قوة من القوى الحديثة كالبترول ، مثلاً ، لاتيح لهذا العبقري انهاء عمله في عالم الطيران ، هذا العمل الذي يُعتبر ، بالنسبة إلى عصره ، من أروع الاعمال .

ولد ليوناردو في ايطاليا عام ١٤٥٢ من اب فلورنسي كان يتعاطى المحاماة ، ودرس الاصول الموسيقية والفنية في مسقط رأسه حيث كان تحت رعاية اسرة مديتشي الحاكمة . وكان حذراً فطناً فاحتفظ لنفسه بآرائه السياسية ولم يجهر بها ، بل اكتفى بتدوينها .

غادر فلورنسا سنة ١٤٨٥ متجهاً شطر ميلانو حيث رسم على جدار كنيسة سيدة النِعم رائعته « العشاء السري » .

ولم يغادر ميلانو إلا في عام ١٤٩٩ فانطلق إلى البندقية ، ومنها إلى فلورنسا حيث صنع عدة تحف اكسبته شهرة عريضة ، منها لوحة الجوكندة (موناليزا) التي نفض يده منها بعد جهد استغرق أربع سنوات .

خدم سيزار بورجيا بصفة مهندس عسكري مع انه كان يعتبر الحرب نوعاً من البربرية . وبين سنة ١٥٠٦ و١٥١٣ اقام معظم وقته في ميلانو . ثم رحل إلى روما حيث عاد يعمل تحت رعاية اسرة مديتشي .

قضى الشهور الثلاثين الاخيرة من حياته في خدمة ملك فرنسا فرنسوى الاول . . وكانت وفاته في ٢ أيار سنة ١٥١٩ .

لم يكن ليوناردو دا فنتشي ، ويُعتبر من انبغ ما أنجبه الجنس البشري ، ليتذكر شيئاً ما لم يدوّنه ، فإذا ما فعل ذلك فقد رؤوس الاقلام التي يكون قد دوَّنها . . .

ويروى عن ليوناردو دا فنتشي انه لما شاء أن يرسم صورة المسيح في لوحته الشهيرة العشاء السري أو العشاء الاخير بحث طويلاً عن وجه مليح لرجل تتجلى في ملامحه امارات الطهر والالوهة ، إلى أن اهتدى إلى رجله المنشود . . ولكنه لما أراد أن يرسم صورة الخائن يهوذا الاسخريوطي الذي باع معلمه بثلاثين من الفضة وقع في الحيرة نفسها . . كان الوجه الذي يتخيله ليهوذا وجهاً تتجسم فيه شهوات الدنيا وشرور الجحيم . فراح يتردد على الحانات الوضيعة والاماكن القذرة بحثاً عن هذا الوجه ، إلى أن وجد ضالته المنشودة . فنقد صاحبه مبلغاً من المال لقاء رسمه . . وكم كانت دهشته عظيمة عندما بادره الشاب بقوله :

ــ ستعجب ، ولا شك ، إذا علمت انك اتخذتني منذ أمد مثالاً لرسم صورة المسيح !

لقد انقلبت سحنة هذا الشاب ، مع الزمن ، لانغماسه في الموبقات ، من صورة إله إلى صورة شيطان ! . .

كان فرنسوى الاول ، عاهل فرنسا ، شديد الاعجاب بليوناردو دا فنتشي الذي لقِّب بالرجل الكامل . . واتفق ان أصيب دا فنتشي ، وهو في زيارة فرنسا ، بمرض ألزمه الفراش فكان فرنسوى الاول يتردد عليه يومياً .

وذات مرة ، وبينما العاهل الفرنسي يهمّ بمغادرة البلاط لعيادة

العبقري الايطالي ، دخل عليه أحد النبلاء فلم يؤخر ذلك الملك عن القيام بزيارته اليومية المعتادة في موعدها . ولما استغرب احد رجال الحاشية تصرّف الملك، وسأله عن سبب تفضيله زيارة دا فنتشي على استقبال النبيل ، أجابه :

ـ بوسعي ان اصنع النبلاء بالعشرات ، ولكن عبقرياً مثل دا فنتشي فالله وحده يستطيع صنعه ! . .

فرمير

Vermeer

ليس من الغلو في شيء القول إن الرسام الهولندي يان فرمير (١٦٣٢ ـ ١٦٧٥) كان أعظم رسام عرفه العالم من حيث أن مزاياه الفنية كانت أكثر من مزايا أي رسام في أي زمان ومكان ، واخطاءه الفنية كانت أقل من اخطاء أي رسام في أي زمان ومكان . ومن هنا كان مقامه في طليعة الرسامين على الرغم من وجود الجبابرة أمثال فيلاسكيز ، وروبنس ورامبرانت .

وكانت مهارته في رؤية الاشياء وتصويرها كما هي ، في حين أن سواه كان ماهراً إما في الرسم وحده ، أو في توزيع الألوان فقط . كان ينظر إلى الاشياء فينعم النظر ، وينقل ما انطبع في بصره وبصيرته بكل أمانة . فجاءت جميع أعماله الفنية تصويراً صادقاً لطبيعة الاشياء ، حتى وصفت أعماله ـ على حد قول غوستاف كوربه ـ بأنها الحقيقة الحقيقية . . ومردّ تصويره المثالي إلى تفهّمه المثالي .

لم يرسم فرمير أي مشاهد دينية ولكن لوحاته الرائعة تفيض بالطيبة والخير والسلام الداخلي اكثر مما تفيض به أغلبية اللوحات الدينية

الصرف . فالنسـاء عنده أقـل إثارة من قـديسات روبنس وعـذارى رفايـل . ولقد انصرف فرمير إلى تصوير الحيـاة اليوميـة العاديـة . ففي لوحـاته نشـاهد تمجيـداً للحياة العـائلية الهـادئة ، والنـاس الصالحين . وقد تـرك لسـواه من معاصريه رسم حياة الحانات ، أو تصوير الاساطير .

أما حياة فـرمـير فقـد اكتنفهـا الغمـوض ، ولسنـا نعـرف عنهـا الشيء الكثـير اللهم إلا أن أسـرتـه كـانت كبيـرة العـدد ، فكـان في سعي دائم لتحصيل معاشها . . يقترض المـال احيانـاً ، ويبيع روائعـه بأبخس الاثمـان أحياناً أخرى ثمناً لوجبة طعام ، مع أن لـوحاتـه كانت تبـاع باسعـار لا بأس بها في بعض المناسبات .

وقـد ظلّ فـرمير طـوال قرنـين من الزمن مـطوياً في غيـاهب النسيان ، تبـاع لوحـاته كـما تباع لـوحات أي رسـام عادي . ولم يبق اليـوم من ثـروتـه الفنيـة سوى ٣٧ لوحة يقـدر الخبـير الاميـركي دجيمس هنـري دوفـين ثمنهـا بخمسة وعشرين مليون دولار . . .

فيلاسْكيز

Velasquiz

ابصر فيلاسكيز النور في اشبيلية في ٦ حزيران ١٥٩٩ ، وهو يتحدر من عائلة برتغـالية ارستقـراطية . رغب والـده بأن ينهـل من العلوم ما يؤهله لاحتـراف مهنة شـريفة ، وفي رأسهـا اللغات والفلسفـة . غير أن فيـلاسكيز لم يعمـل بارادة والـده ، بل اعتـزم ، في سن مبكـرة ، أن يصبح رسـامـاً . وكـان ماهـراً في هذا الفن ، فـدخل مـرسم هيـريـرا ، وهـو بعـد في الثـالثـة عشرة من عمره .

وكـان هيريـرا يتمتع ببعض الشهـرة الفنية في جنـوبي اسبـانيـا ، لكنـه

كان نصف مجنون ، تنتابه ثورات غضب لامبرر لها، الأمر الذي تعذّر معه على فيلاسكيز مواصلة تدرّبه عنده . فغادره إلى رسام لطيف المعشر ، رفيع الثقافة ، يدعى باتشيكو ، واقام في منزله خمس سنوات . ولم يشتهر باتشيكو كرسام اشتهاره بذوقه الرفيع ، وحسه المرهف ، وطموحه واخلاصه . وكان له ابنة حسناء ، من اشد المعجبين برفايل ؛ على خلاف فيلاسكيز الذي لم يكن ليتأثر به أو بأي رسام من فلورنسا . وحين كان المعلم يمجد الفن الكلاسيكي كان التلميذ يصوّر الفلاحين الاندلسيين ، ويهيم حباً بابنة استاذه « جوانا » .

فلما بلغ التاسعة عشرة وطبّقت شهرته جنوبي اسبانيا ، وطغت على شهرة زملائه الأسبان ، تزوج من جوانا التي جذبته ـ على حد قول والدها ـ بفضيلتها ، وجمالها ، وحميد خصالها .

لم يعرف فيلاسكيز الحرمان ، ولم يذق مرارة الفشل كالكثيرين من الرسامين . . ولم يستغرق نضوجه طويل وقت . إذ بدأت حياته وانتهت في بلاط الملك فيليب الرابع الذي سمح له بالسفر إلى ايطاليا ، وخصص له مبلغاً من المال يستعين به على سداد نفقاته . وهناك رسم لوحات كثيرة مبتكرة ،،كما نقل بريشته اروع لوحات الرسامين العالميين ميكيل انجلو ، ورفايل .

وفي سنة ١٦٣١ عاد إلى البلاط الملكي الاسباني ، فصنع عدداً كبيراً من الرسوم لافراد العائلة المالكة والبلاط . وفي ذلك العهد الذي يُعرف بمنتصف حياته الفنية وضع لوحتين تاريخيتين شهيرتين هما استسلام بريدا والصلب . وقام برحلة ثانية إلى ايطاليا كُلف خلالها شراء لوحات لاحدى الاكاديميات الفنية الاسبانية . وعاد إلى البلاط الاسباني سنة ١٦٥١ .

وفي سنة ١٦٥٩ مُنح رتبة فارس ، الامر الذي جنّبه مراقبة محاكم

التفتيش وسهّل له الاستمرار في عمله الفني . وفي سنة ١٦٦٠ طُلب إليه اقامة الزخارف والزينات لزفاف الاميرة الاسبانية ماريا تيريزا إلى لويس الرابع عشر الفرنسي . وفي ٣١ تموز ١٦٦٠ اصابته حمى فقضى نحبه على اثرها في ٦ آب من السنة نفسها .

شَارل فيلو

Charles Felu

ولد شارل فيلو البلجيكي (١٨٣٠ - ١٩٠٠) بدون ذراعين ، ومع ذلك فقد اشتهر بأنه من أكثر فناني القرن التاسع عشر موهبة وأشدهم مرحاً وحبوراً . رسم برجله اليمنى عدداً من اللوحات الفنية الرائعة التي كان يوقعها باسم بيدي بنكسيت . قامت على رعايته الاسرتان المالكتان في كل من بلجيكا وروسيا . وكان بين أصدقائه ثلاثة ملوك وامبراطور واحد ، وكان يفخر بأن رجله صافحت الكثير من الايدي الملكية . ولطالما ردد الملك ليوبولد الثاني البلجيكي في هذا الصدد : « ان هذه المصافحة لتعتبر احر وأسعد مصافحة عرفتها في حياتي ! »

كلود مونه

Claude Monet

هذا الرسام الفرنسي كان زعيم مدرسة الرسم في الهواء الطلق ، وأحد أبرز مؤسسي الحركة الفنية المعروفة بالانطباعية . أبصر النور في باريس في ١٤ تشرين الثاني ١٨٤٠ . وقد انتقلت أسرته إلى الهافر بعد ذلك بخمس سنوات . في صباه كان يفضّل الرحلات البحرية على قاعة الدرس التي كان يرسم فيها صوراً لمعلميه . وما إن بلغ الخامسة عشرة

حتى اكتسب شهرة محليةودخــلاً ضئيلاً كـرسام صـور كاريكـاتوريـة . سوى أنـه لم يشـرع في رسم البحـر والسمــاء اللذين أحبهـما كثيـراً ، إلا بعـد لقـائه اوجـين بودان الـرسـام الشهـير بلوحـاتـه البحـريـة ، من بلدة اونفلور الساحلية .

زار مـونـه بـاريس للمـرة الاولى في السنــة ١٨٥٩ ـ ١٨٦٠ ، حيث أعجب وتـأثر بـرسوم شـال دوبينبي وكونستـان ترويـون . ولم يـوافق أسـرتـه عـلى الالتحـاق بمـدرسـة الفنـون الجميلة ، بـل كـان يتـردد عـلى محتـرفـات الفنانين المتفوقين.وعمل في الاكاديمية السويسـرية حيث التقى الـرسام كـاميل بيسارو . وقد قطع هذا التدريب غير الـرسمي دعوتـه آلى الخدمـة العسكريـة في الجزائر . وقـد أثاره في تلك الانحـاء اللون والضوء الافـريقيان . غـير انه ســرعـان مــا عـاد سنــة ١٨٦٢ إلى حضن الاســرة في ســانت ـ آدريس ، بـالقـرب من الهـافـر ، بسبب المرض . ورسم أيضــاً البحـر مـع بـودان ، والتقى الـرسام الهـولندي يـوهان يـونغكند . وفي أواخـر تلك السنـة والسنـة ١٨٦٣ ، واصـل دراسته في بـاريس ، ولكن هذه المـرة مع الاكـاديمي شـارل غلير الذي قابـل في محترفـه فريـدريك بـازيل ، وألفـريد سيسـلي ، وأوغست رينـوار . وإثر خـلاف مع استـاذهم لجأ هؤلاء جميعـاً إلى غابـة فونتنبلو حيث رسم مـونه ، بعـد ذلك بسنتين ، وفي شابي ، احـدى اشهر لـوحاتـه الاولى « النـزهة » أو « غـداء فوق العشب » بـروحية كـل من الرسـامين المعـروفـين الذين كان يعجب بهـما كثيراً غـوستاف كـوربه ، وإدوار مـانه ، وقـد عرفهـما شخصيــاً . وحـوالى تلك الفتــرة ـ أي بـين السنــة ١٨٥٨ و١٨٧١ اكتشف هـذا الرسـام فن التصويـر اليابـاني ، الذي مثّـل دوراً كبيـراً في تـطويـر فن الرسم الحديث في فرنسا .

وفي السبعينـات راح النهر يشغف مـونه ، بــدلاً من البحـر ، وبـات موضوعه الرئيسي .

يقول ساشا غيتري في كتابه الرائع L'Esprit الذي كان لي خير مرجع لجمع نوادر عدد غير قليل من أسياد النكتة الفرنسية ، عن صديقه الرسام كلود مونه (١٨٤٠ ـ ١٩٢٦) ـ وكل الذين كتب عنهم عرفهم جيداً وكانوا من اصدقائه :

ـ أنا أحلم بوضع كتاب بعنوان « حياة كلود مونه النموذجية » ، ليقيني انه ليس ثمة انسان يمكن ان يكون نموذجياً ، ومثالاً يحتذى ككلود مونه . كانت حياته صافية نقية من أولها إلى آخرها . وكان بوسعه ان يتبجح بأنه لم يقم بأي شيء يستوجب الذم واللوم ، لا في حياته ولا في فنه . قلت « كان بوسعه ان يتبجح » ، ولكن الجميع يعلمون انه لن يفعل ، فلم يكن من شيمة مونه آن يتبجح !..

والذي يميز هذا الانسان من الكثيرين من البشر الذين صادفتهم في حياتي هو أن هؤلاء يقدمون اليك النصائح ، في حين يقدم هو إليك النموذج والمثال .

وكانت حياته أبسط حياة ممكنة في العالم . كان يتأمل ، ويأكل ، ويدخن التبغ ، ويمشي ، ويشرب الخمر ، ويصغي . أما باقي الوقت فكان يعمل . والحقيقة انه لم يكن يقوم إلاّ بشيئين : العمل والحياة . فقد عمل أولاً لكي يعيش ، فلما حقق نوعاً من العيش ، عاش ليعمل . وكان يقيم في جيفرني صيفا شتاء ...

ولم يكن يستقبل كثيراً من الناس اللهم إلا الاصدقاء الحميمين ... وكان من احب الاصدقاء إليه كليمنصو واوكتاف ميرابو (وهو من الكتّاب ومن أسياد النكتة) ، وغوستاف جوفروى .

وكان وهو في الثانية والثمانين من العمر ، ما يزال محتفظا بكل قوته ، وحيويته ، وسلامة صحته . فلقد كان كالسنديانة الهرمة التي تهزأ

بالعواصف لشدة مناعتها . فكيف سينفذ إليه الموت ؟ لقد غلبه بالحيلة والخداع ، والغدر . اصابه الموت في أعز أعضاء جسمه إليه وأثمنها ، بل في علة وجوده . في عينيه ! أجل ، لقد ارتكب القدر هذه الجريمة ، وعكر عليه صفو بصره قبل أن يغمض له عينيه .

وذات يوم جئت لزيارته ، فقالت لي كتته بلانش مونه ، وكانت الاخلاص والتفاني مجسدين :

ـ انك تأتي في الوقت المناسب . . . أسرع ، انه في حالة لا يحسد عليها !

فلقد كان في محترفه الكبير ، وحيداً ، امام لوحة الوانه ، وقد بدا عليه انه مهدود القوى لفرط اليأس . وتعانقنا ،فقال لي بنبرة تمزق نياط القلوب ، وهو يشد على يدي :

ـ أيها العزيز ساشا ، انا لم أعد أرى اللون الاصفر .

وبعد ظهر ذات يوم ، وحوالى الساعة الخامسة ، ذهب بصره كلية . فنام ، ولم يشأ ان ينهض بعد ذاك . وما هي الا ايام حتى كان يعاني سكرات الموت . لقد هزم ، فنادى الموت !

وبرت كتته بلانش مونه بوعدها له فابرقت إلى كليمنصو الذي كان في اقليم « فانده » . فلم يضع النمر لحظة واحدة ، بل استقل سيارته ، وقطع فيها بأقصى سرعة ممكنة السبعماية كيلومتر التي تباعده عن صديقه المتأهب للرحيل عن هذا العالم ، لكي يودعه الوداع الاخير .وصل في الوقت المناسب ،وأسلم كلود مونه الروح بين ذراعيه .

وطوال يومين نام كليمنصو في الغرفة المجاورة لتلك التي يرقد فيها صديقه القديم .

واشـرف بصمت وتأثـر على وضـع جثمانـه في النعش ، ولكن عنـدمـا أراد المسؤول عن الـدفن ان يغطي النعش بـالغطاء الاسـود التقليـدي ، امسك كليمنصو بيده وقال له : لا !

ثم نظر حواليه ، وتقدم من النـافذة ، وانتـزع احد السـتائر المزهرة ، وغطى به نعش الرسام الكبير بنفسه ، مردداً :

ـ الاسود ليس لمونه ! . .

لقد عرف مـونه البؤس ، والـلامبالاة ، والازدراء . . وقـد قال لي انـه بلغ السابعة والاربعين ولم يكن قد بـاع لوحـة من لوحـاته بأكـثر من خمسين فـرنكـاً . ولكنـه لم يحقـد عـلى شيء ، ولا عـلى أحـد من جـراء ذلك ،ولم تستـول عـلى نفسـه أي مـرارة . فلما أثـري ـ وكـان يمكنـه أن يقـول كلمـة واحـدة ليزداد ثـراء على ثـراء ـ لم يكن يهمه من متـاع هذه الـدنيا وحـطامهـا سـوى زهوره . فقـد كانت حـديقته من اجمـل حدائق الـدنيـا . وكـان يقـرر لـونها قبـل شهـور ، قـائـلا : « هـذه السنة أريـد أن تكـون حـديقتي كلهـا بنفسجية اللون ! . . »

وهذه نادرة من نوادره :

يـوم قال لـه كليمنصـو عـلى حـين غـرة ، وبشيء من شـرود الـذهن نوعاً :

ـ هه ، مونه ، سأمنحك وسام جوقة الشرف !

نظر إليه الرسام بكل هدوء ، واجابه :

ـ لا ، يـا كليمنصو ، أنـا عمري ستـون سنـة ، وقـد فـات الاوان . كان ينبغي ان تفكر في ذلك قبل الآن .

مدام توسو

Mme. Tussaud

مما لا شك فيه أن مدام توسو (١٧٦١ ـ ١٨٥٠) تعتبر أشهر امرأة في زمانها . فحين كانت النسوة في عصرها مغمورات، لا شأن لهن ، استطاعت هي بفنها ومهارتها أن تتخطى كل العراقيل ، وأن تصنع لنفسها اسماً ما لبث أن أصبح على كل شفة ولسان في مختلف أرجاء العالم .

عاصرت مدام توسو في حياتها أشهر الاحداث الأوروبية . . فلقد شهدت، وهي فتاة ، سقوط الملكية في فرنسا وولادة الجمهورية وسط حكم الارهاب، واستطاعت بحنكتها وروحها التجارية أن تفيد من الثروات التي أحدثتها الثورة الصناعية في انكلترا ، فانشأت لها مقراً دائماً في لندن حيث أسست في شارع ماريلبون متحفها ، متحف الشمع ، الذي وهبت له حياتها .

ولدت ماري توسو (واسمها الاصلي ماري آن غروشولتز) ، في ستراسبورغ (وكانت وقتئذ فرنسية) . وكان والدها جندياً محترفاً ، هجر الجيش بعد أن أصيب بتشويه فظيع في معارك السنوات السبع . ولكن ذلك لم يمنعه من الزواج من أرملة لها سبعة ابناء تدعى ماري ولتر ، وهي من أسرة عريقة . غير أن هذا الزواج لم يعمّر طويلاً إذ توفي جوزف غروشولتز فجأة بعد شهرين من ولادة ابنته التي كُتب لها أن تصبح من شهيرات النساء في التاريخ .

وحملت الام ابنتها الصغيرة إلى « برن » حيث تقيم أسرتها وشقيقها الدكتور فيليب ناتان كرتيوس الذي كان في أوقات فراغه

يصنع بالشمع تماثيل صغيرة ، لبعض المشاهير المحليين . وسرعان ما ذاعت شهرته كفنان أكثر منه كطبيب .

وبتشجيع من أصدقائه والمعجبين به أقام أول معرض لتماثيله الشمعية في ربيع سنة ١٧٥٧ في احدى غرف منزله .

واتفق ان زار الامير دي كونتي ، ابن عم الملك لويس الخامس عشر ، سويسرا زيارة غير رسمية بعد ذلك بأربع سنوات . فزار « متحف كرتيوس » وأعجب به إلى درجة أنه دعاه إلى باريس لينشيء فيها محترفاً له يتكفل هو بكل نفقاته . وقد كان .. وانتقل كرتيوس إلى العاصمة الفرنسية حيث أقام محترفه الذي أخذ يتردد عليه كبار الشخصيات السياسية والادبية والفنية .

وما هي إلا سنة حتى افتتح معرض الشمع الذي ضمّ تماثيل بحجم الاشخاص الممثّلين فيه . وفي سنة ١٧٦٦ استدعى كرتيوس شقيقته الارملة وابنتها ماري لتؤنسا وحدته ، وكانت ماري طفلة جميلة في الخامسة من عمرها ، تقضي الساعات الطوال مراقبةً خالها في محترفه وهو منهمك في صنع تماثيله . ولاحظ اهتمامها الشديد بعمله الفني الدقيق ، وأنس منها رغبة فيه ، فصقل مواهبها حتى باتت مساعدته الأولى .

وازدهرت صناعة كرتيوس هذه ، فتبنّى ماري التي ما عتمت أن أصبحت أكثر منه مهارة في صنع تماثيل الشمع . وكان لها من العمر ١٧ سنة عندما كلفت صنع تمثال لفولتير . وكان ذلك قبل وفاته بثلاثة أشهر . ولا يزال هذا التمثال يحتل مقام الشرف في متحفها الحالي الذي زودته منذ ذاك (١٧٧٨) بمئات التماثيل لشخصيات التاريخ البارزة .

وفي سنة ١٧٧٤ اعتلى عرش فرنسا الملك لويس السادس عشر وماري ـ انطوانيت، وكانا من مشجعي الفنون ، فرغبا في زيارة متحف كرتيوس وماري . وشدت الصداقة أواصرها بين ماري ومدام اليزابيت ، اخت الملك ، التي دعتها إلى الاقامة معها في قصر فرساي على أن تلقنها أصول الفن وتكون سكرتيرتها ورفيقتها .

وكانت ماري في أوقات فراغها وبعدها عن أميرتها ، تصنع التماثيل لأفراد العائلة المالكة وسواهم من الشخصيات . ومن أبرز الشخصيات التي جلست أمامها في تلك الفترة بنيامين فرنكلين (١٧٨٣) وكان ، وقتئذ ، سفيراً للولايات المتحدة الاميركية في البلاط الفرنسي .

وفي سنة ١٧٨٩ ، وهي سنة الثورة الفرنسية ، طلب كرتيوس من ماري أن تغادر قصر فرساي ، فلبت طلبه مكرهة .

وكان مقتل الملك لويس السادس عشر وماري ـ انطوانيت ومدام اليزابيت على المقصلة . وألقت جيوش الثورة القبض على ماري وزجتها في السجن ، وحُلق شعر رأسها ، وطلب إليها دافيد ، الفنان الرسمي لمجلس الثورة ، أن تصنع تماثيل للرؤوس الثلاثة المقطوعة ، تحت طائلة التهديد بالموت على المقصلة . . . وصنعت رؤوس هؤلاء الثلاثة الذين احبتهم وعايشتهم ردحاً من الزمن في قصر فرساي . . وقد أفرج عنها سنة ١٧٩٤ ، وحُملت في الحال إلى مقبرة المادلين حيث وجدت بانتظارها رأس روبسبيير ينزف منه الدم . وبسقوط روبسبيير انتهى عهد الارهاب ، وعادت إلى ماري حريتها .

ومات خالها في هذه الاثناء ، ودُمّر متحفه ونُهب ، فعكفت على اصلاحه واضافة تماثيل الشخصيات التي كانت تصنع الاحداث في

فرنسا في ذلك الحين .

ووجدت نفسها وحيدة لا رفيق لها وانيس ، فتزوجت من أحد معارفها القدامى ، ويدعى فرنسوى توسو (١٧٩٥) ، فرزقا ابنان سمياهما جوزف وفرنسيس .

وكسدت الاعمال سنة ١٨٠٢ بسبب تفشي البطالة ، فاغتنمت مدام توسو الفرصة التي أتاحتها معاهدة اميان للسفر إلى انكلترا حاملة معها ٣٦ من أشهر تماثيلها . وبقيت مدام توسو في إنكلترا منذ ذاك . فكانت تنتقل من مكان إلى آخر في الجزر البريطانية ، حاملة تحفها لتعرضها على الجماهير ولتكسب عيشها . وما أكثر الأهوال التي تعرّض لها متحف الشمع المتنقل هذا . فكانت اكثر التماثيل تتحطّم أو تتلف . ولم تقرر البقاء في انكلترا نهائياً إلا بعد أن وصلتها سنة ١٨٠٨ الانباء بأن متحفها قد حُجز تسديداً للديون التي تراكمت على زوجها فرنسوى .

ومنذ ذاك قطعت كل صلة لها به ، إلا أنها رجت ولديها أن يبرّا بوالدهما بحيث يقضي بقية ايامه في راحة .

وفي سنة ١٨٤٢ قررت اعتزال العمل ، وكان آخر ما صنعته تمثالاً لنفسها وهي في الحادية والثمانين من عمرها . وابتاعت منزلاً مقابل متحفها كانت ترقب منه بهدوء واطمئنان سيل الناس المتدفق على متحف الشمع لرؤية هذه الاعجوبة الفنية الفريدة في نوعها !

وتوفيت مدام توسو عام ١٨٥٠ إثر مرض لم يمهلها طويلاً . وبقي المتحف في عهدة ابنها فرنسيس الذي سلمه بدوره إلى ابنائه الذين أكملوا هذه الرسالة الفنية الرائعة .

ميكيل أنجيلو

Michel Angelo

يُروى عن هذا الفنان الأشهر انه حين نفض الازميل من تمثاله الرائع « موسى » وقف ساعة يسرّح النظر فيه حتى صاح به في كثير من الانفعال : « تكلم » . . ولم يتكلم التمثال . كان الفنان قد أدرك أنه بلغ الكمال الفني الأعلى ، ولكنه في تلك اللحظة بالذات قذف التمثال بالمطرقة فكسر انفه . . كسره ليؤمن أن باستطاعته أن يبدع خيراً منه . جرح كماله لئلا يواجه بعد ذلك العقم الرهيب . إنه انسان دائم الحركة والتطور ، دائم الطموح .

أبصر إزميل الله ميكيل أنجلو الرسام ، والنحات ، والمهندس ، النور في فلورنسا سنة ١٤٧٥ ، وتتلمذ وهو في الثالثة عشرة من عمره ، على الرغم من معارضة والده الشديدة ، على يد الفنان غيرلندايو الذي علّمه أصول الرسم . وقد بدأ دروسه في النحت فيما بعد تحت رعاية لورنزو دي مديتشي (لورنزو العظيم) ، حاكم فلورنسا . وقد أثّر في حياته أبلغ تأثير شعر دانتي ، ومواعظ سافونارولا ، الراهب الثائر .

فلما توفي لورنزو سنة ١٤٩٢ ، وحدثت الاضطرابات السياسية ، اضطر إلى الفرار إلى بلدة بولونيا (في ايطاليا) ، ثم إلى روما خوفاً من اغتياله . ولم يعد إلى فلورنسا إلا سنة ١٥٠١ حيث عكف على صنع تمثاله الشهير « داود » الذي انهاه في ثلاث سنوات . وفي سنة ١٥٠٥ طلب إليه البابا بيوس الثاني أن يصنع له ضريحاً ضخماً . وتمت الموافقة على خرائط الفنان ، إلا أن التنفيذ تأجل بسبب بعض المؤامرات والارتباطات . ولم ينجز العمل إلا بعد أربعين سنة ، وعلى

نطاق مصغّر . وما زال إلى اليوم يقوم عليه تمثالاه الشهيران موسى والعبيد (أو الأسرى) .

ومن أشهر أعماله وآيات فنه الرائع نذكر : قبة كنيسة القديس بطرس في روما ، وتمثال العذراء الأم الحزينة ، والنهار والليل في كابيلا مديتشي بغيرنزه ، وسقف كابيلا سيكستينا ، وقد نحت فيه تاريخ الكون كما جاء في التوارة من عهد الخليقة إلى يوم القيامة . وقد أنجز هذا العمل الأخير الجبار سنة ١٥٤١ ، فجاء أكبر لوحة في العالم وأبرز دليل على القوة البشرية الخارقة الطبيعة .

ومع انه لم يعتبر نفسه يوماً مهندساً،إلا أنه بنى جسراً عبر نهر التيبر، وحوّل أحواض ديوكليسيانوس للسباحة إلى كنيسة مديتشي . وقد بقي يعمل طوال حياته بالنشاط والحدّة اللذين عُرف بهما . ولما بلغ الستين من عمره ،ربطت بينه وبين فيتوريا كولونا صداقة متينة ألهمته الشعر . وبلغ من العمر عتياً (٨٩ سنة) . وعمل في عهد تسعة من البابوات ، وتوفي في ١٨ شباط ١٥٦٤ .

هذا الجبار بين الجبابرة ،كتب عنه الشعراء ، والمؤرخون ، والنقاد ، والروائيون ، الكثير . ولا عجب ،فحياته كانت حياة تُصنع منها الأساطير . ولقد قال عنه الروائي الفرنسي رومان رولان : « لم يظهر مثيل لميكيل أنجلو . . فقد ألمّ بالرسم ، والنحت ، والهندسة ، والشعر جميعاً ، ونفخ فيها من نشاطه ، وحيويته ، ومثاليته القوية . لم يفهمه أحد ، ولكن الجميع قلدوه ! »

هويسلر

James Abbott

الرسام الاميركي دجيمس ابوت ماك نيل هويسلر (١٨٣٤ ـ ١٩٠٣) رافق والده إلى روسيا بناء على دعوة لبناء خط سكة حديدية ، فدرس هناك فن الرسم . ولما عاد إلى الولايات المتحدة التحق بأكاديمية وست بوينت الحربية ،ولكنه سرعان ما غادرها لرسوبه في الكيمياء . وحاول الالتحاق بالبحرية ففشل ، فعمل رساماً في مصلحة المساحة الخاصة بالأراضي . ولكنه لم يُقم طويلاً في هذه الوظيفة،إذ غادر اميركا لدراسة الرسم والتصوير في باريس . ومضت اعوام فإذا بهويسلر يشتهر بغرابة اطواره ونزاعاته اكثر منه بأعماله الفنية . واشهر نزاع كان بينه وبين الشاعر البريطاني دجون راسكن الذي أقام عليه هويسلر دعوى قدح وذم وتشهير . وكسب الدعوى فمُنح قطعة نقدية من فئة بنس كان يحملها معه دائماً كتعويذة . وقد توفي في لندن . . .

رسم هويسلر الكثير من اللوحات المائية الرائعة أشهرها الليالي . ومن أبرز رسومه رسم امه . إلا أن الكثيرين يعدّون نقوشه على النحاس أو المعادن من اروع ما انتج ، ويضعونها جنباً إلى جنب مع نقوش رامبرانت الذي يعتبر أعظم نقّاش عرفه التاريخ . ومن رائع انتاجه الفني في ميدان تزيين الجدران غرفة الطاووس ، ذات اللونين الذهبي والازرق وقد كانت في احد المنازل اللندنية ، فنُقلت فيما بعد ألى غاليري فريار في واشنطن .

مع الخالدين من الفلاسفة والمفكرين

أرسـطـو

Aristotle

المعلم الأول . . وواحـد من عظماء المفكـرين ، سـاهم بمفـرده في تنـوير العـالم ، وذلـك بجمعـه كـل مـا كـان هنـاك من معـرفـة في عصـره ، وتنظيمه في علم قائم بذاته .

فتح عينيه عـلى النـور في مـدينـة اسـطاغيـرا (بمقـدونيـا) سنـة ٣٨٣ ق . م . وكـان والده نيكـوماخـوس طبيباً خـاصاً للملك آمنتـاس المقدوني ، جـد الاسكندر الكبـير المعروف بـذي القرنـين . وتوفي عنـه وهـو بعـد فتى ، فأرسله ولي أمره عندما بلغ السـابعة عشـرة إلى أكاديميـة أفلاطـون حيث بقي عشرين سنة يأخذ عنه العلم والفلسفة ، فكان أبرز تلامذته .

وبعد وفاة أفلاطون سنـة ٣٤٧ ق .م . ارتحل إلى آتـرنيوس ، إحـدى المـدن ـ الدول اليـونـانيـة في آسيـا الصغـرى حيث تـزوج شقيقـة حـاكمهـا هـرمياس . ومـا هي إلا ثـلاث سنـوات ، وبعـد اقـامـة قصيـرة في جـزيـرة لسبـوس ، حتى تلقّى دعـوة من الملك فيليبوس المقـدوني ليكـون معلم ابنـه الـذي أصبـح فيـا بعـد الاسكنـدر الكبـير . وقـد لازم ارسطو الاسكنـدر صـديقـاً ، ومعلماً ، ومستشـاراً حتى قـام سنـة ٣٣٤ بحملتـه الحـربيـة الآسيـوية . ومما يروى أن الاسكنـدر كان يـرسـل من البلدان التي يمـر فيهـا

نماذج عن نباباتها وحيوانـاتهـا الى استـاذه مسـاهمـة منـه في زيـادة اطـلاعـه وتسهيـل أبحاثـه ودراساتـه . ومن هنا استـطاع أرسطو أن يؤسس مـا يعتبر اول حديقة حيوان في العالم .

وفي اثينا ، سنة ٣٣٢ ، افتتح أرسطو مـدرسة لـوقيـون . وقـد عـرف أتباعه بالمشّائـين لأن أرسطو كـان من عادتـه أن يمشي بين تـلامذتـه وهو يلقي عليهم الدروس . وقد ظـلّ يديـر مدرستـه هذه ثـلاثة عشر عـاماً ، ويصنّف كتبه التي ظهر أبرزها في هذا العهد .

وعلى الرغم من عـداوة الاثينيين لمقـدونياالتي استعبـدتهم ، اجتـذبت مدرسة أرسطو الكثيرين من التلامذة وأمست مركزاً لـلأبحاث البيـولوجيـة ، والتاريخية ، والشؤون الحكـومية والادارية . ولم يكن ثمة مـوضـوع ينـاقش في أيـام أرسطو لم يتـطرق إليه في مـدرسته أو في كتبـه ، ويجله ، ويوضحـه . ومن أشهر مؤلفاتـه : اورغانـوت ، السياسـة ، فن الشعر ، المنـطق ، تاريـخ الحيوانات ، وعلم الفلك .

وتـوفي الاسكنـدر سنـة ٣٢٣ ق . م . وسط انتصـاراتـه في بـابـل ، ووقعت حكـومـة أثينـا بـين أيـدي أعـداء المقـدونيـين ـ وأرسـطو من أنصـار المقدونيين ـ فدبّر لـه أعداؤه تهمـة الالحاد ، فخشي الاضـطهاد والمصـير الذي آل إليـه سقـراط من قبله ، فهـرب الى مـدينـة خلسيس حيث اصيب بعـد اقـامتـه فيهـا حـوالى السنـة بمـرض قضى عليـه وهـو في الثـالثـة والستـين من العمر (٣٢٢ ق . م .) .

أفلاطون

Plato

ان اسم أفـلاطون المشتق من الكلمـة اليونـانيـة التي تعني « عـريض »

أطلق على الفيلسوف الاغريقي - كما يرجح - لعرض كتفيه . أبصر أفلاطون (واسمه الأصلي أرسطوكليس) النور في أثينا سنة ٤٢٧ ق . م . ويقال إنه توفي في اليوم نفسه الذي ولد فيه بعد ثمانين سنة . وهو سليل أسرة ارستقراطية في أثينا تنعم بالثروة الطائلة ، الأمر الذي فسح له مجال التفرّغ للاشتغال بالفلسفة . . . تعرّف الى سقراط الحكيم بواسطة انسباء أمه . وكان أفلاطون في صباه من أبطال الرياضة ، وقبل ان يبلغ العشرين قرض الشعر ، ولكنه ما لبث ان مزّق كل قصائده بعد اتصاله بسقراط . كان ميله المبكر الى الاشتغال بالسياسة ، الا انه سرعان ما اقتنع بأن ذوي الضمائر الحية الحرة لا مكان لهم في هذا الميدان الذي يسيطر عليه جماعة من الناس لا تفكير لديهم .

بعد وفاة سقراط قام أفلاطون برحلات عديدة طويلة ، فزار إيطاليا ، ومصر ، وصقلية ، حيث دهش لحياة الفساد التي يحياها السكان . وفي صقلية التحق ببلاط الملك ديونيسيوس الأول ، ملك سرقسطة . وفي أواخر أيام حياته تدخّل في سياسة سرقسطة بصفته معلم ديونيسيوس الثاني ، إلا أن العواقب كانت وخيمة ، فاضطر إلى التخلي عن كل نشاط سياسي .

وحوالى السنة ٣٨٧ أنشأ أفلاطون الأكاديمية التي ترأسها حتى وفاته ، وكان من أبرز تلامذته في الأكاديمية الفيلسوف أرسطو .

تقسم مؤلفات أفلاطون إلى ستة وخمسين كتاباً ، ومعظم كتاباته موضوعة بشكل حوار يشترك فيه عدد من الشخصيات . ويشكل هذا صعوبة جمة في درس فلسفته لأن ثمة مجالاً للشك فيمن ينطق بلسانه من هؤلاء الشخصيات . ومن أشهر مؤلفاته كتابه عن الحب ، وفيدو (يبرز تعاليم سقراط حول خلود الروح) ، والجمهورية (وهو كتاب ظهر عن الدولة المثالية أو المدينة الفاضلة) وكتابه عن طبيعة المعرفة ، وكتابه عن

طبيعة العالم الجسماني أو عالم الحس (واسم هذا الكتاب تيماس ، وهو أكثر كتبه غموضاً) .

وقد وصف المفكر الاميركي إمرسون كتاب « الجمهورية » بقوله : إنه كتاب الكتب فطالعوه ، واحرقوا كل الكتب دونه فهو يغني عنها !

توما الأكويني

Saint Thomas Aquinas

كان لتوما الأكويني (١٢٢٥ - ١٢٧٤) ، أمير الفلسفة اللاهوتية ، تأثير أعمق من تأثير أي لاهوتي في فكر الكنيسة الغربية باستثناء الأسقف أوغسطينوس .

ولد في نابولي ، وبعد أن درس في جامعتها ، انضم الى سلك الرهبنةالدومينيكانية ، ضد مشيئة أسرته . كان مثال المفكر والعالم . . درس على يد الفيلسوف البافاري ألبرت الكبير الذي كان صديقه الحميم .

درّس في روما وباريس ، ووضع مجلداً قيّماً يؤلف فيه بين الاتجاهات الفكرية والفلسفية القديمة . وفي سنة ١٢٧٤ دعي لحضور مجلس عام في ليون، الغاية منه التوفيق بين الاختلافات بين الكنيستين اليونانية واللاتينية . فتوفي على الطريق في ٧ آذار من تلك السنة .

إن كل مؤلفات القديس توما كانت تأهباً لعمله الكبير مجموعة اللاهوت ، وهو مؤلف ضخم جبار يتناول الآداب ، واللاهوت ، والميتافيزيقا . . بدأه سنة ١٢٦٥ ، وأُتم بعد وفاته حسب خطته . وقد طوّب سنة ١٣٢٣ .

أوغسطينوس

Saint Augustine

أحد أوائل الفلاسفة المسيحيين ، أبصر النور في شمال أفريقيا سنة ٣٥٤ ، وكانت والدته مونيكا ، التي أثّرت تأثيراً قوياً في حياته ، مسيحية المولد ، أما والده فكان من الذين اعتنقوا هذه الديانة . درس في مادورا ، ثم في قرطاجة حيث تعلّم البلاغة والمنطق إلى جانب سائر المواضيع . ويبدو أنه عاش في صباه حياة مجون وفساد ما لبث فيها بعد أن تأكله الندم عليها . وفي التاسعة عشرة كانت له علاقة بامرأة رزق منها ولداً دعاه اديوداتس .

حاضر في البلاغة السنوات الطوال ، وفي سنة ٣٨٣ انتقل الى روما ، فميلانو حيث وافته والدته . وبقي ردحاً من الزمن من أتباع إحدى الديانات الجديدة التي كانت تنافس المسيحية في ذلك الحين . ولكنه اهتدى الى المسيحية ، فطرد المرأة التي كانت زوجته بحالة غير شرعية ، واعتمد هو وابنه سنة ٣٨٧ . وما لبث أن عاد إلى أفريقيا بعد أن اعتزم دخول الرهبنة (٣٩١) . وقد كرّس حياته لوضع الكثير من المبادىء اللاهوتية التي أصبحت فيها بعد العقيدة الأساسية للكنيسة الكاثوليكية . ومن أشهر مؤلفاته « الاعترافات » و « مدينة الله » . وقد توفي سنة ٤٣٠ في بلدة هيبو التي أقام فيها، وكان أسقفها . . .

ابْن بَاجَه

شاعر وفيلسوف أندلسي ، وعالم بالطب والرياضيات والفلك ، « بنى فلسفته العقلية على الرياضيات والطبيعيات ، وهو ما أراد إمانويل كنطَ أن يسير عليه في فلسفته . . . خلع عن الفلسفة الإسلامية سيطرة

الجدل ، وأدخلها في دائرة العلم الصحيح . ولد في مدينة سرقسطة في أواخر القرن الحادي عشر للميلاد ، وتوفي في فاس سنة ١١٣٨ .

وضع ابن باجه كثيراً من المؤلفات في أرسطو وشروحه ، والمنطق ، والطب ، والهندسة ، والنبات ، والأدوية المفردة ، والفلك ، والنفس ، والعقل . ولسوء الحظ ضاع معظمها وبقي منها رسائل وصفحات في ترجمات لاتينية وعبرية . . . »

وكان أول فيلسوف في القرون الوسطى فصل ما بين الدين والفلسفة في البحث .

فرنسيس بايكون

Francis Bacon

السر فرنسيس بايكون (١٥٦١ ـ ١٦٢٦) كان فيلسوفاً ، وسياسياً وأديباً ، من مواليد لندن . انتقل من نقابة المحامين إلى البرلمان . صادقه الايرل أوف ايسيكس ، ولكنه ما لبث أن خان هذه الصداقة لقاء مبلغ قدره ١٢٠٠ استرلينية ـ على ما يقال ـ وذلك بأنه كان أحد المدّعين العامين الذين عيّنتهم الملكة اليزابث في محاكمة ايسيكس بتهمة الخيانة العظمى . وقد كانت مرافعات بايكون ذات أثر كبير في الحكم باعدام ايسيكس . وقد منح لقب فارس لدى تسنّم الملك دجيمس الأول العرش . وكان تدرّجه في الحياة السياسية سريعاً ، فأصبح ، رئيساً للسلطة القانونية . ولم تمضِ ثلاث سنوات حتى اتهم بالرشوة . ولكن عفي عنه فيما بعد دون ان يُسمح له بالعودة إلى البرلمان أو القضاء . فانصرف عندها إلى الكتابة والفلسفة حيث نال شهرة جديدة خالدة .

كانت شخصيته تتميز بالتناقض العجيب . . ذلك بأنه كان قادراً

على وضع مؤلف قيّم ككتابه تقدّم العلم ، ثم ترؤس غرفة التعذيب الخاصة بالبلاط الملكي . أما كتابه الأداة الجديدة الذي وضعه سنة ١٦٢٠ فيعتبر أشهر مؤلف في النثر ظهر في ذلك العصر . ففي هذا الكتاب وضع بايكون طريقة الاختبار العلمي المتبعة اليوم . وقد شاء بايكون أن يبرز إسلوباً جديداً في المنطق يتمم الاسلوب الذي وضعه أرسطو في رسالته عن المنطق (أورغانون) .

وفي كتابه الاطلنتيد الجديدة يصف بايكون الدولة المثالية . وتجدر الإشارة إلى أن الجدل ظل قائماً مدة طويلة حول كتابة بايكون بعض روايات شكسبير . إلا أنه لم يثبت شيء من هذه الادعاءات التي كانت تثار بين آن وآخر .

ومما يؤثر عن الفيلسوف لورد بايكون أنه كان في استطاعته أن يردد من الذاكرة ما ورد في كل كتاب من كتبه كلمة كلمة . . .

برغسُون

Henri Bergson

كان برغسون من أكثر فلاسفة القرن العشرين تمتعاً بالاحترام . تخرّج في دار المعلمين في باريس ودرّس في كليرمون حيث تحوّل من امريء هادىء إلى إمرىء مثالي . وفي سنة ١٩٠٠ تسلّم كرسي الفلسفة في الكوليج دو فرانس .

أما كتبه « الزمن والارادة الحرة » ، و« المادة والذكرى » ، و« التطور الخلاق » (وهو أروع كتبه) فقد أثارت الكثير من التأويلات والتكهنات . فقد ادّعى برغسون إنه بالإضافة إلى الدماغ الطبيعي الذي دعاه العقل التحليلي أو التفصيلي ، هناك فكر خلاق هو القوة التي تحرّك

كل البشر . وقد دعا ذلك الشرارة الحيوية ، وهي مفتاح الفلسفة البرغسونية . وكانت محاضراته تجتذب الجماهير الغفيرة .

وفي سنة ١٩٢٨ نال برغسون جائزة نوبل في الأدب . وفي سنة ١٩٤ عرضت عليه الحكومة الفرنسية التي كان يسيطر عليها الالمان ان تعفيه من مفعول المرسوم القاضي باستقالة الأساتذة اليهود من مناصبهم التعليمية . فرفض هذا الاعفاء واستقال من الكوليج دو فرانس .

ولد برغسون في ١٨ تشرين الأول ١٨٥٩ ، وتوفي في ٤ كانون الثاني ١٩٤١ .

البيروني

هو أعظم عقلية عرفها التاريخ ، وُلد في خوارزم سنة ٩٧٣ ، وفيها توفي سنة ١٠٤٨ .

هكذا يقول عنه العالم الالماني سخاو الذي درس بتمحيص دقيق مؤلفاته ، ووقف على أسرارها وأهميتها .

كان عالماً في الفلسفة ، والفلك ، والرياضيات ، وذا « مواهب جديرة بالاعتبار . . فقد كان يحسن السريانية والسنسكريتية والفارسية والعبرية ، عدا العربية . وقد نقل مؤلفات من السنسكريتية إلى العربية ، كما نقل علوم المسلمين إلى الهندوس . وكان أثناء إقامته في الهند يعلّم الفلسفة اليونانية ويتعلم هو بدوره الهندية ويقال إنه كانت بينه وبين ابن سينا مكاتبات في بحوث مختلفة ورد أكثرها في كتب إبن سينا . . »

بلغت مؤلفاته بين كتب ورسائل المائة والعشرين ، نقل بعضها إلى اللغات اللاتينية والفرنسية والالمانية والانكليزية لينهل منها الغربيون في دراساتهم العلمية والتاريخية .

إبن خلــدون

يقـول المؤرخ البريـطاني المعاصر تـوينبي «ان إبن خلدون ، في المقدمـة التي كتبهـا لتاريخـه العام ، قـد أدرك وتصور وأنشـأ فلسفـة التـاريـخ . وهي بلا شك أعظم عمل من نوعه خلقه أي عقل في أي زمان . . . »

ويقـول ماكـدونالـد ان هذه المقـدمة أسـاس التاريـخ وحجـر الـزاويـة فيه .

أبصر إبن خلدون النـور في تـونس سنـة ١٣٣٢ ، وتـوفي في القـاهـرة سنة ١٤٠٦ .

« ومقـدمـة إبن خلدون تـاريخيـة فلسفيـة لم ينسـج أحـد عـلى منـوالهـا قبلهـا ، حتى علماء اليونـان والرومـان وغيـرهم . وهنـاك من علماء الافـرنـج من خرج بتصريـح خطير بعـد دراسة المقـدمة ، فقـال روبرت فلنت : « من وجهـة علم التاريـخ وفلسفته يتحـلى الأدب العربي بـاسم من ألمع الاسـماء ، فـلا العالم الكـلاسيكي في القرون القـديمـة ، ولا العـالم المسيحي في القـرون الـوسطى يستـطيعان أن يقـدّما إسـماً يضاهي في لمعـانه إبن خلدون . . . وان من يقـرأ المقـدمـة بـإخـلاص ونـزاهـة لا يستـطيـع إلا أن يعتـرف بـأن إبن خلدون يستحق لقب مؤسس علم التاريخ وفلسفته . . . »

اتخـذ ابن خلدون من المجتمـع ومـا فيـه من ظـواهـر مـادة لـدرسـه ، محـاولاً أن يفهم هذه الـظواهر ويعللهـا عـلى ضـوء التـاريـخ ، و« أن يـرتب من سيرهاوتفاعلها قوانين اجتماعية عامة . وهـذا ما جعـل الباحثـين يقولـون بتفوق إبن خلدون على ماكيافيللي تفوقـاً عظيـماً في التفكير ونـوع النتاج ، وفي نـظريـات العصبيـــة وإعمـار الـــدول وخـواصهـــا ومعـالجتهـــا من النـواحي الاجتمـاعية مما حـدا بـالعـالم الاجتمـاعي جمبوفتش أن يصـرّح بـأن فضـل السبق يـرجع إلى العـلامة الاجتمـاعي العـربي ابن خلدون فيـما يتعلق بكثـير

من النظريات والآراء التي وردت في كتاب الأمير لما كيافيللي . »

يُوحَنا الدّمشقي

عُرف باسم منصور بن سرجيوس قبل أن يُعرف باسم يوحنا الدمشقي (٦٩٥ ـ ٧٥٤) . من أعلام المفكرين الدينيين السوريين ، عمل في صباه في إدارة المالية في الدولة الأموية ، ولكنه هجر الدنيا ودخل دير القديس سابا بجوار القدس ، حيث تنسّك وانقطع إلى الدراسة والتأمل ، ثم انتُدب للوعظ والإرشاد والتعليم في منطقة القدس .

له كتاب ينبوع المعرفة ، ويُعتبر أول مجموعة لاهوتية ظهرت في الكنيسة المسيحية ، وهو يجمع خلاصة الفكر اللاهوتي للكنيسة اليونانية الأولى ، وفيه يسبق القديس توما الاكويني الذي وضع مجموعة مماثلة عُرفت بالخلاصة اللاهوتية .

ويشتمل «ينبوع المعرفة» على ثلاثة أقسام هي : الفصول الفلسفية ، وكتاب الهرطقات ، وبيان صحيح للإيمان ، شرح فيه عقيدة الثالوث الأقدس وأعمال الله والعناية الإلهية .

وليوحنا الدمشقي تراث شعري خالد من الترانيم والأناشيد الدينية ، فضلاً عن مؤلفات عدة في التفسير ، والزهد ، ومجموعة من المواعظ والخطب . . .

اشتهر بأخلاقه وسعة اطلاعه ، واعتبرته الكنيستان اليونانية واللاتينية من قديسها . . .

ديوي

John Dewey

تنتهي سيرة الكثيرين من البشر بانتهاء حياتهم ، وتختتم بوفاتهم . . . أما سِير العظام منهم فلا نهاية لها لأن آثارهم تمضي بعيداً لتقوم بقسطها في بناء الحاضر والمستقبل .

من هؤلاء الرجال دجون ديوي (١٨٥٩ ـ ١٩٥٢) الفيلسوف الأميركي والمربي المتحرر الذي ساهم بنشاطه العلمي المنوّع في بناء العالم الجديد . وقد كان لنظرياته أبلغ الأثر في حقول التربية ، والسياسة ، والعلاقات الدولية ، وحقوق المرأة ، وعلم النفس ، وأحوال العمال ، والحريات المدنية .

عاش عيشة أبناء المزارعين في ولاية فرمونت ، مسقط رأسه ، لا يميزه عن أقرانه إلا إرادة حديدية لا تلين ، ومواهب فذة ، وكثير من الأحلام والمطامح التي كانت تراوده .

درس الفلسفة بشغف عظيم ونال الدكتوراه فيها من جامعة دجونز هوبكنز . وزاول التدريس فترة من الزمن في جامعة متشيغن ، ثم التحق بجامعة تشيكاغو (١٨٩٤) ، حيث بدأ نجمه يلمع في عالميّ الفكر والتربية . وقد أنشأ في هذه الجامعة مختبره العلمي أو مدرسته الاختبارية لامتحان فعالية نظرياته في التربية التقدمية الحرة التي تهدف إلى تهيئة الفرصة أمام الفرد ليجعل من نفسه عضواً عاملاً في مجتمعه في المستقبل . وكانت نظرياته هذه ترتكز على فكرة نمو الفرد بطريقة إيجابية ، أي بتشجيعه على القيام بما يحسن القيام به ، لا بنهيه وزجره عما لا ينبغي له عمله .

ومن أقـوالـه ان الفكـرة هي ذات قيمـة عنـدمـا تكـون ذات قيمـة للإنسان كفرد ، وذات فائدة للمجتمع بصورة عامة .

وقـد آمن ديـوي بـأن أفضـل طـريقـة للتعليم هي التي تـأخـذ بعـين الاعتبـار الفرد المـراد تعليمه قبـل المواد التي يشتمـل عليهـا منهـاج التعليم ، ذلـك بأن الحقـائق ، في رأيه ، أقـل أهميـة من خيـال الـطفـل المبـدع ، وفي وسـع هذا الـطفل أن يتعلم عـلى أفضل وجـه بالاطـلاع على الأمـور والقيـام بالأشياء التي تؤلف جزءاً من محيطه .

وقـد استمر نشـاط ديوي في الحقـل التربـوي في جامعـات أميركـا مدة نصف قـرن ، وتمكن من وضع مـا يزيـد على الثـلاثـين مؤلفـاً في الفلسفـة ، وعلم النفس ، والتربية ، في حياته الزاخرة بالنشاط .

تـزوج ورُزق ستـة أولاد أضـاف إليهم ولـداً ســابعـاً بـالتبنّي . وقـد تـزوج ثـانيـة بعـد عشـرين سنـة من وفـاة زوجتـه الأولى ، وتبنّى ولـدين من أيتام الحرب .

قـد يكـون هنـاك من ينـاقض ديـوي في فلسفتـه التي تميـل إلى قيـاس قيم الأشيـاء جميعاً بمـا تقدّمـه من منافـع وفوائـد ، ولكن ليس ثمة من ينكـر عـلى هذا العمـلاق حياتـه الخصبة التي تمثّـل فكرة الكثيـرين عن هذا المفكـر الإنسـاني ، وما قـدّمـه من خـدمـات لتسهيـل الـطريق أمـام عقـل الإنسـان المبدع المولّد . . .

ابْن رُشْد

وصفه لـورد بايكـون بأنـه «فيلسوف متـين متعمق ، صحح كثيـراً من أغـلاط الفكر الإنسـاني ، وأضاف إلى ثمـرات العقول ثـروة قيّمـة لا يستغنى عنها بسواها . . .»

أبصر نور الحياة في قرطبة سنة ١١٢٦ ، وتوفي في مراكش سنة ١١٩٨ .

كان صائب الآراء ، درس أرسطو وشرح فلسفته ، ونقد بطليموس في فلكه ، كما نقد ابن سينا وهاجمه ، وردَّ على الغزّالي والفارابي . أنشأ مذهبه المعروف بالرشدية الذي يعتمد على العقل في البحث لا على الروايات الدينية . وكان بعيداً عن التصوف ، لم يتقيّد قط إلا بالعقل ، مما جعله يصطدم برجال الدين الذين اضطهدوه في أواخر سني حياته .

وقد تركت فلسفة ابن رشد ، في رأي الكثيرين من الفلاسفة وأقطاب الفكر ، «أكبر الأثر في أوروبا ، وأخرجتها من ظلمات التقليد إلى نور العقل والفكر . ولهذا نجدهم يضعونه مع أفلاطون وأرسطو وكنط في صف واحد في الفلسفة العقلية .»

ديكارت

Rene Descartes

أبصر رينه ديكارت ، الفيلسوف الفرنسي وأحد الروّاد في علم الرياضيات الحديثة ، النور في إقليم تورين في ٣١ آذار ١٥٩٦ . وأرسل في الثامنة من عمره إلى إحدى المدارس اليسوعية . ولم يكن يوماً رياضياً محترفاً بل كان فيلسوفاً طبيعياً . أقام في هولندا سنة ١٦٢٨ حيث ما عتم أن أصبح شهيراً . قضى الشهور الأخيرة من حياته في السويد حيث درّس الفلسفة للملكة كريستينا . وكانت الملكة تفضّل أن تكون الدروس الساعة الخامسة صباحاً . فكانت هذه الساعات المبكرة ، مع قسوة الطقس الشتوي في السويد ، قاتلة بالنسبة لهذا الفيلسوف الهزيل البنية . فتوفي في استوكهلم في ١١ شباط ١٦٥٠ .

كان ديكارت مولعاً بالإيضاح والاستنتاج المنطقي ، وفي الوقت نفسه كان كاثوليكياً مخلصاً متعلقاً بعلم اللاهوت التقليدي . وقد تحوّل هذا التناقض إلى نظام في التفكير أكسب ديكارت لقب أبي الفلسفة الحديثة . أما تقسيمه العالم إلى وحدتين منفصلتين هما الجسد والروح فيُعرف بالنظام الثنائي ، وهو أساس نظريتين متعاكستين في التفكير الحديث : المادية والمثالية .

وقد استنبط ، بصفته رياضياً هاوياً ، الهندسة التحليلية ، ونشر طريقته كملحق لأحد كتبه الفلسفية .

سُقرَاط

Socrates

على الرغم من أن الفيلسوف المعلم سقراط لم يخلّف أي مؤلفات مكتوبة إلا أنه يُعتبر أحد كبار مفكري العالم قاطبة . ولقد كانت كتابات أفلاطون الأداة الرئيسية التي نقلت إلى العالم الحديث تأثير سقراط الفكري . . . يضاف إلى ذلك ما كتبه المؤرخ الإغريقي زينوفون عن سقراط وعمله .

أبصر النور في أثينا حوالى سنة ٤٦٩ ق. م. ، واشتغل في بادىء الأمر بالنحت كوالده . ولم يكن ليبالي بالثروة والرفاهية مما أكسبه كره زوجته . وكان شجاعاً في المعارك ، يتحمل بصبر وطول أناة مصاعب الحياة ومشاكلها . وكان رجل مبادىء ، فضّل الموت ـ في مناسبتين على الأقل ـ على القيام بأعمال اعتبرها خاطئة .

وعلى الرغم من أنه اعترف بوجود الآلهة التقليدية إلا أنه كان يعتقد بمدبر واحد سامٍ للكون . . . وعلى وفرة مواهبه كان لا يفتأ يردد أنه لا يعرف شيئاً ، وأنه ليس حكيماً ولكنه فيلسوف محبّ للحكمة . وهو

القائل : «أنا أعرف شيئاً واحداً وهو أني لا أعرف شيئاً !»

اعتاد سقراط أن ينزل إلى سوق أثينا ، وأن يتردد على المجتمعات العامة ينشد الحكمة في كل من يصادفه كبيراً كان أو صغيراً ، غنياً أو فقيراً ، صديقاً أو غير صديق . وكانت طريقته في ذلك المحاورة . وبلغ العقد السابع من عمره فإذا به قد ألّب عليه طبقات الشعب جميعاً لأنه كره النظام الديمقراطي في الحكم ، ولم يستسغ أن يتولى مناصب الدولة الزرّاع والصنّاع . ولم تكن الطبقة العالية راضية عنه كذلك لأنه كان يمقت الأرستقراطية بما تجر من استبداد وبغي وطغيان . فوُجهت إليه ثلاث تهم هي : إنكاره الآلهة ، ودعوته إلى آلهة جديدة ، وإفساده الشباب الذي فُتن به والتف حوله مأخوذاً بسحر حواره الفلسفي . وقد تقدّم بهذه التهم ضد سقراط ثلاثة من أعدائه هم : مليتس ، وليكون ، وأنيتس . وقضى في سجنه شهراً ينتظر الموت ، غير مبالٍ بإغراء أصدقائه له بالفرار الذي كان أمراً على جانب كبير من السهولة ، وغير مبالٍ باستعطاف القضاة للعفو عنه . لقد دافع عن التهم دفاعاً حاراً لم يجدِه نفعاً . فقضي عليه أن يموت بشرب السم .

وفي محاورات تلميذه أفلاطون نرى سقراط الشخصية الرئيسية فيها . أما محاكمته الشهيرة ، ودفاعه ، وموته فهي جميعاً مفصّلة في كتابيه (فيدو) و«الدفاع» .

عاش أبو الفلاسفة هذا فقيراً معدماً ، حتى أنه كان يقترض الدجاج بين الفينة والفينة كي يأكل . وقبل أن يتجرع السم تذكر أنه اقترض ديكاً لم يدفع ثمنه . وكانت آخر عبارة نطق بها سؤاله أحد أصدقائه أن يدفع ثمن هذا الديك . . .

سنتايانا

George Santayana

فلسفة سنتايانا (١٨٦٣ ـ ١٩٥٢) مزيج من اعتقاد بعالم الأفكار الذي نادى به أفلاطون ، وإنكار وجود الخلود والله ، وإعجاب بقصة المسيحية التي يسمّيها خرافة ـ خاطئة علمياً ، وصحيحة شعرياً .

وأكثر ما كان يندم عليه أنه لم يعش في عصر أفلاطون لأنه يعتقد أنه كان بوسعه أن يكون أسعد حالاً .

وسنتايانا من مواليد إسبانيا (مدريد) ، رحل إلى أميركا وهو طفل . وبعد تخرّجه في جامعة هارفرد سنة ١٨٨٦ احترف التعليم فيها ، ودرّس الفلسفة من ١٨٨٩ إلى ١٩١٢ . غادر هارفرد إلى أوروبا ، وأقام بعد الحرب العالمية الأولى في روما ثم في البندقية . ولم يكن فيلسوفاً لامعاً فحسب ، بل محدّثاً بليغاً بارعاً ، وشاعراً مطبوعاً .

نشر سنتايانا أول بحث فلسفي له « معنى الجمال» سنة ١٨٩٦ ، ويعتبر الكثيرون ذلك أفضل ما قدّمه الأميركيون لعلم الجمال . وقد ذكر هو نفسه أنه كان أكثر كتبه رواجاً لأنه ما يزال إلى اليوم يبيع ١٠٠ نسخة في السنة الواحدة . أما أضخم مؤلفاته على الإطلاق فهو «حياة العقل» الذي عمل فيه سبع سنوات كاملة . وقد ظهرت له رواية التزمت الأخير سنة ١٩٣٦ . وقد وضع وهو في روما في أواخر أيامه عدداً من المؤلفات الفلسفية ، وكتب سيرة حياته . . .

ابـــن سينـا

هو الشيخ الـرئيس ، أو أمير الفـلاسفة ، « أعـظم علماء الاسلام ومن أشهر مشاهـير العلماء العالميـين » . ولدَ في خرميشن ،في ضيـاع بخارى ،سنة ٩٨٠ ، وتـوفي في همذان سنـة ١٠٣٧ . وكان أبـوه من عمـال السلطان نـوح إبن منصـور السامـاني (ومملكة سـامان هي اليـوم أفغانستـان) .

ولذلك فإن ابن سينا يدعيه الفـرس ، والعرب ، والتـرك ، والروس . فلما تـوفي والـده تقلد ، وهـو بعـد في الثـانيـة والعشـرين من عمـره ، بعض المنـاصب لدى السلطان الـذي لزمـه حتى نهايـة ملكـه . ووصـل إلى منصب وزير الدولة .

وتعـرّض ابن سينا للكثـير من اضطرابـات السياسـة وتقلباتهـا ، وعانى من جـراء ذلك الكثـير . فهو حينـاً مغضوب عليـه ومضطهـد ، وحينـاً آخـر محتفىً بـه ومقـرّب : ولكن ذلـك كله لم يصـرفـه عن الـدرس والبحث والانتاج .

وكان شديد الثقة بنفسـه ، عارفـاً نبوغـه وفضله ، مما دفـع البعض إلى وصفه بالمتكبّر . « أحاطه والده بـالاساتـذة والمربـين يعلّمونـه معارف زمـانهم وشـروح العلماء في الفلسفـة والمنـطق والهنـدسـة والالهيـات والـطبيعيـات ، فخـرج من ذلك كله واقفـاً على دقـائق الهنـدسـة ، بـارعـاً في الهيئـة ، محكـماً علم المنـطق ، مبرّزاً في الـرياضيـات والفلسفة وعلوم مـا وراء الطبيعـة . ولم يقف عنـد هـذه الحـدود بـل دفعـه طمـوحـه ورغبتـه في العلم والمعـارف إلى الإستزادة فعكف على دراسة الطب وقراءة الكتب المصنّفة فيه . »

ومن أشهر كتبه « القانـون» وقـد ظل القـرون الطوال منهـلاً يستقي منه الـراغبون في الـطب سواء في الشـرق أو الغرب . وقـد وضـع هـذا الكتـاب

في جـرجان التي أقـام فيها بعـد مغادرته بخارى ، وتعرّفه بعالم يدعى الشيـرازي قـرّبه منـه وابتاع لـه داراً مجـاورة لـه عـاش فيهـا إبن سينـا يـدرس ويصنّف بعض مؤلفـاته . ولكن اقـامته في جـرجان لم تـطل لأسباب سيـاسية فـإذا به ينتقل إلى همذان ، فإلى أصفهان في رعاية الأمير علاء الدولة .

« وإبن سينـا منظّم الفلسفـة والعلم في الاسـلام . وقـد فهم الفلسفـة عن طـريق الفارابي ، ولكنـه توسّـع فيها وألّف . ولـه فيها نـظريات لا يـزال بعضهـا يـدرّس في مـدارس أوروبـا . وقـد اعتمـد عـلى فلسفـة أرسـطو واستقى منهـا كثيراً . ويعتـرف الباحثـون بأنـه أضاف إليهـا وأخرجهـا بنظام أتم ، ونـطاق أوسـع ، وتسلسـل محكم . . . وبقيت كتب ابـن سينـا في الفلسفـة والطب تـدرّس في الجامعـات في أوروبا إلى القـرن السابـع عشر . ويقـول دي بور : « وكـان تأثير ابن سينـا في الفلسفـة المسيحيـة في العصـور الوسطى عظيم الشأن . واعتبر في المقام كأرسطو . »

وتزيد مؤلفات إبن سينا ورسـائله على المائة ، وهي تـدور على الـطب والفلسفة والريـاضيات والمـوسيقى واللغة والالهيـات والنفس والمنطق والفلك والطبيعيات وعلم طبقات الأرض (الجيولوجيا) ، وعلم الديناميكا .

شوبنهاور

Arthur Schopenhauer

فيلسـوف التشـاؤم الألمـاني أرتـور شـوبنهـاور . ولـد في دانتـزيـغ سنـة ١٧٨٨ . وتـوفي والده وهـو في السادسـة عشرة من عمـره فلم يشأ أن يتـابـع أعمـال والـده التجـاريـة ، وفضّـل الانصـراف إلى التحصيـل . وبعـد فتـرة قضـاها في جـامعة بـرلين أقـام في دريزدن حيث وضـع كتـابـه العـالَم كـإرادة وفكـرة الذي ظهـر سنة ١٨١٨ . ولعـلّ كتابـات شوبنهـاور فيـما بعـد كـانت

تعليقات على الفلسفة التي قال بها ووضع أُسسها في ذلك الوقت . وقد أصدر طبعة ثانية من مؤلفه هذا سنة ١٨٤٤ .

كان شوبنهاور يعتقد أن «الرجل العظيم ليس الفاتح بل ذاك الذي يفضّل الموت على البقاء . » ولكنه ، مع ذلك ، كان شديد المحافظة على حياته . . هرب من وباء الكوليرا عندما تفشى في برلين ، ومن وباء الجدري في نابولي ، وقضى آخر ٢٧ سنة من عمره في فرانكفورت في خوف مستمر من القتل والسرقة . وقد مات على مائدة الفطور في ٢١ أيلول ١٨٦٠ بعد أن عرف الشهرة التي سعى إليها طوال حياته .

ويروى عن شوبنهاور أنه كسر ذراع خادمته لأنه وجدها في غرفته ترتب سريره ، وكان قد أعلن أنه لا يريد أي إنسان أن يدخل غرفته مطلقاً . وكثيراً ما كان « يسجن » نفسه في غرفته عدة أشهر . وقد اضطرت والدته أن تبقى على باب غرفته يومين كاملين دون أن يأذن لها بالدخول .

ومما عرف عنه أنه كان يتحدث إلى نفسه بصوت عالٍ أثناء سيره في الطريق .

إبن طُفيل

كان عالماً فلكياً ورياضياً وطبيباً وفيلسوفاً وأديباً ، وقد ترك آثاراً خالدة في الفلسفة أروعها قصة حي بن يقظان التي تُعتبر في مقدمة الآثار العربية التي تستحق الخلود في تاريخ تقدّم الفكر الانساني .

« أبصر النور في قادس ، في الأندلس ، في أوائل القرن الحادي عشر للميلاد ، وتوفي في مراكش سنة ١١٨٥ . . نقد بطليموس ، ونقد فلسفة الغزّالي، والفارابي، وابن سينا ، وابن رشد » الذي كان من تلاميذه

النجباء .

وفلسفة ابن طفيل تتضمنها قصة حي بن يقظان الذي نشأ في جزيرة من جزائر الهند تحت خط الإستواء ، منعزلاً عن الناس ، في حضن ظبية قامت على تربيته وتأمين الغذاء له من لبنها .

وما زال معها وقد تدرَّج في المشي يحكي أصوات الظباء ، ويقلد أصوات الطيور ، ويهتدي إلى مثل أفعال الحيوانات بتقليد غرائزها ، ويقايس بينه وبينها حتى كبر وترعرع ، واستطاع بالملاحظة والفكر والتأمل أن يحصل على غذائه ، وأن يكشف بنفسه مذهباً فلسفياً يوضح به سائر حقائق الطبيعة . . . »

الغَزّالي

حجة الإسلام ، وزين الدين ، وفي الطليعة بين أعلام المفكرين في الاسلام وُلد في طوس ، من أعمال خراسان ، سنة ١٠٥٩ وتوفي فيها سنة ١١١٢ .

نشأ نشأة صوفية روحية ، فدرس مختلف المذاهب الدينية التي واجهته في مستهل حياته . درسها درساً تحليلياً منطقياً بغية معرفة الحقيقة .

« ويمتاز الغزّالي على غيره من علماء الكلام في كونه قرّب الدين من العقل الاعتيادي وكشف دقائقه أمام أذهان العامة ، في حين أن الكثيرين من الفقهاء ورجال الدين في عصره والعصور التي سبقت ساروا في تفكيرهم على أساس من الغموض ، وفي بحار من المعميات والأسرار . . . وهو حين قرَّب الدين لم ينزل به بل استطاع بما أوتي من قوة العارضة وصفاء التفكير وسعة الاطلاع أن يرفع الايمان من حضيض

السذاجة إلى قوة التفكير العالي ، مما جعل المفكرين في الشرق والغرب يرون فيه المثل الأعلى للتفكير الإلهي ، والنور المبدد لروح الشك والتشاؤم . وقد قال سارطون في هذا الشأن : إن أثر الغزّالي في العلم الالهي أعظم من أثر القديس توما الأكويني » . . . .

ومن أشهر كتبه « إحياء علوم الدين » و « تهافت الفلاسفة » .

الفَارابي

عُرف أبو نصر محمد الفارابي ، وهو من المقدّمين في تاريخ تقدّم الفكر ، بفيلسوف الاسلام . ولد في مقاطعة فاراب بخراسان حوالى سنة ٨٧٢ ، وتوفي في دمشق سنة ٩٥٠ . بلغت مؤلفاته ورسائله المائة أو يزيد ، وفيها عالج الفلسفة بعلومها ، والفلك ، والمنطق ، والعدد ، والهندسة ، والموسيقى . ولكن أكثرها ضاع . « ويمكن القول ان مؤلفات الفارابي مهدت السبيل لظهور ابن سينا وابن رشد . »

عندما أنهى علومه في بغداد ، مهد الحضارة آنذاك والنور والثقافة والعلم في العصر العباسي ، التحق بحاشية أمير حلب سيف الدولة الحمداني ، غير أنه لم يتقرّب إلى هذا الأمير بعلمه وفلسفته بادىء ذي بدء ، بل كانت الموسيقى هي رسوله إليه .

« كان الفارابي صافي الروح ، طاهر النفس ، متزهداً في دنياه ، متحلياً بالقناعة والرضى ، مكتفياً بالكفاف من العيش . وكان دائم التأمل والفكر ، يقطع زمانه باستيعاب المذاهب الفلسفية قديمها وحديثها . وقد كان من أكبر فلاسفة العرب دراية بشتى العلوم والفنون . . صال في الرياضيات ، وأمعن في الطب ، وأفتن في الموسيقى ، وبرع في اللغات . » وكان صاحب مذهب خاص في الفلسفة سمي من بعده بفلسفة الفارابي . وقد عني بشرح آراء المعلم الأول أرسطو ، ولا سيما ما

يتعلق بالمنطق لتقريب فهمه إلى معاصريه ، الأمر الذي دعا الكثيرين إلى تسمية الفارابي بالمعلم الثاني .

ومن أشهر كتب الفارابي « آراء أهل المدينة الفاضلة » ، و « إحصاء العلوم » و « ما ينبغي أن يقدّم قبل تعلّم الفلسفة » ، و « كتاب الموسيقى الكبير » ، و « كلام في الموسيقى » ، و « كتاب في إحصاء الإيقاع » . والفارابي هو أول من وضع النواة لدائرة المعارف (الانسيكلوبيديا) . . .

ولم يكتفِ الفارابي في الموسيقى بتصنيف الكتب بل لقد نسبوا إليه الابتكار في الآلات أيضاً . روى ابن أبي أصيبعة أن الفارابي صنع آلة إذا وقّع عليها أحدثت انفعالاً في النفس فيضحك السامع ويبكيه ، ويستخفه ويستفزه . وقال بعضهم أنها شبيهة بالقانون أو هي القانون ذاته . . .

فيخته

Johann Fichte

الفيلسوف الألماني فيخته (١٧٦٢ ـ ١٨١٤) ، رسول القومية الجامحة أو المتطرفة ، كان في الفلسفة الخالصة تلميذ إمانويل كنط ، ولكنه في فلسفته السياسية يختلف اختلافاً بيّناً من حكيم كونكسبرغ الذي كان من المفكرين الدوليين الأحرار .

كان فيخته يعتقد أن الكون بأسره منبثق من الذات البشرية ، وأن حقيقة الأشخاص والأشياء وخيرها يتوقفان على الذات وبالقياس إلى قربها منها . . فلا غرو ، إذن ، أن يضع فيخته أسرته ووطنه في المكان الأول ، مقدّماً إياهما على سائر الاسر والبلدان التي يعتبرها ظواهر ميتافيزيقية لا أكثر ولا أقل .

كـان انكسار نـابوليـون في موقعـة يينا مصـدر إلهام لفيختـه ، فـوضـع نـداءات إلى الأمة الألمـانية ونشـرها سنـة ١٨٠٨ ، وأصبحت منـذ ظهـورهـا أنجيل القوميـة الالمانيـة . وحرص عـلى إظهار السبب في تغلّب عقليـة الألمان البسيـطة الساذجـة الفاضلة عـلى الفسـاد الأخـلاقي الـذي ينبثق من العقليـة الغولية الحاذقة المنحـطة . ودعا إلى الأخـذ بتربيـة جديـدة تقضي على حـرية الارادة . فـالطلاب في مـدارسهم يجب أن يعـزلـوا عن العـالم الخـارجي ، ويقـطعوا كـل ما تربـطهم بـه . وإذا مـا أكلوا فيجب أن يـأكلوا ليحفـظوا قوّتهم ونشاطهم لخدمة ألمانيا ، لا ليُشبعوا نهمهم ويملأوا بطونهم .

الكندي

أبـو يوسف يعقـوب الكنـدي ، فيلسـوف العـرب ، « من الاثني عشر عبقـريـاً الـذين هـم من الـطراز الأول في الـذكـاء » . . . والـده اسحق كـان أمير الكوفة على عهـد الخلفاء الثـلاثة العبـاسيين المهـدي والهادي والـرشيد . وكـان جـده الأشعب بن قيس ، الصحـابي الجليـل ، وبقيـة أجـداده من الملوك في الجاهلية ، والامراء في الاسلام .

أبصر الكنـدي النور في الكـوفة حـوالى سنـة ٨٠١ ، وتـوفي في بغـداد سنـة ٨٦٧ حيث درس الحسـاب ، والـريـاضيـات ، والهنـدسـة ، والـطبيعيات ، والـطب ، والمنطق ، والفلسفـة ، والفلك ، إلى جـانب إحاطته بالثقافات اليونانية والفارسية والهندية .

عـرف في الشرق والغـرب بمؤسس الفلسفة الاسـلاميـة ، وقـد قـال عنه ابن النديم ، صاحب « الفهرست » : « انـه فاضـل دهره وواحـد عصره في معرفة العلوم بأسرهـا ، وفيلسوف العـرب . كان عـالماً بـالطب والفلسفة والحسـاب والهنـدسـة والمنـطق والنجـوم وتـأليف اللحـون وطبـائـع الأعـداد . . . » واعتـرف بـايكـون بفضله فقـال : « إن الكنـدي وابن الهيثم

في الصف الأول مع بطليموس ! » ويعدد ابن النديم في فهرسته مؤلفات الكندي ويصنفها كما يلي : ٢٢ كتاباً في الفلسفة ، و١٩ في النجوم ، و١٦ في الفلك ، و١٧ في الجدل ، و١١ في الحساب ، و٢٣ في الهندسة ، و٢٢ في الطب ، و١٢ في الطبيعيات ، و٨ في الكريات ، و٧ في الموسيقى ، و٥ في تقدمة المعرفة ، و٩ في المنطق ، و١٠ في الاحكاميات ، و١٤ في الاحداثيات ، و٨ في الابعاديات . . . « وكذلك له رسائل في إلاهيات أرسطو ، وفي معرفة قوى الأدوية المركبة ، وفي المد والجزر ، وفي علة اللون اللازوردي الذي يرى في الجو ، وفي بعض الآلات الفلكية ، ومقالات في تحاويل السنين وعلم المعادن وأنواع الجواهر والأشباه وأنواع الحديد والسيوف وجيّدها » . . .

كَنْط

Immanuel Kant

حكيم كونكسبرغ ، مؤسس « فلسفة النقد » ، والفيلسوف الذي سيطر على الفكر طوال القرن التاسع عشر . ولد في بروسيا سنة ١٧٢٤ من أصل اسكتلندي . فلما بلغ السادسة عشرة التحق بجامعة كونكسبرغ حيث نال سنة ١٧٥٥ شهادة الدكتوراه في الفلسفة ، ونشر أطروحته التاريخ الطبيعي ونظرية السموات . وبقي حتى سنة ١٧٧٠ محاضراً في هذه الجامعة حتى تسلّم كرسي الميتافيزيقا والمنطق .

كان كنط قصير القامة ، هزيل البنية ، اختطّ لنفسه نظاماً خاصاً للعمل والنشاط لم يحد عنه قيد أنملة حفاظاً منه على صحته ، ومراعاة للحصول على أطول وقت للدرس والمطالعة . لم يبتعد عن منزله أكثر من ستين ميلاً ، ولم يتزوج .

أما مساهمته الرئيسية في الفلسفة فهي كتابه نقد العقل الخالص الذي أصدره سنة ١٨٧١ . وقد خلق له هذا الكتاب مشكلة مع رجال الكنيسة في ألمانيا لما فيه من صراحة وجرأة اعتبروهما ماستين بالدين . وأتبع كتابه هذا بآخر دعاه نقد العقل العملي الذي يعالج هذه النظرية وهي أن حريتنا الفردية هي في إطاعة القانون الأخلاقي الذي ينبع من نفسنا . واستمر كنط ينشر آراءه الفلسفية على الرغم من معارضة الاكليريكيين . إلا أنه لزم الصمت عندما حذّره الملك فريدريك فلهلم الثاني من سوء العاقبة إثر ترحيبه الحار بالثورة الفرنسية وتحمسه لها وهو في الخامسة والستين من عمره . وقد استمر صمته حتى وفاته سنة ١٨٠٤ .

« ومما يروى عن هذا الفيلسوف الألماني أنه كان كلما استعصت عليه فكرة فلسفية هرع إلى نافذة مكتبه ، وحدق النظر في برج على بعد منها ، فبغير هذا الوضع لا تسعفه القريحة . وبعد سنوات نمت الأشجار التي غرستها البلدية ، فاكتظت أغصانها بالأوراق وحجبت ذلك البرج ، مصدر الوحي والإلهام . فكتب إلى ذوي الشأن شارحاً لهم ما ترتب على هذا من أذى . ونظراً لمنزلة الفيلسوف الأدبية في ذلك الحين ، نزلوا على رغبته فقطعوا تلك الأشجار . »

كيركيغارد

Soeren Kierkegaard

فيلسوف وجودي ، ولاهوتي دانمركي (١٨١٣ ـ ١٨٥٥) قال ، قبل وفاته : « بعد موتي سيقرأ الناس كتبي ، ولعلهم سيقرأونها كثيراً ! » والواقع أنه لم تقرأ بعد مؤلفات بمثل هذا الشغف الذي تقرأ به مؤلفات هذا الفيلسوف المتشائم الصبغة .

وسورين كيركيغارد هو ابن آحد تجار كوبنهاغن الأثرياء ، وكان أعزّ صديق لوالده الذي عاش مؤمناً ، شديد التمسك بأهداب الدين ، ومع ذلك ظل طوال حياته معذباً ، قلق النفس إلى حد جعل سورين يعتقد « ان الله ليس خيّراً غاية الخير » ما دام والده لم يجد في الدنيا راحة النفس والبال .

اكتشف سورين منذ حداثته عالماً خيالياً يحتل فيه الدين المكانة الأولى . فالتحق سنة ١٨٣٠ بجامعة كوبنهاغن لدراسة اللاهوت ، وبعد ذلك بأربع سنوات كتب في مذكراته يقول : « إن أبلغ المآسي سمواً ما يظل غامضاً ، مغلقاً على الفهم . . لذلك كانت حياة المسيح أنبل مأساة . »

وفاز بالدكتوراه في اللاهوت على رسالته « مفهوم السخرية » .

وفي سنة ١٨٤٠ عقد خطبته على صديقته ريجين أولسن ، وكانت في السادسة عشرة ولكنها تختلف عنه من حيث روحها المرحة المنطلقة ، في حين كان هو دائم القلق والاضطراب كوالده. ولكن هذه الخطبة سرعان ما انفصمت دون إيضاح الأسباب ودون موافقة الفتاة . ولكي يحملها على القبول بهذا المصير راح يحيا حياة عابثة صاخبة لا تتفق وطبيعته .

ورحل إلى ألمانيا بعد فسخ الخطبة مباشرة ، فقضى فيها عاماً كاملاً وضع خلاله أربعة كتب هي : واحد من اثنين ، مقالان بنائيان ، خوف ورعدة ، العود .

وقد وضع قرّاءة في كتابه الأول أمام أسلوبين في الحياة عليهم الاختيار بينهما : الجمال أو الأخلاق . . فالآخذ بالجمال إنسان يحيا بحواسه ويرتبط بالحياة المادية ، ويظل دائماً نهباً للقلق ، لأنه انسان زائل وخالد معاً ، فإذا اهمل الخلود حكم على نفسه باليأس . ومن هذا اليأس

ينشأ موقف الاختيار ، ويختار الانسان أن يكون مخلصاً لنفسه ، ويسلم جهوده لغاية من الغايات ويتحمل مسؤولياتها . . وذلك هو الاتجاه الأخلاقي .

لم يكتب كيركيغارد يوماً ليكسب عيشه ، بل كتب ليثبّت كيانه .

وقد بدأ معركة قصيرة ولكنها عنيفة ضد الكنيسة الدانمركية مدفوعاً باعتقاده بعدم مسيحية هذه الكنيسة التي يديرها قساوسة مأجورون للدولة . ولم تقتصر معركته على القساوسة فحسب بل تعدّتهم إلى الكنيسة ذاتها .

وبقدر ما غضب عليه رجال الدين وقتئذٍ، ابتهج الشباب وصفّقوا له .

ولم يعمّر كيركيغارد طويلاً ، فقد توفي عن اثنين وأربعين عاماً بعد أن أدركه العجز المادي والجسماني ، فوقع بغتة في الطريق أثناء جولته اليومية ، فنقل إلى المستشفى التي كتب فيها قبل مفارقته الدنيا رسالة إلى صديقه الأب برش جاء فيها : « تحية مني للبشر جميعاً ، فلقد أحببتهم ! »

لايبنتس

Gottfried Wilhelm Von Leibnitz

غوتفريد فلهلم لايبنتس (١٦٤٦ ـ ١٧١٦) فيلسوف ورياضي ورجل أعمال ، وواحد من أئمة المفكرين المنظمين في العصر الحديث . هو آخر الفلاسفة الموسوعيين الألمان ، وهو في الواقع المؤسس الحقيقي للفلسفة الألمانية . سوى أن إنتاجه لم يقتصر على الميدان الفلسفي فحسب ، بل تعداه إلى سائر ميادين العلم تقريباً . فكان بذلك مثالاً

فذاً ، فريداً في نوعه ، في تاريخ الحياة الفكرية الأوروبية .

ولد لايبنتس قبل نهاية حرب السنوات الثلاثين (١٦١٨ ـ ١٦٤٨) بسنتين اثنتين . وقد كانت هذه الحرب كارثة حقيقية نزلت بالمانيا ، فقضت بعدها مئات السنين حتى استطاعت الاستجمام من عنائها المبيد ، واستعادة قوتها وحياتها . فقد كان عدد السكان لدى بداية الحرب ثلاثين مليوناً . فلما وضعت أوزارها بعد ثلاثين سنة لم يكن عدد السكان ليزيد على الأربعة ملايين . ولقد كان ظهور لايبنتس في فترة ما بعد هذه الحرب الضروس ، بمثابة النجم الوضاء الذي يبدد بنوره الساطع المفاجىء ظلمات الفكر الكثيفة .

أبصر النور في أول تموز ١٦٤٦ ، في لايبزيغ ، حيث كان والده أستاذ الفلسفة الأخلاقية . ومع أن اسم لايبنتس كان سلافياً في الأصل فإن أسلافه كانوا من الألمان ، وعملوا طوال ثلاثة أجيال في خدمة الحكومة السكسونية .

درس في مدرسة نيقولاي في لايبزيغ ، ولكنه من سنة ١٦٥٢ ، عندما توفي والده ، بات هو أستاذ نفسه .

من والده اكتسب حب الدراسة التاريخية . وسرعان ما التهم كل الكتب الألمانية التي كانت في متناول يديه . وقد درس اللاتينية وهو بعد في الثامنة من عمره . فلما بلغ الثانية عشرة كان قد أتقنها ، وبدأ بدراسة اللغة اليونانية . وكان يجد سهولة كبرى في كتابه الشعر اللاتيني .

ومن ثم تحول إلى دراسة المنطق محاولاً إصلاح مبادئه وتعديلها . وفي الخامسة عشرة دخل جامعة لايبزيغ لدراسة القانون . وقد كرس السنتين الأوليين من دراسته الجامعية لدراسة الفلسفة بإشراف جاكوب توماسيوس ، وهو من المدرسة النيو ـ أرسطاطالية الذي يعتبر مؤسس

الدراسة العلمية لتاريخ الفلسفة في ألمانيا . ولعله في تلك المرحلة تعرف إلى المفكرين الذين كانوا قد أحدثوا ثورة في العلم والفلسفة ، أمثال فرنسيس بايكون ، وكاردانو ، وكامبانيلا ، وكبلر ، وغاليليو ، وديكارت . ومنذ ذلك الحين راح يتأمل في الفارق بين الطرق القديمة والحديثة في النظر إلى الطبيعة . وعزم على دراسة الرياضيات . والسنوات الثلاث التالية كرسها لدراسة القانون . وفي سنة ١٦٦٦ تقدم لشهادة الدكتوراه في القانون . وقبل أن يبلغ الحادية والعشرين كان قد وضع بضع دراسات فكرية وفلسفية قيمة .

ذهب إلى فرنسا بتكليف من أميره ليعمل على التخفيف من عدوان الملك الشمس (لويس الرابع عشر) ، فلمَ يوفق في مهمته السياسية ، ووفق في ميادين العلم .. فقد مكث في العاصمة الفرنسية أربع سنوات قام خلالها بدراسة ديكارت وسبينوزا ، وتعرف إلى هيوجينس الذي قاده إلى أغوار الرياضيات . ووضع في باريس أساس حساب التفاضل .

وعاد سنة ١٦٦٧ إلى هانوفر فعمل أميناً لمكتبة القصر الأميري ، واتخذ من هذه المدينة موطناً ثانياً له لفرط حبه لها . ومنها قام بزيارات عدة واسعة إلى برلين ، وفيينا ، وروما .

ولايبنتس كان صاحب فكرة إنشاء « أكاديمية العلوم » في برلين ، فأسسها ، وترأسها . إن هذا الرجل الذي أورث الأجيال من بعده أفكاره وآراءه في الفلسفة ، واللاهوت ، والسياسة ، والتشريع ، والعلوم الطبيعية ، والتاريخ ، والعلوم اللغوية ، والذي كان آخر من ملك ناصية العلوم جميعها في تاريخ الحياة الفكرية الأوروبية ـ هذا الرجل كان إلى حد كبير أيضا مؤسساً لتكنيك العلوم الطبيعية الذي نحيا تقدمه الرائع اليوم .

لقد وضع أساس حساب التفاضل والتكامل ، وأساس

الكيبرنيتيكا ، وأساس العلوم الالكترونية الحديثة . والآلة الحاسبة التي اخترعها ، كانت هي الاساس الذي بني عليه العقل الالكتروني الحاسب في العصر الحديث . فمع لايبنتس بزغت بداية العالم الحديث . وفي مكتبة هانوفر أكثر من ٥٠٠٠٠ مخطوطة كتبها لايبنتس باللغات اللاتينية والفرنسية والألمانية ، بالاضافة إلى رسائله التي كان يتبادلها مع أكثر من ألف شخص . ولم يقرأ بعد الجزء الأكبر من هذه المخطوطات والرسائل .

وعندما مات عام ١٧١٦ وهو في السبعين من عمره ، لم يشترك أحد من العاملين في القصر في تشييع جثمانه إلى مقره الأخير . ودُفن « كما يدفن اللص » - كما قال أحد الذين شاهدوا رحلته الأخيرة . ولم ينعه أحد ، ولم يكرمه بالتأبين أحد . . . سوى الأكاديمية الفرنسية للعلوم .

نيتشه

Friedrich Nietzsche

هو أبعد الفلاسفة الألمان نفوذاً بعد إمانويل كنط ، كان فيلسوفاً أخلاقياً واجتماعياً ، وانساناً مجّد القوة والحروب ، ورأى فيها الوسيلة الفعّالة الوحيدة لحل مشاكل العالم بأسرها .

كان منطوياً على نفسه ، متعزلاً عن الناس والمجتمع . انتهت حياته بالجنون الذي أبعده أكثر فأكثر عن عالم العقلاء (١٢ سنة) حتى كانت وفاته سنة ١٩٠٠ في فايمار .

أبصر نيتشه النور في قرية سكيبونية سنة ١٨٤٤ ، وتلقّى دروسه في جامعتيّ بون ولايبزيغ التي هرب منها عندما تفشى فيها وباء الكوليرا (الهواء الأصفر) . وبعد أن قضى فترة من الزمن في الجيش البروسي

عيِّن أستاذاً لتدريس اللغة الكلاسيكية في بال . إلا أن الحرب الفرنسية البروسية قطعت عمله . فعمل في المستشفى العسكري وأصيب بداء الخانوق (الدفتيريا) الذي أنهك قواه وصحته واضطره إلى الاستقالة من منصبه في الجامعة . وكان قد وضع مؤلفاً بعنوان انسانيّ . . انسانيّ تماماً .

وفي خلال السنوات الثماني التالية وضع أشهر مؤلفاته هكذا تكلم زرادشت ، ووراء الخير والشر ، ورؤوس أقلام وتعليقات على خاتمة كتبه الارادة للوصول إلى القوة . وكان مبدأه المعروف بالسوبرمان (الانسان المتفوق) مدار جدل طويل .

« وسواء أكانت نزعات نيتشه الفلسفية تطابق عالمنا المعاصر اليوم أو لا تطابقه ، بالنسبة لما فيها من النزوع إلى اللامعقول ، وإلى الفردية المطلقة ، فإنه كان فيلسوفاً أكثر ملاءمة لحاجات عصره ، ومطالب دولته . ولن يمنعنا ذلك من أن نعرف فلسفته ونفهمها على الرغم مما كان فيها من عوامل الثورة والهدم أكثر مما كان فيها من عوامل البناء . . . »

ونيتشه هو فيلسوف القوة الأول ، وإعجابه بالرجل الذي يستطيع أن يتغلب على عواطفه ما بعده إعجاب . وهو يرى أن بؤس أمة بكاملها ليس بالأمر الجلل إذا قيس ببؤس رجل عظيم واحد .

هيغل

Georg Wilhelm Friedrich Hegel

« عبادة الدولة » هي الفلسفة التي نادى بها الفيلسوف الألماني هيغل (١٧٧٠ ـ ١٨٣١) .

كان هيغل في صباه رومنطيقي النزعة ، متصوفاً ، معجباً بنابوليون

أيما إعجاب . ولكنه ما ان أصبح استاذاً في جامعة برلين حتى شرع يمجّد الدولة البروسية ، ثم ما لبث أن ألّه الدولة بشكل لم يسبقه إليه أحد . فهو القائل : « ان الدولة هي الحياة الأخلاقية ذات الوجود المطلق . . والفرد انما يستمد حقيقته الروحية من الدولة . . الدولة هي الفكرة المقدسة على الأرض . . لم تقم الدولة من أجل الأفراد ، بل وجد الأفراد من أجل الدولة » .

والدولة ، كما يرشح من فلسفة هيغل السياسية ، لا تربطها صلة الواجب بسائر الدول . فهي في الواقع أرفع من القانون الأخلاقي والأدبي . وعلى هذا لا يمكن اعتبار الحرب شراً من الشرور . ولا يجمل بنا أن نسعى إلى إزالتها من الوجود . ويعارض هيغل معارضة شديدة فكرة قيام عصبة دولية مهمتها القضاء على الحروب بواسطة سلطة أسمى وأرفع من سلطات الدول المنتمية إليها . ويرى أن مصلحة كل دولة كامنة في قانونها الأعلى الخاص بها إذ ليس ثمة نزاع بين الأخلاقيات والسياسة ، والأخلاقيات الموضوعة للأفراد لا تطبق على الدول ، أي أن الفيلسوف الألماني يحاول تبرير كل ظلم وعدوان ترتكبهما الدولة في الداخل والخارج . على أن هيغل يسلّم بأن ثمة دولاً شريرة أو رديئة ، ولكن دولاً كهذه ليست جديرة بالاسم . ويرى أن بروسيا هي الأمة الوحيدة التي تؤلف دولة بالمعنى الصحيح . ويدعم هذه النظرية بوجهة نظره التاريخية في نشوء الامم والدول .

يقول هيغل ان الدولة فكرة ، وفي كل عصر تتجسد هذه الفكرة في أمة من الأمم . فقد تجسدت في الصين ، فالهند ، فاليونان ، فروما . ومنذ سقوط روما تجسدت في ألمانيا .

إن الروح الألماني في نظره هو روح العالم الحديث ، وان هدفه هو « تحقيق الصدق المطلق ، وحرية تقرير المصير المطلقة » .

مع الخالدين من المصلحين

اسبازيا

Aspasia

ليست الجمعيات والأندية النسائية من مستحدثات هذا العصر، إذ ان أول عصبة سياسية نسائية سجلها التاريخ هي تلك التي تألفت في اليونان في القرن الخامس قبل الميلاد.

وأسبازيا هي أولى زعيمات الحركة النسائية وتُعرف بأنها المجاهدة الأولى التي بذلت قصارى جهدها لإزالة الفوارق الاجتماعية، ولإحلال التعاون المشترك محل الانقسام بإنشائها أول عصبة نسائية سياسية في العالم.

هبطت أثينا، مهد الفكر والحكمة، من آسيا الصغرى، لتعطي دروساً في الشعر والخطابة والبلاغة. وكان من تلامذتها الفيلسوف سقراط وبيريكلس. فلقنت أولهما الخطابة، ولقنت ثانيهما أصول البلاغة، وتوطدت بينها وبين بيريكلس العلائق وأصبحا صديقين حميمين. وسرعان ما فكرت في إنشاء عصبة سياسية نسائية، تقوم على مبدأ التعاون المشترك.

وذاعت شهرتها في اليونان، وحفظ لها الناس تأبيناً طويلاً بليغاً في رثاء الأثينيين الذين استشهدوا في سبيل الديمقراطية اليونانية في لاكيوم،

تضمن النصائح القيِّمة للمواطنين، وتجلت فيه الروح الحرة.

وقد تقرر تلاوة هذه المرثاة البديعة كل سنة في الاحتفال المهيب الذي يقام لشهداء الديمقراطية لما تضمنته من النصائح القيِّمة البليغة للمواطنين في عباراتها وبين سطورها.

وقد ضمت عصبتها عدداً كبيراً من النسوة من بيئات وطبقات متباينة.. تقابلت فيها القروية وابنة المدينة، والفلاحة وربيبة القصور، وكلهن يضربن بنصيب وافر من العلم. وكانت تُلقى في الاجتماعات القصائد والخطب، وتُعزف فيها الموسيقى على أكثر من آلة طرب.

تبوأت أسبازيا مركزاً مرموقاً في عالم الفكر والسياسة لما امتازت به من حدة ذكاء، ونفاذ بصيرة، وتضلع في علم النفس، ولحكمتها وإرادتها الصلبة...

يقول المؤرخ جان برتوروي في كتابه الشهير عن أسبازيا: إن المجتمع الاثيني كان يتميز في ذلك العهد بالمساواة التامة بين الإناث والذكور. فقد كانت المرأة تتمتع بالحرية التي يتمتع بها الرجل كما كانت تحتل مركزاً اجتماعياً مرموقاً. وكانت فضلاً عن هذا تساهم مساهمة فعالة في الحركات الأدبية والعلمية والفنية، فاهتمت بالفنون على اختلافها، والموسيقى، وعلم الفلك، وانصرفت إلى السياسة بكليتها...

ويقول المؤرخ اليوناني بلوطارخوس: إن المرأة اليونانية كانت تُعطى دروساً في العلوم كي يرتفع مستوى تفكيرها إلى درجة مستوى تفكير الرجل، إلا أن هذا الاهتمام الجدي بالعلوم النظرية لم يفقد المرأة أنوثتها التي كانت تحافظ عليها وتعتز بها أكثر من أخواتها في العصر الحاضر.

إليزابث بلاكويل

Elizabeth Blackwell

سنة ١٨٤٤ تلقت كليات الطب الاثنتا عشرة الرئيسية في الولايات المتحدة الأميركية طلباً للالتحاق بها يعتبر فريداً من نوعه، غريباً مثيراً، وغير متوقع. فلقد كانت صاحبة الطلب فتاة رغبت في أن تتعلم الطب لتصبح أول طبيبة في العالم أجمع. ولم يكن أحد قد سمع بشيء من ذلك من قبل.

واستولت الدهشة على عمداء هذه الكليات، وردوا على صاحبة الطلب الجريئة بأنه ليس في وسعهم قبول طلبها لأنه بلا أي سابقة. وشددوا على المحاذير من جراء رؤية فتاة تتعلم أشياء وأشياء عن طبيعة الجسم البشري، ووظائف أعضائه. ورأى الكثيرون أن الطب مهنة خاصة بالرجال، ولا دخل للنساء بها. ولكن من كانت تلك «الفتاة الجريئة»؟

كانت مدرِّسة مجتهدة ومغمورة، ضئيلة البنية، رمادية العينين، شقراء الشعر، عذبة الصوت، تدعى اليزابث بلاكويل (١٨٢١ - ١٩١٠). كانت لدى عودتها مساء إلى غرفتها تنكب على كتب الطب والتشريح التي كانت تبتاعها بما تدخره من مرتبها الضئيل.

وكادت إليزابث تيأس لهذا الرفض، وأيقنت أن حلمها سينهار، ولكنها في ذات يوم تلقت من كلية جينيفاللطب (بولاية نيويورك) كتاباً أبكاها من شدة الفرح، جاء فيه: «إن عمدة الكلية، بعد التداول الطويل الدقيق، رأت أنه ليس ثمة سبب مشروع يحول دون السماح لفتاة أكملت دروسها الثانوية، بدخول كلية الطب لدراسة هذا العلم».

وكانت الشهور الأولى في كلية الطب عبئاً ثقيلاً على كاهل إليزابث.

تأملوا هذه الفتاة الدقيقة الجسم تلتهمها نظرات الفضول من زملائها الطلبة في كل حين. ولا تعجبوا إذا كانت حمرة الخجل تورد خديها في كل آن.

وفكرت إليزابث بلاكويل في أن الصوم ينقذها من الخجل الذي كان يعذبها. واتبعت «ريجيماً» قاسياً، فشحبت ملامحها، وتوصلت إلى ما كانت ترمي إليه، وهو ألا يظهر الاحمرار على ملامحها أثناء القيام بالاختبارات التطبيقية للدروس التي كانت تتلقاها.

وانتصرت اليزابث على كل العقبات، وخصوصاً مضايقات زملائها لها. فكانت تقبل إلى الصف وتنصرف منه دون أن تنظر إلى أحد. وأثناء الدرس كانت عيناها لا تفارقان الدفتر الذي تسجل فيه ملاحظاتها، وتلخص محاضرات أساتذتها.

وكثيرة كانت العقبات في سبيل هذه الطبيبة: فأصحاب الغرف رفضوا تأجيرها غرفة تقيم فيها بحجة أنها تسيء إليهم. وأصحاب الحوانيت الذين كانت تمر بهم وهي في طريقها كانوا يتجمعون لدى رؤيتها ليتأملوا أول امرأة طبيبة!

ويوم تخرجت، ونالت شهادة الطب، أقبل الناس من مختلف أرجاء الولايات المتحدة لمشاهدتها. وقد وقفت بثوبها الأسود على المنبر مرددة أمام عمدة الكلية: «إن كل لحظة من لحظات حياتي سأكرسها لرفع شأن هذه الشهادة التي تمنحونني إياها!»

وبرّت الدكتورة إليزابث بلاكويل بالوعد الذي قطعته على نفسها ساعة خرجت إلى الحياة الواسعة تكافح الكفاح المرير نفسه الذي كافحته خلال دراستها. وقد قامت برحلة إلى أوروبا، ولكنها منعت من دخول مستشفياتها. وفي نيويورك نفسها، وجدت كل صعوبة في العثور على

مسكن تقيم فيه.

حتى الأطباء زملاؤها كانوا يرفضون أن تجتمع معهم إذا كان ثمة استشارات طبية. وعندما سئلت ذات مرة لماذا لا ترتدي ملابس الرجال لمزاولة مهنتها، أجابت هذه الصبية الجريئة، الحكيمة:

ـ لا، إن ما أقوم به ليس من أجلي بقدر ما هو من أجل بنات جنسي. وعلى ذلك ينبغي لي إما أن أقوم بعملي بصفتي امرأة، أو أن أتخلى عنه!..

وناضلت إليزابث بلاكويل حتى النصر النهائي الذي تجسد في إنشاء مستشفى للنساء والأطفال.

ولقد نجحت أول طبيبة في العالم في تقرير هذا الواقع: إن المرأة هي حقاً نصف البشرية!

بوذا

Buddha

تعتبر حياة بوذا، إذا ما جُرِّدت من الخرافات والأوهام الشرقية التي تراكمت عليها خلال العصور، من أبسط وأنبل القصص التي عرفتها الآداب الدينية في التاريخ...

«ولد بوذا في الجزء الأخير من القرن السادس قبل المسيح، وكان والده أميراً ثرياً. وقد تزوج في صغره ابنة عمه وعاش عيشة البذخ المألوفة في قصور الأمراء. على أن انقلاباً عميقاً ما لبث أن تسرَّب إليه وتغلّب عليه، فهجر بلاط أبيه وأبهته وفخفخته. ويقال إن فتاة جميلة شهدته يوماً يركب عربته ويبهر العيون بنور وجهه وتلألؤ حلاه الذهبية، فأخذت تردد هذه الأغنية على مسامعه: «مباركة هي الأم التي حملتك

والأب الذي رباك، ومباركة هي المرأة التي تعرف رجلاً مثلك».

فتساءل في نفسه: «فرح أنا لقلب أمي، وفرح لقلب أبي، وفرح لقلب زوجتي. هذا كل ما تقوله المزغردة الحسناء، ولكنها لا تقول: كيف يتم فرح كل قلب؟» فسمع صوتاً في باطنه يجيبه: «فرح كل قلب يتم بالهدأة والطمأنينة. وهاتان لا تتكاملان إلا بانطفاء نيران الشهوة ونسيان المطامع بغير هجر العالم. وهكذا فافعل أنت!» فتمتم قائلاً: «سأفعل!»

غير أنه رأى أن يذهب إلى علماء البراهمة لعله يستمد منهم فهماً للغوامض وعوناً على ما تضطرب به نفسه من مشاكل. فلم يوفقوا إلى شفاء غليله وإسكات قلقه. فتركهم وأوى إلى عزلة تأملية على ضفاف نهر الغانج أشبه بعزلة السيد المسيح في البرية. وانتهى أخيراً إلى خلاصة استقر عليها، وهي أن النجاة تأتي عن طريق الحب ونقاء القلب، لا عن طريق التنكيل بالنفس والاهتمام بالمصائر الغيبية والاعتماد على المفروضات المجهولة. وكان معنى ذلك أن بوذا أراد تحويل الأنظار عن مذهب البراهمة في تقمّص الأرواح وتناسخها. أما «النرفانا» (حالة الراحة الأبدية وانعدام النزوات) - وهي أسمى منشودات الدين البرهمي - فقد حوّلها بوذا إلى مجرى اجتماعي وحددها بأمور ستة: إعطاء الصدقات، وتنزيه الأخلاق، وطلب المعرفة، ومجاهدة النفس، والصبر، والحسنى. ومن أقواله: «إن للدين الصحيح ركناً يجب أن لا ننساه هو علاقة الانسان بالانسان». ولعل بوذا كان يعتقد أن علاقة الانسان بالانسان إذا صحّت، صحّت معها علاقة العابد بالمعبود».

الأب دميان

Joseph Damine De Veuster

رائد من رواد الانسانية ، كرس حياته للتخفيف من ويلات مرض

الجذام (البرص) ولعلاج المصابين به من اخـوانه بني البشر ، وإعـادة الأمل إلى نفـوسهم ، والكـرامـة إليهم : أنـه الأب جـوزف داميـان ، البلجيكي (١٨٤٠ - ١٨٨٩) .

أراد لـه والـده أن يمتهن التجـارة ، ولكنـه رفض ، والتحق في سن الثـامنة عشـرة ، برضى والـديه ، بجمعيـة القلبين الأقـدسين ، وراح يتـابـع دروس الـلاهوت في الكليـة التابعـة لهذه الجمعيـة مـع أخيـه البكـر . وكـان شقيقـه هذا عـلى وشك الالتحـاق ببعثة تبشيـرية الى جـزر البحر الجنـوبي في المحيط الهادىء . ولكنه أصيب قبيل سفره بمـرضى أعيى نطس الأطبـاء ، فما كان من شقيقه الأصغر جوزف إلا أن طلب إليـه أن يأذن لـه بالـذهاب بـدلاً منه إلى تلك الجزر النائية . وأجاب الأخ المريض باشارة من يـده ، لأنه كـان عـاجـزاً عن الكـلام ، تعني رضـاه عن طلب جـوزف الـذي أبلغ أصحـاب الشأن في البعثة التبشيرية بأنه على استعداد للحلول محل أخيه المريض .

وقد كان ، ورحّل جوزف داميان ، وهو بعـد في الثالثـة والعشرين من عمره ، وقبل أن تتم سيامته كـاهناً . وفي الجـزر التي هبطهـا راح يعمل ليـلاً نهاراً بجد ونشاط ، طوال تسع سنوات اكتسب خلالهـا محبة كـل من عرفـه ، وعطفه ، وتقديره .

وذات يوم جاء أحـد الأساقفـة لزيـارة الجزر ، وتفقـد أعمال البعثـة ، فسمعـه جوزف داميـان يتحـدث عن المجـذومـين وكيف أن هؤلاء المسـاكـين عندما يصابون بالجذام ينفون إلى جزيرة مولوكاي حيث يتـركون وشـأنهم دون مساعدة ، أو عـطف ، أو علاج حتى تسـوء حالتهم ، ويقضـوا فريسـة هذا الداء الوبيل .

وتأثر الكاهن داميان مما سمع ، ورجـا الأسقف أن يأذن لـه بالـذهاب إلى جزيرة مولوكـاي للعنايـة بضحايـا داء الجذام البـائسين . وقـد كان عمله

هـذا جريئـا في زمن لم يكن بعد قـد اكتشف فيـه عـلاج للجـذام . واذن لـه الأسقف بـالذهـاب الى الجـزيـرة المـذكـورة للقيـام بهـذا العمـل الانسـاني ، النبيـل . وذهب الأب داميان وهـو على أكـثر من اليقين بـأنه بعمله هـذا إنمـا يحرم نفسه رؤية ذويه وأصدقائه فيما بعد ، هذا إذا لم يصب بالعدوى .

وقضى سني حيـاتـه الست عشـرة الأخيرة عـلى تلك الجـزيـرة يُعنى بـالمجـذومـين ، محـاولاً أن يخفف من من وطـأة مـرضهم ، وأن يبعث في نفـوسهم السـرور والأمـل في الشفـاء . وعمـل الكثـير من أجـل تحسـين أوضاعهم ، فحمل حكـومة جـزيرة هـاواي على مـد الجزيـرة بالمياه النقية ، وبنى المنازل الصحية لاقامة المجذومين ، وأحـاطهم بكل عـطف أبوي ، حتى أحبه الجميع حبـاً يقرب من العبـادة . وكتب إلى مختلف الهيئات والمؤسسـات في العـالم يستحثها عـلى مـد يـد المساعـدة للتخفيف من آلام المجـذومـين ، وعلاجهم . فأنهالت عليه التبرعات من كل حدب وصوب .

وذات يـوم ، وبينما كـان الكاهن داميـان يصبـه ماء سـاخنـاً في أنـاء ، سقط منـه قليل عـلى قدمـه فلم يشعر بـأي ألم ، فعرف للحـال معنى ذلك . وخفَّ إلى الـطبيب يسألـه عما إذا كـان مصابـاً بـالجـذام . فـأجـابـه الـطبيب بـالإيجـاب . غـير أن ذلـك لم يسئـه في شيء ، ذلـك بـأنـه أحس ، في تلك اللحظة ، بأنـه بات واحـداً من الذين جـاء لمساعـدتهم ، وأن لا شيء يفرقـه عنهم .

كـان داميان في الخـامسة والأربعـين عندمـا أُصيب بالجـذام ، فلم يؤثر ذلـك في نشاطـه ، وبقي يُعنى بمرضـاه حتى عاجلتـه المنيـة وهـو في التـاسعـة والأربعين .

هنري دونان

Henri Dunant

أبصر هنري دونان النور في جينيف، في الثامن من أيار سنة ١٨٢٨. وكان من أسرة بورجوازية، شديدة الورع والتقوى. وقد تميزت طفولته وصباه بسمة إيمانه، واندفاعه وراء الأعمال الخيرية. وكان شاباً متحمساً، محباً للخلق والابداع، وافر الهمة والنشاط. فما أن بلغ العشرين حتى أسس جمعية خيرية دعاها «سامريو السلام». وقد ضم الطلاب الذين كانوا أعضاء في هذه الجمعية، بدورهم، طلاباً آخرين إليها، في مختلف أرجاء أوروبا. وكان الجميع يرون في دونان راعياً عتيداً من رعاة الكنيسة بعيد الاطلاع، ولكنه فضّل حرية الفكر والتصرف التي لا تتاح له إلا في الحياة العادية. فاختار التجارة مهنة له.

واتفق أن حملته أعماله التجارية إلى سولفيرينو، في إيطاليا، يوم الثالث والعشرين من حزيران سنة ١٨٥٩. وقد هزته مشاهد المعركة الدامية التي كانت مستعرة في مقاطعة لومبارديا، وفظاعة الأيام والليالي التي تلت. ومنذ ذاك أصبح بطل الشفقة والرحمة. ومنذ ذاك أصبح رسول المحبة الانسانية بدلاً من أن يكون رسول الأيمان وحسب. وقد عرف هذه المحبة بمعناها الواسع، الكبير الجميل. واستخدم ذكاءه، وقوة إقناعه في إقناع ذوي البأس والسلطان في العالم، وفي رجائهم الاتفاق على إيقاف المعركة حول الرجل الجريح.

وفكّر، قبل أي شيء، بأن الرأي العام الساذج الجاهل المضلل في أغلب الأحيان، ينبغي أن ينور، فوصف المعارك الحربية على حقيقتها مزيلاً من حولها تلك الهالة من التمجيد والتقديس لأنها لا تظهر صورتها كاملة. وبعد طول تفكير وتأمل حمل ريشته وراح يكتب ببطء واجتهاد

ـ ولم يكن دونان أديباً ـ «تذكار من سولفيرينو».

كان هذا الكتاب في البدء ريبورتاجاً دقيقاً، وسلسلة متعاقبة من الأحداث، والواقائع معروضة بكل دقة، ولم يخف دونان شيئاً: المحتضرون يدفنون أحياء، الجرحى يقضي عليهم اللصوص ويسلبونهم ما عليهم وما يحملون، تدوسهم الجياد وعجلات العربات، ويتركون إلى العطش والوحدة والموت. وتحدث عن النتن، نتن الرجال الممتزج بنتن الحيوانات، وعن عيون الموتى تنتزعها الغربان والعقبان، وعن الديدان تسرح وتمرح فوق الجراح، وعن الغرغرينا، وعن الذباب! . . وتحدث عن العالم المبهور بالأساطير وبالروايات الملحمية التي تنشد المعارك، والأبواق التي تدوي مؤذنة بالهجوم، وبالأعلام المصطفة في الفضاء، هذا العالم المندهش المستيقظ اكتشف الوجه الحقيقي للحرب، هذا الوجه البشع الكريه.

وقد نشر كتاب «تذكار من سولفيرينو» في جنيف سنة ١٨٦٢. ولم يكن معروضاً للبيع في واجهات المكتبات، بل كان مخصصاً للتوزيع على الشخصيات المتنفذة في أوروبا، وعلى أصدقاء المؤلف.

حول دونان كان التجمع الكبير لنفوس منصفة، وقلوب رحيمة محبة للخير، وهو المحموم المنهوك القوى، لم يعرف طعم الراحة. فقد كان يجوب أنحاء أوروبا محاصراً الحكومات، راجياً ملتمساً، كاتباً متحدثاً، مستحثاً ذوي النفوس الطيبة والقلوب الكبيرة. وسرعان ما أنشئت في سويسرا اللجان الأولى لاغاثة الجرحى العسكريين. وأبصر الصليب الأحمر النور. . . وكسب دونان المعركة!

وتقدمت به السن فإذا هو فقير، مرة حياته، يكاد يكون مهجوراً. إلا أنه قبل وفاته ببضع سنين تسلم الجائزة الأولى من جوائز نوبل للسلام

عن عام ١٩٠١، فكانت هـذه المكافأة الرسمية بمثابة تذكير بـه ولفت نـظر إليـه، فهبت أوروبا بـأسرهـا تشترك في تكـريمه حـاملة إليه في عـزلتـه التي لم يشأ الخروج منها الدلائـل المختلفة عـلى العرفـان بجميله، وعلى احتـرامهـا الفائق. وكانت وفاته في سنة ١٩١٠.

زرادشت

Sodraster

هـذا الزعيم الـروحي، مؤسس الـديانـة الزرادشتيـة، والتي لا يـدين بهـا اليـوم إلا طـائفـة المجـوس في الهـند وعــدد ضئيـل من سكــان إيـران، يكتنف الشـك تاريـخ ميلاده، والمكـان الـذي وُلـد فيـه. ولكن المتفق عليـه بـين المؤرخين استنـاداً إلى الروايـات الـزرادشتيـة أن مكـان ولادتـه في الجـزء الغـربي من إيران الـذي يُعرف بـأذربيجان، وذلـك سنة ٦٦٠ قبـل الميـلاد. أما وفاته فكانت سنة ٥٨٣ قبل الميلاد، فيكون قد عاش ٧٧ عاماً.

وزرادشت أول من طلع بـالعقـائـد الجـديــدة التي تضمنتهـا الأديــان السمـاوية فيـها بعد، كـالقول بـالجنـة والنـار، والبعث ويـوم الحسـاب، وأن الشيـطان هـو أصــل الشر في العـالم، وأن الانتصــار في النهـايــة هـو للحق والخير.

وتصـوره لنا القصص والأســاطير مصلحـاً اجتماعيـاً إلى جـانب كـونـه مصلحاً روحياً.

كـان أوسط خمسة أبنـاء، وقـد تـزوج من ثـلاث نسـاء بقـين في قيـد الحيـاة بعد مـوته. في السـابعـة من عمـره عَهـد بـه والـده إلى أحـد الحكـماء ليقـوم عـلى تعليمــه وتهـذيبــه بعـد أن لاحت عليــه، وهـو في هــذه السن

المبكـرة، دلائـل النجـابـة والـذكـاء المفـرط، والثـورة عـلى التقـاليـد، وعـلى الأوضاع السائـدة المقررة. . . وقـد بلغ زرادشت مبلغ الرجـال وهو لا يـزال في الخـامسة عشـرة من عمره، نستـدل على ذلـك من أن والده قـد عهد إليـه بنصيب من ممتلكـاته وهـو في هذه السن ليـديرهـا بمـا عُـرف عنه من بصيـرة وحسن إدراك. وقـد عقد العـزم على أن يكتسب العلم والمعـرفـة عن طـريق التـأمل والتفكـير لدى بلوغـه الثلاثـين. . . فاعتـزل النـاس وآثـر الـوحـدة. والعـزلة هي محـراب الطبيعـة الجليل. فلجـأ إلى قنن الجبال الإيـرانيـة بعيـداً عن زحمة الحياة وجلبتهـا حيث لا صوت إنسـان يقطع عليـه تيـار تفكيـره أو يصرفه عن تأملاتـه. وهناك اتخـذ من المياه والـطير والحيوان والشمس والقمـر والنجوم والسيارات أساتذة له يتلقى عنها أسرار الحياة.

لم يبـكِ زرادشت كسائـر الأطفال عنـدما أبصر نـور الحياة بـل ضحك ضحكة عالية اهتزت لهـا أرجاء المنـزل. ومما يـروى أنه ظهـرت لدى ولادتـه خوارق عدة. . فقـد هربت الأرواح الشـريرة إلى العـالم السفلي، وغمـر بيت أبيـه نـور إلهي. وعـرف بـأنبـاء هـذا الـطفـل العجيب أحـد ملوك الـزمـان ويـدعى درنسـرام فخشي أن ينـافسـه في سلطانــه وجبـروتــه، وعـزم عــلى التخلص منـه. ويقـال إنـه أسـرع إلى منـزل أبيـه وانتــزعـه من المهــد وهمَّ بـذبحه بخنجـره فشلَّت يده ويبست. وعنـدها أمـر بإلقـائـه عـلى كـومـة من الحطب المتأجـج، فكانت النـار برداً وسـلاماً عـلى الطفـل. وتعددت الـطرق التي أراد بها الملك في ذلك الحين القضاء على زرادشت دون جدوى، فقد كان يحميه من الهلاك ويرعاه الإله أهرمزدا. . .

والمعـروف عن زرادشت أنه لم يـأكل سـوى الجبن طوال ثـلاثـين سنـة من حياته.

إليزابث فراي

Elizabeth Fry

عُرفت إليزابث فراي (١٧٨٠ ـ ١٨٤٥) بلقب ملاك السجون لأنها رائدة إصلاح السجون، وقفت حياتها على الكفاح من أجل تبديل نظرة المسؤولين والمجتمع إلى السجون بحيث جعلتهم ينظرون إليها على أنها أمكنة للإصلاح لا للتعذيب والتنكيل. ولم يقتصر هذا التبدّل على انكلترا وحدها، بل تعداه إلى سائر البلدان المجاورة.

أبصرت النور في بيت عريق المنبت في نورفوك بانكلترا، وكانت في صباها نحيلة البنية، عصبية المزاج، لم يقدّر أحد أنه سيُكتب لها الخلود. ولقد كانت نقطة التحول في حياتها وهي بعد في السابعة عشرة من عمرها، وفي حيرة من أمر حياتها، عندما هبط انكلترا أحد الواعظين الأميركيين الذي أضفى على حياتها معنى جديداً بمواعظه عن محبة بني البشر. ودفعها ذلك إلى توجيه نشاطها إلى الأعمال الانسانية السامية، فأهملت مسرات الحياة وراحت تعلّم الأولاد، وتزور الأرامل والخدم في المستشفيات.

وفي سنة ١٨٠٠ تزوجت من جوزف فراي، وكان زميلاً لاخوتها في المدرسة. ورزقت منه أحد عشر ولداً. واستطاعت التوفيق بين شؤون البيت والتربية وبين عملها الانساني الذي امتد إلى زيارة السجون، فكانت زيارتها لأحد سجون النساء وما شاهدته فيه من بؤس وشقاء وفساد، دافعاً لها على تأليف لجنة من السيدات للنظر في شؤون الإصلاح. وقد وضعت برنامجاً لإصلاح السجون تقدمت به إلى المسؤولين الذين لم يروا بداً من تنفيذ مجمل ما تضمنه كتشغيل السجينات بالنسيج والحياكة، والمحافظة على شؤون النظافة في السجن، وتعيين مراقبات

عليهن. . .

وعنيت بالفقراء والمرضى والحزانى ، فكانت لا تفتأ، طوال حياتها، تتردد عليهم مؤاسية، مقدمة إليهم الملابس والهدايا، مؤكدة بذلك أن العطاء أفضل من الأخذ. . .

كالفان

John Calvin

المصلح جان كالفان فرنسي، أبصر النور في ١٠ تموز ١٥٠٩. وجد نفسه في سن مبكرة ميالاً إلى الدين واللاهوت، مع أنه لم يتقبل في بادىء الأمر الآراء والنظريات البروتستانتية. ولكنه سرعان ما انضم إلى صفوف البروتستانت وراح يقدِّم إليهم الخدمات الجلَّى من تنظيم لشؤونهم الإكليريكية، وتنسيق لمبادئهم الروحية. وكان اضطهاد البروتستانت شديداً قاسياً، فاضطر إلى العيش عيشة الرحَّل بضع سنين. وفي سنة ١٥٣٦ أصبح زعيماً لاصلاح الكنيسة في جينيف. وقد قضى فترة من الوقت في ستراسبورغ تزوج خلالها. وكانت وفاته في جينيف في ٢٧ أيار ١٥٦٤.

اشتبك هذا المصلح في كثير من الخلافات أدَّى أحدها إلى فصم عرى صداقة حميمة، وانتهى ثانيها إلى نفي خصمه من جينيف. ولعل أشهر حادث هو ذاك الذي يتعلق بميكيل سرفيتوس الذي كان كالفان يكره نظرياته وآراءه. فقد سُجن سرفيتوس بأمر من كالفان، وبعد محاكمته أُحرق حياً. . .

كونفوشيوس

Confucius

وُلد سنة ٥٥٠ أو ٥٥١ قبل المسيح، وكـان أبوه كـونغ شـوليانـغ الذي اشتهـر بكـونـغ الـطويـل لقـوتـه وطـول قـامتـه، عـريق النسب، ومحـاربـاً أرستقراطياً. أنجبت لـه زوجته الأولى تسـع بنات. فـاتخذ سـرية فلم تلد لـه إلا ولـداً كسيحاً. فـاقترن ليـأسه بفتـاة من أسرة طيبـة المنبت (كـان عمـرهـا ١٤ سنـة وعمره ٧٠) فـرُزق منها بـطفل ذكـر أسماه شيـو. ولم يـبدَّل اسمـه من كـونغ شيـو إلى كونـغ فوتـزي حتى بلغ سن المراهقـة. ونُقل هـذا الاسم محرَّفاً إلى اللاتينية كونفوشيوس.

تـوفي عنه والـده وهو في الثـانية من عمـره، وقد أبـدى مـواهب بـارزة منذ نعومة أظفاره. تـزوج وهو في التـاسعة عشـرة ورُزق غلامـاً. وفي الثانيـة والعشـرين بدأ ينشر آراءه وتعـاليمـه الحكيمـة في السلوك الشخصي القـويم، والتضحيـة البنـويـة، وكيفيـة ضبط النفس، والحكـومـة الصـالحـة. وراح التلامذة يتجمعـون حولـه وهم في لهفة إلى تلقي مبـادئه السـديدة. ومـا لبث أن أضحى معبود الشعب.

ارتحـل من ولاية إلى ولايـة في بلاد الصـين المترامية الأطراف مبشـراً، وداعيـاً ثلاث عشـرة سنة، يـرافقه دائـماً بعض تـلامـذتـه المخلصـين، فكـان يعـاني المصاعب والمـذلة. . وكـان بعض الحكام يـرحبون بـه فخـورين بـأنهم يستقبلون الفيلسـوف الشهير في بـلاطهم، ويصغـون إلى نصـائحـه ونـظراتـه وآرائه في الحكومة.

وقـد سجـل تـلامـذتـه أقـوالـه بعـد وفـاتـه في مجلد دعــوه أحـاديث كونفوشيوس يُعتبر من كتب الصـين المقدسـة. وبعض هذه الأحـاديث بمثابة تعليقـات عـلى الحيـاة، والبعض الآخـر بشكـل نـوادر ومحـادثـات. وهي

بمجموعها تؤلف أسس الفلسفة الصينية.

ولقد انحصرت تعاليم كونفوشيوس، الذي مات سنة ٤٧٩ قبل المسيح، في هذه العبارة: «المحبة لنفسك، والاحسان لقريبك».

مارتن لوتر

Martin Luther

كان مارتن لوتر (١٤٨٣ - ١٥٤٦) زعيم الثورة البروتستانتية على الكنيسة ورمزها. . وكان أول مصلح حمل الكثيرين من سكان أوروبا الغربية على الانفصال عن هذه الكنيسة. أبصر النور في سكسونيا البروسية، وبعد أن تخرَّج من جامعة إيرفورت أصبح راهباً. وقد رُسم كاهناً بعد سنتين، وعُيِّن أستاذاً للاهوت في جامعة فيتنبرغ.

بدأ انفصال لوتر عن الكنيسة سنة ١٥١٧، عندما وضع نظريته الخاصة في خلاص النفس، وثار على صكوك الغفران التي كان يبيعها رجال الدين لتغفر لمشتريها ما تقدم من ذنبه وما تأخر. وقد علّق على باب الكنيسة لوحاً يحتوي على ٩٥ فقرة قال في إحداها: «إن البابا لا يستطيع أن يغفر لأحد خطيئة». وبعد سنتين أنكر مبدأ عصمة البابا عن الخطأ، وأكد حق كل فرد في تفسير الكتاب المقدَّس على هواه.

وفي سنة ١٥٢٠ حرم البابا ليو العاشر لوتر، وطلب إلى الامبراطور شارل الخامس أن يعاقبه بتهمة الكفر والإلحاد. فقضى سنة في عزلة تامة، نقل خلالها العهد الجديد من الكتاب المقدس إلى الألمانية. وقد تضمنت مبادئه الجديدة نبذ العزوبة والتنسك. وتزوج سنة ١٥٢٥ راهبة أصبحت من أتباعه وتدعى كاتارينا فون بورا.

وفي سنة ١٥٥٥، وإثر حرب أهلية في ألمانيا بين الكاثوليك واللوثريين، اعتُرف بالدين الجديد رسمياً كنظام شرعي للعبادة. ولكن تُرك لكل أمير ألماني اختيار الكنيسة التي يود أن يتبعها هو وشعبه. وأنشئت الكنائس البروتستانتية في عدد من الأماكن، وخاصة في شمالي ألمانيا والبلدان الاسكندينافية.

ماريا مونتيسوري

Maria Montessori

مربية ايطالية، صاحبة النظام التربوي المعروف بنظام مونتيسوري، مولودة في كيارافالي، بالقرب من انكونا في ٣١ آب ١٨٧٠. كانت أول طبيبة ايطالية، تخرجت حاملة شهادة الطب في جامعة روما سنة ١٨٩٤. وضعت اساليبها التربوية في البدء لتربية وتعليم الاطفال والاولاد المتخلفين عقلياً، فلما اثبتت انها ناجحة خلصت إلى هذه النتيجة وهي ان اساليب مشابهة ومماثلة يمكن تطبيقها على الاطفال والاولاد الطبيعيين. ولم تخل طريقها من العراقيل الجسيمة، والمصاعب العسيرة، ولكنها كانت تضع نصب عينيهاهذا الشعار وتعمل بهديه: «لقد خلقت المصاعب لنقتحمها.»

كانت ترى ان الحياة لو خلت من المصاعب لانعدم الطموح والنشاط، ولأصبحت الايام التي نقضيها على وجه الارض رتيبة، مملة. ولم تكترث بهجمات معارضيها، ومضت في سبيلها غير مبالية، قائلة لمن جاء يستطلع سر موقفها السلبي من كل ما يدور حولها ويحاك ضدها: «اذا نبح كلب خلفك وانت تصعد السلم، فمن الافضل ان تستمر في صعودك والا أضعت وقتك في الهبوط من على السلم لتقذفه بالحجارة.»

لقد نظروا إلى نظامها التربوي الجديد نظرة هلع لانه نظام يشجع على حرية الحركة لدى الاطفال ، وذلك في اعتقادهم يهدم التربية والنظام . الا ان بعض المصلحين التربويين المتحمسين ساندوها . وقامت بين سنة ١٩٠٠ و ١٩٠٧ بالقاء المحاضرات التربوية في جامعة روما . وسنة ١٩٢٢ عينت مفتشة حكومية للمدارس في ايطاليا . وقد قضت اواخر سني حياتها في الاشراف على صفوف التدريب في كل من اسبانيا ، والهند ، وانكلترا ، وهولندا . وكانت وفاتها في هولندا في ٦ ايار ١٩٥٢ .

والدكتورة ماريا مونتيسوري التي اوجدت اسلوباً قويماً لتربية الاطفال تتبعه دول عدة في الغرب والشرق ، قد نالت ارفع الاوسمة وحظيت بأعلى الدرجات والالقاب العلمية . . . الا ان اللقب الذي فضلته على سائر الالقاب جميعاً، هو كلمة بسيطة رددها الكبار والصغار معاً : «اماه !»

والآن ، لنستمع إلى ما تقوله عن نظريتها التربوية : «نظريتي التربوية هي تشخيص قواعد تربوية تسمح للطفل الطبيعي باستخدام استعداداته وامكانياته الفطرية ، في الوقت نفسه الذي تسمح فيه للطفل المنحرف باسترداد احواله الطبيعية . وعندما اتحدث عن استبداد الراشد وضغطه على الطفل وتحكمه به لا اقصد ان يترك الطفل وشأنه ، ولست اشجع على الفوضى ، معاذ الله . . . انما جل ما هناك ان الخوف ، وعدم الاستقرار ، والاستبداد لمن العوامل التي توقف نمو الطفل الروحي ، وتشل استعداده الفطري ، ولا تتيح له الافادة من تجاربه الخاصة التي من شأنها انماء شخصيته الدفينة . وفي شرعي ان التحرر هو في الخلاص من القيود المصطنعة التي يكبل بها المجتمع روح الطفل ، ويحول بينها وبين النمو والتفتح . ومن هنا كانت الخطوتان الاوليان في اصول التربية : الاولى هي استعمال الطرق التي تسمح للطفل باسترداد

احواله الطبيعية ، والثانية هي تمهيد الوسائل التي تسمح بنضج شخصيته . ولقد ادت تجاربي إلى ما دعوته «انفجارات» . فالطفل يكتشف فجأة بعد فترة من التركيز والاهتمام انه توصل إلى القراءة أو الكتابة او التخطيط أو إلى أي عمل ايجابي . وفي هذا الطور يتوجب على المربي ان يحصر وظيفته في التوجيه الحازم المستنير لتمهيد السبيل وتأمين المواد والجو المناسب والوسائل العلمية التي تساعد على حدوث هذا التطور بصورة كاملة . وهنا ترى الطفل وقد اصبح يشعر بمحبة من يوجهه ويرعاه ، فيتحول التمرد الاعمى في نفسيته إلى طاعة واحترام ، والميل إلى الشعب والفوضى إلى حب للتركيز والهدوء . . .»

فلورنس نايتنغيل

Flroence Nightingale

رفعت فلورنس نايتنغيل (١٨٢٠ - ١٩١٠) فن التمريض إلى فرع من فروع الطب ، وجعلت منه مهنة قائمة بحد ذاتها . ولدت في اسرة انكليزية موسرة كانت تقيم في فلورنسا في ايطاليا . فلما بلغت الرابعة والعشرين أدهشت اسرتها عندما فاجأتهم بقرارها احتراف التمريض . وقد أصبحت مشرفة على أحد مستشفيات لندن سنة ١٨٥٣ بعد فترة من الدراسة في اوروبا .

وفي سنة ١٨٥٤ رُوعت انكلترا بالتقارير الواردة عن الآلام الفظيعة التي يعانيها المرضى والجرحى من الجنود المحاربين في شبه جزيرة القرم . . . فأوفدت فلورنس مع عدد من المرضات والممرضين (٣٨ زيدوا فيها إلى ١٠ آلاف) للاشراف على العمل هناك والعناية بالجرحى . وبفضل عزيمتها التي لا تُقهر ، وعبقريتها في التنظيم ، استطاعت أن تتخطى الكثير من الصعاب ، وتخفض إلى أدنى مستوى نسبة الوفيات بين الجرحى والمرضى من المحاربين .

ولقـد جرَّ اليهـا عملها الحـربي هـذا الكثـير من النِعم الملكيـة ، والشهـرة ، والمعونـة الماليـة لمشاريعهـا زمن السلم ، وجلهـا اقـامـة المراكـز لتدريب الممرضات .

عاشت حياة هادئة وادعة ، ولكنها حيـاة ملأى بـالنشاط ، والحيـوية ، والفائدة ، ونكران الذات .

نوكْس

John Knox

كـان دجـون نـوكس الـذي وُلـد حـوالى سنـة ١٥٠٥ روح الاصـلاح الديني في اسكتلندا . بـدأ اصلاحـه سنة ١٥٤٢ ، فلم تمضِ خمس سنـوات حتى اعتُرف به مبشراً عنيداً ضـد البابـوية . ونتيجـة لنظريـاته الـدينية سُجن مـدة من الـزمن فيّ فـرنسـا حيث عمــل في احـدى سفن العبيـد زهـاء ١٩ شهـراً . فلما أُفرج عنـه عاش في انكلتـرا ، ثم في جينيف حيث أُحـرق تمثـال على شكله بتهمة الهرطقة .

وفي سنـة ١٥٥٩ عاد نـوكس إلى اسكتلندا . ونشبت الحـرب الاهليـة بـين البـابـويـين والمصلحـين فتـزعم جمـاعـة المصلحـين . وتـدخلت انكلتـرا ففرضت الدين الجـديد في اسكتلنـدا ، واستتب السلام حتى اعتلت العـرش ميــري ملكة الاسكتلنـديين . ذلـك بأنـه حدثت بعـد ذلك خـلافات عـدة بين نوكس والتاج اعتقل في احدها بتهمة الخيانة .

كـان نوكس حـذراً فطنـاً ، مسالمـاً بطبعـه ، رابط الجـأش ، عنيـداً . ولكنـه كان عنيفـاً في خطبـه ، الأمر الـذي سبب له المتـاعب . وقد تـوفي في ٢٤ تشـرين الثاني ١٥٧٢ مخلفـاً كتابـاً من أبـرز الكتب التي وضعهـا «تـاريخ الاصلاح الديني في اسـكتـلنـدا » .

جان هس

JAN HUSS

مصلح بوهيميا ، وخليفة المصلح البريطاني وايكليف ، ويُعتبر من رواد المصلحين . . . ظهر قبل مارتن لوثر بقرن من الزمن إذ ولد سنة ١٣٦٩ في براغ ، ومات حرقاً في احدى جزر نهر الراين سنة ١٤١٥ .

درس في جامعة براغ التي دخلها بعد وفاة وايكليف بخمسة أعوام فإذا به يجد كتب هذا المصلح منتشرة بين اوساط الطلاب ، فأكب على مطالعتها والتشرّب من مبادئها . وراح يدعو إلى حياة نقية فاضلة بعد أن تكشف له الفساد المستشري في الكنيسة ، والمتفشي بين رجال الدين . وهبَّ رجال الاكليروس سنة ١٤١٠ ، وعلى رأسهم رئيس اساقفة براغ ، إلى مقاومته ، واحرقوا كتبه وكتب وايكليف ، وتزيد على المائتي مخطوطة .

وانتشرت تعاليمه في المانيا ، فحُكم عليه بالموت بعد أن سُجن ستة أشهر . وفي اثناء محاكمته قُدّمت اليه العروض المغرية في سبيل التراجع عن تعاليمه ولكنه لم يتزعزع . وفي يوم ميلاده الثاني والاربعين شُدَّ إلى عمود خشبي في احدى جزر الراين وأُحرق حياً بعد أن أُشعلت النار في كتبه وملابسه على مرأى منه ومشهد . وقد نُثر رماده في مياه النهر خشية ان يقدّس اتباعه رفاته . . .

ومما يؤثر عنه انه لما لفُظ بحقه حكم الموت قال : «انكم تقتلون الآن اوزة (ومعنى هَس باللغة البوهيمية اوزة) ، ولكن ستظهر لكم اوزة اخرى لن تستطيعوا قتلها !»

وقد كان ، وظهر في المانيا بعد قرن من الزمن، المصلح المعروف مارتن لوتر ، مؤسس المذهب البروتستانتي .

ميري وولستونكرافت

Mary Wolistonecraft

عـرف التاريـخ عـدداً من النسـاء بلغن بمزايـاهن الخـاصـة من جمـال وذكاء أعلى المراتب سواء في ميـدان السياسـة، أو الفنون، أو الحيـاة العامـة. ولكن قليـلات هن اللواتي بلغن شأواً عـظيـماً في الحيـاة بـاعتبـارهن نسـاء . أجـل نسـاء لهن من الحقـوق مـا للرجـال. من هؤلاء النسـاء كــانت ميـري وولستـونكـرافت (١٧٥٩ ـ ١٧٩٧) الفتـاة الانكليـزيـة التي نـادت بحقــوق المرأة، وانبرت للدفاع عن هذه الحقوق.

ففي سنـة ١٧٩٢ أصـدرت كتـابـاً بعنـوان « دفاع عن حقوق المرأة » . فكان في عنوانه غريباً، غير مـألوف، ولا مفهـوم! وكانت مؤلفتـه كذلـك غير معروفة، بل تكاد تكـون مجهولـة. ولكن صدور هـذا الكتاب كـان حدثـاً في تـاريخ الفكـر الاجتماعي إذ ظلت المـرأة قابعـة في البيت ـ مكانها الـطبيعي ـ لا تبـرحه طـوال ستة آلاف سنة من تاريـخ البشريـة. وكانت عبـارة حقـوق المـرأة أمراً غـير مألـوف في ذلك الـوقت الـذي نـادت فيـه الثـورة الفـرنسية بـالمساواة. ولم يكن ليـدور في خلد أحد أن للمـرأة حقـوقـاً خـاصـة بها غـير حقوق الرجل.

أمـا الحقـوق التي طـالبت بهـا ميـري في كـل مـا نشـرتـه من كتـابـات وفصـول فهي حقوق التعلّم، والعمـل، والاشتراك في السيـاسة، والمحـافظة على حياتها الزوجية.

تــزوجت ميـري من المفكـر والمصلح الانكليـزي وليـام غـودوين، ورُزقت منـه ابنـة دعتهـا بـاسمهـا، تـزوجت فيـما بعـد من الشــاعـر شللي. وماتت في الثامنة والثلاثين من عمرهـا. غير أن حيـاتها القصيـرة هذه تـركت أثـراً خالـداً في التاريـخ، ودفعت بالانسـانية خـطوة فسيحـة إلى الأمـام. . .

فبعد موتها بخمسين سنة ظهرت أول رسالة في التاريخ تطالب بمنح النساء حق الانتخاب. وبعدها بثماني سنوات قدَّم الفيلسوف دجون ستيوارت مل، مشروعاً إلى البرلمان الانكليزي بتقرير هذا الحق للنساء. ولم تمضِ على هذا سنتان حتى منحت إحدى ولايات أميركا بعض نسائها حق الانتخاب. ولكن الانسانية انتظرت طويلاً حتى كانت سنة ١٩٠٧ حين أقرت أول دولة في العالم (وهي فنلندا) المساواة بين رجالها ونسائها في هذا الحق السياسي الاجتماعي الخطير. وتبعتها النرويج في العام التالي. وبذلك بدأت الشجرة الكبيرة التي نبتت من حبة بذرتها ميري وولستونكرافت، تظلل بفروعها كثيراً من شعوب الشرق والغرب، وإن كانت هذه الفروع لم تمتد إلا بفضل نساء مكافحات، سجنَّ في سبيل رأيهن، وماتت منهن في غياهبه المظلمة نساء مشهورات.

كانت ميري من أشد أنصار الثورة الفرنسية حماسة، وقد ذهبت إلى باريس سنة ١٧٩٣ لتجمع مواد كتابها «نظرة تاريخية وأدبية على الثورة الفرنسية». ولكنها لم تجد نفسها سعيدة أو مرغوباً بها بصفتها انكليزية، فاضطرت إلى القبول بحماية ورعاية الكابتن غلبرت إيملاي الذي ما لبثت أن أحبته حباً لم يعرف أية حدود. ويبدو من مجموعة الرسائل التي تبادلتها معه أنه لم يكن جديراً بحبها، وإخلاصها، وثقتها، وقد هجرها بعد أن رُزق منها طفلاً . . .

فرنسيس ويلارد

Frances Willard

بائعة الرجاء المتجولة، ضحت بالراحة والهدوء البيتي لتوفر الراحة والهدوء لسائر البيوت. هدمت بيتها لتعمر بيوت الآخرين. وعندما نذرت نفسها لرسالتها السامية المثلثة الوجوه: تحريم الخمرة، تحرير المرأة ومنحها

حق الاقتراع، وتحسين قوانين العمل الخاصة بالنساء، عرفت أن عليها الاختلاط بالسكارى والمقامرين بدلاً من الاختلاط بالمتعلمين والمثقفين، وأنها بدلاً من التردد على دور الكتب ستقضي وقتها في الحانات وعربات السكة الحديدية.

ولدت هذه المربيه والمصلحة الاجتماعية الأميركية في تشرشفيل (بولاية نيويورك) في ٢٨ أيلول ١٨٣٩، وعملت في حقل التدريس لدى تخرجها من «كلية نورث - وسترن» للاناث في ايفانستون بولاية ايلينوى سنة ١٨٥٩. وفي سنة ١٨٧١ قبلت رئاسة كلية ايفانستون للسيدات بعد تنظيمها. فلما انضمت إلى جامعة «نورث - وسترن» سنة ١٨٧٣ عينت عميدة للنساء، وهو منصب استقالت منه سنة ١٨٧٤ لكي تلتحق بالحركة النسائية المسيحية الأميركية لتحريم الخمرة. وانتخبت رئيسة لهذا الاتحاد سنة ١٨٧٩، وبقيت على رأسه حتى وفاتها في ١٨ شباط ١٨٩٨، في نيويورك. وقد نظمت الاتحاد النسائي المسيحي العالمي لتحريم الخمرة سنة ١٨٨٣، وكانت أول رئيسة له. واعترافاً بجلال أعمالها اختيرت رئيسة للمجلس النسائي القومي سنة ١٨٨٨.

رويداً رويداً استطاعت فرنسيس ويلارد أن تقضي على كل مقاومة غاشمة لآرائها الجريئة وسط الحركة النسائية التي كانت تتزعمها. وتحت الشعار المثلث: التحريم، وتحرير المرأة، ورفع مستوى النساء العاملات، مضت هذه المرأة المكافحة تشق طريقها وسط الزوابع الهوجاء التي اعترضت هدفها السامي، حتى حققت هذا الهدف. وعلى فراش الموت، بعد أن قضت على هذه الأرض تسعاً وخمسين سنة، تمتمت فرنسيس ويلارد: «هناك عمل آخر في العالم الآخر!..»

ولكن عملها في هذا العالم يذكره الجميع ويقدره. فهي المرأة الوحيدة التي يقوم تمثالها في بهو التماثيل في الكابيتول!

مع الخالدين من العلماء

إقْليدس

Euclide

ليس هنالك شخص مثقف ثقافة ثانوية لم يسمع بالعالِم الرياضي الكبير إقليدس (٣٠٦ - ٢٨٣ ق. م.) الذي يعدّ كتابه في الهندسة المرجع الأساسي لطلاب هذا العلم حتى هذا العصر .

وأعظم مؤلفات إقليدس بلا شك كتابه الذي أسماه علماء العرب « الأصول » ويدعوه الغربيون (Elements) وهو كتاب ضخم وضعه في ثلاثة عشر موضوعاً في الهندسة المستوية والمجسمة ، وأول كتاب منسق في هذا العلم ، ابتدأ بالبديهيات الخمسة ومنها تمكن من إثبات جميع الحقائق والنظريات الهندسية . وجميع كتب الهندسة من قديمة وحديثة تعتمد كل الاعتماد على هذا الكتاب . ولإقليدس مؤلفات أخرى بعضها يبحث في الهندسة الكروية وبعضها في الموسيقى وعلم البصريات .

يقول عالم الرياضيات العربي محمد بن أشرف الحسيني السمرقندي الذي عاش في القرن الثالث عشر ، ووضع كتاب أشكال التأسيس،وفيه يبحث في هندسة إقليدس ان هذا العالِم لبناني ، من مدينة صور . . . وقد حكي أن بعض ملوك اليونان مال إلى تحصيل كتابه فاستعصى عليه ، فأخذ يتقصى أخبار هذا الكتاب ، فأخبره بعضهم أن في بلدة صور

رجلاً مبرّزاً في علم الهندسة والحساب يقال له إقليدس . . ويذهب جميع العلماء الذين كتبوا عن إقليدس إلى أنه عاش في صور حوالى سنة ٣٠٠ قبل الميلاد .

آينشتاين

Albert Einstein

ينظر العالم إلى ألبرت آينشتاين (١٨٧٩ ـ ١٩٥٥) ، صاحب نظرية النسبية المشهورة التي لا يفهمها إلا نفر ضئيل من علماء الرياضيات ، على أنه أكبر دماغ بشري مفكر ، ومن أعمق المفكرين على الإطلاق . إلا أنه كان صبياً بليداً ، خجولاً ، خامل الذهن . . وقد تأخر في النطق حتى خيّل لوالديه أنه طفل غير طبيعي .

فقد رسب آينشتاين في امتحانات الدخول إلى كلية الفنون الاتحادية في زوريخ ، وكان وقتئذ في السادسة عشرة من عمره .

وقد اضطر هذا العالِم الكبير ، الذي يعتبر بمقام أسحق نيوتن وكوبرنيكوس، أن يستظهر دروسه قبل أن يتقدم للامتحان ثانية وينجح في الالتحاق بهذه الكلية .

أما نظرية النسبية فجدّ معقّدة . وقد اعترف بأن عدد الذين يفهمونها لا يزيد على اثني عشر شخصاً في العالم أجمع ، بالرغم من أن عدداً غير قليل من المجلدات الضخمة قد وضع حولها لتفسيرها وتوضيحها . وتراه يشرحها مبسّطة بالمثال التالي : « عندما تجلس إلى فتاة حسناء مدة ساعة تظن أنك لم تجالسها سوى دقيقة واحدة فحسب . . ولكنك عندما تجلس فوق المدفأة دقيقة واحدة تحسب أنك أقمت فوقها ساعة بطولها ! »

كان ذا تفكير منظم مع أنه كان يكره النظام في شؤون حياته اليومية والبيتية . يؤمن بمبدأين اثنين لا ثالث لهما : أحدهما التحرر من القواعد أياً كانت ، والآخر التحرر من آراء الآخرين ونظرياتهم . وكان يعيش عيشة هادئة بسيطة ، ولا يأنف من إرتداء الملابس العتيقة التي تحتاج الى الكيّ ، وقلما يضع قبعة على رأسه ، يصفر ويغني بأعلى صوته في الحمّام .

يحلق ذقنه وهو جالس في المغطس ، مستعملاً الصابون نفسه الذي يغتسل به لحلق ذقنه من دون سائر أنواع الصابون الخاصة بالحلاقة . ومن عجب أن يؤكد هذا العالِم الذي حاول حل معضلات الدنيا وأسرارها أن استعمال نوعين من الصابون يجعل الحياة كلها معقّدة .

كان زاهداً في المال وفي الألقاب ، زاهداً في المديح . يصنع سعادته بنفسه من أمور عادية كالعمل ، والعزف على الكمان ، والتنزه بقاربه الشراعي . أما الموسيقى فكانت مبعث سعادته الأولى والأخيرة .

نزل ذات مرة من سيارة عمومية ونقد سائقها مبلغاً من المال فأخذ السائق ما يستحق له وأعاد إليه الباقي . فقال له آينشتاين انه أخطأ في الحساب . فعدّ السائق النقود من جديد فوجد أن آينشتاين على خطأ فأعادها إليه قائلاً : « المصيبة ، يا سيدي ، أنك لا تفهم شيئاً في الحساب ! »

كان آينشتاين غريباً غرابة نظريته النسبية . . يمقت أشد المقت ما يستهوي الغالبية من البشر من شهرة ، وجاه ، وفخفخة ، ويزهد في حطام الدنيا . . ويكره الدعاوة ومقابلة الصحفيين والمصورين . . .

باستور

Louis Pasteur

ولد لويس باستور (١٨٢٢ ـ ١٨٩٥) ، الكيميائي الفرنسي ، من أب كان يعمل في الدباغة . دخل دار المعلمين سنة ١٨٤٣ واستمع إلى محاضرات السوربون حيث تلقّى أول دافع جدي لدراسة الكيمياء . وقد أجرى أول بحث كيميائي واختبار على حامض راسميك في خريف سنة ١٨٤٨ بينما كان في ديجون يدرّس الفيزياء . وفي مطلع السنة التالية نقل إلى ستراسبورغ استاذاً للكيمياء . وقد تزوج في هذه المدينة فتاة تدعى ماري لوران ، ابنة عميد الجامعة ، ونال شريطة الشرف لأبحاثه في حامض راسميك . وكان باستور يعمل ليل نهار في اختباراته دون كلل أو ملل . ومما يروى أنه في يوم زفافه اجتمع المدعوون والعروس وذووها والكاهن ولكن العريس لم يحضر . وهرع إليه أحد أصدقائه يبحث عنه في المختبر فألفاه منكباً على أنابيب الاختبار ، مستغرقاً في ما يدونّه من ملاحظات على ما يجري حوله . فبادره الصديق بالسؤال : « هل نسيت موعد زفافك ؟ » فكان جواب باستور : « كلا ، ولكنني أُتمم عملي . وهل تتوقع مني أن أدع الاختبار قبل نهايته ؟ ! »

وفيما كان باستور أستاذاً وعميداً لكلية العلوم في ليل تحوّل إلى إكتشاف أسباب المرض في النبيذ والبيرة ، فقلب باختباراته رأساً على عقب صناعة الكحول. وقد أعلن نتائج هذه الاختبارات بعد تسلّمه إدارة الدروس الطبيعية في دار المعلمين حيث واصل عمله في الاختمار . وقد استطاع الجرّاح البريطاني جوزف ليستر أن يحدث ثورة في عالم الجراحة بفضل اكتشافات باستور الذي أصبح عالماً مشهوراً يشار إليه بالبنان في فرنسا والخارج .

وأنقذ باستور بأبحاثه حول أمراض دود الحرير صناعة الحرير في فرنسا وسائر البلدان التي تربي دود القزّ . ودرس كذلك عدداً من الأمراض منها الدمّل الغربالي ، وكوليرا الدجاج اللذان أوجد لهما العلاج الشافي وحدّ من فتكهما الذريع . وتقدّر قيمة اكتشافاته الصناعية بمبالغ طائلة تكفي لتغطية تكاليف تعويضات الحرب التي دفعتها فرنسا إلى ألمانيا سنة ١٨٧٠ .

وفي سنة ١٨٧٣ أصبح باستور عضواً في الأكاديمية الطبية الفرنسية ، وبعد ذلك بسنة نال معاشاً على مدى الحياة من الجمعية الوطنية . وفي ٦ تموز ١٨٨٥ قام باختباره الخطير إذ حقن بلقاح خاص ولداً عضه كلب مسعور (مصاب بالكلَب) . وقد أدى اكتشافه اللقاح ضد داء الكلب ، ومعالجته الناجحة به ، إلى إنشاء معهد باستور سنة ١٨٨٨ .

وحين بلغ السبعين من عمره جعلت الحكومة الفرنسية عيد ميلاده عطلة رسمية نظراً للخدمات الجليلة التي أداها هذا العالِم للإنسانية . وقد توفي عن ٧٢ عاماً . . .

البتّاني

عرف ببطليموس العرب ، ويعتبره العالم الفرنسي لالاند « من العشرين فلكياً المشهورين في العالم كله . »

أبصر النور في بتّان من نواحي حرّان، حوالى سنة ٨٤٧ ، وتوفي بالقرب من سامراء في العراق سنة ٩٢٩ .

كان يعدّ علم الفلك من العلوم السامية المفيدة للانسان الذي يمكنه بواسطتها أن يطلع على أشياء كثيرة هو في حاجة إلى معرفتها واستغلالها

لنفعه .

درس مؤلفات بطليموس الفلكية وانتقد بعض النظريات الواردة فيها ، وأصلح البعض الآخر ، سالكاً في ذلك سبيل الاختبار ، وتحكيم العقل والمنطق .

قسْطا بن لوقا البعلبَكي

هذا العالِم ، والطبيب ، والفيلسوف ، والفلكي ، والمؤرخ ، والمترجم ، لبناني الأصل ، مولود في بعلبك . إلا أننا لا نعرف الشيء الكثير عن نشأته في مدينة الشمس ، ولا حتى تاريخ ولادته . وقد توفي في خلافة المقتدر بالله ، الخليفة العباسي حوالى سنة ٩١٢ ، بعد أن عاش قسماً من حياته في بغداد ، وفي مقاطعة أرمينيا .

أتقن اللغات الثلاث اليونانية والسريانية والعربية ، وكان فصيحاً فيها جميعاً ، عالماً بالهندسة والحساب وعلم الأعداد والموسيقى . . نقل عدداً من الكتب اليونانية العلمية إلى العربية ، وبلغت مؤلفاته ٣٢ كتاباً في الطب ، و ٢٩ كتاباً في علم الفلك ، والمنطق ، والرياضيات ، والفلسفة ، والتاريخ ، ومن أشهرها « المدخل إلى علم الفلسفة » ، و«المرايا المحرقة » ، و « شكوك كتاب إقليدس » و « الجزء الذي لا يتجزأ » ، وهذا الكتاب الأخير يعتبر بمثابة مقدمة لعلم الذرّة الحديث . « وله مؤلف عن الأسطرلاب الكروي ، وهو من أقدم الكتب في هذا البحث ترجم لاهميته إلى اللاتينية والإسبانية . . .

وقد ذاعت شهرة هذا العالِم في أقطار الشرق آنذاك فاستدعاه إلى أرمينية أميرها سنحاريب فسافر إليه وألّف كثيراً من الكتب هناك .

قال عبيد الله بن جبرائيل : « ان قسطا اجتذبه سنحاريب إلى

أرمينية وأقام بها ، وكان بأرمينية أبو الغطريف البطريق من أهل العلم والفضل فعمل له قسطا كتباً كثيرة جليلة نافعة ، شريفة المعاني ، مختصرة الألفاظ في أصناف من العلوم . ومات هناك فدفن وبني عليه قبة وأكرم قبره ، كإكرام قبور الملوك ورؤساء الشرائع » . . .

أبو الوفاء البوزجاني .

أبصر البوزجاني النور في بوزجان سنة ٩٤٠ ، وتوفي في بغداد سنة ٩٩٨ ، وكان « من ألمع علماء العرب الذين كان لبحوثهم ومؤلفاتهم الأثر الكبير في تقدّم العلوم ، ولا سيما الفلك ، والمثلثات ، وأصول الرسم . وفوق ذلك كله كان من الذين مهّدوا لإيجاد الهندسة التحليلية بوضعه حلولاً هندسية لبعض المعادلات الجبرية العالية . . . وقد سحرت بحوثه بعض العلماء الغربيين فراحوا يدّعون محتويات كتبه لأنفسهم . . . »

وللبوزجاني ميزة على سواه من العلماء العرب هي أنه وضع مؤلفات ورسائل في الرياضيات والفلك للخاصة والعامة ، أفاد منها العلماء المتخصصون من جهة ، كما أفاد منها عامة الشعب ، من جهة ثانية ، في أعمالهم وحياتهم اليومية . . .

ابْن البيطار

هذا العالِم النباتي الذي يعتبر أعظم من ظهر في القرون الوسطى من علماء النبات مولود في الربع الأخير من القرن الثاني عشر . وقد توفي في دمشق سنة ١٢٤٨ . وضع كتابه « الجامع لمفردات الأدوية والأغذية » فإذا به يقدّم أجلّ خدمة للثروة العلمية بهذا السفر النفيس من الكتب النباتية . وضعه بعد دراسات طويلة ، وأبحاث مضنية قام بها في اليونان واسبانيا والمغرب العربي ، وآسيا الصغرى ، فضلاً عن اعتماده على

مؤلفات حوالى مئة وخمسين كاتباً وعالماً بينهم عشرون مؤلفاً يونانياً . وفي هذا الكتاب وصف أكثر من ١٤٠٠ عقار نباتي وحيواني ومعدني ، وبيّن فوائدها الطبية وكيفية استعمالها كأدوية وأغذية . وقد نقل كتابه هذا إلى اللاتينية والفرنسية والألمانية وسواها من لغات أوروبا حيث بقي فترة طويلة من الزمن مصدراً يستقي منه العلماء الأوروبيون .

ولابن البيطار كذلك كتاب « المغني في الأدوية المفردة » يقسم إلى عشرين فصلاً فيه « تناول علاج الأعضاء عضواً عضواً بطريقة مختصرة كي ينتفع به الأطباء . »

نيقولا تسْلا

Nicholas Tesla

ولد نيقولا تسلا سنة ١٨٥٧ في قرية صربية تابعة ليوغوسلافيا ، فكان في طفولته عليلاً هزيلاً ، وكاد أن يفقد حاسة النظر لكثرة ما كان يطالع من كتب الادب ، والعلم ، والدين ، والفلسفة ، والتاريخ . وأتم دراسته الثانوية ودخل الجامعة . وكان يجيد ، فضلاً عن لغته الأصلية الصربية ، اللغات الفرنسية ، والألمانية ، والإيطالية .

كان خياله خصباً ، وباستطاعته أن يرسم في ذهنه صوراً دقيقة واضحة للاشياء التي يحلم بها ، الأمر الذي ساعده كثيراً على إبراز نظرياته العلمية واكتشافاته واختراعاته دونما حاجة إلى ورقة وقلم . . كان يبدّل هذه الرسوم الذهنية في سبيل تحقيق أفكاره كلما دعته الحاجة إلى ذلك .

وكان تسلا غريب الأطوار ككل العباقرة ، الأمر الذي حمل الكثيرين على الارتياب في صحة النظريات التي كان يذيعها . ولكنهم

سرعان ما اهتموا بنظرياته هذه وأعماله عندما نجح سنة ١٨٨٠ في اختراع محرّك ومولد للتيار الكهربائي المتقطع ، مرتفعاً بذلك إلى مصاف العلماء الخالدين . فقد كان ذلك الاختراع نقطة تحوّل في العهد الصناعي الحديث . فبفضل التيار الكهربائي المتقطع أمكن تسيير الانتاج الضخم للسيارات والطائرات ومولدات الكهرباء الضخمة التي تولد الطاقة الكهربائية من القوى المائية ، وقطارات الديزل ، وأجهزة الراديو والتلفزيون وما إلى ذلك .

وقد باع تسلا سنة ١٨٨٨ اختراعه هذا بمبلغ مليون دولار للعالِم المخترع جورج وستنكهاوس ، الذي أسند إليه منصباً كبيراً في مصانعه ، ولكنه لم يبقَ طويلاً في هذا المنصب مفضلاً العمل الحر قائلاً : « إن الوحدة هي سر نجاح المخترع ، ففي الوحدة تتولد الأفكار العظيمة ! » .

وعاش تسلا وحيداً بقية أيامه على الرغم من كثرة معارفه ، ولم يختلط بأي امرأة بعد موت أمه . وقد تنبأ في سلسلة محاضرات له باختراع الرادار ، والتلفزيون . ووصف جهازاً أطلق عليه اسم « جهاز أشعة الموت » يمكنه أن يبيد فرقاً كاملة من الجنود في لحظات معدودات .

« وحينما تقدمت السن بهذا العالِم الحالم العجيب ، تغيرت عاداته وطريقة معيشته ، فصار يغادر غرفته في صباح كل يوم وقبيل الغروب ، ثم يشتري كميات كبيرة من الحبوب ، ويذهب بها إلى إحدى الحدائق ليلقي بها إلى العصافير وغيرها من أنواع الطير التي كانت تتجمع حوله ليطعمها .

وكان إذا مرض ولم يستطع الخروج ، ينيب عنه من يقوم بهذه المهمة ، ويكلفه أن يحضر إليه في غرفته العصافير المريضة ، لكي يتولى

بنفسه رعايتها !

إن العالِم الذي غيّر وجه العالَم باختراعه الخطير ، قد أدرك في أواخر حياته حقيقة كبرى ، هي أن عناصر الخير لا تكمن في الأفكار التي تتولد في الوحدة ، وإنما تكمن في القلب النابض بالحب والعطف ، والمشاركة في الشعور ، والعمل على تخفيف متاعب الآخرين ! »

وقد توفي سنة ١٩٤٣ عن ستة وثمانين عاماً ، في غرفة بأحد الفنادق . . .

إدوارد جينر

Edward Jenner

يقترن إسم الطبيب الانكليزي إدوارد جينر (١٧٤٩ - ١٨٢٣) بالكفاح المظفّر ضد وباء رهيب من أشد الاوبئة خطراً وفتكاً هو الجدري . . هذا الوباء الذي عمر المقابر بملايين الجثث ، وخلّف على وجوه الذين لم يقضِ عليهم آثاراً مرعبة . ولقد استطاع جينر أن يحقق نصراً مبيناً في اكتشافه اللقاح ضد الجدري لأنه عرف كيف يستخلص النتائج العلمية من دواء قديم عرفته إحدى النساء .

وتاريخ الجدري طريف حقاً ، عانت مصر القديمة والهند الكثير من ويلاته . وقد استفحل هذا الوباء في القرن السابع عشر . . فأصاب لندن سنة ١٦٢٨ ، وبعد ذلك بفترة وجيزة ظهر في المكسيك فقتل ثلاثة ملايين نسمة ونصف المليون . . ومن هناك انتقل إلى إسبانيا ، ومنها إلى الهند حيث ذهب ضحيته زهاء نصف عدد السكان . ويقدّر العارفون أن ضحايا هذا الوباء بلغت في القرن السابع عشر نسبة ثمانين بالمئة . وقد أصيب بالجدري ربع سكان كل بلد من البلدان ، فتشوهت ملامح الذين

نجوا من الموت .

كـان الجـدري يفتـك فتكاً ذريعـاً عنـدمـا أبصر جيـنر النـور في غلوسسترشـير من أب كاهن ، كـان هو ثـالث أبنائـه . اهتم بـالـطب منـذ حداثته ، وقـد تتلمذ عـلى يد أحـد الجرّاحـين وهو بعـد في الثالثـة عشرة من عمـره . وفي هذه الفتـرة من حياتـه سمع العبـارة التي بـدّلت حيـاتـه وحيـاة المـلايين من البشر . . ففي ذات يـوم قالت لـه إحدى الفـلاحات الصبـايا : « أمـا أنا فلن أُصـاب بـالجـدري لأنني أُصبت بجـدري البقـر ! » وقـد كـان الاعتقـاد سائـداً في المناطق الـزراعية في إنكلتـرا أن أولئـك الـذين يصـابـون بجـدري البقر ينجـون من جدري البشر . ولـذلك كـانوا يعـرّضون أولادهم لهـذا النـوع الخفيف من الجـدري الـذي يكسبهم منـاعـة ضـد الـوبـاء الرهيب .

وملك هـذا التفكير عـلى جينر مشـاعره ، فلما بلغ الحـاديـة والعشـرين رحـل إلى لندن لإنهاء دروسـه الطبيـة ، وراح مـذ ذاك يكـرّس وقتـه للبحث في جـرثومـة الجدري ، واكتشـاف اللقاح الـواقي من الجدري . وظـل يعمل طـوال عشـرين سنـة حتى أتيـح لـه أن يثبت سنـة ١٧٩٦ للمـلأ أن لقـاحـه مضمون النتائج مائة في المائة . وتبنّاه أطباء العالم وتأكدوا من فعاليته .

ومن بـين دلائل الاعتـراف بجميل جينر على الانسـانيـة ذلـك الحـزام الثمـين الذي أرسلتـه إليه إحـدى قبائـل الزنـوج الأميركيـة وحفرت عليـه : « اعترافاً منا بعميق شكرنا على هديتك الثمينـة . . إننا نـرجو العنـاية الآلهيـة أن تكلأك بعين رعايتها في الدنيا والآخرة ! »

إلا أن جينر لاقى صعوبـات جمة في سبيـل اكتشافـه الجليـل . . فقـد رفضت الجمعية الملكية الاعتراف بفعاليـة لقاحـه الذي جـرّبه في ابنـه البالـغ ثمـاني سنوات دونمـا تردد أو وجـل . وكانت حجـة هذه الجمعيـة أن التلقيح

يعطي الوجه البشري شكل وجه البقرة ، ويصبح صوت الملقّح كخوار البقر ، ويكسو جسده الشعر . . كل ذلك لأن اللقاح مستخرج من جرثومة جدري البقر ! . .

جَابِر بِنْ حَيّان

ولد في طوس سنة ٧٣٧ ، وتوفي حوالى سنة ٨١٣ ، « وكان له في الكيمياء ما لارسطو في المنطق » ، على حد قول برتيلو الذي يعتبر أن الباحثين العرب جميعاً من الذين نبغوا في علم الكيمياء نقلوا عن جابر واعتمدوا مؤلفاته وبحوثه العديدة التي فقد معظمها ، ومع ذلك فقد سلم منها ثمانون كتاباً ورسالة محفوظة اليوم في مكتبات الشرق والغرب العامة . ولم تقتصر مصنّفاته هذه على الكيمياء وحدها بل تعدّتها إلى المنطق والفلسفة ، إلا أن جابر بن حيّان كان حجة في الكيمياء غير مدافع . فقد ابتكر علم الموازين و « المقصود به معادلة ما في الأجساد (المعادن) من طبائع ، فجعل لكل من الطبائع ميزاناً ، ولكل جسد من الأجساد موازين خاصة بطبائعه . . . »

وجابر بن حيّان أول من إستحضر الحامض الكبريتيك ، والحامض النتريك ، وكربونات البوتاسيوم ، وكربونات الصوديوم ، كما استحضر ماء الذهب ، وكشف الصودا الكاوية ، و « استعمل ثاني أوكسيد المنغنيز في صنع الزجاج . ودرس خصائص ومركبات الزئبق واستحضرها . . . وبحث في السموم،وله فيها كتاب السموم ودفع مضارها ، ولعله أروع ما كتب في الموضوع ، وهو من أندر المؤلفات وأكبرها أهمية عند علماء تاريخ العلوم لما له من وثيق العلاقة بالطب والكيمياء . »

أما ميزة جابر بن حيّان على سواه من العلماء فهي أنه يُعتبر في طليعة الذين أقاموا بحوثهم وتجاربهم على الأساس العلمي الحديث المتبع

اليوم في المختبرات العلمية .

الخَوارزمي

ولـد محمد بن موسى الخوارزمي في عهد الخليفة المأمون ، وتوفي حوالى سنة ٨٥٠ ، وهو واضع علم الجبر الذي علّمه مع الحساب للناس أجمعين .

كان ذا حظوة ومقام كبيرين عند المأمون ، وتولّى بيت الحكمة . وقد أوفده هذا الخليفة مرة إلى بلاد الأفغان على رأس بعثة علمية للبحث والتنقيب .

« برز في الرياضيات والفلك ، وكان له أكبر الأثر في تقدمهما وارتقائهما . فهو أول من استعمل علم الجبر بشكل مستقل عن الحساب وفي قالب منطقي علمي . كما أنه أول من استعمل كلمة الجبر للعلم المعروف بهذا الاسم . ومن هنا أخذ الإفرنج هذه الكلمة واستعملوها في لغاتهم (Algebra) . وكفاه فخراً أنه أول من ألّف كتاباً في الجبر - في علم يعدّ من أعظم أوضاع العقل البشري لما يتطلبه من دقة وأحكام في القياس . »

وللخوارزمي كتاب في الحساب هو أول ما دخل أوروبا من الكتب المماثلة ، (وقد بقي هذا العلم معروفاً باسم الغورتمي ، نسبة إلى الخوارزمي عدة قرون) ، وكتاب الزيج ، وكتاب في تقويم البلدان ، وكتاب التاريخ ، وكتاب العمل بالاسطرلاب ، وكتاب جمع بين الحساب والهندسة والموسيقى والفلك .

إن المدنية الحديثة مدينة كثيراً إلى هذا النجم العربي الذي تألق في سماء الرياضيات وإهتدى بنوره العلماء في الشرق والغرب .

دَارْوين

Charles Darwin

أبصر تشارلز داروين ، أكبر عالم بالطبيعيات في القرن التاسع عشر ، النور في ١٢ شباط ١٨٠٩ . . أمه هي ابنة صانع الخزف البريطاني الشهير ودجوود . وقد أراد له والداه أن يدخل سلك الكهنوت ، ولكنه ما أن أكمل دروسه في كلية يسوع في جامعة كيمبريدج سنة ١٨٣١ حتى قام برحلة حول العالم استغرقت خمس سنوات اطلع خلالها على الكثير من أسرار عالم النبات .

ومن سنة ١٨٣٨ إلى ١٨٤١ عمل سكرتيراً للجمعية الجيولوجية ، وكان على اتصال مستمر مع العالم الجيولوجي السر تشارلز لايل الذي كان لكتابه مبادىء الجيولوجيا أكبر الأثر في تمهيد سبيل العمل أمام داروين .

وخلال الرحلة البحرية التي قام بها قام داروين بدراسة مجموع حيوانات جزر غلاباغوس ، فزرع ذلك في ذهنه فكرة التطور .

قلب كتابه أصل الأنواع الذي صدر سنة ١٨٥٩ (بيعت الطبعة الأولى منه وتتألف من ١٢٥٠ نسخة في يوم واحد) رأساً على عقب طريقة العمل وأهداف التاريخ الطبيعي . وأعقب هذا كتاب يعتبر من حيث الأهمية في المقام الثاني بين مؤلفات داروين هو اختلاف الحيوانات والنبات بالادجان ، وقد نشر سنة ١٨٦٨ . وتوسع داروين في نظريته العامة بحيث شملت الانسان وذلك سنة ١٨٧١ عندما نشر كتابه أصل الانسان والاختيار بالنسبة إلى الجنس . وقد أثارت هذه الكتب عواصف الجدل في الأوساط الدينية والتربوية ، فكان من أبرز المدافعين عن داروين العالم البيولوجي توماس هكسلي .

تزوج داروين سنة ١٨٣٩ ، وانتقل من لندن للإقامة في داون بعد سنوات ثلاث ، وبقي فيها إلى يوم وفاته . . وقد وقف سني حياته الأخيرة على إقامة الأدلة والبراهين دفاعاً عن نظرياته العلمية . وكان يردّ على كل المراسلات التي تصله بنفسه .

ففي ذات يوم تلقّى داروين من طالب يحضر محاضرة علمية مدرسية رسالة يقول فيها ان الوقت لم يسمح له بمطالعة كتبه ، ولذلك فهو يطلب منه ايجاز نظرياته ومبادئه العلمية ليتسنى له إلقاء المحاضرة . . وقد أجابه داروين إلى طلبه .

نال داروين وسام الاستحقاق البروسي ، سنة ١٨٧١ ، وأصبح عضواً في الأكاديمية الفرنسية سنة ١٨٧٨ . وكانت وفاته في ١٩ نيسان ١٨٨٢ .

عندما طلع داروين بنظرية النشوء والتطور تصدّى لتسفيه نظريته نفر من العلماء ورجال الكنيسة ، وأيدها علماء كبار كهيغل الألماني وهكسلي الانكليزي ، وبنوا عليها الزعم القائل أن الانسان يتحدر من القرد .

وبديهي أن يحارب رجال الكنيسة هذه النظرية . فقد ذكرت بعض الكتب السماوية إن الله خلق الإنسان على صورته ومثاله ونفخ فيه من روحه . فهو إذن مخلوق مميّز ، ولا يُعقل أن يكون متحدراً من حيوان غير ناطق وغير عاقل .

ومما يروى عن هذا العالم ان خادمه كان يقول : « ان سيدي لا يفتقر إلى شيء افتقاره إلى عمل مجدٍ يلهو به ! »

أبو بكر الرّازي

أبو الطب العربي ، وحجة الطب في أوروبا حتى القرن السابع عشر ، يعتبره الكثيرون مؤسس الكيمياء الحديثة في الشرق والغرب معاً .

أبصر النور في الري ، من أعمال فارس ، جنوبي طهران سنة ٨٥٤ ، وتوفي في بغداد سنة ٩٣٢ . وقد اشتهر في الطب والكيمياء والجمع بينهما . وقال عنه ابن النديم في كتابه الفهرست : « كان الرازي أوحد دهره وفريد عصره . . قد جمع المعرفة بعلوم القدماء سيما الطب . . . » وسماه ابن أبي أصيبعة « جالينوس العرب » .

ومن أشهر كتبه « الطب الروحاني » و « الأسرار في الكيمياء » وكتاب في الحصبة والجدري ، و « الحاوي » و « المنصوري » ، وكتاب « من لا يحضره الطبيب » ويُعرف بطب الفقراء ، و « سر الأسرار » . وهناك قول شائع عن الرازي هو : « كان الطب معدوماً فأحياه جالينوس . . وكان الطب متفرقاً فجمعه الرازي .

وقد تُرجمت كتبه إلى اللاتينية ، وأعتمدها كبار علماء أوروبا في الكثير من أعمالهم ودراساتهم ، وظلت مرجعهم الأوحد في جامعاتهم حتى القرن السابع عشر .

مجدَّ أبو بكر الرازي العقل ومدحه ، واعتبره « اعظم نِعم الله وأنفع الأشياء وأجداها ، وبه أدركنا ما حولنا . واستطاع الأنسان بالعقل أن يسّخر الطبيعة لمصلحته ومنافعه . والعقل هو الذي ميّز الانسان على الحيوان . . . »

رَاسْك

Rasmus Christian Rask

كان البروفسور راسموس كريستيان راسك (١٧٨٧ ـ ١٨٣٢) ، من جامعة كوبنهاغن في الدانمارك ، لغوياً عظيماً لا يشق له غبار ، بزّ العالم اللغوي العجيب متزوفانتي . وكانت له القدرة على اكتساب اللغات بسرعة عجيبة وقد وضع المعاجم والقواميس في اللغات التالية : الألبانية ، الألوشيانية ، الأرمنية ، الكلتية ، الفاراوية ، الفنلندية ، القوطية ، الغرينلاندية ، الغينية ، الهندوستانية ، الإيبيرية ، الفارسية ، البهلوية ، السينغالية ، اللتوانية ، اللاتفية ، الملاوية ، الايسلندية . . . وقد أتقن العربية ، والدانماركية ، والإنكليزية ، والفرنسية ، والألمانية ، واليونانية ، والعبرية ، والإيطالية ، واللاتينية ، والنرويجية ، والبرتغالية ، والروسية ، والاسبانية ، والسويدية ، والتركية ، وما يزيد عن ٥٠ لهجة هندية ، و ١٤٦ لهجة ولغة أخرى . . .

ويعتبر جوزف كاسبار ، كاردينال متزوفانتي (من مواليد بلدة بولونيا في إيطاليا) من أعظم لغويي العالم إذ استطاع في حياته أن يتقن ١١٤ لغة ، فضلاً عن ٧٢ لهجة مختلفة . وما لا يقبل الجدل انه كان بارعاً في لا أقل من ٥٤ لغة ببراعة ذويها . وفي أربعة أشهر استطاع بجده واجتهاده أن يتعلم اللغة الصينية . وكانت تلك أطول مدة استغرقتها دراسته لغة من اللغات . ومما يُذكر أنه لم يغادر طوال حياته أرض وطنه . . .

رَذَرْفورد

Ernest Rutherford

عُرف بنبيّ الذرّة لأنه أول من حطم الذرة وفتح الطريق أمام

علماء العالم للإفادة من هذا الكشف الرائع في السلم والحرب على السواء .

أبصر النور في نيوزيلندا سنة ١٨٧١ التي هاجر إليها برفقة جده سائق العربات في اسكتلندا ، سعياً وراء الرزق . وكان منذ نعومة أظفاره متفوقاً في الفيزياء والكيمياء والرياضيات فاكتسب عدداً من الجوائز المالية والمداليات . ويقول عنه أحد زملائه في المدرسة : « إن أهم ما لفت نظري هو قدرته الهائلة على دراسة الموضوع الذي يريد بحثه ، وقوة تركيز فكره مهما كان حوله من ضوضاء . . كنا أحياناً نسخر منه ، فنضربه على رأسه بكتاب ثم نهرب ، وهو لا يشعر بنا ، لأنه في عالم آخر من البحث والتفكير . . . »

وكان في صغره شغوفاً بالآلات الميكانيكية كغيره من التلاميذ الصغار . تراه يصنع العجلات ويحاول الوقوف على سر حركة الساعة وآلاتها الدقيقة . وقد صنع بنفسه آلة فوتوغرافية كاملة .

وقبل أن ينصرم القرن التاسع عشر نجح رذرفورد في صنع جهاز مغنطيسي لقياس الموجات على بعد عشرين متراً ، ووضع تقريراً حول ذلك نشرته مجلة علمية ، فلفتت إليه أنظار كبار العلماء . وسمع به بعضهم في إنكلترا فخصوه بمنحة لإتمام دراساته العلمية في جامعة كيمبريدج ، فاستقبله ج . طومسون ، رئيس معهد الأبحاث في هذه الجامعة أحسن استقبال .

وكان الراديوم قد اكتشف فأجرى عليه مختلف أنواع التجارب ، ووصل إلى تلك النتيجة الرائعة ، وهي أن عنصر الراديوم المشع يخرج منه نوعان من الإشعاعات ، الأول يمكن وقفه بواسطة حاجز من الورق المقوّى ، والثاني يخترق ما يجده في طريقه من حواجز إلى مسافة طويلة ،

وهو إشعاع قوي النفاذ جداً .

ولم تجد جامعة ماكغيل في مونتريال أستاذاً لعلم الطبيعة أحسن من رذرفورد ، مع أنه كان لا يزال شاباً في السابعة والعشرين . وكان لهذا المنصب أكبر الفضل في دفع أبحاث رذرفورد إلى الأمام ، وكذلك الحصول على أعز أمانيه ، وهي الزواج من حبيبته ميري ، فأرسل إليها لتلحق به في مونتريال .

وذاع صيته بعد نشره كتاب الإشعاع الذري سنة ١٩٠٤ . وبعد ثلاث سنوات عاد إلى انكلترا فتولى التدريس في جامعة مانشستر ، وإدارة مختبراتها التي قام فيها باختباراته التي أدت إلى اكتشاف الذرّة التي لم يكن يرجو رؤيتها ، والتي تكهّن بأنها على صغرها المتناهي تحمل طاقة هائلة في الوسع الحصول عليها لدى تحطيمها .

وقد توفي بنوبة قلبية سنة ١٩٣٧ عن ٦٧ عاماً ، قبل أن يشهد استخدام اكتشافه في الحرب والتدمير ،لأنه إنما اراده أداة تسخّر لسعادة العالم وزيادة رفاهيته . . .

نَصير الدّين الطوسي

لُقّب بالعلامة ، وهو « أحد الأفذاذ القلائل الذين ظهروا في القرن الثالث عشر ، وأحد حكماء الإسلام المشار إليهم بالبنان . . . مؤلفاته ورسائله في الرياضيات والفلك تكوّن مكتبة قيّمة زادت في الثروة الانسانية العلمية ودفعت بها إلى الارتقاء والتقدم . »

ولد في طوس سنة ١٢٠١ ، وتوفي في بغداد سنة ١٢٧٣ .

أنجز أكثر تآليفه في السجن الذي زجه فيه أحد الحكام أرضاء لبعض الحاسدين والحاقدين عليه من الوزراء . وقد أطلق سراحه الفاتح

المغـولي هولاكـو عندمـا استولى عـلى بغداد ، وقـرّبه منـه ، وجعله أميناً عـلى أوقـاف الممـالـك التي كـان يفتحهـا ويستـولي عليهـا . « وهنـا تجلت بـراعـة الـطوسي في أروع صـورهـا ، وتجـلى حبـه للعـلم ورغبتـه في البحث والدرس ، فاستغـل الأموال التي تحت تصـرّفه وأنشـأ بها مكتبـة كبيرة ، وبنى مرصد مراغة الـذي اشتهر بـآلاته وراصـديه . أمـا المكتبة فقـد احتوت عـلى كـل نفيس ونادر ، وكـانت الأولى من نوعهـا في العالم . ويـربـو عـدد كتبهـا عـلى ٤٠٠ ألف مجلد . . . وقـد وضـع الـطوسي كتبـاً كثيـرة في الحكمـة والجغـرافيـا والـطبيعيـات والمـوسيقى والتقـاويم والتـنجيم والأخـلاق والبصـريات ، وعـالج بعض المـوضـوعـات التي طـرقهـا الفـلاسفـة من قبله كالعقل والنفس . . . »

غالِيْليو

Galileo

حـاول والـده أن يحصر اهتمـامـه بميدان الطب ، ولكن الابن سمـع مصادفة درساً في الهندسة فحوّل ذلك مجرى تفكيره إلى الرياضيات .

ولـــد العالم الفلكي الايـطالي غاليليـو غاليلي في بيـزا سنـة ١٥٦٤ . وفي أثناء دراسته الطب اكتشف انتظام ضـربات رقـاص الساعـة فطبّق ذلـك عـلى توقيت النبض البشـري . وكمحاضر في الـريـاضيـات في جـامعـة بيـزا وضـع غاليليـو مبادىء علم حـركات الاجـرام مبيّناً ، استنـاداً إلى بـرج بيـزا المـائل ، أن الاجسـام ذات الثقل المختلف تسقط بـالسرعـة نفسها . وكـانت سخـريته من أولئـك الـذين لم يـوافقـوه عـلى نـظريتـه هـذه سبباً في انعـدام شعبيته . فاستقـال من منصبه الجـامعي ، وعـيـنّ في جـامعة بـادووى أستاذاً للرياضيات .

كانت اكتشافات غاليليو المتعلقة بالتلسكوب من أشهر ما قدمه إلى العالم من خدمات . وقد أتمّ هذا الفلكي صنع أول تلسكوب ، وهو أقل قوة من نظارات الأوبرا المعروفة اليوم ، في ٧ كانون الثاني ١٦١٠ . وبه رصد للمرة الأولى نجوم جوبيتر السيارة . ورأى كذلك البقع الظاهرة على وجه الشمس وهي تدل على أن الشمس تدور . وفي تلك السنة غادر بادووى إلى فلورنسا ، وفي السنة التالية زار روما حاملاً تلسكوبه .

في البدء تبنّى غاليليو نظرية كوبرنيكوس القائلة بأن الشمس هي محور العالم ،ولكنه خشي أن يتعرض إلى السخرية إذا قال بهذه النظرية. ولكنه في سنة ١٦١٣ تبنّى موقفاً تبيّنت السلطات البابوية فيه بعض الشذوذ عما ورد في الكتاب المقدس . وقد حذّر غاليليو من التمسك بنظريته الجديدة ، وتعليمها أو الدفاع عنها . ولكنه استطاع الحصول على نقض لهذا المرسوم البابوي ، ونشر بتشجيع من بعض أصدقائه (سنة ١٦٣٠) « محاورة تتعلق بالنظامين العظيمين في العالم » التي طبّقت الدنيا على رأسه . واستدعي إلى روما بعد ثلاث سنوات . وتحت طائلة التهديد بالتعذيب الذي لم تكن السلطات تنوي إنزاله به ، رجع العالم العجوز عن ارائه ونظرياته . وسُمح له بالعودة إلى فلورنسا حيث قضى السنوات الثماني الباقية من حياته في عزلة تامة .

وظل غاليليو يدرس ويعمل على الرّغم من فقدانه البصر سنة ١٦٣٧ . وقد مات بالحمى في ٧ كانون الثاني ١٦٤٢ .

فَاراداي

Michael Faraday

مايكل فاراداي عالم كيميائي وفيزيائي بريطاني يعتبر في طليعة

المختبرين الطبيعيين في تاريخ العلوم . فقد تشعبت أبحاثه إلى العديد من فروع العلم . ففي حقل الفيزياء اسمه على شفة ولسان كل طالب ، وفي حقل الكيمياء يقترن اسمه بكثير من الاكتشافات التي تضم عدداً من التركيبات الكيميائية الجديدة . وقد ساعدت أعماله في حقل الكهرباء على إيجاد الآلات المغنطيسية والتي تسير بقوة الدينامو .

أبصر هذا العالم النور بالقرب من لندن في سنة ١٧٩١ ، من أب حدّاد . دراسته تكاد تكون ابتدائية ، وقد تدرّب على العمل لدى مجلد كتب . ودرس العلوم الطبيعية في أوقات فراغه . وفي سنة ١٨١٢ استمع إلى المحاضرات التي كان يلقيها الكيمائي السر همفري دايفي الذي ما لبث ان طلب إليه مساعدته في بعض الأعمال الكيميائية . وفي سنة ١٨٣٣ عيّن فاراداي أستاذاً للكيمياء في المعهد الملكي ، ونال سنة ١٨٣٥ مرتباً سنوياً دائماً قدره ١٥٠٠ دولار لخدماته الجلى التي قدّمها إلى العلم. وحاضر في الأكاديمية الملكية ، ولكنه رفض رئاسة الجمعية الملكية . وقد منح أوسمة وألقاب شرف من كثير من البلدان الأوروبية .

وكان في حياته الخاصة شديد التعلق بأهداب الدين ، كريماً ، طيب القلب . وكان زواجه من سارة بارنارد زواجاً موفقاً ، طويلاً . وقد توفي سنة ١٨٦٧ .

فرويد

Sigmund Freud

العالِم النفساني النمساوي زيغموند فرويد (١٨٥٦ ـ ١٩٣٩) هو مؤسس التحليل النفساني الحديث . كان شديد الشغف والاهتمام بالبحث

العلمي الصرف اكثر منه بالطب . . وكان لبحث حول الطبيعة وضعه غوته أثر كبير في حمل فرويد على دراسة الطب في جامعة فيينا التي تخرّج فيها سنة ١٨٨١ . وقرر أن يتخصص في معالجة الأعصاب . إلا أن طبيباً نمساوياً روى له يوماً حادثة غريبة تتعلق بشفاء أعراض هستيريا . . فقد نوّم المريض تنويماً مغنطيسياً ، وحُمل على تذكّر الظروف التي بدأت فيها هذه الأعراض وشرح الانفعالات التي ترافقها . وكان ذلك بداية ما عرف فيما بعد بالتحليل النفسي .

ذهب فرويد إلى باريس سنة ١٨٨٥ للدراسة على يد الاختصاصي في أمراض الأعصاب جان مارتان شاركو الذي شجعه على إتباع الطريقة الثورية في معالجة الهستيريا من الناحية النفسانية . ولكن عمل فرويد في بادىء الأمر لقي معارضة شديدة عنيدة من زملائه .

وما لبث فرويد أن نبذ فكرة التنويم المغنطيسي كوسيلة لبعث الذكريات الدفينة ، وراح يبتدع طريقة دعاها الاشتراك الحر . فقد كان يعتقد أن الهستيريا سببها صدمة عصبية انفعالية ، وعادة جنسية بطبيعتها . وعمل فرويد وحده في هذا الميدان طوال عشر سنين . وفي سنة ١٩٠٦ انضم إليه عدد من الزملاء ، وفي سنة ١٩٠٨ التأم أول مؤتمر دولي للتحليل النفساني . وما هي إلا سنتان حتى تأسست جمعية دولية للتحليل النفساني . وزار فرويد أميركا سنة ١٩٠٩ فمنح الدكتوراه الفخرية في الشريعة . ولمناسبة عيد ميلاده السبعين تلقّى التهانىء من علماء العالم أجمع ، ومُنح مفتاح مدينة فيينا التي غادرها إلى لندن سنة ١٩٣٨ بعد مجيء النازيين إلى الحكم . وأكمل عمله في إنكلترا حتى وفاته .

ومن أشهر مؤلفاته « تفسير الأحلام » ، و « مقدمة عامة للتحليل النفساني » ، و « العقل الواعي وعلاقته بالعقل اللاواعي » .

فليمنغ

Sir Alexander Feleming

في مستشفى القديسة ميري القائم في حي بادنغتون في لندن مدخل تتوّجه هذه العبارة : « معهد رايت ـ فليمنغ لعلم الجراثيم »، أقيم تذكاراً لاثنين من أشهر علماء البكتيريولوجيا في العالم ، وتخليداً لعهد بارز في الطب البريطاني . فقد اكتشف إلمورث رايت كيفية إتقاء حمى التيفوئيد بالتلقيح ، واكتشف فليمنغ البنيسلين .

ولد ألكسندر فليمنغ (١٨٨١ ـ ١٩٥٥) ، من أب اسكتلندي مزارع من بلدة أرشايو ، وانتقل في الرابعة عشرة من سنيه إلى لندن حيث أنهى دروسه والتحق بمكتب للتفسير . وبفضل ميراث ضئيل آل إليه دخل العام ١٩٠١ مستشفى القديسة ميري . وبعد أن أظهر تفوقاً في دروسه ونال شهادة الطب العام ١٩٠٦ انضم إلى فريق العلماء البحاثين برئاسة رايت ، وكان مختبر هذا الأخير في مستشفى القديسة ميري حينذاك قبلة أنظار الأطباء والعلماء يتقاطرون عليه من مختلف أرجاء المعمور . وقد أوحت نظرياته الطبية المدهشة إلى برنارد شو فكرة مسرحيته المعروفة « معضلة الطبيب » .

وخلال الحرب العالمية الأولى رحل فليمنغ إلى فرنسا مع زملائه البحاثين أعضاء فريق رايت ، ووقف نفسه ووقته على دراسة قضية الجراح المعفنة .

أما اكتشافه البنيسلين فقد تأهب له بطريقة جد طريفة . . فقد كان مصاباً بزكام حاد ، ورغبةً منه في إشباع ميله وفضوله ، زرع في طبق زجاجي خاص بعضاً من إفرازات أنفه . فلاحظ ، لفرط دهشته ، أن الإفرازات هذه تحتوي على مادة تمنع نمو الجراثيم ، ما لبث أن عزاها إلى

دموعه التي كانت إذا ما وقعت فوق الطبق الزجاجي (أو المزرعة البكتيرية) تركت نقاطاً واضحة جميلة تختلف عن سائر أنحاء الطبق . فدعا هذه المادة الطبيعية المضادة للجراثيم « ليسوزيم » وهي نوع من « الأنزيمات » أو المواد المذيبة التي لها القدرة على قتل الجراثيم وإبادتها .

وبعد أعوام ستة ، أي في العام ١٩٢٨ ، لفت نظره في إحدى مزارعه البكتيرية نوع من الفطر أو العفن الأخضر ، وقد تسرّب إليها وعاش جنباً إلى جنب مع الجراثيم النامية في الطبق الزجاجي ، يشاركها غذاءها ويفسد عليها نقاوتها ووحدتها . . ونمت الجراثيم وانتشرت سريعاً في مختلف أطراف المزرعة الغذائية باستثناء منطقة معينة تحيط بالعفن من جميع الجهات . ذلك لأن الفطر أذاب ، في هذه المنطقة ، الجراثيم التي تنمو بجواره فجعلها ضعيفة هزيلة لا تأثير لها ولا خطر منها .

وعمد فليمنغ على الفور إلى فصل الفطر الدخيل أو العفن الأخضر لينقّيه تنقية تامة مما يحيط به من جراثيم ، ثم زرعه واختبر تأثيره القاتل في الجراثيم . ودرس تاريخ حياة هذا الفطر فأثبت أنه من النوع المسمى بنيسليوم نوتاتم . ومن ثم أنمى هذا الفطر في محلول غذائي خاص فظهر بعد أربعة أيام في السائل لون أصفر برّاق هو لون المادة الكيميائية التي بدأ الفطر يفرزها ، فأطلق عليها اسم البنيسلين نسبة إلى الفطر بنيسليوم .

وعلى الرغم من الجهود التي بذلها فليمنغ بعيد اكتشافه لم يستطع أن يجعل استعمال البنيسلين كمادة مطهرة في متناول الجميع .

إلا أن بعث هذه المادة العجيبة تم سنة ١٩٣٨ على يد البروفسور هوارد فلوري والدكتور أ . ب . كايين في مدرسة السير ويليام دَن للباثولوجيا الطبية بجامعة أوكسفورد عندما قررا مواصلة التجارب المختلفة

في هذا المضمار الانساني الجليل الفائدة .

واليوم ، بعد انقضاء أكثر من نصف قرن على اكتشاف البنيسلين، أصبحت هذه المادة على كل شفة ولسان ، وفي كل منزل . وقد اختبر الملايين من البشر في مختلف الأصقاع قواها المنقذة .

ومن أجل أعمالهم الباهرة في الحقل العلمي الطبي والانساني ،نال كل من العلماء فليمنغ وفلوري وكايين جائزة نوبل . وما بدأه فليمنغ في مستشفى القديسة ميري في لندن قد أتمه في اكسفورد فلوري الأوسترالي، وكايين الأوروبي الذي وجد في انكلترا ملاذاً وسلامة ، وقد عاونهم في أعمالهم عدد من البحاثين عرفوا بإسم فريق اوكسفورد . . .

يروى للسير ألكسندر فليمنغ فضلاً مزدوجاً على السير ونستون تشرتشل، رئيس الحكومة البريطانية الأسبق . فقد أنقذه فيلمنغ وهو بعد صبي من الغرق كما أنقذه بالبنيسلين في الحرب العالمية الثانية من خطر داء ذات الرئة التي أُصيب بها وكادت تودي بحياته . . .

ثابت بن قرَّة

وُصف ثابت بن قُرة بأنه « من الذين مهدوا لإيجاد حساب التكامل والتفاضل . ولد في حرّان سنة ٨٣٥ ، وتوفي في بغداد سنة ٩٠٠ . وقد تعددت نواحي عبقريته ، فنبغ في الطب ، والرياضيات ، والفلك ، والفلسفة ، ووضع فيها كلها وغيرها مؤلفات جليلة . ودرس العلم للعلم ، وشعر باللذة العقلية ، فراح يطلبها في الرياضيات والفلك ، فقطع فيها شوطاً بعيداً ، وأضاف إليها ، ومهّد إلى إيجاد أهم فرع من فروع الرياضيات هو التكامل والتفاضل (Calculus) . »

أتقن اللغات السريانية والعبرية واليونانية ، وهو يعتبر من ألمع من تركوا آثاراً في الترجمة عن هذه اللغات .

بدأ حياته صيرفياً في مسقط رأسه ، ولكنه ما لبث أن انتقل إلى بغداد ، مهد الحكمة آنذاك ، فانصرف إلى ما انصرف إليه الأوائل من العلماء . . . وقد ترك عدداً كبيراً من المؤلفات فقد معظمها خلال الحروب والاضطرابات .

وكان ثابت موضع احترام الخليفة المعتضد ورعايته . ومما يروى أنهما كانا يسيران ذات يوم في الفردوس ـ وهو بستان في دار المعتضد ـ وقد اتكأ الخليفة على ذراع ثابت . وبغتة سحب الخليفة يده من يد ثابت قائلاً : « يا أبا الحسن ، سهوت ووضعت يدي على يدك واستندت عليها ، وليس هكذا يجب أن يكون ، فإن العلماء يَعلون ولا يُعلَون ! »

كوبرنيكوس

Copernicus

العالم الفلكي البولوني نيقولاوس كوبرنيكوس أبصر النور في ١٩ شباط ١٤٧٢ في طورون ، من أعمال بولونيا البروسية . درس الرياضيات في جامعة كراكوفيا ، إلى جانب الرسم ، والاستماع إلى بعض المحاضرات في علم الفلك في بولونيا (بإيطاليا) . وقد حاضر هو نفسه في علم الفلك سنة ١٥٠٠ ، والتحق بكلية الطب في سنة ١٥٠١ ، ونال شهادة الدكتوراه في القانون الكنسي سنة ١٥٠٣ .

وفضلاً عن كل هذا النشاط المتشعب وجد كوبرنيكوس الوقت ليضع نظاماً جديداً لعلم الفلك . أما نظريته القائلة بأن الشمس ، لا الأرض ، هي وسط العالم فلم تنجز إلا سنة ١٥٣٠ ، ولكنه لم يوافق على نشرها إلا بعد عشر سنين . وقد وصلت النسخة الأولى المطبوعة منها إلى منزله في فراونبورغ في الوقت المناسب لتوضع على فراش موته ، بعد

أن أصيب بـالشلل سنـة ١٥٤٢ . وقـد تـوفي في ٤ أيـار ١٥٤٣ . ولحسن طـالعه لم ينتبـه إلى أن عمله الجبار هـذا الذي كـرّس له حيـاته قـد أفسـدتـه مقـدمة أقحمهـا مصحّح ألماني هـو أنـدريـاس أوسيـانـدر ، يلحّ فيهـا عـلى أن التفكير الذي تطلع به هذه النظرية هو محض افتراض وتخمين .

مَدَام كوري

Marie Curie

في سنـة ١٩٠٢ ، وقبـل أن تعلن مـاري سكلودفسـا كـوري إمكـانيـة وجـود الراديـوم بخمسة وأربعـين شهراً ، وذلـك بالتعـاون مع زوجهـا بيير ، نجحت مدام كوري في عزل ديسيغرام (أي جــزء من عشر من الغــرام) من الـراديوم الخـالص عن معدن البتشبلنـد . وكان بيـير يـرجـو أن يكـون لـون الراديوم جميلاً ، فإذا برجائـه يتحقق . فقد كـان الراديـوم مادة مشعـة . وقد سجلت مــاري رؤوس أقـلام عن تـطور عملهـما المشتــرك واقتــرابهــما من اكتشـافهما الخـطير عـلى هـامش أحـد كتب الـطهي التي كـانت تقتنيهـا ، إلى جـانب تعليقاتهـا البهيجة عـلى نمو ابنتهـما الصغيرة إريـن . وكـان مختبـرهـما كوخاً حقيراً صغيراً لا يعـرف التهويـة ولا الحرارة . . وكـانا يبتـاعان كميـات البتشبلند الضرورية لعملهما من دخلهما الضئيل المحدود .

ولـــدت ماري كـوري في فرصـوفيا في ٧ تشـرين الثاني ١٨٦٧ . وقـد اضطرت لمغادرة المـدينة لاشتـراكها في منـظمة ثـورية للطلاب . فـرحلت إلى بـاريس حيث نالت شهـادتها في العلوم الـطبيعية . وقـد تزوجت بيـير كوري سنـة ١٨٩٥ . وبعـد اكتشـافهـما هـذا العنصر الجـديـد الفعـال في معــالجـة السـرطان ، أمضى الـزوجان أعـوامـاً عـدة في البحث عن خصـائصـه . وفي سنـة ١٩٠٣ نالا وسـام دايفي الـذي تمنحـه الجمعيـة الملكيـة البـريـطانيـة ، واقتسما جائـزة نوبـل فِي الفيزيـاء مع هنـري بيكريـل ، العالم الفـرنسي الذي اكتشف خصائص الأورانيوم الراديوية .

وفي سنة ١٩٠٦ قتــل بيــير كـوري في أحــد شـوارع بـاريس إثـر صـدمة عـربة تجـرها الخيـل . فطـــلب إلى مدام كـوري أن تحتل مكـانه في السـوربـون ـ وهي المـرة الأولى التي يُسمـح فيهـا لسيـدة أن تتـولى منصباً تعليمياً عاليـاً . وقد زخـر البهو الـذي ألقت فيه محـاضرتهـا الأولى مستأنفـة الموضوع من حيث تركه بيير قبل وفاته . وفازت بجائـزة نوبـل للكيمياء سنـة ١٩١١ . ولمـا زارت الولايـات المتحدة للمـرة الأولى قدّم إليها الرئيس وورين هـاردنغ ، بـاسم نساء البـلاد ، غرامـاً واحـداً من الـراديـوم . وفي زيـارتهـا الثـانيـة قـدّم إليهـا مبلغ ٥٠ ألف دولار لشـــراء الـراديـــوم الـلازم لمختبـــر فرصوفيا ، مسقط رأسها .

وفي سنـــة ١٩٢٠ هددت مـدام كـــوري بـالعمى ، ولكن سلسلة من العمليـات الجـراحيـة أنقـذت بصـرهـا . ولكنهـا لم تكن تشعـر بـالـراحـة ، وعـرفت أنها ستضطر إلى هجـر العمـل . . وقـالت : « لست أدري إذا كنت أستـطيـع الحيـاة بـدون مختبـر ! » وتـوفيت في فـالانس (فـرنســا) في تمـوز ١٩٣٤ .

منّدل

Gregor Mendel

غـريغور يـوهان منـدل (١٨٢٢ ـ ١٨٨٤) راهب نمساوي وعـالم نبـاتي اشتهر بأنـه مكتشف مبدأ الـوراثة الـذي دعي باسمـه . فقد وضعت نـظرية مندل الوراثية نِسب الخصائص والميزات التي يورثها الآباء أبناءهم .

ولـد مندل في أسـرة من الفلاحـين في مـورافيـا . حـاول مـرتـين أن يصبـح معلماً ولكنه فشـل مرتـين في الامتحان . وأمسى راهبـاً ، ثم كاهنـاً . وقـد تكفّـل بتعليم أبنـاء أخيـه الثـلاثـة ، ووهب الكثـير من الهبـات . أمــا الاختبـارات التي أجراهـا في حديقـة الديـر فهي الأسـاس المعتـرف بـه لكـل المعلومـات العلمية عن قـوانين الـوراثة في مختلف أنـواع الحيـاة وأشكـالهـا .

وكانت تجاربه على الفاصولياء التي كان يلقّح مختلف أجناسها بعضها ببعض . وقد اعلن نتائج عمله على الملأ في أطروحة بعنوان تناسل النبات أصدرها في ٦ كانون الثاني سنة ١٨٦٥ . ولكنه توفي مغموراً . فلما كانت سنة ١٩٠٠ اكتشف أطروحته هذه ثلاثة علماء نباتيين .

اسحق نيوتن

Sir Isaac Newton

فجر يوم عيد الميلاد من سنة ١٦٤٢ أبصر النور في مقاطعة لنكولن بانكلترا ، طفل ذكر ، هزيل البنية ، قطعت القابلتان اللتان أشرفتا على ولادته المبتسرة بأنه لن يعيش حتى مساء ذلك اليوم . إلا أن المثل يقول : « كذب المنجمون ولو صدقوا » . . فقد عاش هذا الطفل الهزيل النحيل حتى الخامسة والثمانين .

كان ذلك الطفل اسحق نيوتن ، مكتشف الكون ، الذي قيل بحق إن عقله كان أروع عقل علمي عرفه العالم قاطبة .

والغريب في أمر اسحق نيوتن أنه كان من أسرة خاملة ، لم ينعم أحدٌ منها قبله بالمواهب التي كانت تنطوي عليها نفسه . وعبثاً حاول علماء السلالات البشرية ، والمهتمون بسيرته ، الكشف عن سر عبقريته الخلّاقة ، وعقله النيّر ، فلم يجدوا في حياة آبائه وأجداده طوال ثلاثة أجيال تسبق مولدَه ما يدلُّ على وجود أي مبرّر لعبقريته الفذّة ، ومواهبه غير العادية . . .

غير أن ظهور مواهب نيوتن كان بطيئاً . . فقد كان يسبقه في المدرسة أكثر زملائه ، في باديء الأمر . ولكنّ حادثاً جرى له مع أحد زملائه المتفوقين ، أدّى إلى إشتباك بينهما ، جعله يصمم على محو العار الذي لحقه وذلك بالتفوق على أقرانه . ومذ ذاك بدأت تتجلى مواهبه ، فأتمّ دراسته الثانوية وهو في التاسعة عشرة ، والتحق بجامعة كيمبريدج حيث أدهشت مواهبه الرياضية أساتذة الجامعة الذين تنبأوا له بمستقبل زاهر .

ولم يمضِ وقت طويل على ذلك حتى طرأت له فكرة تطبيق قوانين الجاذبية على كل العالم . غير أنه لم ينشر على الملأ نظريته هذه إلا سنة ١٦٨٧، بسبب انعدام بعض المعطيات العلمية الضرورية لحساباته . أما قصة التفاحة التي سقطت على رأسه ذات يوم وصرفت تفكيره إلى قانون الجاذبية فمصدرها الفيلسوف والأديب الفرنسي فولتير الذي صرّح بأنه سمعها من إحدى نسيبات نيوتن . ومع أن اكتشافه قانون الجاذبية الأرضية هو أبرز أعماله ، إلا أن أبحاثه عن الضوء كان لها تأثير كبير في الميدان العلمي . وهو الذي حلل الضوء ، وقال انه مجموعة من مختلف الإشعاعات التي تسبب الإهتزازات الملونة ، وما الضوء الأبيض إلا مزيج من هذه الألوان كافة .

وصنع نيوتن سنة ١٦٦٨ تلسكوباً رصد فيه نجوم جوبيتر السيارة . وقد أصبح عضواً في الجمعية الملكية بعد أربع سنوات . وفي سنة ١٦٩٩ أمسى عضواً مشتركاً في الأكاديمية الفرنسية . وقد منحته لقب فارس الملكة آن سنة ١٧٠٥ .

وفي سنته الخامسة والثمانين شعر بالمرض وهو يرئس جلسة للجمعية الملكية . وقد توفي في ٢٠ آذار ١٧٢٧ ودفن في كاتدرائية وستمنستر ، مثوى العظماء .

ابن الهَيثم

« ظهر في البصرة ، وكانت ولادته حوالى سنة ٩٦٥ ، ومات في مصر حوالى سنة ١٠٣٩ . ترك آثاراً خالدات في الطبيعة والرياضيات ، ولولاه لما كان علم البصريات (Optics) على ما هو عليه الآن . »

اعترف العالم الفرنسي فياردو بأن كتب ابن الهيثم في البصريات ، ولا سيما كتابه المناظر ، هي التي أمدّت العالِم كبلر بمعلوماته عن الضوء ، وبخاصة فيما يتعلق بانكساره في الجو . وظلت كتبه معيناً يستقي منه علماء

أوروبا طوال قرون .

وكان عالماً رياضياً وفلكياً وفيلسوفاً ، ترك الكثير من الرسائل والمصنّفات في هذه العلوم جميعاً ، فأسدى بذلك الخدمات الجليلة للعلم وللعالم .

ابْـن يـونس

ينسب الكثيرون اختراع رقّاص الساعة (البندول) إلى العالم الايطالي غاليليو . . ولكن المسلّم به أن مخترعه هو العالم المصري ابن يونس ، أحد مشاهير الفلكيين والرياضيين الذين ظهروا بعد البتّاني وأبي الوفاء البوزجاني . وقد ولد في مصر وتوفي فيها (١٠٠٩) . وعلماء الغرب أمثال سيديو وتايلر وسدجويك هم الذين يقررون ذلك ويقولون إن العرب استعملوا الرقاص لقياس الزمن .

« برع إبن يونس في المثلثات وأجاد فيها . وبحوثه فيها فاقت بحوث كثيرين من العلماء ، وكانت معتبرة جداً عند الرياضيين ولها قيمتها الكبيرة في تقدّم علم المثلثات . . . وهو أول من استطاع أن يتوصل إلى إيجاد قانون كان له قيمة كبرى عند علماء الفلك قبل اكتشاف اللوغارتمات إذ يمكن بواسطته تحويل عمليات الضرب إلى عمليات جمع . . . »

ومما يؤثر عن ابن يونس أنه نظم الشعر فأجاد فيه ، وهذه أبيات رقيقة له :

أجمل نشر الطيب عند هبوبه ... رسالة مشتاق لوجه حبيبه
بنفسي من تحيا النفوس بقربه ... ومن طابت الدنيا به وبطيبه
لعمري قد عطّلت كأسي بعده ... وغيّبتها عني لطول مغيبه
وجدّدَ وجدي طائف منه في الكرى ... سرى موهناً في خفية من رقيبه

***

مع الخالدين من المخترعين والمكتشفين

إديسُون

Thomas Alva Edison

يقف توماس ألفا إديسون (١٨٤٧ - ١٩٣١) في الذروة وحده في تاريخ العلوم التطبيقية . وقد سجلت باسمه ١٢٠٠ براءة اختراع ، وقدّرت احدى لجان الكونغرس ذات مرة قيمة اختراعاته بمبلغ ١٥ مليون ونصف المليون من الدولارات . وهو يفسر نجاحه وشهرته كما يلي : « اثنان بالمئة وحي والهام و٩٨ بالمئة عرق وجدّ وجهد ! »

ومن أشهر اختراعاته الآلة الكاتبة ، والفونوغراف ، والمصباح الكهربائي ، وآلة تصوير سينمائية ، وجهاز لاقط للراديو . وقد اتاح اكتشافه مفعول اديسون صنع الانبوب الالكتروني الحديث الذي تقوم عليه مبادىء الاذاعة اللاسلكية (الراديو) ، والتلفون على مسافات طويلة ، والصور الناطقة (السينما) ، والعين الكهربائية ، والاشعة المجهولة (اشعة ايكس) ، وسوى ذلك من المخترعات . . . وقد عمل في اواخر حياته في انتاج المطاط الصناعي . . .

تزوج مرتين ، ورُزق ستة أولاد اصبح احدهم ، تشارلز ، حاكماً لولاية نيو دجرزي .

كان اديسون ضعيف الذاكرة لا سيما في شبابه . . ففي المدرسة كان

ينسى كل ما يتعلمه ، ولذلك كان دائماً يأتي في مؤخرة زملائه من حيث الدرجة .

ويئس منه اساتذته ، وصرحوا بأنه خفيف العقل أبله ، لا فائدة من تعليمه ، أما الاطباء فتكهنوا بأنه مصاب بمسّ ، نظراً لشكل رأسه الغريب .

والواقع أن إديسون لم يقضِ في المدرسة سوى ثلاثة أشهر طوال حياته ، وتولت والدته تعليمه في البيت فكان عملها رائعاً ، إذ بدّل إديسون وجه العالم الذي نعيش فيه .

وازدادت ذاكرة اديسون قوة على مرّ الأيام ، لا سيما في الشؤون العلمية ، فكان يحفظ عن ظهر قلب كل الحقائق العلمية التي تزخر بها المجلدات الضخمة في مكتبته الخاصة . وكان ذا قدرة على حصر تفكيره في الموضوع الذي يشغله من دون سواه .

وذات يوم ـ وكان منهمكاً في حل معضلة علمية ـ اضطر للذهاب إلى المحكمة ليؤدي ما عليه من ضرائب ، ولبث وقتاً غير قصير في « الصف » منتظراً دوره ، فلما جاء دوره لم يتذكر اسمه . . ولحظ أحد الواقفين بجانبه ارتباكه ، فذكره بأن اسمه توماس إديسون .

وقد صرح وقتئذ بأنه لم يكن ليستطيع تذكر اسمه ، حتى لو كانت حياته معلقة على ذلك .

اعتاد اديسون أن يُمضي الليل وهو يعمل في مختبره ، وفي صباح يوم من الايام ، وكان ينتظر افطاره ليأكل ، اذا به يستسلم للرقاد . فأراد أحد مساعديه أن يمازحه ، فوضع أمامه على المائدة الطبق وعليه الصحون الفارغة ، بعد أن أكل هو طعامه . . ولما استيقظ اديسون رأى الصحون الفارغة ، وفنجان القهوة الفارغ ، وكسرات الخبز ، فظن أنه أكل قبل أن

ينام .. فتراجع قليلاً عن المائدة ، وتناول سيكاراً فأشعله ، ثم انصرف إلى عمله دون أن يخامره الشك في شيء .. ولم يدرِ حقيقة ما حدث إلا بعد ان انفجر مساعدوه ضاحكين .

بل

Alexander Graham Bell

ما ان أنهى مخترع التلفون ، الكسندر غراهام بل (١٨٤٧ - ١٩٢٢) ، دروسه في جامعة ادنبره بانكلترا حتى تلقّى دروساً في التدرّب على معالجة عوائق النطق على يديّ والده ، فكان ذلك ذخيرة له في الاطلاع على دقائق الصوت البشري ، واهتزازاته ، ونبراته مما كان له اكبر العون في اكتشافاته الكهربائية .

رحل بل إلى اميركا سنة ١٨٧١ حيث أصبح استاذاً لفيزيولوجية الصوت في جامعة بوسطن التي تحوّل فيها كل اهتمامه إلى اللاسلكي . وقد تبيّن له أن أسلاك التلغراف تنقل الصوت . واختار بل معاوناً له هو توماس واطسن الذي كان يصنع أدوات كهربائية من الافكار التي كان يزوّده بها . وقد أبصر التلفون النور في ٢ حزيران ١٨٧٥ . كان واطسن يعمل في غرفة ، وبل في غرفة اخرى عندما طرق سمعهما صوت غريب . وعلى الفور استدعى بل معاونه وطلب إليه أن يصنع بأسرع وقت ممكن آلة لنقل الصوت بعد أن حدّد له المواصفات الجديدة . وكانت النتيجة التي ظهرت بعد عشرة أشهر - علبة سيكار عتيقة وسلك طوله ٢٠٠ قدم وقطعتا مغنطيس - أول تلفون ناطق . وقد استعمل بل وواطسن هذا النموذج نفسه بعد اربعين سنة في أول حديث تلفوني بين نيويورك وسان فرنسيسكو .

وحصل على براءة لاختراعه واستثماره ، فبات عليه أن يروّجه . فراح يلقي سلسلة من المحاضرات مع القيام بالتجارب العلمية أمام المشاهدين لتنوير الشعب حول امكانيات اختراعه هذا . فلم تمض سنة واحدة حتى نجح في جعل التلفون عملياً من الناحية التجارية . وفي أقل من سنة اعطى هذا المشروع المساهمين فيه أكثر من ٢٠٠٠ دولار لقاء كل دولار استُثمر في الاصل في مشروع التلفون .

وفي سنة ١٨٨٠ منحت الحكومة الفرنسية بل جائزة فولتا وقدرها ١٠ آلاف دولار ، واتبعتها سنة ١٨٨٢ بصليب جوقة الشرف . فاستخدم هذا المخترع المبلغ لتأسيس مكتب فولتا في واشنطن لدراسة الصمم .

ومن اختراعاته « الفوتوفون » ـ وهو أساس الافلام الناطقة الحديثة ـ و« الغرافوفون » الشبيه بالغراموفون أو الفونوغراف (الحاكي) ، وجهاز لتحديد مكان الرصاص أو سائر المواد الصلبة التي تدخل الجسم البشري .

تزوج بل من مايبل هابارد ، إبنة احد معاونيه وشركائه المخلصين ، وكانت وفاته في ٢ آب ١٩٢٢ عن خمسة وسبعين عاماً . . .

تسيُولكوفسْكي

Constantine Tseolkovski

هذا العالم الروسي الذي قضى حياته في البحث عن وسائل السفر إلى الكواكب ، وقاوم الاضطهاد والعنت ، وعاش في أسوأ الظروف ، ولد سنة ١٨٥٧ في قرية ازيفسكايا . وفي مدينة كالوغا منزل يقوم الآن على حدودها ، وعند شارع ينحدر إلى ضفة نهر اوكا ، يحمل لوحة نحاسية نقشت عليها هذه العبارة :

« هنا عاش وعمل كونستانتين تسيولكوفسكي ، العالم المخترع ، مؤسس نظريات الصواريخ ، والرجل الذي تنبأ بأن الطائرات النفاثة ، وسفن الفضاء ، وقطارات الصواريخ ، والاقمار الصناعية ، لا شك ستتلو الطائرات ذات المحرك التوربيني » .

كان والده حطاباً ، وقد اصيب بالصمم منذ طفولته نتيجة مرض ثقلت عليه وطأته . فلم يتمكن من متابعة الدروس في المدرسة ، فراح يعلّم نفسه بنفسه ، ويطالع كل ما تقع عليه يده من كتب . ولما نزح إلى موسكو جعل يقضي وقته في دور الكتب العامة مستزيدا من العلم حتى اصبح استاذاً للرياضيات والطبيعيات ، في مدينة بورفسك ، ثم في كالوغا التي بقي فيها حتى وفاته .

ملكت عليه فكرة الطيران بعيداً عن جاذبية الارض كل مشاعره وهو بعد في السادسة عشرة من سنيه .

وقد بدأ اثناء اضطلاعه بالتعليم العمل الجدي في الابحاث العلمية التي اوصلته إلى اكتشافاته في حقول الطيران والصواريخ والسفر بين الكواكب والجيوفيزياء . وقد صنع بنفسه كل الادوات التي يحتاج إليها في اختباراته لانه كان فقيراً معدماً .

ومن أبرز مؤلفاته « الفضاء » و« كشف غوامض الفضاء باستعمال آلات تطير بالقوة النفاثة » . والعالم اليوم يعرف الكثير عن ابحاثه القيّمة مثل « سفينة الفضاء » ، و« المحرك النفاث » أو « الطائرة الصاروخية » ، و« مركبة الفضاء » . . . ويرجع الفضل إلى تسيولكوفسكي في وضع تصميم أول صاروخ .

« وأهم أعمال هذا العالم العبقري ، الصاروخ ذو المراحل ، وقطارات الصواريخ . . ومشروعه للصاروخ ذو المراحل المتعددة ، الذي

قدّمه سنة ١٩٢٩ ، هو الاساس الذي قام عليه الصاروخ عابر القارات ، الذي حمل القمرين الصناعيين اللذين اطلقتهما روسيا أخيراً ، والواقع أن الأقمار الصناعية هي الخطوة الحقيقية الاولى في سبيل حل مشكلة السفر إلى الفضاء .

الأخوان رَايت

Wilbur and Orivlle Wright

منذ أكثر من ٨٠ سنة جرى في ولاية اوهايو الاميركية حادث بدا تافهاً في ذلك الحين ، ولكنه سرعان ما قلب حياتي وحياتك وحياة البشر اجمعين رأساً على عقب .

ففي ذات يوم من مطلع هذا القرن دخل أورفيل رايت (١٨٧١ - ١٩٤٨) احدى دور الكتب في بلدة دايتون وتقدّم من أحد الرفوف وتناول مجلداً يتحدث عن قصة رجل الماني يدعى ليلنتال تمكن من الطيران بواسطة « طائرة » ضخمة من « الطائرات » التي صنعها ويلهو بها الفتيان .

ملكت قصة ليلنتال على أورفيل مشاعره وبات ليلته ساهراً يفكر في ما قرأ . . وما لبث أن قصها على اخيه ويلبور (١٨٦٧ - ١٩١٢) ، وأثار حماسته لقضية الطيران . ومذ ذاك عكف الأخوان رايت على تحقيق فكرة بساط الريح ، وانتهيا إلى اختراع الطائرة التي خلدت اسميهما .

لم يكن الأخوان رايت على علم كثير ، ولم يكن في حوزتهما أي شهادة مدرسية ، بل كان لديهما ما هو أهم من الشهادات - كان لديهما الطموح ، وقوة الخيال ، وحب الابتكار

زاولا منذ حداثتهما اعمالاً كثيرة وغير عادية ليكسبا معيشتهما ،

ولكن فكرة الطيران كانت تمتلك عليها تفكيرهما ، وتستأثر بالنصيب الاوفر من اهتمامهما . وكم صنعا من الطائرات الصبيانية وجرّبا التحليق بها - أو بالاحرى النزول بها - من على قمة « أكمة الشيطان » في كيتي هوك ، من أعمال ولاية كارولاينا الشمالية ، حيث الريح بحرية مثقلة بالملح ، وحيث الرمال ناعمة كثيفة ، إلى أن تسنى لهما بعد بضع سنوات تزويد احدى طائراتها بمحرك من صنعهما .

وحددا يوم السابع عشر من كانون الأول سنة ١٩٠٣ موعداً للتحليق بطائرتهما الجديدة . واجريا القرعة لمعرفة أي الأخوين سيقوم بالتجربة الخطيرة والخطرة في آن معاً ، فوقعت على اورفيل . فصعد إلى الطائرة في ذلك اليوم القارس البرد دون أن يرتدي أي معطف خوفاً من زيادة حمولة الطائرة ، في حين كان المتفرجون يرتعشون من شدة الصقيع ويرقصون ويقفزون ليدفأوا .

وفي تمام الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين حلقت الطائرة بأورفيل مرسلة أصواتاً غريبة مزعجة ونافثة اللهب من ناحية المحرك ، وأخذت تعلو وتهبط مدة اثنتي عشرة ثانية تاريخية حتى حطت على مسافة مئة قدم من مكان انطلاقها .

وكان ذلك حدثاً تاريخياً عظيماً ، ونقطة تحوّل في تاريخ الحضارة البشرية . ولكن الاخوين رايت كانا على جانب عظيم من التواضع . ويحكى أن ويلبور دس يده ذات يوم في جيبه ليتناول منديله فوقعت على الارض شريطة حمراء . فلما سألته شقيقته عنها اجابها بفتور ولامبالاة : « آه لقد نسيت ان اخبرك عنها . . انها شريطة وسام الاستحقاق الذي منحتني اياه الحكومة الفرنسية بعد ظهر هذا اليوم ! » وكانا شديدي التعلق بأهداب الدين ، لا يطيران ايام الاحاد . وقد رفضا طلب ملك اسبانيا عندما رغب إليهما أن يصحباه في نزهة جوية في يوم أحد .

وعاشا عازبين لانهما ـ كما قال والدهما ـ لا يستطيعان الاهتمام بالزوجة والطائرة في وقت معاً . وقد فضّلا الطائرة . . .

زامنهُوف



Ludovi Zamenhof

في الخامس من كانون الأول ، لحوالي مائة سنة خلت ، أقام جماعة من الطلاب الشباب في فرصوفيا ، عاصمة بولونيا ، حفلة تذكارية . وكان المحتفى به شاباً لم يتجاوز العقد الثاني من العمر يدعى لودوفيك زامنهوف . لم تكن الحفلة لمناسبة عيد ميلاد الشاب ، بل لمناسبة ولادة اللغة التي ابتكرها ، وهي اللغة التي اطلق عليها فيما بعد اسم « اسبيرنتو » ـ اللغة العالمية .

خطرت الفكرة للودوفيك زامنهوف وهو بعد حدث غرّ . فقد كانت بلدة بيالستوك التي أبصر فيها النور سنة ١٨٥٩ مسرحاً لنزاعات ومشاحنات كثيراً ما كانت تؤدي إلى معارك حقيقة تسيل فيها دماء المتشاجرين من الروس والبولونيين والليتوانيين والالمان وسواهم . وسرعان ما أدرك لودوفيك الصغير أن السبب في اثارة هؤلاء واشتجارهم يعود في الدرجة الأولى إلى سوء التفاهم الناشيء عن جهل فريق منهم لغة الفريق الآخر . وهكذا راح يحلم ، ليل نهار ، بايجاد لغة عالمية يكون تعلمها سهلاً على الجميع .

كان لودوفيك في المدرسة طالباً نجيباً ، حاد الذكاء ، ولوعاً بتعلم اللغات على اختلافها ، وكثيراً ما كان يتساءل : هل بالامكان بعث احدى اللغتين الكلاسيكيتين الاغريقية واللاتينية لتحقيق الغاية المنشودة ؟ ولكن كلتا اللغتين قديمة وصعبة . فانتقل إلى اللغات الحديثة باحثاً عن

ضالته المنشودة ، فما عتم أن أدرك أن أختيار لغة من اللغات الحية سيجر حتماً إلى منازعات دولية حادة وتبقى المشكلة هي اياها . ذلك بأن الامم ، كالافراد ، يغار بعضها من البعض الآخر . فإذا استُعملت لغة أمة من دون اللغات الاخرى قامت قيامة الامم الاخرى . فلم يبق أمام لودوفيك الا ابتكار لغة جديدة يرضى عنها الجميع .

حبس البولوني الشاب نفسه في غرفته وانصرف الى درس موضوع اللغة العالمية . وظل معتكفاً إلى أن لمح بصيصاً من النور يضيء له السبيل المظلم الذي سلكه . فقد اكتشف بفضل انكبابه الطويل على دراسة اللغات الحية ، كلمات مشتركة في عدد من الالسن تتشابه منها الاشكال المألوفة لكل معنى من المعاني ، فأدخلنها لغته الجديدة ، وراح يتهجأ كل كلمة تهجئة صوتية .

واكتشف كذلك انه ليس من الضروري تعلّم صرف هذه اللغة ونحوها للتضلع منها . وهكذا انتهى إلى وضع ستة عشر قانوناً اساسياً تفي بالاغراض اللغوية جميعاً . وبدلاً من أن يضع قاموساً ضخماً لمفردات اللغة العالمية وضع حروفاً تضاف إلى أوائل الجذور واواخرها . وتم له انهاء هذا المشروع الحيوي وهو بعد في التاسعة عشرة .

إلا أن زامنهوف لم ينشر صنيعه اللغوي هذا على الملأ وقتئذ ، فقد وقف والده حجر عثرة في سبيله ، ونصح له بنزع هذه الافكار الخيالية من رأسه واتخاذ مهنة من المهن الشريفة يكسب بها قوته . فذهب لودفيك إلى موسكو لدراسة الطب ، واقام فيها سنتين كاملتين عاد بعدهما إلى فرصوفيا لان والده عجز عن امداده بالمال لانهاء دراسته الطبية . ولكنه صُعق لدى رجوعه إلى البيت إذ وجد والده قد احرق جميع المخطوطات والمستندات التي وضعها في لغته العالمية الجديدة . إلا أن هذه الصدمة لم تفت في عضده ، فجدد محاولته وأخذ بتحبير الاوراق مدوناً كل ما وعته

ذاكرته من القواعد والقوانين التي تم له وضعها من قبل . وفي الوقت نفسه كان يدرس الطب بعناية ويجتاز الامتحانات بنجاح .

بدأ لودوفيك بترجمة مقاطع من الكتاب المقدس وبعض المؤلفات الكلاسيكية القيّمة ، باذلاً جهده في المحافظة على جمال هذه المقاطع وهو ينقلها باللسان الجديد ، وكان يتلوها بصوت جهوري محاولاً أن يخلق لغة ذات رنة وايقاع موسيقيين ليسهل التكلم بها .

وعكف على التأليف نثراً وشعراً رغبة منه في مهر اللغة العالمية بالدم الجديد الضروري لحياتها ، وكان كل قصده أن تأتي لغة بسيطة التناول ، سهلة ، طبيعية لا تكلف فيها ولا تصنّع ، تجاري الاغراض البشرية . وكان يريدها ، فوق كل هذا ، جميلة لها أحسن الوقع في السمع والنفس . ولم تنصرم السنة ١٨٨٦ حتى كان لودوفيك مستعداً لأن يفاجىء العالم باختراعه .

تخرّج في تلك السنة في كلية الطب طبيباً في أمراض العيون ، وما لبث أن تزوج . ولولا حموه لما اتيح له نشر كتابه في اللغة العالمية مشتملاً على قواعدها الاساسية في الصرف والنحو ، والتمارين ، والترجمات ، والمفردات الخ . . .

وقد ظهر كتابه بالروسية ممهوراً بامضاء الدكتور اسبيرنتو ، ومعنى ذلك ، الشخص الذي يأمل كذا وكذا . . وسرعان ما وجد هذا الكتاب طريقه إلى الاوساط الفكرية التقدمية . ونشطت مراسلة بين لودوفيك زامنهوف وبعض اتباعه وبينهم الروائي الروسي الاشهر ليو تولستوي . واعيد طبع هذا الكتاب بالروسية . ثم نُشر بالبولونية والالمانية والانكليزية والفرنسية . وتنازل المؤلف عن جميع حقوقه مهدياً اثره اللغوي إلى العالم بأسره . وهكذا اصبحت اللغة العالمية ملكاً لكل من يود

استعمالها .

في السنة التالية نشر زامنهوف كتاباً آخر باللغة الجديدة ، فكثر اتباعه واشياعه ، وراح بعضهم يؤلف ويترجم باللغة العالمية هذه . وكانوا يتقابلون من آن إلى آخر للتكلم بها . وفي سنة ١٨٨٩ صدرت الصحيفة الاولى بالاسبيرنتو في مدينة نورنبرغ الالمانية ، وتولى زامنهوف رئاسة تحريرها بعد بضعة عشر شهراً من صدورها . واخذ عدد المتكلمين بالاسبيرنتو يتكاثر يوماً عن يوم بالرغم من المصاعب المالية التي كانت تعترض سبيل هذه اللغة إلى النجاح . وظلت صحيفة زامنهوف تصدر بانتظام حتى العام ١٨٩٥ عندما منعت الرقابة الروسية دخولها إلى البلاد ، وكانت سوقها رائجة رواجاً عظيماً في موطن القياصرة . وقد اعتمدت الرقابة الروسية تلك الخطة بعد أن أخذت الصحيفة تترجم مؤلفات تولستوي .

لم يرَ زامنهوف بداً من مزاولة مهنة الطب ، ولكنه سرعان ما وجد المداواة تكلف غالياً فيعجز الفقراء والعمال عن التداوي . فكان يعالج مرضاه مجاناً ويرفض أن يتقاضى أي أجر من المعوزين . وقد انصرف إلى تقوية حركة الاسبيرنتو الناشئة في وقت فراغه .

وبعد أن قضي على الاسبيرنتو في الامبراطورية الروسية تسابقت انكلترا وفرنسا الى احتضان هذه الحركة . وعطف على اللغة عدد كبير من الكتّاب والمثقفين بينهم الصحفي الكبير وايكم ت . ستيد . وفي العام ١٩٠٤ صدرت صحيفة انكليزية خاصة بلغة الاسبيرنتو كانت لسان حال اتباع اللسان الجديد في الجزر البريطانية . وفي السنة نفسها عقد انصار الاسبيرنتو مؤتمرين هامين ، تألف أولهما من انكليز وفرنسيين في ٧ آب في مدينة كاليه ، والآخر في ٨ منه في مدينة دوفر الانكليزية . وقد قرر المؤتمرون بعد النجاح الذي لاقوه عقد مؤتمر دولي في أقرب وقت ممكن .

وانعقد سنة ١٩٠٥ مؤتمر عام في مدينة بولوني الفرنسية وجرت المداولات بالاسبيرنتو .

كان ذلك في نظر زامنهوف حلماً يتحقق . ولم يكن المجتمعون ، وقد بلغ عددهم السبعمائة» بأقل حماسة منه . وبالرغم من كون المؤتمرين من مختلف انحاء المعمور فانهم بدوا اخواناً وأخوات باستخدامهم الاسبيرنتو اداة للتفاهم . وقد تكلم كثير منهم بهذه اللغة للمرة الاولى ، ونجح المؤتمر ، وتوطدت جذور الاسبيرنتو في مختلف اقطار العالم .

ارتاح زامنهوف إلى الثمار التي آتتها جهوده المتواصلة ، وظل هو وانصاره يعقدون المؤتمرات الدولية منذ العام ١٩٠٠ حتى نشوب الحرب العالمية الاولى . وكان زامنهوف دائم التنقل بين كيمبريدج وجينيف ودريزدن وبرشلونه وانتويرب وبرن حيث كان يحتفى به ويُستقبل أحسن استقبال . وكان مقرراً أن يعقد المؤتمر العاشر في باريس سنة ١٩١٤ ، ولكن نشوب النزاع العالمي الأول عامئذ حال دون ذلك . وعاد ابو الاسبيرنتو الى فرصوفيا يواصل العمل الضخم الذي بدأه وشرع يقطف ثماره . وهناك عكف على التأليف والنظم والترجمة باللغة العالمية . ومن آثاره الخالدة ترجمة العهد القديم من الكتاب المقدس عن الاصل العبري .

مرض زامنهوف ابان الحرب الكونية الاولى وهو بعد في منتصف العقد السادس . ولكن الحياة العقلية التي عاشها اثرت في صحته وانهكته . ومع ذلك ظل يعمل ويعمل من أجل السلم الذي كان يرجوه وشيكاً . ولكنه قضى قبل ان تكتحل عيناه بطيفه ، وكانت وفاته في ١٧ نيسان ١٩١٧ ، فدفن في فرصوفيا نفسها . أما روحه فلا تزال حية في نفوس الكثيرين . وقد ادى الاسبيرنتو خدمات جلى للمسافرين ، والساسة ، والتجار ، ورجال الاعمال ، والعلماء ، والعامة على السواء . وفي سنة ١٩٣٢ اصدرت عصبة الامم في جينيف تقريراً اوصت فيه

باستخدام هذه اللغة العالمية ، كما درج مكتب العمل الدولي مذ ذاك على نشر تقاريره ومختلف نشراته بالاسبيرنتو اسوة باللغات الاخرى .

وتُدرّس هذه اللغة اليوم في بعض المدارس . وقد ظهرت بها كتب ، وروايات ، ودواوين شعرية ، ومسرحيات ، وافلام ، وأناشيد . وقبل نشوب الحرب العالمية الثانية عمدت بعض محطات الاذاعة إلى اذاعة فقرات من مناهجها بهذه اللغة المستحدثة . وفي العالم اليوم مئات من المجلات والصحف اليومية تصدر بالاسبيرنتو . وهناك كتب خاصة بالعميان يستخدمها مكفوفو البصر في انحاء المعمور .

وفي العام ١٩٢٦ اعترف الاتحاد الدولي اللاسلكي بالاسبيرنتو لغة رسمية واضحة . وتشير الاحصاءات الرسمية إلى أن عدد الذين يعرفون هذه اللغة ويتفاهمون بها اليوم يربي على بضعة ملايين . . .

حسن كامل الصَبَّاح

« كان كامل الصبّاح يفخر دائماً أمامنا بلبنانيته وعروبته ـ ان لكامل من المخترعات أكثر مما لأي مهندس آخر في شركة جنرال ايلكتريك ـ الشركة تفخر بنبوغ الصبّاح وعبقريته ـ لقد برهن الصبّاح أثناء عمله في شركتنا على انه من أعظم وألمع المفكرين والرياضيين في البلاد الاميركية ، وان وفاته خسارة عظيمة لعالم الاختراع ـ كان الصبّاح مهتماً في المدة الاخيرة بمشروع كهربة الولايات المتحدة بواسطة التيار المتواصل ، وقد اقنع جميع مهندسي الشركة بامكانية تحقيق هذا المشروع ـ كان الصبّاح من المدرسة التي أُعجبت بالانابيب الالكترونية فدرسها واستخدمها لمنفعة العالم ـ كان الصبّاح بيننا كالمعلم بين أطفاله ، يلعب بآرائنا ونظرياتنا الرياضية كما يشاء ـ كان الصبّاح الوحيد بيننا الذي تجرأ على مناقشة آراء آينشتاين الرياضية وانتقادها والتحدث عن النسبية كأنه آينشتاين

نفسه ـ دماغ الصباح يشتغل دائماً وهو يحوي قدر حمسه ادمغه .

هـذا بعض ما قيـل في المختـرع اللبنـاني كـامـل الصبّـاح الـذي زادت اختـراعـاتـه عن السبعـين ، سجلت معـظمهـا شـركـة جنـرال ايلكتـريــك الاميـركية التي كـان من كبار مهنـدسيهـا وعلمـائهـا ، في دائـرة التسجيـل في واشنطن ، وفي معظم دول العالم .

وكـان يجول في فكـره اختراعـان عظيمـان لـو لم يعـاجله المـوت همـا : التلفزيون (وقد عمل فيـه منذ سنـة ١٩٢٣ عندمـا دخل الشـركة وكـاد يعلنه لو لم يسبقه إلى ذلك العالم الانكليـزي بارد)، وتحـويـل نـور الشمس إلى قـوة محــركـة وتيــار كهـربــائي يقـوم مقــام البنــزين والفحم في تسيــير الآلات الميكـانيكية . . وقـد بلغ ما انفقتـه الشركـة على تسجيـل هذا الاختـراع ربع مليون دولار . . .

أبصر كـامـل عـلي الصبّـاح النـور في النبـطيــة في ٢٢ آب ١٨٩٤ من أبـوين صـالحـين وبيتيّ علم وأدب . . معـاً في بني الصبّـاح ، ومحـوّلاً في بني رضـا ، من أسر النبطيـة المعروفـة . فـآل أبيـه من أسـرة تـرجـع بنسبهـا إلى الشيـخ الصبّـاح امــير الكـويت الاول ، وتتحــدر من ســلالــة يعقـوب بن الصبّـاح ، الفيلسـوف الـريـاضي الشهـير الـذي عــاش في أوائـل الــدولـة العبـاسية . وقـد أثرت التـربية البيتيـة الصالحـة في تكوين اخـلاقه العـالية . وكـان منذ حـداثته ذكيـاً ، سريـع الخاطـر ، مولعـاً بـالحسـاب ، والشعـر ، والفلك .

دخـل مـدرسـة النبـطيـة الابتـدائيـة سنـة ١٩٠١ ، وقــد درس الجبـر والهنـدسة من تلقـائه وهـو بعد في الـرابعة عشـرة من سنيـه . ثم انتقـل مـع الفئـة المحظوظـة من التلامـذة إلى بيـروت حيث درس في المـدرسـةالاعدادية السلطانيــة (١٩٠٨) . وبقي فيهـا اربــع سنـوات ثم انتقــل إلى الجـامعــة

الاميركية في بيروت فدرس الهندسه ، وقد ساعده على تحمّل نفقات الدراسة الاستاذ هال ، رئيس القسم الاستعدادي في الجامعة ، ضناً منه بمواهب هذا النابغة .

ودُعي للجندية سنة ١٩١٦ فدخل الجيش التركي برتبة ملازم في سرية اللاسلكي في الاستانة ، ثم نُقل في نهاية السنة نفسها إلى غاليبولي بعد أن رقي إلى رتبة ملازم أول وتسلم قيادة مفرزة اللاسلكي بعد استقالة قائدها الالماني .

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها عُيّن استاذاً للرياضيات في المدرسة السلطانية في دمشق . ومن دمشق عاد الى بيروت بعد سقوط حكومة الملك فيصل الأول ، فعيّن استاذاً للرياضيات في الجامعة الاميركية (في الصفوف الثانوية) . ولم يطل به المقام في بيروت فغادرها إلى الولايات المتحدة ليلتحق بجامعة بوسطن (كلية العلوم لدراسة الهندسة الكهربائية) حيث قضى سنة واحدة ليغادرها إلى جامعة إيلينوي لدراسة الرياضيات العليا ، وقد ظل يتابع دروسه في هذه الجامعة حتى ١٠ آب ١٩٢٣ عندما قرر دخول شركة جنرال ايلكتريك في نيويورك ، وهي من أعظم الشركات الكهربائية في العالم . فبدأ عمله الشاق في هذه الشركة بمرتب اسبوعي قدره ١٧ دولاراً ، رُفع فيما بعد إلى ٢٥ دولاراً .

وكانت نهاية هذا المخترع اللبناني في حادث سيارة في ٣١ آذار ١٩٣٥ في مدينة شنكتدي الاميركية ، وهو بعد في الاربعين من عمره ، وفي ذروة مجده العلمي ، يسير من نصر إلى نصر في حقل الكهرباء . . . وقد اكتنفت موته الشكوك على الرغم مما قيل انه كان قضاء وقدراً . وقيل ان في الأمر جريمة مبعثها الغيرة والحسد اللذان كان يكنهما له زملاؤه المهندسون من جهة ، ولأن بعض اختراعاته كان يؤثر تأثيراً اقتصادياً سيئاً على مصالح الكثير من المؤسسات والشركات الاميركية ، وأصحاب

الامـوال من كبـار الرأسمـالـيين ، من جهـة أخـرى . . فقـد كـان يعمـل باختراعاته على هدم النـظام الآلي رأساً عـلى عقب وذلك بكهـربة الحيـاة على اختـلاف انـواعهـا . ولـو أن الله مـدّ في اجله وتم تحـويـل نـور الشمس إلى كهرباء وقوة محركة لأصاب شركات البترول العالمية بأشد النكبات .

غوتنبرغ

Johanne Gutenberg

عـامل المـطبعة الالمـاني يوهـان غوتنبـرغ (١٣٩٧ ـ ١٤٦٨) هو مختـرع الـطباعـة بالحـروف المتحركـة . . لم يحظَ إلا بالقليـل من الدعـاية . اسمـه لم يـظهر عـلى أي نشرة أو كتـاب أصدرتـه مطبعتـه . حتى اصدقـاؤه وأسياده لم يقرنوا اسمـه باختـراعه هـذا لدى حـديثهم عنه . وليس ثمـة صورة حقيقيـة لـه ، وتُعتبر كـل رسومـه التي تبـدو عـلى المـداليـات والانـواط والتمـاثيـل أو الصحائف المحفورة زائفة . . .

كـل ما نعـرف عن حياتـه الاولى أنه وُلـد في بلدة مـاينـز ، وأن اسمـه الحقيقي جنسفـلايش . كان سنـة ١٤٣٤ في ستراسبـورغ حيث وقّع اتفـاقيـة مـع بعض الاشخـاص لتعليمهم اصـول الـطبـاعـة . فلما تـوفي أحـدهم فُسخت الاتفاقية وعاد غوتنبرغ إلى ماينـز حيث موّلـه أحد الصـاغة ، يـوهان فـوست . إلا أن هـذا مـا لبث أن سحب مسـاعـدتـه المـاديـة عنـدمـا عجـز غـوتنبرغ عن تسـديد ديـونه . أمـا أول كتاب أصـدرتـه المـطبعـة التي مـوّلهـا فوست فيُعتبر تـوراة مازاران الـذي أنجز طبعـه سنة ١٤٥٦ ، كـما يعتبر أول كتـاب طبع بـالحروف المتحـركة . ولعـل هذه الـوسيلة الجديـدة في الطبـاعـة كان لها ، اكثر من أي اختراع آخر ، الفضل الاكبر في نشر المعرفة .

بنيَامين فرنكلين

Benjamin Franklin

كـان بنيامـين فرنكلين (١٧٠٦ ـ ١٧٩٠) سيـاسيـاً ، وكـاتبـاً ، وعـالمـاً طبيعيـاً ، وفيلسـوفـاً . وكـان ذكيـاً ، سـريـع الخـاطـر ، خفيف الـروح ، وصـاحب نكتـة وهـو أول من أسس مكتبـة عـامـة للمـطالعـة في اميـركـا باشتراكـات شهريـة ، والمكتبات النقـالة . وقـد بنى الاكاديميـة التي أصبحت فيما بعد جامعة بنسلفانيا .

كـان « أول اميركي متمـدن » . كـان أصغـر ابن لأصغـر ابن لأصغـر ابن . كـان أول فيلسـوف اميـركي . كـان أول سفـير اميـركي . كـان أول رسام كاريكـاتوري . كـان اشهر سبـاحي عصره . اختـرع الهرمـونيكا (آلـة موسيقية) . اخترع الكرسي الهزّاز . اخترع مصابيح الشوارع .

اكتشف الغـولف ستريم ، وهـو التيـار الحـار الـذي يجتـاز المحيط الاطلسي مبتـدئـاً من خليـج مكسيكـو عبـر مضيق فلوريـدا . كـان أول من شكّـل قوة للشـرطة ، ونـظّم دائرة تنـظيف الشـوارع . . أوجـد الاعـلانـات التجـارية ، وكـان أول من استخـدم الصـور في هـذه الاعـلانـات . اختـرع المنـظار . وألّف كتـاب الصلاة الملخص بـالانكليزيـة . وكان أول من أدخـل الاصلاحات على التهجئة الانكليزية . . .

كـان أول من اكتشف ان الهـواء الخـارج من الصـدر لـدى التنفّس سـامّ ، وأول من أوجد نـظام التهويـة . وهـو أبـو طب الاسنـان الحـديث . أسس الحـزب الـديمقـراطي ، وظـل رئيسـاً لـولايـة بنسلفـانيـا أربـع مـرات متـوالية . . اكتشف ان البـرق والكهربـاء شيء واحد . وهـو أول من وضـع خريطة مفصلة لمجرى الزوابع الشمالية الشرقية . . .

وبنيامين فرنكلين هو مخترع المدفأة المعروفة بمدفأة فرنكلين ، وقد رفض أن يسجلها ويحتفظ بحقوقه المكتسبة لكي يتاح للجميع استخدامها . وهو صاحب فكرة قضيب الصاعقة ، وأول من قرر وجه الشبه بين البرق والكهرباء مستخدماً في تجاربه الطائرة المصنوعة من الورق .

وكان مبرزاً في السياسة ، فانتُخب عضواً في الكونغرس ، وعمل في لجان مختلفة أهمها اللجنة التي نيطت بها مهمة سن وثيقة اعلان الاستقلال . وفي اواخر العام ١٧٧٦ رحل إلى فرنسا برفقة دجون هاي ودجون آدامز لمفاوضه اركان الدولة الفرنسية في عقد معاهدة تحالف ، فأحبه الفرنسيون لخفة روحه ونباهته . وتوطدت العلاقات بينه وبين السيدة هلفيسيوس ، فتبادلا الاعجاب ، وطلب يدها ، ولكنها رفضت الزواج به احتراماً لذكرى زوجها الفيلسوف الراحل . ولم يكن اخفاقه في هذا الميدان ليؤثر في نجاح مهمته السياسية .

وصفه الفيلسوف الفرنسي فولتير بأنه « المجيد الحكيم » ، ووصفه الكثيرون بأنه « سفير الانسانية » .

وفيما يلي رسالة كتبها فرنكلين إلى السيدة هلفيسيوس تدلّ أبلغ دلالة على خفة روحه :

« لم استطع الصمود أمام القرار القاسي الذي اتخذته البارحة ، فانسحبتُ ألى غرفتي ؛ وتهالكت على الفراش محاولاً تناسي قرارك بالنوم .

ان عقدك النية على البقاء أرملة طوال أيامك الباقية احتراماً لذكرى المرحوم زوجك لضربة قاسية تسددينها إلى صميمي . ولكني رأيت فيما يرى النائم اني انتقلت إلى العالم الأخر .

وسُئلت عما إذا كنت أرغب في رؤية شخص معيّن . فكان جوابي :

أريد أن أرى الفلاسفة !

ــ هنـاك فيسلوفان يقيمـان في طرف هـذه الحـديقـة . وهمـا صـديقـان يقيمان هنا على أحسن حال .

ــ أنهما سقراط الحكيم ، وهلفيسيوس!

ــ لا بـأس بهما ، فـأنا أقـدرّهما كليهـما ، ولكن دعني أقابـل هلفيسيوس أولا . فأنا أتكلم الفرنسية قليلاً ولا أعرف من اليونانية حرفاً .

ودُللت عـلى المكـان الـذي يقيم فيـه الفيلسـوف الفـرنسي ، فلم يكـد نــظره يقـع عــليّ حتى هشّ لي وبشّ ، واستقبلني أحسن استقبـال ، ورحّب بي كثيــراً قـائــلاً انـه عــرفني لأنـه رآني من قبــل . والقى عـلي ألف سؤال وسؤال تتعلق بـالحرب ، وبـالحالـة الدينيـة الـراهنـة ، وبـالحـريـة ، وبنـظام الحكم وسيره في فرنسا . وكان السؤال الأول الذي ألقيته على مسامعه :

ــ ولكنك لم تسألني عن صديقتك العزيزة ، وشـريكة حيـاتك السيـدة هلفيسيوس ، بالـرغم من أنها تحبك حبـاً ما بعـده حب . فقـد كنت وايـاهـا لساعة من الزمن !

فتنهد وقال :

ــ أواه ! انــك تعيـد إليّ ذكــريـات سعــادتي المـاضيــة التي يجب أن يتنـاسـاهـا المرء في هـذا العـالم لكي يكـون سعيـداً هنـا . كنت لا افكـر في سـواها طـوال سنين ، حتى تعـزيت عنها . . . فقـد اتخذت لي زوجـة اخرى اجتهـدت في أن تكـون صنـواً لهـا . ليست جميلة ولكنهـا خفيفـة الــروح ، ولكن زوجتـك ، عـلى مـا يبـدو لي ، أكـثر وفـاء منـك ، وأشـد اخــلاصــاً لـذكـراك . فقـد أقـامت عـلى احتـرامـك في ممـاتـك اقـامتهـا عـلى ذلـك في

حياتك ، وردّت الكثيرين من الخطّاب ، وها أنا اعترف لك بأنني احببتها حباً جماً ، وطلبت يدها ، ولكنها قست عليّ وخيبتني .

فتبسم وقال : اني أرثي لخالتك بكل اخلاص ، فهي امرأة كيّسة ، طيبة القلب ، ومُحبة . ولكن بربك قل لي ، وأصدقني القول ، أما يزال الكاهنان دو لاروش ومورليت يزورانها ؟

ــ صدق حدسك ، فجميع اصدقائك ظلوا على ما كانوا عليه من صداقتهم لكما ، ولم يغيّر رحيلك الى العالم الثاني هذه الصداقة في شيء .

وما هي إلا لحظات حتى دخلت علينا السيدة هلفيسيوس الجديدة تحمل إلى « زوجها » الثمر والرحيق اللذين طلبهما . فدهشتُ ، وفركتُ عينيّ لأنني عرفت في المرأة التي وقفت أمامنا زوجتي السيدة فرنكلين ! قلت لها : أنتِ لي ، فما بالك تصبحين زوجة الفيلسوف هلفيسيوس؟

فأجابتني ببرودة متناهية :

ــ كنت زوجتك الطيبة مدة تسع وأربعين سنة وأربعة أشهر ، أو ما يقارب نصف قرن من الزمن ، أفلا يكفيك هذا الوقت الذي عشناه معاً ، أما هنا فقد تعرّفت برجل آخر ، وربطت مصيري بمصيره إلى الأبد .

الحق يقال انني صعقت لدى سماعي هذا الرفض يأتيني من « يوريديس » زوجتي المتوفاة . فصممت أن أطرد عني هذه الأوهام وأعود إلى هذا العالم الجميل لأمتع نظري بك وبالشمس المحيية !

هاأنذا . . . لنثأر معاً ! »

فَلتون

Robert Fulton

يبدأ عصر الزوارق البخارية حقيقة صباح الجمعة ١١ آب ١٨٠٧ عندما تحرّك الزورق كليرمونت الذي اخترعه روبرت فلتون الاميركي (١٧٦٥ ـ ١٨١٥) صاعداً نهر هدسون ضد الريح والمد والجزر، بسرعة خمسة أميال في الساعة . وقد ذُعر بحارة الكثير من السفن الشراعية لرؤيتهم زروقاً يسير بدون شراع .

كان ميل فَلتون في صباه إلى دراسة الفن ، ولكن اثناء وجوده في أوروبا ملكت عليه حواسه فكرة الزورق البخاري ، فحوّلت كل اهتمامه إلى هذا المشروع . وكان أول زورق تجريبي سيّره في نهر السين ، في فرنسا . إلا أن المحرك كان ثقيلاً ، فانشطر الزورق شطرين وغرق . وقد بنى زورقاً أمتن سنة ١٨٠٣ نجح بتسييره قليلاً قبل أن يدخل عليه التحسينات الضرورية . . .

بعد هذا النجاح كرّس فلتون بقية حياته للاختراع . وفي سنة ١٨١٤ طُلب إليه بناء سفينة بخارية حربية فكانت « فلتون » التي تُعتبر تحفة حياته الرائعة .

كوخ

Robert Koch

في المستشفى اليوناني بالاسكندرية غرفة مغلقة لا يعلم سرها إلا القليلون ، وقد لا يعلم الكثيرون خطرها من الوجهة التاريخية .

تحتوي تلك الغرفة مكتباً واجهزة كيميائية وميكروسكوبياً وادوات اخرى خاصة بالابحاث الميكروبية . وقد عُلقت صورة العلامة الالماني كوخ (١٨٤٣ - ١٩٠١) على احد جدرانها .

فما هو سر تلك الغرفة ، وما هو خطرها من الوجهة التاريخية ؟

سر هذه الغرفة هو أن كوخ اكتشف فيها ميكروب الكوليرا في سنة ١٨٨٢ . وخطرها من الوجهة التاريخية هو أن اكتشاف هذا الميكروب قد جعل تشخيص هذا الوباء ممكناً ومكافحته والوقاية منه مستطاعة ويسيرة . فلا جرم ان حافظوا عليها باعتبارها من الآثار العلمية . ولا جدال في أن محتوياتها لا تُقدّر بثمن .

على أنه أذا كانت الغرفة فذة بين مثيلاتها فإن مكيروب الكوليرا هو الأخر فذ بين الميكروبات ، لا من حيث فتكه ، بل من حيث الخصومة التي استفحلت حول اكتشافه . فبعد ان اكتشف كوخ ميكروب الكوليرا في الاسكندرية عاد فاكتشفه في هامبورغ لما تفشى وباؤها هناك ، لكنه لم يذع اكتشافه بصفة رسمية إلا في مؤتمر سنة ١٨٨٤ .

وما كاد يذيع اكتشافه حتى تصدى له العلامة بتنكوفر وتلميذه فزعما ان كوخ واهم ، وان الكوليرا تتسبب عن ميكروب آخر .

فردَّ عليهما كوخ مؤكداً أنه على صواب ، وأنه اجرى تجارب تؤيد تأييداً ماثلاً للعيان أن الكوليرا تتسبب عن الميكروب الذي اكتشفه وهو ميكروب يشبه « الواو » أو علامة « الفاصلة » الفرنسية .

فطلب منه بتنكوفر الدليل ، قائلاً انه ربما اخطأ في تجاربه ويجب أن يقوم بها أمام الحاضرين . . فردّ عليه قائلاً : لست في حاجة الى اجراء التجارب مرة ثانية امامكم . فمعي الآن كمية كبيرة منها فإذا كنتَ تنكر انها تسبب الكوليرا فها هي امامك اشربها في كوب ماء وانت المسؤول

عن النتيجة .

فقال بتنكوفر : هات ما عندك من الميكروبات المزعومة فسأشربها . وانا واثق من أنها لن تصيبني بمكروه .

فوضع كوخ قليلاً من الميكروبات التي رباها في كوب ماء ، فتناولها منه بتنكوفر وشرب نصف الكوب واعطى الباقي لتلميذه فشربه . وانفضّ الجمع على ان يعقدوا جلسة اخرى بعد سبعة ايام ليروا ماذا تكون النتيجة ، وخرج بتنكوفر وتلميذه وهما واثقان من النجاة . وما هي إلا ثلاثة ايام حتى اصيب بتنكوفر وتلميذه باسهال يشبه اسهال الكوليرا تماماً ، وارتفعت حرارتهما ، وبدت عليهما اعراض الكوليرا كلها . فاسعفوهما بالعلاج اللازم ، فنجا بتنكوفر ومات تلميذه .

وقد قرر اعضاء المؤتمر في الجلسة التي عقدت بعد اسبوع أن الكوليرا تتسبب عن الميكروب الذي اكتشفه كوخ . وكانت الموافقة بالاجماع ، الا بتنكوفر فإنه أصرَّ على ان ميكروب الكوليرا لم يُكتشف بعد .

ومات بتنكوفر وهويكذّب كوخ مع ان العالم كله آمن باكتشافه ميكروب الكوليرا .

ولكوخ أبحاث قيّمة في داء السل الذي اكتشف جرثومته .

مَارْكوني

Guglielmo Marconi

كانت الاختبارات جارية في الموجات الكهربائية ـ المغنطيسية ، ولكن المخترع الايطالي غوغليلمو ماركوني (١٨٧٤ ـ ١٩٣٧) هو أول من وضع التلغراف اللاسلكي على أساس تجاري عندما أوجد طريقة عملية

لاستخدام هذه الموجات كوسيلة من وسائل المواصلات . ففي سنة ١٨٩٥ أقام اتصالاً لاسلكياً على مسافات تزيد قليلاً عن الميل الواحد . ومذ ذاك وتاريخ عمل ماركوني يُظهر تقدّماً إثر تقدُّم في سبيل استخدام اختراعه هذا على نطاق أوسع شيئاً فشيئاً .

وفي ٢ حزيران ١٨٩٦ حصل ماركوني في انكلترا على أول امتياز مُنح للتلغراف اللاسلكي على أساس استخدام الموجات الكهربائية . وفي السنة التالية ، ومن محطة أقامها في سبيتزيا في ايطاليا ، استطاع ماركوني أن يتصل بغواصة تبعد ١٢ ميلاً في البحر . وفي سنة ١٨٩٨ استُخدم التلغراف اللاسلكي للمرة الأولى للاتصال بين السفن والسواحل ، وظهرت فائدته في انقاذ الحياة البشرية في ٣ آذار ١٨٩٩ . وفي سنة ١٩٠٠ تم الاتصال عبر بحر المانش ، واستُخدم اللاسلكي في المناورات البحرية . وكان أول استعمال عسكري للاسلكي خلال حرب افريقيا الجنوبية .

وفي ١٢ كانون الأول ١٩٠١ أرسل ماركوني وتلقّى اشارات لاسلكية عبر المحيط الاطلسي . وبعد سنة تلقت السفينة الاميركية « فيلادلفيا » برقيات من مسافة ٧٠٠ ميل نهاراً ، و٢٠٠٠ ميل ليلاً ، مما أثبت ان الرسائل اللاسلكية يمكن تلقّيها ليلاً من مسافات أبعد . وفي سنة ١٩١٠ كانت البرقيات تُرسل على مسافة ٦ آلاف ميل . وقد تم في ٢٢ ايلول ١٩١٨ أول اتصال لاسلكي بين انكلترا واوستبراليا . وبدأ ماركوني اختباراته بالموجات القصيرة سنة ١٩١٦ .

فناز ماركوني بجائزة نوبل في الفيزياء سنة ١٩٠٩ ، ونال في السنة نفسها مدالية ألبرت من الجمعية الملكية البريطانية ، ومداليتي فرنكلين ودجون فريتز من الولايات المتحدة الاميركية ، وعيّنه ملك ايطاليا عضواً في مجلس الشيوخ . وبعد الحرب العالمية الأولى التي خدم فيها في الجيش

والبحرية ، حضر ماركوني مؤتمري السلام في لندن وباريس . ومُنح لقب مركيز سنة ١٩٢٩ ، وعُيِّن عضواً في اكاديمية الفاتيكان بعد أن أتم سنة ١٩٣١ تركيب محطة اذاعة في عاصمة البابوية .

مورس

Samuel Finley Breese Morse

أظهر صمويل مورس (١٧٩١ ـ ١٨٧٢) وهو يدرس في جامعة ييل الاميركية التي تخرّج فيها سنة ١٨١٠ ميلاً شديداً إلى الكهرباء مع ان نشاطه كان محصوراً في فن الرسم الذي برع فية . وقد كان يُعدّ نفسه لامتهان التصوير بعد أن ظفر بشهرة عالمية فيه وهو في الثانية والعشرين من عمره حين اختيرت صورة رسمها جُعلت بين الصور التسع الممتازة التي فازت بين ألفي صورة عُرضت في الاكاديمية الملكية في لندن .

كان مورس أحد مؤسسي الاكاديمية القومية الاميركية للرسم ، وقد ترأسها حوالى عشرين سنة . وقد مجّد ذكره متحف متروبوليتان للفن في نيويورك سنة ١٩٣٢ باقامة معرض خاص برسومه ، وذلك لمناسبة مرور ستين سنة على وفاته .

في سنة ١٨٣٢ ، وبينما مورس عائد على ظهر احدى السفن من رحلة إلى أوروبا ، سمع بأنباء اختبارات جرت في فرنسا تم فيها نقل الكهرباء على مسافات طويلة . وأبدى أحد اصدقائه ملاحظة قال فيها : « ما أروع أن ترسل الانباء بهذه الطريقة » ! وكان جواب مورس : « ولم لا ؟ » وقد انصرف طوال رحلته إلى التفكير في هذه القضية . فأوجد قانون مورس لارسال البرقيات ، وصنع اخيراً الجهاز الذي يقوم على أساسه التلغراف اللاسلكي . وكان يصنع التصاميم بنفسه . وفي ٢ أيلول ١٨٣٧ عرض جهازه هذا في جامعة مدينة نيويورك حيث كان استاذاً لفن التصميم مع أنه كان قد توقف عن الرسم . وقد اهتم بهذا الاختراع

أحد صانعي النحاس والحديد في نيو دجرزي ويدعى البرت فايل فاشترك مع مورس في مشروعه هذا . وطلب مورس تسجيل هذا الاختراع في انكلترا وروسيا فرُفض طلبه ، ولكنه وفّق إلى الحصول على موافقة الحكومة الفرنسية التي استأثرت بالاختراع فيما بعد دون التعويض على صاحبه . وفي سنة ١٨٤٣ اقترع الكونغرس على منح مورس مبلغ ٣٠ ألف دولار لمواصلة عمله . وقد أقام مورس خطاً تجريبياً بين واشنطن وبولتيمور استُخدم للمرة الأولى في ٢٤ أيار ١٨٤٤ .

وأدخل مورس إلى الولايات المتحدة طريقة التصوير الفوتوغرافي التي ابتكرها الرسام والكيميائي الفرنسي لويس داغير . وقد سجل مورس كذلك آلة صنعها لقطع الرخام ، وأجرى اختبارات في التلغراف اللاسلكي بواسطة اسلاك تحت مياه البحر .

وكان مورس أحد مؤسسي كلية فاسار للبنات في مدينة بوكيبسي بولاية نيويورك . وقد ظهر للمرة الاخيرة في المجتمع عندما ازيح الستار عن تمثال بنيامين فرنكلين في ساحة المطبعة في نيويورك في ١٧ كانون الثاني ١٨٧٢ ، إذ توفي في ٢ نيسان من السنة نفسها .

وقد كتب مورس مرة يقول : « قيل لي مرارا إنني ولدت قبل مئة سنة بالنسبة إلى الفنون في بلادي » !

نوبل

Alfred Nobel

ألفرد برنار نوبل (١٨٣٣ - ١٨٩٦) مخترع الديناميت السويدي ، اوصى قبل مماته بتخصيص خمس جوائز سنوية تُمنح احداها للذي يعمل اكثر من سواه على تحقيق السلام وتثبيت دعائمه .

وُلد في استوكهلم ، وتعلّم في سان بطرسبرج (روسيا) ، وتدّرب

على الهندسة الميكانيكية في الولايات المتحدة الاميركية . كرّس جهوده لدراسة المتفجرات ، وخاصة النيتروغليسيرين . وقد حصل على براءة لصنع الديناميت سنة ١٨٦٢ . ويبلغ عدد المخترعات المسجلة باسمه في انكلترا ١٢٩ اختراعاً .

جمع نوبل من صنع الديناميت وسائر المتفجرات ، ومن استثمار حقول باكو البترولية ، ثروة طائلة . وقد اكد سنة ١٨٧٥ انه يشرف على ١٥ مصنعاً للمتفجرات بينها عدد في اميركا . وفي اواخر حياته عمل في مختبر في سان ريمو ، بالقرب من نيس في فرنسا ، حيث توفي تاركاً ثروته الكبرى لجوائز نوبل .

ولكن قلَّ من يعرف انه لم يقدم على هذا العمل من تلقائه ، اذ كان للمرأة يد في مشروعه الإنساني هذا .

وجد نوبل نفسه ذات يوم ولا سكرتيرة له ، وبعد البحث عن فتاة ذكية ومخلصة وجد ضالته في فتاة تدعى برت كنكي التي سرعان ما بدت انها رزينة ، موفورة النشاط ، سريعة البديهة . وكان في الثالثة والاربعين من عمره فإذا بقلبه يخفق بحب هذه الفتاة . فطلب يدها سنة ١٨٧٧ ملوحاً لها بثروته الطائلة ، فرفضت طلبه لانها كانت قد خُطبت للنبيل النمساوي آرتور دو سوتنر ، الذي كانت تدرّس شقيقه قبل التحاقها بالعمل لدى نوبل . وكان قد تم بين الخطيبين الاتفاق على الانفصال مدة ثلاث سنوات يمتحنان خلالها حبهما المتبادل .

ولم تجدد برت عقد العمل هذا لان خطيبها ارسل في طلبها ، فتوسّل اليها الصناعي السويدي أن تعود إلى استوكهلم بعد زواجها ، فوعدته بذلك .

وفي سنة ١٨٩٦ توفي ألفرد نوبل بعد أن انشا جوائزه الشهيرة .

وعاشت برت دو سوتنر حتى سنة ١٩١٤ ، وتوفيت قبل نشوب الحرب العالمية الأولى بأسبوعين اثنين . . .

هويتني

Eli Weitney

مخترع آلة حلج القطن ايلي هويتني (١٧٦٥ - ١٨٢٥) رأى القطن للمرة الأولى عندما لبّى دعوة لزيارة مزرعة للقطن في جيورجيا . درس الحقوق في جامعة ييل الاميركية ، وتخرّج سنة ١٧٩٢ ، ولكنه كان دائماً ميالاً إلى الشؤون الميكانيكية ، ماهراً فيها . وبدلاً من ممارسته المحاماة شرع في صنع آلة لحلج القطن . وقد استطاعت أول آلة صنعها بيده تنظيف زهاء ٢٥ كيلوغراماً من النسل في اليوم الواحد . وسُجل هذا الاختراع في ١٤ آذرا ١٧٩٤ ، وتأسس أول مصنع لانتاج آلات الحلج في نيوهافن بولاية كونيتيكت . ولكن الطلب على هذه الآلات كان شديداً فلجأ هويتني إلى الحدادين لمساعدته في صنعها .

واكتنف الامتياز المعطى لصنع المحالج الكثير من المشاكل والمخالفات مما أكره هويتني سنة ١٧٩٨ على التحول عن هذه الصناعة إلى إنتاج الأسلحة النارية . وهو الذي أدخل على الصناعة فكرة تقسيم العمل في المعامل والمصانع ، وانتاج القطع الموحدة الشكل والنموذج .

دجيمْس وَات

James Watt

إذا نحن قدّرنا الإنسان بالاعمال المفيدة والخدمات التي يسديها لبني جنسه لكان دجيمس وات في طليعة الرجال الخالدين بأعمالهم التي نفعت الانسانية والحضارة . ومن يراجع سيرة هذا المخترع الاسكتلندي يتحقق من صحة المبدأ القائل ان المعرفة قوة ، كما يتحقق من أن الدأب

والمواظبة هما السلم إلى المعرفة . ومن رام بلوغ ذروة هذا السلم وجب عليه أن يرقاه خطوة خطوة ، بالكد ، والجهد ، والتعب .

أبصر دجيمس وات النور في غرينوك في أول كانون الثاني ١٧٣٦ ، وكان ابوه صانع قوالب وتاجر شمع يتعاطى هذه التجارة مع السفن في غرينوك ، ويعمل كذلك ببناء السفن .

كان في صباه نحيل البنية ، هزيلاً ، سقيماً ، لم يستطع الذهاب إلى المدرسة ، فتلقّى مبادىء التعليم في البيت ول الأمر . علّمته أمه القراءة ، وعلّمه والده الخط والحساب . وقد تميز منذ حداثته بالخصائص العلمية وفي طليعتها تفحّص الحقائق ومراقبتها إلى أقصى حد . ولم يكن سوء صحته ليصرف عقله عن العمل الدائب المتواصل .

ظهر ميله إلى علم الميكانيك منذ نعومة أظفاره . فقد كان يصنع الدمى الصغيرة ، والآلات الكهربائية موسعاً بذلك دائرة معارفه دون أن يتلقّن أي دروس على يد أي استاذ .

يروى عن دجيمس وات أنه كان جالساً ذات مساء مع عمته إلى مائدة الشاي يتلهى بغطاء أبريق الشاي والفناجين . . . فبادرته عمته قائلة :

ــ أنا لم أرَ ولداً كسولاً مثلك يا دجيمس . . خذ كتاباً واقض وقتك بما يعود عليك بالفائدة والنفع . فانك لم تفه بكلمة منذ ساعة ، ولم تهتم الا برفع غطاء الابريق واعادته إلى مكانه . . . وتارة ترفع فنجاناً فوق البخار . وطوراً ترفع ملعقة . . ينبغي لك ان تخجل من إضاعة وقتك على هذا النحو ! . .

ولكن لم تكن عمته تدري ان دجيمس كان منهمكاً بعمل تجربته الأولى في قوة البخار ، هذه القوة التي يعود إليه الفضل في اكتشافها .

وشبّ دجيمس فـأكبّ عـلى دراسـة العلوم . . . عـلم الهندسـة ، والنبـات ، وطبقات الأرض ، والكيميـاء ، والجراحـة ، والتشريـح . ودرس اللغتـين اليونـانية والـلاتينية . سوى ان علم الميكانيـك كـان يتسـأثـر بجـلّ اهتمامه .

كـان على حـدّة ذكائـه ، وتضلّعـه بشتى العلوم ، وديعـاً ، بعيـداً كـل البعـد عن الغرور والاعتـداد بـالنفس ، يحتـرم معـارف الآخرين ويقـدّرهم حق قـدرهم ، وقـد قيـل فيـه : كـان لـدجيمس وات هـوايـات كثيـرة ، واصدقاء أكثر !

عمـل في مـطلع حيـاتـه لـدى صـانـع آلات في لنـدن ، ثم عـاد إلى اسكتلنـدا حيث عُيّن في جـامعة غـلاسكو مـركباً لـلآلات الهندسيـة ،وقد تم اختراعه للآلة البخارية خلال تمرّسه بهذا العمل .

كتب أحـد اصـدقـائـه بعـد وفـاتـه في ١٩ آب ١٨٢٩ ، بـالقـرب من بلدة برمنغهام ، يقول إنه يصعب تقـدير قيمـة الفوائـد التي جنتها البـلاد من اختـراعـه ، فقـد تضـاعفت وسـائـل راحـة الشعب ، وأتيـح للجميـع أن ينعموا ، في مختلف انحاء العالم ، بالمواد الكفيلة بتحقيق الثروة .

كـان وات نفسه رجـلاً فقيراً ، أقـام شـركـة مـع أحـد الـرأسمـاليـين أنشـأت مصنعاً بـالقـرب من بـرمنغهـام لصنـع المحـركـات التي اصبحت في نهاية القرن الثامن عشر رائجة رواج الطواحين الهوائية .

مع الخالدين من السياسيين

الملكة اليزابث

Queen Elizabeth

وُلـدت الملكـة اليـزابث ، ابنـة الملك هنــري الثـامن البــريـطاني وآن بـولين ، زوجتـه الثانيـة بين زوجـاته الست ، في ٧ أيلول ١٥٣٣ . وعنـدما فسخ هنري زواجه من آنّ بولـين وقطع رأسهـا كانت اليـزابث في الثالثـة من عمرها ، ففقدت حقها بالعرش ، كـما فقدت شـرعيتها . إلا أنـه بعد بضـع سنـوات صدر قـانون ، اثبتـه هنـري في وصيتـه ، يعلن حق اليـزابث بتـولي العرش بعد أخيها الصغير ادوارد ، واختها الكبرى ميري .

تميـزت اليزابث منـذ نعومـة اظفارهـا بتعلقها الشـديد بالبروتستـانتيـة وميلهـا إلى التعاطي بـالسياسـة . وفي خلال حكم اختهـا الذي استمـر خمسة أعوام كانت من اليقظة بحيث تقبّلت الكاثـوليكية عنـدما صـدر قانـون بها . وسُجنت مـرة ولكن سرعـان ما عـادت فحظيت بـرضى الملكة . وكـان قربهـا من العـرش خـطراً عـلى حيـاتهـا في تلك الايـام ، فكــانت تحـاذر تعــريض نفسها وتتحاشى ما وسعها المداخلات الضارة .

وكان موت الملكـة ميري سنـة ١٥٥٨ وارتقاء اليـزابث العرش منـاسبة سارة للكثيرين ، ذلـك بأن حكم ميري جرَّ الكثـير من النزاعـات الداميـة في الخـارج ، والاضطهـادات الشـديـدة في الـداخـل . وقـد رأوا في اليـزابث ،

وهي الملكـة الانكليزيـة الصرف مـائة في المـائة منـذ خمسمايـة سنـة ، بشيـرا بعهـد جـديـد في مختلف الميـادين . وقـد حققت الكثـير من الآمـال التي عُقـدت عليها . ففي عهـدها نفضت الـدبلوماسيـة البريـطانية عنهـا السيطرة الاجنبيـة ، وفي عهدهـا تبوأت انكلتـرا مركـزها كقـوة بحريـة بعد ان حـطم الاسـطولُ البـريــطاني سنـة ١٥٨٨ الاســطولَ الاسبـاني الضخم المعــروف بالأرمادا . وفي عهدها كذلك بلغ الأدب الانكليزي الذروة .

وكـانت اليـزابث إلى جـانب دهـائهـا السيـاسي وذكـائهـا ، جــذابـة المـلامح ، خفيفـة الـروح ، وراقصـة من الـطراز الاول . . لم يستـطع أحـد من وزرائهـا حملهـا عـلى الـزواج . وتقـول الشـائعــات ان السبب يعـود إلى عاهة جسدية . إلا أن السبب المعقـول ربما كـان الحالات النفسـانية الفـظيعة التي عـانتها في طفـولتهـا . وقـد كـان لهـا عـلاقـات مـع بعض الشخصيـات وأشهرهم الايرل أوف ايسيكس الـذي كان يصغـرها بثـلاث وثلاثـين سنة . وكـانت علاقتهـا عاصفـة انتهت باعـدام ايسيكس بعد محـاولته اشعـال نيران الفتنة . وقد ماتت وحيدة ، عازبة ، في ٢٤ آذار ١٦٠٣ .

الملكَة إيزابيلا

Isabella Of Spain

بعض الملكات عظيمـات لانهن يحكمن بلادهن في أوج عـزها كـالملكة فكتـوريـا مثـلاً . . وبعضهن يكتسبن عـظمتهن من الـرجـال الـذين حـولهن كاليزابث الاولى ، ملكـة انكلترا . . امـا ايـزابيـلا ، ملكـة اسبـانيـا ، فهي التي صنعت بلادها بنفسها ، وصنعت كذلك عصرها ومجدها . . .

هـذه الملكة التي تُعتبـر احب البطلات إلى نفـوس الاسبـانيـين ، والتي كـانت وراء كريستـوفر كـولومبـوس مكتشف العالم الجـديـد ، أبصـرت نـور

الحياة في ٢٢ نيسان ١٤٥١ . توفي أبوها ، ملك قشتالة (كاستيل) ، وهي بعد طفلة ، فملأت الكآبة نفس والدتها ، وتربّع على العرش اخو إيزابيلا (غير الشقيق) هنري الذي عُرف بالعاجز . وقد ترعرعت الطفلة الجميلة في البلاط الملكي في مدريد حيث عرفت بتفكك اسبانيا : فهناك ملك على قشتالة ، وآخر على آراغون . . والعرب ما يزالون مخندقين في غرناطة إلى الجنوب .

ولما بلغت السابعة عشرة من عمرها تقدم لطلب يدها ثلاثة . . اميران وملك : ملك البرتغال العجوز الغني ، ودوق غويين ، شقيق ملك فرنسا ، والامير فرديناند الآرغوني ، وهو الشاب الوسيم الذي كانت تحلم به منذ طفولتها . ولم يكن اختيارها هذا الشاب اختيار قلبها فحسب ، بل كان اختيار سكان قشتالة .

وجنّ جنون اخيها هنري وهددها بالاعتقال ، ففرت إلى مسقط رأسها وأرسلت تعرض على فرديناند يدها وقلبها ، فاغتنم هو الفرصة لتوحيد شطريّ اسبانيا المسيحية ووقّع وثيقة الزواج ، واعادها إلى ايزابيلا مرفقة بعقد من الياقوت كان لأمه . وعرف هنري من جواسيسه بما حدث فحشد جنوده على الحدود وأمر بالقبض على فرديناند . ولما تمّ زواج إيزابيلا وفرديناند في ١٩ تشرين الأول ١٤٦٩ تم توحيد قشتالة وآراغون ، وبوحدتها ولدت دولة جديدة : اسبانيا الحديثة .

وتوفي هنري فاعتلت العرش إيزابيلا خوفاً من أحد المطالبين به اثناء وجود فرديناند في آراغون لقمع احدى الثورات ، وكان ذلك في ١٣ كانون الأول ١٤٧٤ .

وزحف ملك البرتغال الطامع بعرش إيزابيلا إلى قلب قشتالة على رأس جيش قوامه ٤٠ الف رجل : فلم يكن من الملكة إلا أن اقتدت

بجان ـ دارك ، فامتطت جواداً ، وتدرّعت ، وراحت تجوب انحاء البلاد طالبة الإموال والرجال للدفاع عن المملكة ، فجيّش منهم فردينانـد قوة عسكرية ضمنت له الفوز المبين على الغزاة .

كانت إيزابيلا زوجة مخلصة وأماً رؤوماً . أنجبت خمسة أولاد حملتهم معها إلى كل مكان ذهبت إليه خلال الحروب والمعارك . وكانت تصنع بنفسها قمصان زوجها المزركشة ، وتبادله خياناته العديدة لها ولرباط الزوجية المقدس باخلاصها اللامتناهي . . . وفوق ذلك كله كانت تغدق الهدايا الثمينة على عشيقاته ، وتسعى إلى تزويجهن من رجال يقيمون بعيداً بعيداً .

وساعدت كولومبوس على اكتشاف اميركا فأمدّته بالسفن ، والمال ، ووعدته بعشر مداخيل هذه البلاد الجديدة ، وبلقب « اميرال المحيط » . ونجح كولومبوس في رحلته الاستكشافية وفتح لاسبانيا ، ولملكتها المؤمنة بالقوة والمغامرة ، باباً عريضاً للثروة والاستعمار .

ولما عاد كولومبوس من ثالث رحلة له إلى اميركا في ٢٦ تشرين الثاني ١٥٠٤ لم يجد إيزابيلا في قيد الحياة . . فقد ماتت هذه المرأة التي رفعت ، في جيل واحد ، بلادها من الفوضى والفقر إلى الوحدة والعظمة . . . والتي بايمانها وقوتها فسحت المجال امام اكبر مغامرة من نوعها فتحت العالم الجديد ، وآذنت بميلاد عهد جديد ! . .

وليام بتْ

William Pitt

أصغر رئيس وزراء عرفه العالم حتى اليوم . وُلد سنة ١٧٥٩ ، ودرس في جامعة كيمبرديج . دخل البرلمان البريطاني عن حزب الاحرار

وهو في الحادية والعشرين من عمره . وكان سياسياً داهية محنكاً ، فما لبث أن تولى وزارة المال بعد سنتين ، ثم تولى رئاسة الوزارة في السنة التالية (١٧٨٣) ، ولم يكن قد تجاوز الرابعة والعشرين .

وقد ادخل العديد من التدابير الحكيمة اثناء حكمه ، وفي جملتها ايجاده المال الاحتياطي لاستهلاك القرض الوطني الذي كانت تدين به الحكومة للشعب . وتفاوض مع الفرنسيين لعقد معاهدة تجارية لتخفيض التعرفات بين البلدين . وفي سنة ١٨٠٠ أتم اتحاد انكلترا وايرلندا ، ولكنه استقال من منصبه بعد سنة لرفض الملك القبول بالتحرير الكاثوليكي . وكانت الحرب بين انكلترا وفرنسا قد نشبت سنة ١٧٩٣ فعاضد ، وهو في عزلته بعيداً عن الميدان السياسي ، صلح اميان الذي عُقد سنة ١٨٠٢ . وعندما اندلعت نيران الحروب النابوليونية في السنة التالية عاد بِت إلى الحكم . إلا أن أنباء انتصار نابوليون الكاسح في معركة اوسترليتز في كانون الثاني ١٨٠٦ كانت ضربة قاضية عليه عجلت في نهايته . . .

بُطرُس الاكبَر

Peter The Great

كان بطرس الأول (١٦٧٢ ـ ١٧٢٥) قيصر روسيا ، المعروف باسم بطرس الاكبر ، شخصية تتميز بالتناقض الغريب . . وُصف بأنه كان تقياً ورعاً ، شديد التدين ، ولكن الكثير من أعماله يدل على الوحشية والبربرية . ولقد كانت حياته فساداً وفجوراً .

إلا أنه عمل كحاكم باخلاص شديد لما اعتقده في مصلحة روسيا وتقدمها . كان معلمه الأول الشخص الذي أصبح فيما بعد مهرج

البلاط . وفي خلال ثورة جرت سنة ١٦٨٢ رأى بطرس عمه يُقتل على أيدي الجماهير ، ورأى أحد أصدقائه يُقطع إرباً إرباً . ولعل هذه الفظائع هي سبب النوبات التي كانت تنتابه في آواخر حياته . وكانت تلك السنة التي أصبح فيها قيصر روسيا .

ولم يكن متحمساً للملك في بادىء الأمر تحمسه لبناء السفن ، والملاحة ، والترويض . أما المسؤول عن حياة العبث والفساد التي انغمس فيها فمغامر سويسري يدعى فرنسوى لوفور . تزوج ، ولكنه هجر زوجته بعد سنة واحدة . ولما أيقن أن روسيا متخلفة عن ركب الحضارة الاوروبية عكف على تعبئة جيش وبناء اسطول بحري ، هاجم بهما قلعة آزوف التي كان يحتلها الاتراك . وفي سنة ١٦٩٧ قام بجولة في ارجاء أوروبا حيث تعلم الكثير عن المدفعية ، وبناء السفن ، والتشريح ، والحفر ، وتنظيم الجيوش . وكان أنّى ذهب يتعاقد مع الخبراء للعمل في روسيا . واضطر إلى العودة إلى وطنه بسبب نشوب ثورة ، فقمعها بقسوة . وما لبث أن أدخل العادات الغربية إلى الحياة الروسية ، الأمر الذي اكسبه نقمة بعض رعاياه . وكان في جملة الاصلاحات التي اقتبسها عن الغرب وفرض تطبيقها ارتداء الملابس الاوروبية ، وحلق اللحى (وقد تولى شخصياً حلق لحى جميع النبلاء من حاشيته) ، وتحرير المرأة من العزلة الآسيوية ، وايفاد الشبان الروس في بعثات إلى الخارج . . . فضلاً عن إدخاله بعض الاصلاحات على الحياة الصناعية والسياسية . وكان أسوأ ما قام به تتويج زوجته ، ولم تكن قد تُوجت أية امرأة من قبل في روسيا . وكاترين الاولى ليست إلا فتاة فلاحة وخادمة ! ولم يشعر بطرس الاكبر بالراحة إلا بعد أن أمّن لروسيا منفذاً إلى البحر . وقد فعل ذلك على حساب السويد بعد أن استولى على مقاطعات البلطيق . وقد أنشأ سان بطرسبورج وجعلها عاصمة روسيا الجديدة

ومينـاءهـا الحقيقي سنـة ١٧٠٣ . وفي هـذه الاثنـاء خسر كـل مـا كسبـه في تـركيا . وفي سنـة ١٧٢٤ أصيب بنوبـة قضت على حيـاتـه في مستهـل العـام التالي .

بيريكليس

Pericles

غـالباً مـا يقتـرن اسم بيـريكليس بعبـارة عصر اثينـا الـذهبي . فلقـد بقي هـذا السياسي لاكـثر من ثلاثـين سنة أبـرز شخصية في أثينـا حيث أبصر النـور حـوالى سنـة ٤٩٥ قبـل الميـلاد . وفي حيـاتــه كـان الفن الاغــريقي والنشـاط الفكري في أعـلى ذروتها . تـدرّب عـلى أيـدي معلمـين افـذاذ من أبنـاء العصر . دخـل المعتـرك السيـاسي سنـة ٤٦٩ . وقـد كـانت المنـاصب العـامة حتى ذلـك الوقت وقفـاً على المـواطنين ذوي النفـوذ ، فإذا بـه يـوطـد دعائم الديمقراطية في الـدولة ، ويحمـل لواء الـدفاع عن حقـوق الشعب ضد صـديقـه الشخصي شيمـون ، زعيم الحـزب الارستقـراطي . وفي جملة التغييـرات التي احـدثهـا بـريكليس الانـظمـة التي تقـول بـدفـع المـرتبـات للمـواطنين الـذين يخدمـون وطنهم جنوداً ، ومحلّفـين ، وقضـاة ، فضـلاً عن دفـع الخـزينـة اجـور الـدخـول إلى المسـارح لأولئـك الـذين لا يستـطيعـون ذلك .

وكـانت سياستـه الخـارجيـة تهـدف إلى جعـل اثينـا زعيمـة اليـونـان ، ولكنـه عندمـا فشل في تثبيت قـوتها العسكـرية المـطلقـة ، تحـوّل إلى تـدعيم قـوتها البحـريـة . إلا أن انتصـارات بـريكليس الحقيقيـة الخـالـدة كـانت في الميـدان الفني . ففي جملة المبـاني العـامـة التي شُيـدت بـاشـرافـه عـلى الاكـروبـوليس البـارثنـون الـذي زينـه النحـات الشهـير فيـديـاس . . وقـد أصبحت اثينا بفضل بريكليس اجمل مدن العالم .

كـانت اواخر سني حيـاة بريكليس عـاصفة ، فحـروب اثينا واسبـرطة شغلته بالشؤون العسكـرية ، إلى جـانب بعض القلاقـل التي كان يعـانيها في اثينا . أما صـديقه فيـدياس فقـد حوكم بعـد أن ألقي القبض عليه بتهمتـين خطيرتـين . واضطر صـديقه الثـاني الفيلسوف انـاكساغوراس لى هجر اثينـا بعـد أن هُدد بـالقتـل لآرائـه الملحـدة . وكـانت ثـالثـة الاثـافي تلك التهمـة الشـائنة المتعلقـة بعشيقته آسبـازيا ، وقـد اثّرت في نفسـه ابلغ الاثـر . ورأى الشعب أرضه ينهبها العـدو ، ووباء الـطاعون يتفشى فيهـا ، ففقد مكـانته ، ونُـحّي عـن الحكـم ردحـاً من الـزمـن ، ثم لم يـلبث أن اعـيــدت إلـيــه السلطة . ولكن الـطاعون كـان قـد تـرك آثـاره فيـه فتـوفي في خـريف العـام ٤٢٩ ق . م .

كان بريكليس خـطيباً مصقعـاً ، وزعيماً عسكـرياً ، ومحـور جماعـة فئة من الشخصيــات الـلامعـة امثــال الــروائيــين والـشعــراء اخيلوس ، وسوفوكليس ، ويوريبيديس ، وسقراط الحكيم وسواهم . . .

تَاليران

Talleyrand

كـان تاليـرن (١٧٥٤ ـ ١٨٣٨) انسانـاً له كثـير من المزايـا وكثـير جـداً من الاخـطاء . . كـان عـاشقـاً ، ومغـامـراً ، ومقـامـراً . . رشيق الكـلام ، انتهـازياً ، يـدافع عن نفسـه بكل وسـائل الـدفاع . ويـدافـع عن مبـدأه إلى الحد الذي يجر على نفسه فيه الخطر .

وهـو أحد سـاسة فـرنسا الكبـار في تلك الفترة التي تعـج بـالحـركـة ، والحياة ، والضوضاء . . قبل الثورة الكبرى وبعدها .

أبصر النـور في باريس . وأوفـده والده إلى أحـدى مدارس الـلاهـوت

فـراح يقضي وقته في حب ممثلة نـاشئة التقـاها مـرة في الكنيسة ، وحمـاها من المطر بمظلته .

وكبـر وأصبح اسقفـاً ، ولكنه اضـطر لضمـان مستقبله السيـاسي ، أن يخـرج على تعليمـات البابـا ، فلم يتردد لحظة في عصيان هـذه التعليمات ، الأمر الذي حمل البابـا على رميـه بالحـرم . ولم يؤثر فيـه قرار الحـرمان بـدليل أنـه كتب إلى أحد اصـدقائـه يـومهـا يـدعـوه لتنـاول طعـام العشـاء ، واكـل اللحم البارد ، وشرب النبيذ . . كل ذلك احتفالاً بقرار الحرمان .

وتولى تاليران مناصب سياسية عـالية : فكـان رئيساً للجمعيـة الوطنيـة سنـة ۱۷۹۰ ، ثم وزيراً للعـلاقـات الخـارجيـة في عهـد حكـومـة المـديـرين (الديركتوار) ، ثم في عهد القنصليـة ، واخيراً بعـد عودة الامبـراطوريـة ، ولم يجـد صعوبـة في الانضمام إلى الملكيـة بعـد عـودتهـا ، ومثّـل دوراً هـامـاً مـاهراً في مؤتمـر فيينا ، ثم في لنـدن حيث كان الملك لـوي فيليب قـد عيّنـه سفيراً لفرنسا .

كـان سيـاسيـاً داهيـة لا وازع لـه من ضمـير ، ولكنــه كـان ذكيــاً ، حاضر البديهة ، مراوغاً ، متطرفاً في آرائه .

وكان لتاليران غراميات لا تُحصى لعل اشهرها وأعجبها على الاطلاق غرامه بمدام دو فلاهـو التي كان يشـاركه في حبهـا مغامـر اميركي اعـرج مثله يـدعى الحاكم مـوريس . وكثيراً مـا كانا يلتقيـان عندهـا فيجلسان عـلى أتم وفـاق بعد أن افلحت في تـرويضهما واشـاعة أسبـاب الوفـاق والمودة بينهـما . وعـلى الرغم من كـل هذا كـان تاليـران المحبوب المفضـل . وقد أنجب منهـا ولـداً اعترف بـه زوج العشيقة ، أصبـح فيـما بعد من أركان حـرب نـابـوليـون وعشيقـاً لاحدى الملكـات . ومن المشـاهـير الـذين أصبـح تـاليـران أبـاً غـير شرعي لهم الرسام ديلا كروى . . .

ومن أبـرز أعمال تـاليران دعـوته إلى تـأميم أموال الكنيسـة وامـلاكهـا امـام الجمعية الـوطنية ، وحملتـه من أجل الاصـلاح المـالي ، وتـأسيس بنـك للدولـة ، ومعارضتـه بشدة اصـدار العملة الورقيـة دون تغطيـة ، وحملته من أجل تعميم التعليم الاجباري . . .

تشرتشل

Sir Winston Churchill

« في حيـاتـه الـطويلة التي بلغت التسعـين من السنـين عمـل السر ونستـون تشرتشل ما فيـه الكفايـة لصنع شهـرة أربعة رجـال آخـرين ، عـلى اقل تقدير » .

هـذا ما ردده لـدى وفاتـه الايرل اتـلي ، زعيم حزب العمـال السـابق الذي يلخص حياته السياسية الحافلة بما يلي :

« كـان مصيري مـرتبطاً ارتبـاطا وثيقـاً به . فعنـدما كنت بعـد صغيـراً كـان لشقيقاتي مـربية عملت في خـدمة السر ونستـون بتلك الصفـة نفسهـا ، وكانت تروي لنا قصصاً وحكايات عن هذا الصبي الحديدي الارادة .

وأذكـر أنني ، في السنة الاخيـرة من الدراسـة الثانـوية ، ثم فيـما بعـد في اوكسفـورد ، قد سمعت الكثير عن هذا الشـاب الرائـع الـذي كـان قـد رأى خمس حملات عسكرية ، واصدر كتباً عنها .

واذكـر انتخـابـه عـضـواً في مجلس الـعمـوم ، وكـنت إذ ذاك مـن المحـافظين النـاشئين ، فـاستقبلته عـلى أنه أمـل حـزبنـا الصـاعـد . وهـو في اجتيـازه الصفوف في البـرلمان ليصبـح راديكاليـاً متـطرفـاً ، شغـل عـدداً من المناصب ، وترك فيها جميعاً اثره البالغ .

واذكر يوم كـان يتولى وزارة الـداخلية انـه ذهب بنفسه لمعـالجة الموقف في شـارع سيـدني حيث سيـطر الفـوضـويـون المسلحـون ، وكنت حـاضـراً كمتفرج .

في الحـرب العـالميـة الاولى دشن حملة غـاليبـولي العسكـريـة التي اشتـركت فيها . وبعـد الخدمـة في ميدان القتـال ، عاد مجـدداً إلى الـوزارة ، وبقي حتى حرمه سقوط حكومة لويـد جورج منهـا ، وفقد بعـد ذلك مقعـده في البـرلمان . واعتقـد الجميع ان حيـاتـه السيـاسيـة انتهت . ولكن في سنـة ١٩٢٤ عـاد إلى الحكم كوزيـر للخزينـة ، ثم سقط مجدداً مـع حـزبـه بسبب السياسة الهندية ، وبـدا للجميع ، مـرة اخرى ، انـه انتهى . سوى انـه عاد لـدى نشوب الحـرب العالميـة الثـانيـة فشغـل رزارة البحـريـة (اللورد الاول للاميرالية) في حكومة تشمبرلن .

وعنـدما سقط تشمبـرلن ، اصبح تشرتشل رئيسـاً للوزراء في الحكومـة المؤتلفة ، فكنت بصفتي زعيماً لحزب العمال ، نائبه طوال خمس سنوات .

وبعـد الحـرب اصبحت رئيسـا للوزراء ، في حـين احتـل منصبي القـديم كزعيم للمعـارضـة . وانقضت ست سنـوات ، عـاد بعـدهـا رئيسـاً للحكـومـة ، وبقي حتى انسحـابـه من المسـرح السيـاسي ، وحتى النهـايـة ، البرلماني القديم الجدير بالتقدير والاحترام .

يا لها من حيـاة سياسيـة حافلة ! ويـا له من رجـل ! لن نرى مثيـلاً له من جديد ! » ـ (انتهى كلام اتلي) .

وبعـد ، ابصر تشرتشل النور في ٣٠ تشـرين الثاني ١٨٧٤ ـ أمـا اسمه الكـامـل فهـو ونستـون ليـونـارد سبنسر تشرتشل ، نجـل اللورد رانـدولف تشرتشل ، الابن الثـالث للدوق مارلبـورو السـابـع . امـا والـدتـه فكـانت اميـركيـة المـولـد والجنسيـة . ويـروى انـه سنـة ١٩٠٠ هبط ونستـون

تشرتشل ـ وكان في السادسة والعشرين من عمره ـ نيويورك ، في جولته الاميركية الاولى لالقاء سلسلة من المحاضرات . فقدمه مارك توابن للجماهير بطريقته الخاصة ، قال : « سيداتي سادتي ، اقدم اليكم ابن ام اميركية ، واب انكليزي ـ الرجل المثالي ! » .

غير ان الذي تفوه به أديب اميركا الساخر على سبيل المزاح انقلب نبوءة . ففي العالم الحديث الذي يعتبر أبعد ما يكون عن الكمال ، يكاد ونستون تشرتشل يكون أقرب ما يكون من المثال العالمي للرجل الكامل ! . .

بدأ حياته صحفيا ، ثم اصبح في طليعة عظماء عصره ، وفاز بجائزة نوبل للاداب سنة ١٩٥٣ ، وقاد بريطانيا إلى النصر سنة ١٩٤٠ ، وبقي نائباً في مجلس العموم ٦٤ عاماً .

. . . وتشرتشل ، كان كذلك ، من اسياد النكتة . ولكم يطيب لي أن اردد عن السر ونستون العبارة التي قالها فكتور هوغو في بلزاك : « لنتحدث قليلاً عنه ، فإن في ذلك كل الخير ! »

ظل حتى آخر ايام حياته يدخن السيكار التقليدي ، ويحتسي الويسكي ، ويردد ان الحياة تبدأ في التسعين .

أما كميات السيكار والويسكي التي حملها إلى شفتيه طوال حياته المديدة فتفوق حد التصور ، وينبغي ان تحسب بالسنين الضوئية . . . ولكن كان يباهي بذلك ويفخر . . .

قال له المارشال مونتغمري يوماً :

ـ أنا لا اشرب الخمر ، ولا ادخن التبغ ، واكل باعتدال ، واقوم بكثير من التمرينات الرياضية ، وصحتي ممتازة مئة بالمئة .

فأجاب تشرتشل مبتسماً :

ــ هــه . . أنـا أشــرب ، وادخن ، وآكـل بكثــرة ، ولا اقـوم بـأي تمرينات رياضية البتة ، وصحتي ممتازة مئتين بالمئة ! . .

وهو القائل :

ــ ان سر حيـويتي ونشـاطي هــو انـه ليس في دمي غــير الكـرويــات الحمراء : فالكحول قضت منذ زمن بعيد على جميع الكرويات البيضاء !

وعندما أصيب بداء ذات الرئة للمرة الخامسة تـذكر مـا قيل لـه عندمـا عرف هذا الداء السبيل إلى جسده للمرة الاولى :

ــ هل انت خائف من الموت ؟

فأجاب :

ــ انـا مستعـد للقـاء خـالقي ، ولكن هـل هـو مستعـد ؟ انها قضيـة اخرى . . .

وكـان ذا روح ميالـة إلى المحاربـة ولا يسكت على ضيم ، وهـو يحتقـر الذين يعتقدون انه ينبغي الرد على الاهانات بالازدراء ، ويقول :

ــ انـه الخطأ بعينـه ! ينبغي الرد عـلى الاهانـة بالاهـانة ، أو بـالصفعة أو بالرفسة . فالمرء لا يدافع عن شرفه بالجلوس فوقه !

عند تحرير باريس من نـير النازيـين ، في الحرب العـالمية الثـانية ، قـال الوزير البريطاني الأول ، وهو في شارع الشانزيليزه مخاطباً الحشد الهائل :

ــ حـذار . . سأتحـدث بالفـرنسية ، وهي مهمة ضخمـة ستضع عـلى المحك عاطفتك الودية نحو بريطانيا العظمى !

ولعـل اروع نوادر تشرتشل تلك التي تعـود إلى احلك ساعـات انكلترا

في الحرب العالمية الثانية ، بعد سقوط فرنسا تحت النير النازي . فقد كانت القوات الالمانية الهائلة وقتذاك موجهة كلها ضد انكلترا التي لم تكن مهيأة تماماً للحرب . فحاول الوزير الأول ان يعبىء قوى الامة كلها في خطاب رائع شهير اذاعته هيئة الاذاعة البريطانية (بي . بي . سي) ، جاء فيه :

ــ سنمضي حتى النهاية ، سنحارب في فرنسا ، فوق البحار والمحيطات ، سنحارب في الجو بقوة وثقة تكبر يوماً فيوماً . . سندافع عن جزيرتنا مهما كلفنا ذلك . سنحارب على الشواطىء ، سنحارب في المطارات ، سنحارب في حقولنا وفي شوارعنا ، سنحارب فوق التلال . . .

وفي تلك اللحظة ، وضع تشرتشل يده على الميكروفون ، واضاف متوجهاً بكلامه إلى المحيطين به :

ــ أجل سنقرع رؤوسهم بزجاجات البيرة الفارغة ، لأن ذلك هو كل ما لدينا من وسائل الدفاع ! . .

ومن أقواله :

* قال مرة عن احد خلفائه في الحكم : « ان الوقت الذي يقضيه في تأمل نفسه في المرآة ، يكرسه لاهمال واجبات المهمة الملقاة على عاتقه » !

* وسُمع مرة وهو يردد في سياق الحديث عن موسوليني :

ــ موسوليني ! موسوليني ! انه على أي حال السياسي الوحيد الذي كانت له الشجاعة على اعدام صهره .

* أنا اعتبر انه يستحسن ترك الماضي للتاريخ وخاصة انني اغذي فكرة كتابة هذا التاريخ .

* يضرب الرقم القياسي في الكذب في الحالات الثلاث التالية :

ـ قبل الانتخابات . . . اثناء الحرب . . بعد رحلة الصيد !

* باستثناء الهزيمة ، ليس ثمة ابعث على الحزن والكآبة من النصر !

* السياسة هي فن الكذب الأول . . .

* زوجات الساسة معذبات دائماً ، يُطلب إليهن الابتسام حيث يجب البكاء !

* لا أعرف الكثير عن مستقبل بريطانيا ، ولكني اعتقد انها تعاني من عقدة الكبرياء !

محمد علي جنَاح

في ١٤ آب سنة ١٩٤٧ ابصرت النور دولة جديدة اتخذت مقامها على خريطة العالم باسم باكستان بفضل الجهود والتضحيات المتواصلة التي بذلها في ذلك السبيل رجل فذّ عُرف بلقب القائد الأعظم المحبوب ، هو محمد علي جناح الذي وحّد جماهير مائة مليون مسلم في شبه القارة الهندية الباكستانية . وساعدهم على انشاء وطن قومي مستقل خاص بهم .

وقد كتب مرة رئيس تحرير جريدة « انديان اكسبريس » الصادرة في بومباي ، فرانك موراس ، يقول مطرياً شخصية السيد جناح الكبيرة :

« لقد استطاع تشرتشل ان يحفز انكلترا على مقاومة هتلر بالكلمات . وقد فعل القائد الاعظم الشيء نفسه مع مسلمي الهند ، فجند اتباعه بالكلمات . ومن المؤكد انه ليس هنالك أي زعيم اسلامي معاصر استطاع ان يفهم اكثر منه عقلية الجماهير الاسلامية في الهند ، وان يعرف افضل منه بالبداهة كيف يدعوها فتستجيب له وتنهض معه ، فقد كان السيد جناح يرن الجرس فيعمل كما لو كان جرس خطر » .

وكم كـانت صادقـة كلمة اللورد بيتيـك لورنس،آخـر سكرتـير لـدولـة الهنـد البريطانية، حـين قال بعـد وفاة القـائد الاعـظم : « لقد مـات غانـدي على يـد قـاتـل ، ولكن محمـد عـلي جنـاح مـات بسبب تكـريسـه نفسـه لباكستان » .

في ٢٥ كـانـون الأول من سنـة ١٨٧٦ ، في كـراتشي ، كـانت ولادة محمد علي جنـاح . وفيها ـ في عـاصمة الـدولة التي انشـأها ـ كـانت وفاتـه في ١١ ايلول من سنـة ١٩٤٨ ، ولم تكن باكستـان بعد قـد تجاوزت من العمـر في حساب الزمن السنة الواحدة بكثير .

وفوق ربوة عالية ، في قلب كـراتشي يقوم اليـوم المثوى الاخـير للقائـد الاعظم ، وهو ضريح فخم يحـج إليه في ذكـرى ميلاد ابي الامـة الباكستـانية الالـوف من البشر ليضعوا الـرياحـين فـوق هـذا المـزار الـوطني ، ويتلوا آي الـذكرى الحكيم مـرددين الصلوات عن روح مهندس كيـان وطنهم ، ورافـع شـأنهم ، الذي ابلغهم الاستقـلال بعـد الكفـاح الشعبي الـذي طـال مـائتي سنة .

كـان محمد عـلي جناح محـامياً شهيـراً ، وسياسيـاً لبقاً ، وبـرلمـانيـاً من طراز رفيع ، ومناضلاً قومياً عنيـداً . اكمل دراستـه العليا في انكلتـرا ، فنال سنـة ١٨٩٦ اجازة المحـامـاة من جـامعـة لنكـولن . ومـارس هـذه المهنـة في مسقط رأسـه لدى عـودتـه إلى الـوطن . الا انـه وجـدهـا صغيـرة تضيق عن مطامحه الكثيرة فانتقل إلى بومباي التي عرفتـه ، حتى مولـد باكستـان ، محامياً لامعاً وسيـاسيـاً يؤمن بـالحلول السلميـة . وقـد كـان الجميـع عـلى مسـرح السيـاسة الهنـدية مقتنعـين بأنـه يمسك بيـده الحـل السلمي الـوحيـد للعقـدة السياسية الهنـدية ، هـذا الحل « القـائم على ممارسة التعقـل في وجه انـدفاع عـواطف الـدهمـاء في شبـه ستـار وطني . وهكـذا طـالب عن ايمـان بتـطبيق الـوسائـل الدستـورية ، واظهـر بـواسـطة القـوة الـذهنيـة البحتـة ، والعـزم

المتين ، والتمسك بالهدف ، والارادة الحديدية عن اقتناع ان قوة القلم ليست اقل تأثيراً من قوة السيف » .

« برز جناح على المسرح السياسي في مطلع العشرينات من هذا القرن ، وكان مسلمو شبه القارة الهندية الباكستانية قد استخدموا عبثاً جميع الطرق والاساليب ابتداء من المقاومة العنيفة حتى المقاطعة الشعبية غير العنيفة للمؤسسات الغربية وذلك لتطبيق سياسة الاصلاح التي نادى بها زعيم كبير آخر من زعماء النهضة الاسلامية هو السيد أحمد خان ، مؤسس جامعة عليكرة الاسلامية الشهيرة .

« وتعتمد عظمة جناح على جهوده ذات العزيمة القوية لاخراج المسلمين من وهدة التفكك ، ومساعدتهم على بلوغ الاستقلال بعد ممارسة حقهم بتقرير المصير . وكان ان نجح في وضع اسس الامة بوجه معارضة عنيفة من جانب كل من الحكام الاجانب ، والحزب السياسي المنظم احسن تنظيم ، وهو حزب المؤتمر الوطني الهندي الذي كان يتزعمه قادة كغاندي ونهرو » .

دانتون

Danton

الزعيم الثوري الفرنسي جورج جاك دانتون (١٧٥٩ ـ ١٧٩٤) أهمله أبواه ، وضربته مدرّسته لانه كان فاسداً ، خليعاً . . ولكنه كان شديد الذكاء ، فإذا به يصبح من ألمع محامي باريس .

كانت حملاته على الزعماء المناهضين للثورة الفرنسية من أسباب فراره إلى انكلترا ، غير أنه ما لبث أن عاد إلى باريس ليصبح وزيراً للعدل في الحكومة الموقتة . وعلى الرغم من أنه لم يكن مسؤولاً مباشراً

عن الكثير من الفظائع التي ارتُكبت في الثورة الفرنسية فقد كانْ مشتركاً مع الذين كانوا مسؤولين عن ذلك . واقترع على موت الملك لويس السادس عشر . كان رئيساً للجنة السلامة العامة فترة من الزمن ، ولكنه استقال منها بعد اعادة تنظيمها ، فكلفه ذلك حياته . فقد كان له اعداء كثيرون يتشوقون لسقوطه ، وفي جملتهم رجل الثورة روبسبيير . فاتُهم زوراً وبهتاناً بأنه يتآمر لاعادة الملكية ، فقطع رأسه على المقصلة في ٦ نيسان ١٧٩٤ ، وهو في السادسة والثلاثين من عمره .

وحتى آخر لحظة من حياته ظل يتحدى خصومه مردداً : « انا دانتون حتى مماتي ، وغداً سأرقد على المجد ! »

دجيفرسُون

Thomas Jefferson

« مهندس الديمقراطية » ، ومؤسس الحزب الديمقراطي الاميركي ، توماس دجيفرسون (١٧٤٣ ـ ١٨٢٦) ، وهو ثالث رئيس للولايات المتحدة الاميركية . كان ثالث من دُعي باسم توماس في اسرته ، وثالث ابناء ابيه ، ذهب إلى ثلاث مدارس ، ووضع دستور الولايات المتحدة في سن الثالثة والثلاثين . . . عُيِّن مفوضاً ثالثاً وبقي ثلاث سنوات سفيراً ثالثاً لبلاده في فرنسا . وكان ثالث اعضاء وزارة واشنطن ، وثالث رئيس للجمعية الفلسفية الاميركية . خسر الرئاسة سنة ١٧٩٦ بثلاثة اصوات ، وكانْ يكره ثلاثة : الملكية ، والارستقراطية ، والتعصب . عاش حياته محباً لثلاثة : الهندسة ، والرسم ، والموسيقى . وفي العبارة التي طلب نقشها على ضريحه شاء أن يُذكر بثلاثة : اعلان الاستقلال ، تمثال فرجينيا ، وجامعة فرجينيا اللذين انشأهما . وكانت المُثل الثلاثة التي وضع بها أسس

الميثاق الاطلسي هي : الحياة ، الحرية ، والسعي وراء السعادة .

وكان دجيفرسون من اعظم الرجال الاميركيين في كل العصور . . . كان عالماً نباتياً ، وجندياً ، ومحامياً ، ورحالة ، وجرّاحاً ، واقتصادياً ، وشاعراً ، ومخترعاً ، ومربياً ، وكيميائياً ، ومهندساً ، وعالماً حيوانياً ، ورساماً ، وموسيقياً ، ولغوياً ، ومزارعاً ، وصانع عربات ، ودبلوماسياً ، وبستانياً ، وسياسياً ، ورياضياً ، وعالماً بالاجناس ، ومشترعاً . . .

اخترع محراثاً وعصا للسير ، وكرسياً يُطوى ويُنشر حسب الحاجة ، ومركبة ذات عجلتين لراكب واحد ،وعدّاداً لقياس المشي ، وآلة للقنّب ، وطابعاً للحروف .

وأدخل إلى الولايات المتحدة الاميركية الزيتون ، والارزّ ، والغنم المعروف باسم ميرينو ، والمصعد ، ونبات القبّار ، وخنازير كلكوتا . . .

دِزرَايلي

Benjamin Disraelli

لم تطأ قدما بنيامين دزرايلي (١٨٠٤ ـ ١٨٨١) ، السياسي البريطاني الداهية ، والقاصّ السياسي الأول الذي أصبح رئيساً لوزراء بريطانيا ، أرض أي مدرسة أو جامعة ، تدرّب فترة من الزمن في مؤسسة يديرها بعض المحامين ، ودخل المجتمع من بابه العريض بفضل مكانة والده ونفوذه ، فلم يكد يبلغ العشرين حتى كان قد أصبح معروفاً تماماً في لندن . وظهرت أولى رواياته فيفيان غراي سنة ١٨٢٦ . ومن مؤلفاته الشهيرة روايات كوننغسبي ، وسيبل ، وتنديميون . . .

إنه والحق يقال قاصّ بريطانيا السياسي الأول ، الاوحد . فقد

تمرّس بالسياسة ، وسبر غورها ، ووقف على دقائقها وخباياها . . وفي عروقه يجري الدم السياسي .

صحيح أن الاضرابات ، والاضطرابات الشعبية والشغب ، ومشاكل العدالة الاجتماعية ، ومشاكل الانتخابات وسواها قد الهمت بعض ادباء القصة الانكليز في العصر الفيكتوري امثال الاديبتين مسز غاسكل ، وجورج إليوت ، وجورج ميريديث ، وآلن ترولوب . . ولكننا لا نستطيع القول ان هؤلاء الروائيين من طراز دزرايلي ، لأن السياسة لم تكن من اختصاصهم . وقد اجمع النقاد على أن روايتي سيبل وكونِنغسبي هما ، ولا ريب ، الروايتان السياسيتان الوحيدتان في الادب الانكليزي .

كانت الملكة فيكتوريا تقرأ ما يكتبه دزرايلي فتقول ان أحداً لم يخبرها بكل شيء من قبل كما فعل دزرايلي في رواياته . فهو لا يكتفي بعرض المشهد الرئيسي بل يعمد الى فضح محادثات الاندية والمخادع ـ وخصوصاً محادثات المخادع ـ وإلى تأمّل النشاط في الميدان السياسي بدهاء وخبث . فهو ذو طبيعة انسانية طموح ، عينه ثاقبة النظرات ، وملء جناحيه روح دعابة ممتازة . أما نظرته العامة إلى عصر الدوق ولنغتون وما تخلله من المثالب والفضائح والفواجع فهي نظرة أقل ما يقال فيها انها تنطوي على انتقادات هدّامة .

وليس من الغلو في شيء أن نقول ان ابشع الصور التي يزخر بها الأدب الانكليزي هي تلك التي رسمها بدقة وصراحة متناهيتين . . صوّر الحدادين وغيرهم من مستخدمي الحرف الصناعية كعمال الحياكة وعمال المناجم وعمال المسارح وعمال البناء وعمال المصانع الصاخبة ، المعتمة المعدومة فيها الشروط الصحية الأولية . أما ما نقله عن ألسنة هؤلاء المحرومين فإنه الحقيقة ، لا زيف فيها .

كـان دزرايلي كثير التنقـل والارتحـال ، وقـد أفـاد من التجـارب التي صـاغها مـادة لروايـاته . تعـددت محاولاتـه لـدخـول مجلس العمـوم قبـل أن يـظفر فيـه بمقعد سنـة ١٨٣٧ ، وهي السنة التي تسنمت فيهـا العرش الملكـة فيكتـوريـا . وفي سنـة ١٨٥٢ عُـين وزيــراً للمـال فبقي في الــوزارة عشـرة أشهـر . وبعد ست سنـوات عُـيِّن في المنصب نفسـه في وزارة اللورد داربي . وقـد تحقق طمـوحـه سنـة ١٨٦٨ عنـدمـا أصبـح رئيسـاً للوزارة خلفـاً للورد داربي المستقيـل . ولم يبق في الرئـاسة إلا حـوالى السنة ، ولكنـه عاد فتـرأس الـوزارة سنة ١٨٧٤ . وقـد مُنـح بعـد سنتـين لقب ايـرل اوف بيكنـزفيلد . وكـانت الملكة فيكتـوريـا شـديـدة التعلق بـه . وقـد استقـال سنـة ١٨٨١ ، وتوفي بعد ذلك بسنة واحدة .

ومما يذكـر عن دزرايلي أنـه اقتـرض مبلغ ٤ مـلايـين جنيـه من بنـك روتشيلد وعجّـل بشراء اسهم مصر في قنـاة السويس . وكـان وزير الخـارجية البـريطانيـة اللورد داربي أول من علم بالمفـاوضات بـين الخديـوي اسماعيـل وبعض المـاليـين الفـرنسيـين لبيـع الاسهم المملوكـة لمصر بسبب حـاجتـه إلى المـال . وقد اضـاع اسماعيـل على مصر بهـذه الصفقة امتيـازها الـوحيـد من مشروع القناة .

كـان هذا الـوزير الانكليـزي الذي حـالف تركيـا ، وكسب قبـرص ، واشترى لبريطانيا اسهم قناة السويس يـرتدي « الكـورسيه » كـالنساء تمـاماً . وكان كلما تقدمت بـه السن أكثر من العنـاية بنفسـه ، وتجميل وجهـه . وكان يقف أمام المرآة وقتـاً أطول من الوقت الذي تقضيه زوجته أمامها ! . .

ديموستنيس

Demosthenes

أبصر ديمـوستينيس ، ويُعتبر من أعـظم خطبـاء العالم القـديم ، النـور

في اتيكا (باليونان) حوالى العام ٣٨٣ قبل الميلاد . وقد قرر منذ نعومة أظفاره تكريس حياته لخدمة مصالح بلاده ، وانصرف إلى الشؤون العامة وهو في منتصف العقد الثالث . فتميّز الشطر الأول من حياته بمحاولة اقناع مواطنيه بالاتحاد ومقاومة تدخلات فيليبوس ملك مقدونيا . فلم يحالفه النجاح في هذا المسعى ، وانتصر الملك فيليبوس في النهاية على الاثينيين ، ولكنه عاملهم باعتبار وروية زائدين . وقد رثى ديموستينيس بخطب رائعة أولئك الذين لاقوا حتفهم في المعارك التي دارت رحاها بين مواطنيه وقوات الملك فيليبوس . وخطبه التي يهاجم فيها الملك المقدوني عديدة وعنيفة ، وتُعرف بالفيليبية .

ناصب امير الخطابة الملك فيليبوس المقدوني العداء طوال خمس عشرة سنة لأنه أراد استعباد وطنه اثينا . ومكافأة له على وطنيته الصادقة ، واصلاحه أسوار اثينا على نفقته الخاصة ، اقترح السياسي ستيسيفون على الاثينيين منحه تاجاً من ذهب . فاتهم اشينس زميله ستيسيفون بخرق قوانين الدولة ، مما حمل ديموستينيس على القاء خطابه الشهير « من اجل التاج » الذي بُرئت على أساسه ساحة ستيسيفون .

ولما توفي الاسكندر ذو القرنين وضع ديموستينيس بلاغته في خدمة اليونانيين الاتحاديين ، إلا أنه لما شعر بعجزه عن القيام بكل واجباته على الوجه الأكمل انتحر للتخلص من بطش القائد المقدوني أنتيباتر ، نائب الاسكندر الكبير ، الذي حكم مقدونيا اثناء انهماك ذي القرنين في فتوحاته الشرقية .

ومما يروى عن أمير الخطابة هذا انه لم يكن بطبيعته مؤهباً ومؤهلاً لاعتلاء المنابر ، ومواجهة الجماهير في المجالس والندوات العامة . . فقد كان ألثغ ، الأمر الذي حمله على خوض معركة لا هوادة فيها ، مع

نفسـه ، لتحسـين صـوتـه ، وتقـويـة صـدره ، واصـلاح حـركـات يـديـه وإشاراته . فكـان يتلو الخـطب الـطويلة بعـد أن يمـلأ فمـه حصىً صغيـراً ، ويقف عـلى شـاطىء البحـر محـاولاً السيـطرة بصـوتـه عـلى صخب الامـواج الهادرة ، وكل غايته من ذلـك ، على حـد تعبيره ، تعـويد نفسـه على مجابهة عـواصف المجالس التي تصـطخب فيها المنـاقشـات . وغـالبـاً مـا كـان يقف تحت حد السيف ليصلح من بعض حركات جسده ويديه اثناء الخطابة . .

رُوبسْبيير

Robespierre

لاقى الثائر الفـرنسي مكسيميليان مـاري ايزيـدور روبسبير حتفـه على المقصلة ، فكـان مصيره ممـاثلاً لمصير الآلاف من الـذين حكم عليهم بـالموت خلال حكم الارهاب . . فالثورات غالباً ما تأكل أبناءها !

ولـد روبسبيـير في ٦ ايـار ١٧٥٨ ، وكـان من اتبـاع روسـو ، درس الحقوق وامتهن المحاماة ، وسرعـان ما اصبـح زعيماً لـلاحرار فتـوّجه الشعب قـومياً متـطرفاً . لم يكن نفـوذه مطلقـاً بين الـراديكـاليـين في مـراحـل الثـورة الفـرنسيـة الأولى ولكن مـطالبتـه بمـوت الملك لـويس السـادس عشر عملت الكثـير على دعم مـركزه وتقـويته . وفي تمـوز ١٧٩٣ اصبح عضـواً في « لجنـة السـلامة العـامة » ، فـأقـر بصفتـه هـذه الاعمـال التي تـربط اسمـه بـأفـظع أهـوال الثورة . ولكنـه على الـرغم من كل اخـطائه لم يخـدع الجماهـير وبقي على اخلاصه .

بـدأ انهيار روبسبيـير عندمـا حاول بسط سيـطرتـه عـلى سـائـر اعضـاء اللجنة . وقد اصبـح دكتاتـوراً مطلقـاً لمدة تـزيد عـلى ثلاثـة اشهر . وجـرت

أول محاولة فاشلة لاغتياله في ١٧حزيران ١٧٩٤ . إلا أنه لم يكد يمضي شهر على ذلك حتى اقتيد إلى السجن في حالة يرثى لها بعد أن أصيب بطلق ناري في فكه . وحُكم عليه بالاعدام ، وقُطع رأسه على المقصلة في ٢٨ حزيران ١٧٩٤ .

ثيودُور رُوزفلت

Theodore Roosevelt

ثيودور روزفلت (١٨٥٨ ـ ١٩١٩) ، هو الرئيس السادس والعشرون للولايات المتحدة الاميركية . وُلد سقيم البنية ، ولكنه تغلّب على ضعفه الجسماني بالتمرينات الرياضية والارادة الحديدية . وكان شديد الشغف بالمطالعة والاهتمام بالعلوم الطبيعية .

ويروى عنه أنه خلال رحلته إلى المجاهل البرازيلية ، أقام مخيمه تحت أشجار ضخمة في بقعة جافة . وبعد أن دبّر شؤونه تناول نسخة من كتاب غيبون الشهير « انحطاط الامبراطورية الرومانية وانهيارها » وجعل يقرأ ، غير آبه بالمطر المتساقط ، والاصوات التي تكثر في الغابات الاستوائية ، وبالجلبة المزعجة القائمة في أرجاء المخيم . . .

تخرّج في جامعة هارفرد سنة ١٨٨٠ ، ووضع على الاثر كتابه التاريخ البحري سنة ١٨١٢» ، وهو كتاب ما يزال يُعتبر مرجعاً ثقة ، واتبعه بكتب عدة أشهرها كسب الغرب .

كان نائباً للرئيس ماك كنلي سنة ١٩٠١ ، فلما اغتيل هذا في ايلول من تلك السنة قفز هو إلى سدة الرئاسة . واعيد انتخابه سنة ١٩٠٤ . وقد حقق الكثير خلال مدة رئاسته : قناة بناما ، وحفظ الموارد الطبيعية ، وتنظيم الصلح بين روسيا واليابان سنة ١٩٠٥ مما استحق عليه جائزة

نوبل .

كـانت حيـاتـه البيتيـة سعيـدة ، وكفـاحـه مثلاً احتـذاه الشبـاب الاميركي . . وكان ولوعاً بالصيد فقضى سنة كاملة في مجاهل افريقيا . قام سنـة ١٩١٣ برحلة إلى اميـركا الجنـوبية حيث اكتشف نهراً مجهـولاً دعي فيـما بعد باسمه « ريو تيودورو » .

وكـان الرئيس ثيـودور روزفلت في جملة اصحـاب الـذاكـرة القـويـة . فقد كان شـديد الاهتمـام بالاجتمـاع إلى الناس ، ومعـرفة بعض التفـاصيل الشخصيـة عنهم ، وطبع سيمـاهم في ذهنه ، وتـذكّر حـركاتهم واسمـائهم ، مما كان له أكبر الاثر في حياته السياسية .

وكـان يجعـل الكثيـرين يشعـرون أنهم ذوو شـأن ، إذ ينـاديهـم باسمائهم ، بعد أن يكون قد قابلهم مرة واحدة .

ومما يروى أنـه فاجـأ صيرفيـاً يابـانيـاً ، لم يـره منذ خمسـة عشر عامـاً ، بحديث كانا قد تجاذبا أطرافه قبل هذا التاريخ .

ريشليو

Richelieu

وُصف هذا السياسي الفـرنسي الداهيـة (١٥٨٥ ـ ١٦٤٢) بأنـه لم يكن لـه حليف إلا شخصيتـه الفـذّة . كـان عنيـداً ، وعـادلاً ، وذا ارادة من حـديد . وعـلى الرغم من أنـه لم يكن قويـاً بـدنيـاً ، إلا أن جسمـه الهـزيـل المكسـو بملابس الكـرادلة الحمـراء القرمـزية كـان يفرض الاحتـرام والطاعة حتى من أولئـك الذين كـانوا يكـرهونـه ويهـابـونـه . وقـد عـاش حيـاة بـذخ وفخفخة بعد أن حالف النجاح المادي سياسته .

كـان ريشليو تـواقاً إلى الشهـرة الادبية ، ولكن عـطفه عـلى الادبـاء ، ومن أبرزهم بيير كـورناي ، كـان اهم من كتابـاته . وهـو مؤسس الاكاديميـة الفرنسية ، وباني العديد من بنايات السوربون .

رُسم ريشليـو اسقفـاً سنة ١٦٠٧ بعـد أن حصـل عـلى تصـريـح من البابا لصغر سنه . وأصبـح كاردينـالاً سنة ١٦٢٢ . ولم يجـد كبير صعـوبة في الحصـول على رضى وعـطف الملكـة الام مـاري دي ميديسيس . ومـا لبث أن أصبـح بـدهـائـه وذكـائـه رئيس وزراء الملك لـويس الثـالث عشر ، في آب ١٦٢٤ . وقـد عمـل جهـده طـوال الثمـاني عشـرة سنـة التي تلت ليجعـل السلطة الملكيـة ، التي كـانت في الـواقـع سلطتـه ، مـطلقـة في فـرنسـا والخـارج . ونجح في كسب تـأييد عـدويه الـرئيسيين في فـرنسا دون مـا كبير عناء ومعارضة : البروتستانت (الهوغونو) ، والنبلاء الاقطاعيين .

وغضبت عليـه الملكـة الام بسبب بعض الشـائعـات حـول عـدم مبـادلتهـا الحب . وعلم الملك بـذلـك ، وكـان شـديـد التعلق بالكاردينـال ريشليو ، فأوهم أمـه أنه سيـطرده من بلاطـه وخدمتـه . فاستـدعاه وأكـد له ثقتـه فيه ، وتـأييده التـام له . ولما لم تستـطع مـاري دي ميديسيس مصـالحـة الكاردينال غادرت باريس ولم يُسمح لها بالعودة .

أمـا التهديـد الثاني الـذي تعـرّض لـه ريشليـو فكـان من شقيق الملك الـذي كان يسـانده هنـري ، دوق دو مونمـورنسي ، فأرسـل ريشليـو الـدوق إلى المقصلة ، فكـان أول نبيل يُعـدم ، وآخر حلقـة من سلسلة أسرة شهيـرة يرجع تاريخها إلى سبعة قرون .

كـانت سياسـة ريشليو في الخـارج شبكة من التـآمـر السيـاسي غـايتهـا أضعـاف اعداء فـرنسا ، فكـانت ناجحـة لا تعرف الهـوادة ، كـما كـانت في فرنسا ، وقد توفي هذا الوزير في ٤ كانون الأول ١٦٤٢ .

ستالين

Joseph Stalin

وُلـد ستالـين ، أي الفولاذ ، واسمـه الاصلي جـوزف فيساريـونوفتش دجـوغشفيـلي ، في قـرية غـوري الجبلية الـواقعة في مقـاطعة جيـورجيـا سنـة ١٨٧٩ . وكـان والده فيسـاريون دجـوغشفيـلي فـلاحـاً من بلدة ديـدو ـ ليلو المجـاورة ، وامه ايكـاترينـا غيلانسـه ، وكان اجـدادها من الاجـراء في قريـة غمباريولي .

ولا يُعـرف الكثير عن والـد ستالـين . فقـد عمـل اسكـافـاً ردحـاً من الزمن . ويقال انه اشتغل عـامــلاً في احـد مصانـع الاحذيـة في ادلخانـوف ، وانه كان يدمن الخمر . امـا والدتـه فكانت امـرأة ورعة ، شـديدة التقـوى ، تغسـل الثياب بـالاجرة لتعيـل اسرتهـا . وكانت امنيـة حياتهـا ان تـرى ابنهـا كاهناً ، فالتحق ستالين الصغير بمدرسة غـوري الابتدائيـة ـ ودورتها التعليميـة اربـع سنـوات . وفي سنة ١٨٩٤ حصل على منحـة لـلالتحـاق بمعهـد تفليس الـديني الـذي كـان ، فضـلاً عن التعليم ، يقـدّم إليه المـلابس والـطعــام ، والكتب مجـانـاً . ولكنـه طُـرد بعـد اربـع سنـوات ، فـانصـرف إلى النشـاط الثوري .

تـزوج ستالـين للمرة الأولى ايكـاترينـا سفانـدتسه ، فـانجبت له ابنــاً واحـدفا هـو ياشـا ـ يعقوب دجـوغشفيلي . وكـان بليـداً ، فعمـل كهـربـائيـاً ميكـانيكيـاً في القـطارات الحـديـديـة حتى بعـد ان اصبـح والــده دكتـاتــور روسيا .

أما زوجته الثانية فتدعى ناديـا اليلوييغا ، وقـد انجبت له ابنـه فاسيـلي وابنته سفتلانا .

في سنة ١٩٠٠ اصبح ستالين عضوا في الحزب الاجتماعي الديمقراطي ، فظل حتى سنة ١٩١٧ يعمل في مجالس الحزب الداخلية . وقد أوقف ست مرات ونجا خمس مرات . وفي المرة الاخيرة (سنة ١٩١٣) نفي إلى سيبيريا حيث بقي حتى سقوط القيصرية .

كان ستالين عارفاً بأوضاع العمال في روسيا ، وكان يتمتع بعطف زعيم الحركة لينين وتقديره ، وقد بقي على اتصال وثيق به بعد سنة ١٩١٧ . وتسلم مفوضية الاجناس اربع سنوات ، ثم اصبح سكرتير الحزب الشيوعي . وقد خشي لينين من الخصومة التي بين ستالين وتروتسكي وحذّرهما من اخطارها ومغبتها .

على أنه بموت لينين دب النزاع بين الزعماء على القيادة . فقد اصيب لينين في ايار سنة ١٩٢٤ بنوبة فالج اعدمته النطق ، وشلت منه الجهاز العصبي. وفي كانون الأول اصيب بنوبة أخرى ، فحل محله ثالوث يتألف من زينوفييف ، وكامينيف ، وستالين . واستمر هذا الثالوث في الحكم بعد موت لينين في السنة نفسها حين اصيب بنوبة ثالثة قضت عليه .

وشرع ستالين عندئذ في تعزيز منصبه ، فدبر في نيسان ١٩٢٥ عزل تروتسكي من مفوضية الحربية . وفي الشهر نفسه انفصل عن زينوفييف وكامينيف ، واتحد مع اعضاء المكتب السياسي الآخرين بوخارين ، ورايكوف ، وتومسكي .

ووحد تروتسكي وزينوفييف وكامينيف جهودهم لمقاومة ستالين ، ولكن بعد فوات الاوان . ففي شباط ١٩٢٦ طُرد زينوفييف من المكتب السياسي ، ثم من رئاسة سوفيات بطرسبرج (وقد اصبحت مدينة بطرسبرج تدعى لنينغراد) ، واخيراً من رئاسة الاممية الثالثة

(الكومنترن) . وفي ٢٣ تشرين الأول طُرد كل من تروتسكي وكامينيف من المكتب السياسي . فتم بهذا وضع الحد النهائي لاي مقاومة فعالة لستالين . وتلا ذلك فصلُ زينوفييف ، وكامينيف ، وتروتسكي من لجنة الحزب المركزية ، ثم شطبُ اسمائهم من الحزب . وفي سنة ١٩٢٩ نفي تروتسكي إلى الخارج ، واصبح ستالين في حزيران سنة ١٩٣٠ دكتاتور روسيا غير منازع .

وعندما هاجمت الجيوش الالمانية روسيا سنة ١٩٤١ قاد ستالين بحكمة وحنكة كبيرتين الجيش الاحمر في حربه الدفاعية والهجومية . وقد اصبح قائداً عاماً للجيوش السوفياتية سنة ١٩٤٣ ورقي إلى رتبة مارشال . وكان لروسيا فضل كبير على انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية . وكانت وفاته في موسكو سنة ١٩٥٢ .

عبد العزيز بن سعود

وُلد المرحوم الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود في قصر أبيه بالرياض في شهر كانون الأول سنة ١٨٨٠ ميلادية .

ختم القرآن في الحادية عشرة من عمره وتلقى أصول الفقه .

غادر بلاده ولجأ ووالده إلى الكويت تحت ضغط ابن رشيد مما جعله يصمم النية ويعقد العزم على استعادة أرض الآباء والأجداد . فعمل منذ صغره على التعلم على يد والده بمرافقته كثيراً للتعرف على أحوال العرب والإلمام بتاريخهم . فكان يدقق في كل صغيرة وكبيرة ، وفي كل شاردة وواردة ، ليقف على حقائق الأمور فلا يذهل عنها لأنه كان يعتقد بأنها تسعفه في تحقيق الأهداف الجليلة التي كان ينشدها .

وتم لـه ما أراد فاستعاد الـريـاض من ابن رشيـد عام ١٩٠٢ ميـلاديـة وانتـزع مكـة من الشـريف حسين عـام ١٩٢٤ واستقر لـه حكم الجزيـرة العربيـة .وعمـل عـلى تـوحيـد الأقـطار الخاضعة له عام ١٩٣٢وسماها المملكة العربية السعودية .

وتشكل المملكة اليوم دولة في قلب شبه الجزيـرة العربيـة عاصمتهـا الريـاض وتقسم إدارياً إلى أربعة أقاليم :الإحسـاء ونجد والحجـاز وعسير وأهم مـدنها مكة المكـرمة والمـدينة المنـورة وجدة والطائف والدمام والظهران .

ويقوم اقتصاد المملكـة العربيـة السعوودية على البترول إذ تُعتبـر الدولـة العربيـة الثانيـة من حيث الانتاج .

سميراميس

Semiramis

سميرا ميس (واسمها بالآشورية سيمورامـات) ، الملكة الحسنـاء التي ألهمت العـديـد من الكتّـاب ، ومنهم فـولتـير ، كـانت في نـظر الكثيـرين ، ولمدة من الزمن طـويلة ، اميرة من اميـرات الاساطـير . وكثيرون هم الـذين شكّـوا في وجـودهـا الحقيقي في غـير مخيّلة الشعـراء . سـوى ان علماء الآثـار والمنقّبـين اكتشفـوا ، في نمـرود (كلخ اليـوم) في أيـران ، نصبـاً لا يثبت وجـود سميراميس وحسب ، بـل يلقي ضوءاً عـلى حيـاتهـا . وهـذا النصب محفوظ في المتحف البريطاني في لندن .

نحن في دمشق ، حـوالى السنة ٨٠٠ قبـل الميـلاد . . في منـزل مجـاور لهيكل إلاهة الشمس وقفت صبيّـة رائعة الجمـال تحدّق ، بـامعان ، في احـد

العرّافين الملكيين . وقد ذبح ، ليكشف لها طالعها ، ثلاث دجاجات كان دمها ما يزال يسيل على ثوبه الكتاني الابيض . وكانت تُسمع من قريب اناشيد حارقي البخور امام آلهتهم . وتكلم العرّاف فقال : « ستحكمين شعوباً ، يا سيمورامات ، وسيكون العالم عند قدميك ، ولكن الرجل الذي ستحبينه اكثر من حياتك ستكون نهايته على يدك ! »

وتحلم سيمورامات : « الرجل الذي سأحبه ؟! » انها تعيش في حريم حاكم دمشق ، ولكنها لم ترَ سيدها قط .

ويهاجم دمشق جيش اشوري ، لأن المدينة ثارت على مليكها البعيد نينوس ، عاهل آشور . ويبدأ النهب ، والحريق ، والاغتصاب . ويلمح قائد الحملة ، الجنرال جنزو ، سيمورامات وهي تحاول الهرب ، فيصيح بها : « تعالي إلى هنا . ازيحي النقاب عن وجهك . . . انك حسناء ! »

وتتوسل إليه ، ولكن على غير جدوى : « دعني وشأني ، أنا لست سورية . . . »

إلا أن جنزو تصعقه نظرات هذه الحسناء المجهولة . . . نظراتها الغريبة ، فلا يبالي بتوسلاتها .

ويحمل جنزو سيمورامات إلى خيمته ، ويحاول معانقتها ، فتبعده عنها مرددة :

ـ يمكنك أن تنال مني بالقوة ، ولكنني لن اكون لك باختياري !

وتصل القوات الاشورية الغازية إلى اطراف آسيا . وها هي سيمورامات ، بعد ظهر أحد الايام ، وحيدة في خيمة جنزو ، فإذا ببابها الجلدي يُفتح ، ويطل منه شاب غريب . وتتلاقى نظراتهما لحظة . أنه شاب طويل القامة ، وسيم الطلعة .

كان هذا الشاب الجميل الغريب نينوس ملك آشور ، وابن الملك سلمانازّر الثالث . إنه ملك قوي ، وفاتح عظيم . الحرب في نظره فنّ مقدس ولكن حبه يطغى على كل شيء ، فيخطف سميرا ميس في اليوم التالي ، وقد أيقن ، بعد ليلة كاملة قضاها مؤرقاً متأملاً ، أنه إذا لم تصبح سميراميس له ، فلا معنى البتة لفتوحاته وانتصاراته . وسيعلم كيف يتخطّى القوانين المقدسة بانتزاعه عبدة رقيقة من أحد اتباعه . ولكن ذلك لا يهمه في قليل أو كثير ، وينسى كل شيء وهو يحمل إلى خيمته الصبيّة الحسناء بملء رضاها .

ويتحابُ الاثنان حباً عارماً . فسميراميس تردد همساً برقة وعرفان جميل : « أحبك اكثر مما أحب حياتي ! » ولكنها تضطرب فجأة اذ تتذكر أقوال العرّاف الرهيبة .

وينجح جنزو في الوصول إلى بابل ، ولا يحلم إلا بالانتقام من نينوس لأنه انتزع منه سميراميس وهي ملك له . لقد ملكت عليه لبّه ، وبات لا يسعه أن يطردها من خياله .

وينقض نينوس وسميراميس كل القوانين ، ويهزآن بكل التقاليد ، فلا يفترقان حتى في الاحتفالات الدينية المقصورة على الرجال دون النساء . ولكي تتبع سميراميس الرجل الذي تحب في رحلات الصيد ، والصيد فن يعادل في قدسيته فن الحرب لدى الآشوريين ، كانت تتزيا بزي الرجال . وذات يوم يهاجم نينوس أسداً برمحه ، ولكنه يخطئه ، فتصيح سميراميس : « احترس ، يا نينوس ! » وتقفز من عربتها وتطعن الأسد الهائج بالرمح معرّضة نفسها للخطر ، فيسقط ملك الحيوانات الذي اسقط مليكها . . ويضاعف هذا العمل الجريء حب نينوس لها ، وقد رآها تجمع جرأةً وشجاعةً إلى ذكاء وقوة شخصية . ويبسطان سلطانها على

اراضي شاسعة وشعوب عديدة ، ولكنهما يحلمان بمدّ رقعة حكمهما ، تدفعهما الى ذلك وطنية متطرفة . وتمجّد سميرا ميس أحلام نينوس : « أنت لا تُقهر يا مليكي . يمكنك ان تذهب بجيوشك إلى نهاية العالم ، فأتبعك ! سنبني قصوراً شامخة ، ومدناً عجيبة غريبة تخلد على الدهر ! »

ويبتسم نينوس ويقول : « ستجعلين ، يا مليكتي ، الحدائق الغنّاء تنبت في الصحارى ! ولكن في انتظار ذلك ، ينبغي لنا القضاء على ثورة البابليين ، سي... ـون غالياً ثمن جرأتهم . . . ولقد جمعت قادتي لهذه الغاية » .

ان بابل ، منافسة آشور ، والمدينة التي تقع تحت سيطرة الآشوريين ، تقلق بال سميراميس . ففيها يعيش جنزو . ولكن لا وقت لديها للتفكير في مثل هذه الامور ، فالحب الذي يشدّها إلى نينوس كافأها اجمل مكافأة . فقد رُزقت ابناً دعته نيراري أداد . ويصيح نينوس : « سيكون لك الملك ، يا عزيزتي ! » فتتنهد مرددة : « بعد أمد بعيد ، لأن ذلك يعني أنك تكون قد غادرت هذه الدنيا » .

وترتعد فرائصها دون أن تدري سبباً لذلك ، وتقرر مراجعة العرّاف الملكي ابراميس حالما تنهض من فراش الوضع .

ويقول لها العرّاف : « ان سعادتك مهدّدة ، ايتها الملكة ، لأن الآلهة غيرى ، وستضربك ضربة مؤلمة ، لأن العاطفة التي تجمع قلبك إلى قلب الملك نينوس قد تخطت الحدود البشرية ! »

وفي احدى الليالي يخفّ أحد الجواسيس إلى نينوس قائلاً :

ــ جنزو جاء إلى القصر . انه في الحدائق ، ويتجه نحو جناح

الملكة .

ويهرع نينوس على الفور دون أن يفطن إلى دعوة حرسه . انه لا يشك في أمانة سميراميس ، ولكنه يخشى انتقام خصمه العنيد منه . ويلتقي الخصمان في احد ممرات القصر ، وتلتقي نظراتهما . وسرعان ما يلقي نينوس خنجراً عند قدميّ جنزو وينتضي خنجراً . ويفهم القائد معنى ذلك ، فيهاجم نينوس بعنف ، فيرد عليه الملك باستماتة ويطعنه في عنقه . وبعد أن يلقي عليه نظرة أخيرة ، ينسحب ليبلغ سميرا ميس النبأ ، وهو يكاد يطير فرحاً للسرور الذي سيتملكها لدى اطلاعها على مقتل من سامها صنوف العذاب !

وكانت سميراميس في الظلمة ، لا تستطيع ان تتميز الظل الذي يقترب من مقعدها . وينحني الظل عليها ويأخذها من ذراعها ، ويروح يبحث عن شفتيها . فتنتضي خنجرها وتطعنه به . وعندما تسمع صيحة الالم والموت ، تدع الجثة تقع على الأرض ، وتنادي احد العبيد من حاملي المشاعل ، وتلقي آخر نظرة على المغلوب ، الميت . ولا تلبث ان تشق هدوء الليل صيحة منكرة ، وتلقي سميراميس بنفسها فوق جثة نينوس . وتتحجر الدموع في مقلتيها ، وتحس كأنها انتقلت إلى دمشق ، وتطن في اذنيها عبارات العرّاف : « ان الرجل الذي ستحبينه اكثر من حياتك ستكون نهايته على يدك ! » ففي هذه اللحظة قررت الآلهة مصيرها ومصير نينوس . ويقبل عبدٌ فيخبرها انه اكتشف جثة جنزو . فتفهم كل شيء . نيراري ينبغي ان يحكم ، ولا ينبغي ان تحوم حولها الشبهات . فتأمر بنقل جثة نينوس إلى الحدائق . . . وجثة جنزو إلى مخدعها . ثم تستدعي الكهنة الكبار وضباط القصر .

وتبسط سميراميس سيطرتها على آشور والبلدان الخاضعة لها : ايلام ، وميديا ، وسوريا ، وفينيقيا ، وبلاد شعب البحر . وكان يخيل

إليها ان نينوس بالقرب منها يوجهها ويمنحها القوة . وقد اخلصت لذاكره ، فحاربت البابليين وقهرتهم على الرغم من تحالفهم مع الكلدانيين والعقاديين . وجعلت من بابل عاصمة امبراطوريتها ، وأقامت قصراً منيفاً ، وانشأت جنائن معلقة . ولطالما اخبرت نيراري بما كان يردده والده : « ستجعلين الحدائق الغناء تنبت في الصحارى ! » وتضيف قولها : « عما قريب تصبح ، يا نيراري العزيز ، في سن تخوّلك الملك ، كما شاء لك والدك ! » .

شجَرة الدّر

هي قصة حب وبغض ، قصة حسد وثأر ، قصة حياة ترف ، وتنعّم ، وموت مروّع ، في أطار من الدم والمذابح . إنها قصة السلطانة الفاتنة شجرة الدر التي تحتل مقاماً رفيعاً في امبراطورية النساء في الشرق . تزوجت من السلطان الملك الصالح ونعمت معه برخاء عميم ، وسعادة وارفة الظلال ، تشاطره مجده ، وقوّته ، ورفعة شأنه .

كانت مصر ، تلك البقعة الغنية من الشرق ، ترتع في أمن ، وسلام ، وطمأنينة لما بدأت الحروب الصليبية .

ووصل الملك القديس لويس الفرنسي بجيشه إلى المنصورة حيث دارت رحى معركة طاحنة .

وفي وسط هذه المعمعة الهائلة ، وبينا كانت النفوس مضطربة تتوق إلى معرفة النتيجة ولمن ستكون الغلبة ، توفي السلطان الملك الصالح أيوب على حين غرّة ، فكان موته خنجراً مصوباً إلى صميم زوجته الحسناء شجرة الدرّ . فاسودت الدنيا في عينيها ووقعت فريسة لألم نفسي شديد . وعملت جهدها للاحتفاظ بالنبأ الفاجع ، وحبسه عن شعبها المناضل .

وكان لشجرة الدّر في سوريا خصم عنيد يدعى طوران شاه ، ابن زوجها السلطان الملك الصالح . وكانت تعرف انه من الدّ خصومها واكثرهم شعبية ، وقوة ، ونفوذاً . فلم يكد طوران يسمع بنبأ وفاة والده حتى خفّ ألى مصر يطالب بوراثة العرش . ولم يكتف بهذا ، بل راح يلصق بشجرة الدّر زوج ابيه ، التهم الشنيعة . ولم يستغرق تدبيرها المؤامرة لاغتيال طوران شاه وقتاً طويلاً .

ولما تخلصت شجرة الدر من غريمها ، اعلنت نفسها سلطانة على مصر ، وتسمّت « المعتصمة الصالحية أم خليل ، عصمة الدنيا والدين وملكة المسلمين » . . وهي المرأة الوحيدة التي جلست على عرش الخلفاء في مصر . . . وإذ كان من المتعذر ، بل من المستحيل عليها ان تمارس السلطة ، لأنها امرأة ، فقد تزوجت من الشاب الجميل أيبك ، أحد الامراء المماليك .

وكانت الحياة السعيدة قد بدأت تبسم لشجرة الدرّ لما اخذت الغيوم تتلبد قاتمة في الجو . فهذا زوجها ايبك يفكر في زواج جديد .

وثارت ثائرتها حين ظهرت لها خيانة زوجها اياها ونكرانُه جميلها ، وجالت في خاطرها فكرة الثأر ، وملكت عليها مشاعرها . وسرعان ما دبّرت قتله على ايدي عبيدها .

وعرف الامراء المماليك بمقتل الامير أيبك فتملكهم غضب شديد ، فجمعوا جموعهم واقتحموا القلعة الملكية وقتلوا السلطانة الشابة ، وتركوا جثتها الجميلة على قارعة الطريق بعد ان نهبوا قصرها ولم يتركوا لها إلا فرسها وحزامها المزركش . فكانت في مماتها (سنة ١٢٥٧) لا تقلّ روعة ، وبهاء ، ونضارة عنها حين كانت حية تُرزق .

شيشرون

Ciceron

كـان مـاركـوس تـوليـوس شيشـرون (١٠٦ ـ ٤٣ ق . ب) . أكبـر خـطيب في روما ، وأحـد ادبـائها ورجـال السيـاسـة البـارزين فيهـا . كـان يعتقد ان على الخطيب أن يتمتع بـالمعرفـة الشاملة ، فتـأهب لذلـك بدراسـة اللغـات ، والأدب ، والقانـون ، والفلسفـة ، وبـالتنقـل في ارجـاء اليـونـان وآسيا . وكانت اولى مرافعاته وهو في السادسة والعشرين .

إلا أن طبيعة شيشرون العـاطفية المرهفة التي أتـاحت له امتـلاك زمام البلاغة اضعفت مقـامه في الحيـاة العامـة حيث الحاجـة الى الشجاعـة الادبية والاستقـرار الفكري . مثـال ذلك أنـه كان يشمئـز من القسوة التي تتجلى في السيركات الـرومانيـة ، ولكنه ، مع ذلك ، كـان يشهدهـا ، حـامـلاً معـه ألواحه فيكتب دون أن يتابع الالعاب الجارية أمامه . وفي حياته السياسية عرف الشعبية والنفي . وقد عاش في العزلة منصرفاً إلى الكتابة طوال حكم يـوليوس قيصر . رسم في كتابه « الجمهورية » الدولة الجمهورية المثـالية الحـرة . ويبلغ عدد خطبه المعروفة اليوم سبعاً وخمسين أشهرها تلك التي ألقـاها ضـد الخائن لـوشيوس كـاتيلين ، وضد مـاركوس انـطونيوس . وقـد سببت هذه الخـطب الأخيـرة موتـه . ذلك بـأن ماركـوس انطونيـوس ، عندمـا تولى السلطة بعـد مقتل يوليوس قيصر ، أرسل يطارد شيشرون ويقتله .

ولا تـزال خطب شيشـرون تُـدرّس إلى اليـوم في مختلف المعـاهـد عـلى أنها نمـاذج من الادب الـرفيـع . . ومن خـلالهـا يحيـا شيشـرون رجـلاً قـويم المبادىء مكافحـاً باستمرار ، وبدون جـدوى ، ضد الفسـاد الذي استشـرى في عصره .

صن يَات ـ صن

Sun Yat - Sen

تحتل محاضرات الدكتور صن يات ـ صن ، أبي الثورة الصينية ، مكان أقوال كونفوشيوس بين شبيبة الصين اليوم ، ويُدرّس قسم من وصيته التي يدافع فيها عن القضية التي نذر حياته من اجلها في المدارس الصينية إلى الوقت الحاضر .

ابصر النور سنة ١٨٦٦ في قرية صغيرة في جنوب شرقي الصين ، في أسرة من الفلاحين . كان منزله كوخاً من الطين ، ولم يكن ثمة احذية ينتعلها أو ارزّ للأكل . أنشىء تنشئة مسيحية ، وتشرّب المبادىء والافكار الثورية من عمه . درس الانكليزية في جزيرة هونولولو وتخرّج في الكلية بعلامات جيدة . وكان أول خريج في كلية الطب في هونغ كونغ . وقد حظي باحترام مدرّسيه لذكائه ، ومقدرته ، ولاشتهاره بتطرّفه .

وضع الدكتور صُن نصب عينيه قضية تحرير بلاده ورؤيتها تحتل مقامها بين الأمم الكبرى في العالم . وكانت أول خطوة لتحقيق هذا الهدف السامي خلع اسرة مانتشو الحاكمة . فوضع مع بعض المتآمرين من الشباب الوطنيين الاحرار خطة لاشعال نيران الثورة في كانتون بعد أن اتخذوا لهم هذا الشعار « الحق الالهي لا يدوم إلى الابد » !

ولكن الثورة فشلت ، وأُعدم بعض القائمين بها ، ونجح الدكتور صن في الهرب مختبئاً بسلة أُدليت من فوق احد الجدران ، ولجأ الى اليابان ومنها ذهب الى هونولولو ، فالولايات المتحدة الاميركية ، فأوروبا . وعاد سنة ١٨٩٨ إلى اليابان ، وكان اتباعه لا يتجاوزون المائة عداً بين ١٠ آلاف صيني هناك . وفشلت ثورة ثانية جرت سنة ١٩٠٠ إلا أن الدكتور

صن ورفـاقـه لم ييـأسـوا وواصلوا عملهم حتى تسنى لهم سنـة ١٩١١ أن يسيطروا على بعض المقاطعات والمناطق ، فعُين الدكتور صن رئيساً موقتاً للجمهورية الصينية . فلجأ آل مانتشو إلى جندي قديم ومستشار لهم يدعى يوان شيكاي الذي مثّل دوره بمهارة . فقد اقنع آل مانتشو بالتنازل عن العرش ثم حطم كل مقاومة ومعارضة وتسلم زمام الامور . ومن جديد لجأ الدكتور صن للتآمر . وتوفي الرئيس يوان سنة ١٩١٦ ، فكانت السنوات القليلة التي تلت ملأى بالمؤامرات والمؤامرات المعاكسة التي كانت ترفع الدكتور صن إلى دست الحكم آناً ، وتنزله عنه آناً آخر . واخيراً استطاع ، بمساعدة روسيا ، أن يؤلف حزبه متمشياً على السياسة الشيوعية . وكان احد معاونيه الماريشال شيانغ كاي شيك . وسمح الدكتور صن للشيوعيين الصينيين بدخول حزبه مع أنه لم يكن يؤمن بنظرية حرب الطبقات . وفي سنة ١٩٢٤ اقام في بيكين حيث توفي بعد عام واحد تاركاً شيانغ كاي شيك زعيماً للوطنيين .

جمال عبد الناصر

وُلد جمال عبد الناصر عام ١٩١٨ وتلقى علومه بمدارس القاهرة . والتحق بالكلية الحربية عام ١٩٣٧ ومُنح رتبة ملازم ثانٍ في سلاح المشاة عام ١٩٣٨ .

وفي السنة ١٩٣٩ شارك في الحرب العالمية الثانية في العلمين ، ثم عُيِّن مدرساً في الكلية الحربية . وخاض غمار حرب فلسطين بشجاعة نادرة في السنة ١٩٤٨ حيث أُصيب بجراحٍ خطيرة عاد بعدها إلى مركزه ، وتزعم الضباط الأحرار ، ودبر معهم حركة ثورية تمخضت بثورة ٢٣ تموز سنة ١٩٥٢ ، التي أعقبها تنازل الملك فاروق عن العرش وإعلان الجمهورية .

وقد أثر جمال عبد الناصر في التاريخ المصري الحديث حيث سنّ في عهده قانوناً للإصلاح الزراعي ووضعت أسس سليمة لبناء مجتمع جديد . وتحقق الجلاء الإنكليزي عن مصر وتم تأميم قناة السويس .

وفي شباط ١٩٥٨ تم إتحاد سوريا مع مصر ووُلدت الجمهورية العربية المتحدة وانتُخب جمال عبد الناصر رئيساً لها .

وكانت سياسته الداخلية مبنية على التعاون والاصلاح الاجتماعي وتكافؤ الفرص ، وتصنيع الدولة على نطاق واسع .

وسياسته الخارجية كانت الحياد الايجابي وعدم الانحياز والعمل على توثيق التضامن الإفريقي ـ الآسيوي ، ونزع السلاح وتحريم استخدام الاسلحة النووية والإيمان بحق الشعوب في تقرير مصيرها .

غَاندي

Mohandas K. Gandhi

أبصر رسول التحرر في الهند النور عام ١٨٦٩ ، فلم تمضِ ثلاث عشرة سنة على مجيئه إلى هذا العالم حتى زُوّج على كره منه جرياً على عادة الهنود الذين يتزوجون في سن مبكرة .

وفي التاسعة عشرة من عمره سافر وزوجته وأولاده إلى انكلترا ليتلقى علومه القانونية في احدى جامعاتها . وكان قد نذر لدى مغادرته الهند بأن يحيا حياة التقشف في انكلترا . . فكان يعيش بمبلغ عشرين دولاراً شهرياً طوال السنوات الثلاث التي قضاها هناك .

ولما فاز بالشهادة انتقل إلى ناتال في اتحاد جنوب افريقيا حيث افتتح مكتباً للمحاماة . وهناك ذاعت شهرته الخطابية بعد أن لقي عدداً غير قليل من الهنود المتخرجين في المعاهد البريطانية يلتفون حوله . فأثار حفيظة السكان الاصليين والبريطانيين الذين خشوا منافسته .

وعاد سنة ١٨٩٦ وعائلته إلى الهند بعد أن وضع نصب عينيه هدفاً واحداً هو تحرير وطنه من الانكليز . وهكذا أصبح بطلاً وطنياً هندياً بعد أن كان محامياً بريطانياً ، فنبذ لباسه الاوروبي وارتدى بدلاً منه اللباس الهندي ، لباس اجداده ، وصار يمشي حافياً . وسرعان ما تجعّد وجهه ، واخذت أسنانه تتساقط الواحدة تلو الاخرى . وما هو إلا عام واحد حتى اضحى رجلاً جديداً ، يحاول أن يتخلص من المستعمرين البريطانيين بسياسة العصيان المدني وعدم استعمال العنف معهم . ومن أقواله : « سنعصى القوانين البريطانية بلطف وهدوء حتى يمل الانكليز ذلك ويتركونا وشأننا » . وقد بدأ بتنفيذ هذه السياسة سنة ١٩١٩ ، بعد أن تأثر بالكاتب الروسي ليو تولستوي ، والكاتب الاميركي هنري ثورو . وكان إلى جانب تبشيره بالتحرر الاقتصادي والسياسي من النير البريطاني ، يبشر بازالة العداوات الدينية بين الهنود والمسلمين .

لُقب بالمهاتما (أي الروح الكبرى) واعتُبر إلاهاً .قضى معظم حياته داخلاً السجن وخارجاً منه نتيجة لنشاطه التحرري . وأعلن اضراب الصوم مراراً للفت النظر إلى الظلم والطغيان ، وبلغ صومه مرة ٢١ يوماً كاملة ، وكان ذلك احتجاجاً على سجنه وراء الاسلاك الشائكة في قصر الآغا خان في بونا ، حيث زجته الحكومة البريطانية بعد نشوب حركة عصيان مدني إثر رفض مشروع السر ستافورد كريبس للاستقلال الهندي . . .

وقد اغتيل غاندي في ٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٤٨ بعد أن انهى

صياماً كان قد أعلنه احتجاجاً على المنازعات بين الهندوس والمسلمين !

غلادستون

William Ewart Cladstone

سيطر السياسي البريطاني وليام ايوارت غلادستون (١٨٠٩ - ١٨٩٨) ، أخطب خطباء عصره ، على البرلمان البريطاني حوالى ستين سنة من الزمن . وقد جعل وزارة المال البريطانية في طليعة المناصب الوزارية في الدولة . كان اقتصادياً عملياً ، وزعيماً اخلاقياً واعياً ، مخلصاً ، فأدخل عدداً من الاصلاحات التي تُميز عهده بأنه من أبرز العهود في تاريخ انكلترا . وكان يعتقد أن الاستقلال المحلي هو الحل الوحيد للمشكلة الاستعمارية ، وحاول، أن يحصل على الحكم الذاتي لايرلندا . وخلال تمرّسه بالعمل السياسي ناضل كثيراً ضد زيادة التسلح .

أبصر النور في ليفربول ، ودرس في ايتون وأوكسفورد، وكاد يصبح مبشراً دينياً لو لم يقنعه والده بالاشتغال بالسياسة . دخل البرلمان سنة ١٨٣٣ . وبين سنة ١٨٦٨ و١٨٩٤ تولى رئاسة الوزارة أربع مرات . وقد عُرف عنه أنه من عشاق المطالعة والكتابة والدرس . . ومن أشهر كتبه « الدولة وعلاقاتها بالكنيسة » ، وهي دراسة حول ضرورة تفوّق السياسة ، واستقلال الكنيسة الروحي ، وقد أتم ترجمته لقصائد هوراس يوم اعتزاله السياسة . وجثمانه مدفون في كاتدرائية وستمنستر .

كانت خادمته تتبرم بكثرة أكله ؛ « هو يأكل في كل ساعة من ساعات الليل والنهار . يوقظني في الساعة الثالثة صباحاً ويطلب دجاجة مسلوقة أو بفتيك . وإذا مرض سيدي فهناك الطامة الكبرى ، فهو يملأ الدنيا صراخاً إذا انتابه صداع بسيط . »

فريدريك الكبير

Frederick The Great

فريدريك الثاني ، المعروف بفريدريك الكبير ، ملك بروسيا ، ولد سنة ١٧١٢ ، فكانت طفولته بائسة إلى حد أنه حاول الهرب إلى انكلترا . فألقي عليه القبض ، وأجبره والده الذي أساء معاملته ، على مشاهدة عملية اعدام صديقه الذي ساعده على الهرب . وقد أقطعه والده مدينة راينزبرغ حيث كرّس وقته للدرس حتى أصبح ملكاً لدى وفاة والده سنة ١٧٤٠ . وكان شغوفاً بالكتابة ، فانهمك بمراسلة فولتير الذي كان شديد الاعجاب به .

تميز حكم فريدريك بالحروب السيليزية الثلاث ، إلى جانب عدد من النزاعات الصغيرة . وكان في فترات السلم يجهد في تحسين الحالة الداخلية . وكان أكبر عمل حققه بسياسته الخارجية انشاء اتحاد الامراء الألمان . فلما توفي سنة ١٧٨٦ كانت مملكته قد زادت ٢٩ ألف ميل مربع ، و٤ ملايين نسمة ، وأكثر من ٧٠ مليون دولار بروسي . وكان قوام جيشها ٢٠٠ ألف جندي ، (من أقوى جيوش أوروبا) . وقد اشتهرت بلاده بالصناعة ، والثراء ، وتقدم العلوم الطبيعية . ويُعتبر فريدريك واضع أسس العسكرية الجرمانية (الالمانية) .

عُرف عن فريدريك الكبير أنه كان يبالغ في تكريم رجال الفكر والعلم والأدب والفن . . . يؤثر صحبتهم على صحبة رجال السياسة والمال ، وربات الظرف والحسن والاناقة . إلا أنه كان يؤثر على صحبة هؤلاء واولئك صحبة العسكريين قادة وأنفاراً ، فكان يُجلس عن يمينه قائد الفرسان وعن يساره قائد المشاة ، في المآدب النادرة التي كان يقيمها ، مبالغة منه في تكريم الجندية في شخصيها .

وذات يوم سأل فولتير صديقه العاهل البروسي عن سبب مبالغته في اكرام الرجال العسكريين وليس لهم إلا ميزة واحدة وهي أنهم رجال سيف .

فما كان من فريديك إلا أن ابتسم وأجاب فولتير بقوله :

ـ العسكريون هم صفوة خدَّام الوطن والعرش ، يخدمونهما باخلاص ، ويفتدونهما بالارواح . وعندما يجدّ الجد لا يفيد الوطن والعرش غير السواعد القوية والسيوف الماضية !

الملكَة فكتوريا

Queen Victoria

صنعت الملكة فكتوريا (١٨١٩ ـ ١٩٠١) عادات بلادها وتقاليدها قرابة قرن من الزمن وجعلت من التاج البريطاني زمزاً للاستقامة الملكية والفضيلة الشخصية . وهي الابنة الوحيدة لادوارد ، دوق كنت ، رابع ابناء الملك جورج الثالث . وقد توفي والدها وهي بعد طفلة فبقيت في عهدة أمها الالمانية الأصل ، التي انشأتها تنشئة الراهبات ، ولم تسمح لها بقراءة أي رواية . وكانت مربيتها كذلك ألمانية .

اعتلت العرش في ٢٠ حزيران ١٨٣٧ ، وما لبثت أن أظهرت شخصيتها ، وحزمها ، الامر الذي جعلها تشتبك مع وزارتها . إلا أن زواجها من ابن عمها الالماني الامير ألبرت (سنة ١٨٤٠) أحدث تبدلاً كبيراً في حياتها السياسية والخاصة . فقد أصبح زوجُها مرشدَها السياسي والروحي ، وهدف اخلاصها الشديد . وقد رُزقا تسعة أولاد بما فيهم الاميرة فكتوريا ، والدة قيصر المانيا فلهلم الثاني ، والبرنس أوف ويلز الذي خلف أمه على العرش باسم ادوارد السابع . وكانت وفاة البرت

سنة ١٨٦١ ضربة قاسية أثّرت فيها بقية حياتها ، وظلت السنين الطوال في حداد عليه .

كان حكم فكتوريا الطويل حكماً يتجلى بالحركة والنشاط ، وقد اضطلعت خلاله بدور رئيسي في الشؤون الحكومية . كانت التطورات أحياناً تعاكسها فلا تيأس ، بل تصمد حتى تنفّذ رغباتها . لذلك لم تفقد الحظوة قط لدى شعبها . ففي الداخل سجلت السياسة الحرة أهدافاً عدة ، وفي الخارج وسّع الاستعمار رقعة الامبراطورية . وأصبحت « أرملة وندسور العجوز » مؤسسة وطنية في نظر الشعب البريطاني . وقد احتُفل بيوبيلها الذهبي لمناسبة مرور خمسين سنة على اعتلائها العرش في مختلف أرجاء العالم . وعندما توفيت سنة ١٩٠١ انتهت حقاً مرحلة قومية عظمى . . وفي جنازتها مشى الكثيرون من أفراد الأسر المالكة في أوروبا ، وأغلبهم من ذريتها .

كاترين الرّوسيّة

Catherine The Great

كانت كاترين الكبرى (١٧٢٩ - ١٧٩٦) أشهر امبراطورة تربعت على عرش القياصرة الروس . إلا أنها لم تكن روسية الاصل ، ولم يكن اسمها كاترين . وثمة مؤرخون لا يعتقدون أنها تستحق لقب « الكبرى » .

لم تكن لدى مجيئها إلى روسيا إلا أميرة جرمانية حقيرة ، بائسة ، لا صديق لها ولا مال لديها ، ولا تملك سوى ثلاثة أثواب . ومع ذلك استطاعت أن تتزوج من الدوق بطرس الأكبر ، ولي عهد روسيا . ولم يكن الدوق هذا شخصاً يستحق الاهتمام ، إذ كان أبله ، قبيح المنظر

لآثار الجدري التي تشوّه وجهه . وكثيراً ما كان يأوي إلى فراشه منتعلاً حذاءه .

تربعت على العرش زهاء أربعة وثلاثين عاماً . . وروسيا في ذلك الوقت من أكبر الامبراطوريات في العالم ، تضم حوالى خمسين جنساً بشرياً مختلفاً ، ومع ذلك كانت كاترين تتحدث عنها فتقول : « منزلي الصغير » !

عرفت المئات من العشاق المولهين . وكانت شديدة التحفظ أمام أحفادها ، فمنعتهم من دراسة علم النباتات لانهم كانوا يحرجونها في أسئلتهم عن التناسل في هذه المملكة . ولم تبخل على عشاقها بشيء ، وقد بلغ ما انفقته عليهم وفي سبيلهم خمسمائة مليون دولار . صنعت منهم القادة الكبار ، والوزراء ، ورؤساء الوزارات ، والحكام . واحتلت بولونيا فنصّبت على عرشها أحد عشاقها رغماً عنه للتخلص منه بعد أن اشبعت رغباتها منه . وسرعان ما عملت على تحطيمه ، فنقلت عرشه المذهب إلى روسيا واستعملته في حمامها الخاص .

لم تذق الخمر مطلقاً ، ولم تعرف طعم المشروبات الروحية ، ولم تدخن التبغ ، بل كانت تكتفي بشرب خمسة فناجين قهوة كل صباح يُستخدم في صنعها نصف كيلوغرام من البن .

كانت محاطة بالخدم والحشم ، ولكنها كانت تفضّل أن تشعل نيران موقدها بنفسها .

وكانت شديدة الكبرياء والانفة ، لم تفتح قط رسالة لم تتوّج بعبارة « صاحبة الجلالة الامبراطورية » .

وتقدمت في السن ، ولم تعد رجلاها تقويان على حملها لثقل وزنها مما اضطرها الى الجلوس على كرسي ذي عجلات يجره الخدم . وأمست

عجوزاً دردبيساً فلم تتورع عن حب شاب في عمر أصغر أحفادها أصبح في أواخر أيامها الحاكم بأمره في روسيا كلها كأنه القيصر .

وأحبت كاترين في جملة من أحبت جباراً قبيحاً أعور يدعى بوتمكين ، لم يصفف شعره مرة ، يقضم أظافره بأسنانه ، ويحب أكل الثوم والبصل ، ويكره الاغتسال ، على جاهه وماله .

كان حكم كاترين لروسيا خيراً وبركة عليها لا سيما في أوائل سني حكمها . وقد حاولت أن تفرض الآراء والأفكار والثقافة الغربية على شعبها حتى بعد الثورة الفرنسية عندما حرّمت بيع الكتب الفرنسية في روسيا . وقد نجم عن حسن سياستها الخارجية ازدياد رقعة الأرض الروسية .

أجادت فن الحكم والسياسة وامتازت بحصافة الفكر ، وسداد الرأي ، وبعد النظر . وقد أسست ندوتين أدبية واجتماعية ، واقامت مراسلة مع ادباء فرنسا وكتّاب الثورة . . . وفتحت أبواب بلاطها للمفكرين والعلماء واصحاب الرأي ، مقرّبة كل من تأنس فيه قبساً من نبوغ وشعاعاً من عبقرية . . كل ذلك في سبيل تبديد الظلام الذي يخيم على بلادها .

كرُومويل

Oliver Cromwell

قليلة هي المعلومات التي وصلتنا عن حياة اوليفر كرومويل الاولى . فقد أبصر النور في هنتنغدون سنة ١٥٩٩ ، ودرس على أيدي أساتذة متزمتين . ولم يكن على درجة كبيرة من الذكاء ، ومع ذلك فقد درس القانون ، وتزوج سنة ١٦٢٠ . ومضت سنون قبل أن يستقر على نوع

من المعتقـدات الدينيـة . ولكنه عـاش حيـاة تقيٍّ وورع . انتخب عضـواً في البـرلمان سنـة ١٦٢٨ فاهتم بـالشؤون الـدينيـة اكـثر من اهتمـامـه بـالشؤون السيـاسيـة . وثمـة دلائـل تشـير إلى أنـه لم يكن راضيـاً عن سيـاســة الملك تشارلز الأول، ويقال انه كان ينوي الهجرة إلى نيو انغلاند (في اميركا) .

وعندما اندلعت نيران الثورة الايرلنـدية سنـة ١٦٤١ اقترح كروميـل أن يشـرف البـرلمـان عـلى الميليشيـا وأصبـح هـو قـائـد الجيش المعتـرف بـه. وعنـدما طـالب المجلس برأس الملك تشارلز تردد كـورمويـل في البـدء ولكنـه صـرح أخيـراً بقـولـه . « أتعلمـون مـاذا تفعلون ؟ اقــطعـوا رأســه والتـاج فـوقه ! » وقـد كان الـزعيم في كـل الاحـداث التي أدّت إلى اعـدام الملك في ٣٠ كانون الثاني ١٦٤٩ . وواجه الكومونويلث بالغـاء الملكية مـوقفاًحـرجـاً خطيراً . وقد أمر كروميل عندما قمع الثـورة الايرلنـدية بـذبح حـامية دبلن وتتألف من ٢٨٠٠ رجل ، وهـو عمل مـا تزال نتـائجه السيئـة ملموسـة حتى وقتنـا الحـاضر . وقـد عـامـل الاسكتلنـديـين ايضـاً بـالعنف ليفـرض عليهم الطاعة .

بقيت قضية انشاء حكومة دستوريـة . . اتخـذ كرومـويل لنفسـه في ١٦ كـانـون الاول ١٦٥٨ لقب « حــامي انكلتـرا » . ولكنــه واجـه مصــاعب بـرلمانيـة جمة . وفشـل في تحويـل الدولـة العسكريـة إلى دولة مـدنية ، فحـل انبرلمان في ٤ شبـاط ١٦٥٨ . ولم يرضَ أحـد عن سيابتـه الخارجيـة . . فقد جعـل انكلترا مهـابة بقـوة السلاح ، ولم يفهم السيـاسية الاوروبيـة . وتـوفي في ٣ أيلول ١٦٥٨ . وقـد شُنق بعد وفـاتـه . ويستـدل من الجـدل العنيف الطويل الذي جرّتـه اقامـة تمثال تخليـداً لذكـراه في وستمنستر سنـة ١٨٩٩ ، على مدى شعور الانكليز في ما يتعلق بقضايا كروميل . . .

الملكة كريسْتينا

Queen Christina

كـريستينـا ، ملكـة السويد ، (١٦٢٦ ـ ١٦٨٩) وتـدعى مـلكـة النقيضـين ، هي ابنة الملك غـوستاف أدولف الثـالثة . ماتت ابنتـاه الاوليـان في طفـولتهما ، فتنبأ له المنجمـون بأن المـولود الجـديد سيكـون ذكراً ، ولكن وُلـدت كريستينـا ، اشبه مـا تكون بـالذكـور . . . بشرتهـا داكنة ، وجلدهـا أشعـر ، وصـوتهـا خشن . وعـاشت طـوال حيـاتهـا تغلب عليهـا خصـائص الذكور . ركبت الخيل ، وقاتلت قتـال الفرسـان ، وكانت تـروي بلا خجـل أو استحيـاء الاقاصيص المخـزية ، وتجلس وسـاقاهـا مرفـوعتان فـوق مسنـد الكـرسي ، وتفضّل من المـلابس مـا شـابـه المـلابس الـرجـالية قـائلة انها لا تطيق ملابس النساء واساليبهن .

وفضـلاً عن ذلك كـان لها صبـر الرجـال وجلدهم ، تكتفي من النـوم بـأربع سـاعات أو خمس ، لا تكـلّ من العمـل مهما يكن مضنيـاً شـاقـاً . . لـذلـك أبى كـل من عـرفهـا أن ينـاديهـا بلقب المؤنث ، بـل كـانـوا ينـادونها بالامير كريستينا بدلاً من الاميرة كريستينا .

تـوفي عنها والـدها وهي في الـرابعة من العمـر . وظلت طوال حيـاتهـا تكـره الحرب لأنها وُلـدت في منتصف حـرب السنـوات الثـلاثـين ، وسمعت الكثـير من الـروايـات والقصص المفـزعـة عن اعمـال السلب التي يـأتيهـا الجنود ، وعذاب المدنيين وآلامهم .

في السـادسة من عمـرهـا انتُـزعت من أحضـان أمهـا ليتـولى تـربيتهـا وتثقيفهـا وزير المملكـة أوكسنستـرن ، « فكـان تعليمها تعليم رجـل يقـوم بـه رجـال . وما كـانت تستريح إلى مجالس النسـاء أو الى طرقهن الملتـوية ، ولا

إلى دراساتهن التي تدعو إلى الدهشة ، تدروس التطريز وتثقيفهن في اداب الدلال والغزل . . . »

كانت غريبة الاطوار ، ذكية ، وتُحسب في عداد العبقريات ، وكان بين أساتذتها سالفايتوس ، وستيرنهلم ، وديكارت . وقد أدهشت حاشيتها بانصرافها عن شؤون الحكم والملك وواجباتها إلى العناية بادبائها وكتبها ودروسها . وأدهشتهم أكثر فأكثر عندما تخلت ذات يوم عن العرش ، وجعلتهم يقولون : « ان هذه المرأة قد قلبت أوضاع الطبيعة . فان معظم الناس يودون لو فقدوا حياتهم في سبيل الوصول إلى العرش وكريستينا تفقد عرشها لتكسب الحياة . »

وكانت يومئذ في الثامنة والعشرين من سنيها . فراحت تنتقل من بلد إلى بلد في أوروبا تحفّ بها حاشيتها التي لم تتخلّ عنها بتخلّيها عن العرش ، وتطلع على الناس كل يوم بمفاجآت ومفاجآت . وقد نهبت قبل مغادرتها السويد كل ما في القصر من تحف ومجوهرات حتى أن خلفها الملك شارل غوستاف لم يجد في القصر إلا سجادتين وسريراً قديماً .

كان شعارها في كل أعمالها هذه ان على المرء أن يجدد دائماً في كل شيء . . ولقد جددت هي في كل شيء حتى في اعتناق مذهب ديني جديد . (كانت لوثرية فأضحت كاثوليكية) . وذهبت إلى روما لتناول الاسرار المقدسة في كاتدرائية القديس بطرس وهي في ملابس الفرسان تعتمر قبعة غريبة الشكل زاهية الألوان ، مما أثار استياء الحبر الاعظم والكرادلة .

وفي سنة ١٦٥٦ عادت إلى بلادها السويد بعد أن ملهّا مجتمع روما ، ورأت بأم عينها زوال مجدها ونضوب معين ثرائها . وقد قدّم إليها البابا مبلغ ١٠ لاف كراون على سبيل المساعدة .

وحنّت إلى الشهرة والملك ، فحاولت عبثاً أن تصبح ملكة على نابولي ، ثم على بولونيا . ولما عجزت عن تمثيل هذا الدور من مسرحية حياتها الكبرى شاءت أن تختتم روايتها بفصل من فصول الحب مع كبير المشرفين على شؤون بيتها الكاردينال أزوليني الذي أبى أن ينظر إليها نظرة ود واحدة . وقد خدعها إذ جعلها توقّع وثيقة دون أن تقرأ ما فيها لعجزها عن القراءة في تلك السن المتقدمة . وكانت الوثيقة تنازلها إليه عن كل إرثها ، ز...اغ الملايين من الكراونات . . . .

« وهكذا كان ازوليني المتفرج الاخير والمصفّق الاخير لنهاية هذه الممثلة ! »

كليمنصو

Georges Clemenceau

السياسي والصحفي الفرنسي جورج كليمنصو الذي كان يُلقّب بالنمر ألقي في السجن وهو في العقد الثاني من العمر لأنه هتف « تحيا الجمهورية ! » في باريس اثناء احد الاحتفالات الامبراطورية . وقد عاش منذ ١٨٦٥ حتى ١٨٧٠ في المنفى في اميركا حيث درس الانكليزية ، وجاب مختلف الارجاء ، ودرس السياسة الاميركية ، وعلّم اللغة الفرنسية والأدب في احد المعاهد النسائية . فلما عاد إلى فرنسا دخل المعترك السياسي ، وما لبث أن عُرف بتطرّفه ، وبأنه زعيم راديكالي يناصر مُثل الثورة الفرنسية .

غير أن قوة كليمنصو التي دعمها نشاطه الصحفي كادت تنهار سنة ١٨٩٣ للشكوك التي حامت حول اشتراكه في فضائح تتعلق بقناة بناما . وبقي تسع سنوات بعيداً عن الحكومة ، منصرفاً بكليته إلى الصحافة . وقد كانت صحيفته التي وقفت نشاطها على اثبات براءة ألفريد دريفوس الميدان الذي جال فيه الكاتب اميل زولا عندما نشر مقاله الطنان « اني

اتهم » . وكتب كليمنصو نفسه مدافعاً عن هذه القضية . وقد تولى رئاسة الوزارة الفرنسية من سنة ١٩٠٦ إلى ١٩٠٩ ، كما تولاها سنة ١٩١٧ . وبعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها انتُخب رئيساً دائماً لمؤتمر السلم في باريس .

وُلد في باريس في ٢٨ أيلول ١٨٤١ ، وتوفي فيها في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٢٩ . وقد دُفن نعشه عمودياً لأنه أوصى بقوله : « حتى في مماتي أود أن أبقى واقفاً » .

كليوبَاتره

Cleopatra

كليوباتر ! . . اكبر عاشقة عرفها التاريخ . . ملكة مصر وساحرة النيل ، توفيت لاكثر من الفي سنة ولكن شهرتها ما تزال تلمع وهاجة عبر الاجيال الطويلة المظلمة . انتحرت وهي في التاسعة والثلاثين ، إلا أنها في حياتها القصيرة الصاخبة قد سيطرت على مشاعر رجلين من اعظم الرجال في التاريخ البشري ، وأحبت قائدين عسكريين من أبرز القادة هما يوليوس قيصر وماركوس انطونيوس قال عنها الكاتب الفرنسي بليز باسكال (١٦٢٣ ـ ١٦٦٢) في كتابه « الخواطر » : « لو كان انف كليوباتره أقصر مما هو عليه لكان غيّر وجه العالم ! »

فتح يوليوس قيصر معظم البلدان التي كانت معروفة آنذاك واحتلها احتلالاً تاماً ، سوى أن حسناء وادي النيل استطاعت أن تتغلب عليه وتحتلّ فؤاده بسهولة وسرعة .

كان القيصر الروماني زير نساء ، يفخر بأنه خبير ببنات حواء وبأنه من سلالة عشتروت ، إلاهة الحب . وعندما بدأت علاقتها الغرامية كان

في الرابعة والخمسين . وأخبرته ان اخاها يريد الفتك بها فما كان منه إلا أن مشى بجحافله الرومانية الجرّارة لمحاربة الجيش المصري ، فانتصر عليه ، وظل يطارد الاخ حتى اضطره إلى الموت غرقاً في النيل . . عندئذ اصبحت كليوباترة ملكة مصر غير منازعة ، وسيدة بلاد الفراعنة .

وانجبت له كليوباتره طفلاً ذكراً ، وهو الابن الوحيد الذي رُزقه قيصر طوال حياته . ولما كان متزوجاً ، وكانت زوجته في روما ، فلم يكن بالامكان اقترانه بكليوباتره . ولكي تخنق كليوباتره الفضيحة في المهد وتجعل طفلها ابناً شرعياً امرت الكهنة بأن يعلنوا ان يوليوس قيصر ليس انساناً بل اله . . فهو الاله آمون إله الشمس ، وقد عاد إلى الأرض في جسد قيصر ليهب الملكة ولداً .وأُعلن ذلك ، فصدقه المصريون على علاته .

ولم يمضِ طويل وقت على ذلك حتى قُتل قيصر فخلفه القائد ماركوس أنطونيوس الذي لا يفيق من السكر، واصبح اقوى رجل في الامبراطورية الرومانية . واسكرته خمرة النصر ونشوته ، فقاد جيوشه الجرارة إلى الشرق .

وبلغ من هيام أنطونيوس بكليوباتره أنه اهداها ساحل فينيقيا بكامله ، واتبعه بمقاطعة اريحا وجزيرتي قبرص وكريت . ولم يتورع عن اهدائها آسيا بأسرها ، مما أقام روما واقعدها .

ورأى الرومان ان لا مفر من القتال للتخلص من هذه الحالة . وأعلنت الحرب ودارت الدائرة على أنطونيوس وكليوباتره اللذين تحطمت سفنهما وتشتتت جيوشهما ايدي سبأ . . وعرفا ان تلك نهايتهما . . فطعن أنطونيوس نفسه طعنة مميتة ، ولفظ انفاسه الاخيرة في أحضان كليوباتره .

واما كليو باتره فخشيت ان تقاد إلى روما مقيدة بالسلاسل ليطاف

بها في الشوارع وتصبح هدفاً للهزء والسخرية ، فانتحرت بالسم دون أن تُعرف الطريقة التي لجأت إليها لادخال السم إلى جسدها . فالذين رأوها بعد موتها بعشرين دقيقة يختلفون في ذلك . . فمنهم من يقدّر أنها عضت نفسها ثم أفرغت في الجرح سم افعى ، ومنهم من يجزم بأنها طلبت أن تُحمل إليها أفعى داخل سلة مملوءة زهوراً ، وانها جعلت هذه الافعى تلسعها في صدرها ! . .

وكليوباتره وماركوس أنطونيوس يرقدان اليوم جنباً إلى جنب في مكان ما من أرض مصر .

مَارتن لوثر كنغ

Martin Luther King

« غاندي اميركا » ، « كينيدي الزنوج » ، « رجل السلام » : هذه هي الالقاب الثلاثة التي اطلقت على الدكتور مارتن لوثر كنغ (الابن) بعد أن سقط شهيد سياسة اللاعنف في الولايات المتحدة الاميركية ، هذه السياسة التي حمل صليبها منذ ١٣ سنة فكلفته حياته إذ اطلقت عليه رصاصة صرعته في ٤ نيسان ١٩٦٨ في مدينة ممفيس ، بولاية تينيسي .

ابصر النور في ١٥ كانون الثاني ١٩٢٩ ، في مدينة اتلنتا (بولاية جيورجيا) ، وكان ابوه مارتن لوثر كنغ زنجياً معمدانيا ، بدأ بمناوأة التمييز العنصري وهو في الخامسة عشرة من عمره بعد أن طلب منه وهو في احدى سيارات الاوتوبيس أن يجلس في مقعد خلفي لان المقاعد الامامية مخصصة للبيض . فرفض الجلوس وظل واقفاً . ونظم حملته الاولى في سبيل قضية الحقوق المدنية لابناء لونه في سنة ١٩٥٥ . حاز شهادة الدكتوراة في الفلسفة من جامعة بوسطن وعاد إلى الولايات الجنوبية

ليعمل من أجل القضية التي نذر حياته لها بعيداً عن العنف مكتفياً بانتهاج سبيل المقاومة السلبية .

وقد دخل السجن مراراً لتحديه أوامر الشرطة أو لارتكابه مخالفات نجمت عن حملاته في سبيل الحقوق المدنية . وعلى الرغم من القاء القنابل على منزله في كانون الثاني ١٩٥٦ فقد طلب إلى خمسين الف زنجي اجمعوا على مقاطعة الاوتوبيسات الاكتفاء بالمقاومة السلبية قائلاً : « اننا نؤمن بالقانون والنظام » . وسنة ١٩٦٣ اطلقت عليه مجلة « تايم » لقب « رجل العام » فكان أول زنجي يُمنح هذا اللقب . وبعد ذلك بسنة (١٩٦٤) ، مُنح جائزة نوبل للسلام لدعوته إلى اللاعنف ، فكان بذلك اصغر رجل في التاريخ يفوز بهذه الجائزة . وقاد في آذار سنة ١٩٦٥ واحدة من اعظم المسيرات في تاريخ الولايات المتحدة الاميركية . وكان قبيل مُصرعه يتأهب لقيادة مسيرة زنجية كبرى ليحقق حلم عمره . وهو القائل : « لن ارضى الا بعد أن يموت التمييز العنصري في الولايات المتحدة الاميركية » .

ومن أقواله المأثورة : « أن نبتة الحرية قد نمت واصبحت برعماً فحسب ، ولكنها لم تزهر » .

« لقد تعبنا من العيش في خطر الفقر والجهل ، ووصلنا إلى اليوم الذي لم يعد يكفينا فيه كبشر ، جزء من الحرية » .

دجون كينيدي

John Fitsgerald Kennedy

هو الرئيس الخامس والثلاثون للولايات المتحدة الاميركية ، واصغر رئيس عرفته في تاريخها حتى الآن ، وأول كاثوليكي يدخل البيت الابيض .

أبصر النور في مدينة بروكلاين من أعمال ولاية مساتشوستس في ٢٩ أيار سنة ١٩١٧، وتوفي في دالاس (تكساس) في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٣ ، ولم يكن قد مضى على ولايته ثلاث سنوات عندما اغتيل . منح السياسة الاميركية قوة جديدة ، وتوجيهاً سديداً ، فاطلق برنامجاً واسع المدى للاصلاح الداخلي ، وعمل مخلصاً ، وبنجاح ، على زيادة التفاهم بين الشرق والغرب . ولكن الكثير مما عمل له ، وخطط ، بقي غير منجز بعد وفاته . سوى أن أهمية مبادئه ، والمثال الذي وضعه في المثابرة على العمل المخلص ، هما من الامور التي ترتفع فوق كل نقاش أو جدل .

كان دجون ثاني تسعة اولاد رُزقهم جوزف باتريك وروز فيتزجيرالد كينيدي ـ وقد نشأ وترعرع وسط أسرة كانت تتطلب الكثير من المنافسة الجسدية والفكرية بين الأولاد ، ودرس حسب الاصول الدينية للكنيسة الكاثوليكية ، وحسب مبادىء السياسة للحزب الديمقراطي الاميركي . وفي سنة ١٩٤٠ تخرج في جامعة هارفرد حاملاً شهادة بكالوريوس في العلوم . وقد توسع في الاطروحة التي وضعها عن عدم استعداد بريطانيا العظمى عسكرياً فجعل منها كتابا بعنوان « لماذا نامت انكلترا » ـ (١٩٤٠) . وكان قد عمل سنة ١٩٣٨ ، مدة ستة اشهر كسكرتير لوالده ، وكان آنذاك سفيراً للولايات المتحدة الاميركية في لندن . وفي سنة ١٩٤١ التحق بالبحرية الاميركية ، وأُرسل بعد سنتين إلى جنوب المحيط الهادىء . فلما نسف اليابانيون زورق الطوربيد الذي كان تحت امرته ، واغرقوه ، انقذ كينيدي بحارته بعمل بطولي مشهود . وكان يشكو من الملاريا ، ومن الم في عموده الفقري بسبب ضربة اصابته في احدى مباريات كرة القدم ، فأعيد إلى الولايات المتحدة للمعالجة وصُرف من الخدمة البحرية سنة ١٩٤٥ . وفي تلك السنة بالذات قام بتغطية انباء المؤتمر التأسيسي لهيئة الأمم المتحدة في سان فرنسيسكو ، لوكالة الاخبار الدولية .

ومع ان كينيدي كان يأمل أن يصبح كاتباً ، فإنه تحول إلى السياسة سنة ١٩٤٦ ، وانتخب ، كعضو في الحزب الديمقراطي ، عضواً في مجلس النواب . واعيد انتخابه بعد ذلك سنة ١٩٤٨ ، و١٩٥٠ . وفي سنة ١٩٥٢ انتخب عضوَاً في مجلس الشيوخ ، متغلباً على الشيخ الجمهوري هنري كابوت لودج . وما هي إلا شهور تسعة على دخوله مجلس الشيوخ حتى اقترن بجاكلين لي بوفييه . وقد رُزق طفلان هما كارولين (١٩٥٧) ، ودجون فتزجيرالد الاصغر (١٩٦٠) .

وبعد زواجه بقليل اجريت له عملية جراحية في سلسلته الفقرية ، وساءت حالته إلى درجة تبخر معها الأمل ببقائه حياً ، فزود بالأسرار الدينية ولكنه نجا من الموت ، وفي فترة نقاهته وضع كتابه التاريخي القيّم Pro- files in Courage فاز به بجائزة بيولتزر لسنة ١٩٥٧ .

وبين سنة ١٩٥٦ و١٩٦٠ اصبح كينيدي واحدا من ابرز الوجوه السياسية في الولايات المتحدة . وخلال ولايته في مجلس الشيوخ اهتم اهتماما بالغاً بمساندة البرامج الاصلاحية الاجتماعية . وجاهر بتعلقه بمنح الجميع الحقوق المدنية ، والحرية الفردية .

في سنة ١٩٥٦ كان خصماً عنيداً لإستيس كيفوفر في الترشيح لمنصب نائب رئيس الولايات المتحدة الاميركية . ولكنه سنة ١٩٦٠ نجح في ترشيح الحزب الديمقراطي له لمنصب الرئاسة . وكان منافسه المباشر ليندون ب . دجونسون ، من تكساس ، وقد رشح لمنصب نيابة الرئاسة ، وخاضا المعركة معاً . وخلال الحملة الانتخابية كان كينيدي يشير إلى بشاعة الصورة الاميركية في الخارج ، والجمود الاقتصادي في الداخل ، فيحث الولايات المتحدة على التقدم إلى امام ، إلى « حدود جديدة » ـ وهي العبارة ـ الشعار التي اصبحت فيما بعد العلامة المميزة لحكمه وادارته .

وفي أيلول من سنة ١٩٦٣ ، واستعداداً للمعركة الانتخابية في سنة ١٩٦٤ ، بدأ كينيدي بسلسلة من الزيارات والجولات في بعض الولايات التي تشكل مشكلة . . فزار فلوريدا في أواسط تشرين الثاني ، وفي ٢١ منه طار إلى تكساس . ولكنه اغتيل في اليوم التالي ، وهو في سيارته المكشوفة ، برصاصتين انطلقتا من نافذة في الطبقة الخامسة من بناية تقوم في الشارع الذي مر به الموكب .

لاسَال

Ferdinand Lassalle

كان فرديناند لاسال (١٨٢٥ ـ ١٨٦٤) من أبرز رُسل الاشتراكية في المانيا . وكان متوقد الذكاء ، لامعاً في العلوم السياسية والاقتصادية . ظل ، إلى كونه نصيراً للشعب ، من أبرز الشخصيات في المجتمع الالماني ، يجاري افراد الطبقة الارستقراطية في طراز معيشتهم ، وازيائهم ، وعاداتهم .

خفق قلبه للمرة الاولى بحب الحسناء هيلين فون دونكز ، فبادلته حبه . وحفل حبهما بالوعود الهوائية ، واعترضته عقبات كأداء كان لها اعظم الأثر في قلب الحبيبين . بدأت المصاعب بسفر هيلين إلى سويسرا لاحقة بأبيها ، ممثل بافاريا في جينيف . فلم يطق فردينابند صبراً على الفراق ، فسافر إلى سويسرا بدوره ، وتقدّم من فون دونكز خاطباً ابنته . فصدّه الاب ، واجبر هيلين على الاقتران بالكونت فون راكوفتزا ، وانتزاع الحب الذي تكنّه لفرديناند من قلبها . فجنّ جنون لاسال وطلب كلًا من الاب والكونت للمبارزة . وقبل الكونت بمنازلة غريمه ، فكان النصر حليفه ، ودارت الدائرة على لاسال ، فذهب ضحية غرامه .

فيما يلي احدى الرسائل الرقيقة التي كان يبعث بها فرديناند إلى

هيلين :

أكتب إليك والموت يملأ نفسي . فقد كانت برقية ريستوف ضربة قاضية علىّ ! أنتِ ، انتِ تخونينني ؟ معاذ الله . . . أنه لمستحيل ! لا يمكنني أن أصدّق خبر هذه « الخيانة » . لست اشك لحظة في أن والديك قد استطاعا ان يثنياك عن عزمك في الوقت الحاضر . ولكني اعتقد أن هذا التبدل لن يكون نهائياً ، إذ يصعب عليك ان تفقدي الحب كله ، والوفاء كله ، والحياء كله ، والصدق كله ، والصراحة كلها دفعة واحدة ، وأن تنحطي إلى هذا الدرك السافل . أما إذا كانت هذه الحقيقة ، لا سمح الله ، فإنك تكونين قد قضيت على شرفك ، وسمعتك ، وسمعة كل من له وجه بشري تحت الشمس ، ويصبح كل شعور نبيل اكذوبة من الاكاذيب . وإذا كنتِ قد كذبت علي واستطعت حقاً ان تصلي إلى هذا الدرك السافل ، وتحطمي جميع الوعود المقدسة ، محطمة معها القلب الاصدق ، فإن المرء لن يجد بعد ذلك ما يمكن أن يصدقه أو يعتقد به !

منحتني أنت العزم على الكفاح من أجل الوصول إليك ، وشجعتني على ذلك ، وطلبت إليّ أن اتريث وأجرب كل الوسائل التقليدية لتحقيق غايتنا المنشودة ، ونبذ فكرة اختطافك من ذهني . كنت أرجو أن اختطفك من فابيرن ، وأطير بك إلى مكان قصي لا تنالنا فيه يد العذول ، ولكنك لم توافقيني .

أقسمت بالايمان المغلظة قولاً وكتابة ، بأنك لن تكوني لسواي ، وبأن لا قوة على الأرض يمكن أن تحول بينك وبين تحقيق امنيتك . فلما تم لك امتلاك هذا القلب الامين دون مقاومة ، هذا القلب الذي إذا ما استسلم مرة فسيظل مستسلماً ابداً ، اعرضتِ عني غير مبالية ، ونبذتني ، وقذفت بي في هوة سحيقة ، والمعركة بعد في بدئها . خنتني وحطمت قواي وانت تقهقهين قهقهات الاستهزاء . أجل ، كان سهلاً عليك ان

تحققي مـا عجز القـدر الغاشم عن تحقيقـه . فقد حـاول القـدر عبثاً تحـطيم هـذا الرجـل الصلب وفلّ عـزمـه ، فـظل ثـابتـاً كـالـطود الـراسـخ في مهب عواصف الايام الهوجاء . . .

إن مصيـري لهو بـين يـديـك ، يـا هيلين ! فـإذا مـا خنتني وحـطمتني فالويـل لك ، فستتبعـك لعنتي إلى اللحد ! انها لعنـة القلب الاصدق الـذي حطمته بنذالة وخساسة . . .

يجب أن أقـابلك ثانيـة واكلمك عـلى انفراد ، وجهـاً لوجـه . يجب أن أسمـع من شفتيك أنتِ حكم الاعـدام عليّ ، إذ بهـذا وحـده يمكن تصـديق مـا يبـدو لي الآن مستحيـلاً . ثقي بـأنني سـأهبط «جينيف» إذا مـا اخفقت مساعيّ المبذولة لاجتذابك إليّ .

لنكولن

Abraham Lincoln

كـان ابـراهـام لنكـولن (١٨٠٩ ـ ١٨٦٥) رجـلاً طيب القلب ، نقي السريرة ، براً بالفقـراء ، إلى كونـه سياسيـاً محنكاً ، حسن التـدبير والادارة . وفي العـام ١٨٦١ ، أي قبل بـداية الحـرب الاهليـة مبـاشـرة ، ولي رئـاسـة الجمهـورية الاميـركية ، فكـان الـرئيس السـادس عشر للولايـات المتحـدة الاميركية .

تبسّط المؤرخـون في أبـراز صفـاتـه ، كـما تبسـطوا في روايـة وقـائعـه الغرامية التي كان لها الاثـر البليغ في نفس لنكـولن ، محرر العبيـد ، فلازمتـه الكـآبة بسببهـا طوال حيـاته ، ولم يجـد برفقـة أية امـرأة السعـادة والصـداقـة الحقيقيتـين اللتين كـان ينشـدهمـا ويصبـو إليهـما . وقـد تـزوج مـاري تـود ، وعاش واياها ردحاً من الـزمن ، ولكن حياتهـا الزوجيـة لم تكن موفقـة ، ولم

ينعم لنكولن بالسعادة البيتية التي كان ينشدها .

فهذا وليام هـ . هرندون ، شريك لنكولن في مكتب المحاماة خلال عشرين عاماً ، وأقرب الناس إليه ومن الذين عرفوه عن كثب ، يؤكد أن لنكولن لم يعرف يوم سعادة وسرور طوال هذه السنين ، وان زواجه مسؤول في الدرجة الأولى عن كآبته وحزنه . وكثيرون من الذين ترجموا للرئيس الاميركي ، محرر العبيد ، وصلوا إلى هذه النتيجة ، وهي أن زواجه يُعتبر اعظم كارثة في حياته .

ما ان تمت خطبة لنكولن وماري تود حتى تبين للنكولن أنهما على طرفيّ نقيض ، وانهما لن يسعدا في حياتهما معاً . فهما مختلفان من حيث المزاج ، والذوق ، والتربية ، والرغبات .

من ذلك أن ماري تود كانت تتكلم الفرنسية بلهجة باريسية صرف ، وكانت من أكثر نساء إيلينوي ثقافة . في حين لم يبقَ لنكولن في المدرسة أكثر من اثني عشر شهراً في حياته كلها . . وكانت شديدة الاعتداد بأصلها . . فاجدادها واجداد اجدادها ، وأعمامها كانوا جميعاً قادة عسكريين كباراً ، وحكاماً ، وكان أحدهم ناظراً للبحرية . أما لنكولن فلم يكن على شيء من ذلك . كانت هي شديدة الاهتمام بمظهرها ، وملبسها ، ولم يكن هو ليعنى البتة بشيء من ذلك . والواقع أنه كان يسير احياناً في الشارع و« رجِل » بنطلونه فوق حذائه الطويل ، و« الرجِل » الاخرى بداخله . . .

تعلمت ماري أن آداب السلوك على المائدة قانون مقدس . لكن لنكولن الذي ترعرع في كوخ خشبي لم يكن ليعير هذه الامور أدنى اهتمام . وكان ذلك يثير ماري ويدفعها إلى الجنون . كانت متكبرة ذات شمم ، وكان متواضعاً ديمقراطياً .

كان حب لنكولن الاول لانا راتليدج ، ابنة صاحب حانة ، فخطبها وانصرف إلى اعداد معدات الزواج . إلا أن آنا أصيبت بالبرداء ، فلم تقوَ بنيتها الضعيفة على احتمال وطأتها ، فماتت ولما يمضِ على خطبتها ثلاثة أشهر . فاسودت الدنيا في عينيّ لنكولن ، ووقع فريسة ألم نفساني عميق كاد يهد كيانه . وبعد سنة التقى ماري اوين ، وهي فتاة غنية وجميلة ، فتحابا ، وأعلنت خطبتها . ولكن سرعان ما فسخت ماري العقد بحجة أن لنكولن « تعوزه تلك الحلقات التي تؤلف سلسلة سعادة المرأة » .

وهكذا انقطعت كل صلة بينهما . . .

قُتل لنكولن مساء ١٤ نيسان ١٨٦٥ ، وهو اليوم الخامس لانتصار الاتحاد النهائي ، على يد ممثل مجنون يدعى دجون ويلكز بوث ، في اثناء حفلة تمثيلية اقيمت في العاصمة واشنطن .

وضع لنكولن دائماً مصلحة الشعب فوق أي اعتبار آخر ، وقدّم مصلحة الوطن على مصلحته ، ولم يسعَ وراء الشهرة . وعندما جاء إليه المؤرخون متعطشين لمعرفة دقائق حياته وأسرارها في سنواته الأولى ، ومض بريق عينيه وقهقه قائلاً :

ـ إنه ضرب من الجنون أن تحاولوا صنع شيء مني أو من حياتي المبكرة التي تتلخص في عبارة واحدة : « سيرة قصيرة وعادية لرجل فقير مسكين » . ولقد خلد الاميركيون ذكراه ليس فقط كأميركي فذ حرر العبيد ، وإنما أيضاً كرجل دولة لامع ، وكرمز بارز للجهاد في سبيل صيانة الاتحاد .

لويد جورج

Lloyd George

انقضى شباب دايفد لويد جورج ، السياسي البريطاني المعروف (١٨٦٣ ـ ١٩٤٥) ، في ويلز في حالة بساطة تقرب من الفقر . وهو القائل ان أقصى ما كان يحصل عليه من المأكل نصف بيضة أيام الآحاد . وكان من الضيق بحيث لم يستطع شراء الثوب الخاص بالمحاماة إلا بعد أن اصبح لديه عدد من الدعاوى .

دخل لويد جورج البرلمان كعضو في حزب الاحرار سنة ١٨٨٨ . وبدأ نجمه يرتفع خلال حرب افريقيا الجنوبية عندما أصبح زعيماً للجماعة التي ناصرت البوير . وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى ، وكان وزيراً للمال ، توقّع الكثيرون أن يستقيل لميوله السلمية . ولكنه ، على العكس ، بدا من أنصار التسلح والضرب بقوة وشدة . وفي سنة ١٩١٦ ، بعد تقلّبه في عدد من المناصب الحكومية ، ترأس الوزارة البريطانية حتى سنة ١٩٢٢ . كان من أبرز أعضاء مؤتمر السلام في سنة ١٩١٩ . وقد نشر « مذكرات الحرب » بين ١٩٣٢ ـ ١٩٣٦ ، و« الحقيقة حول معاهدة الصلح » سنة ١٩٣٨ .

لويس الرابع عشر

Louis XIV

هذا الملك الفرنسي (١٦٣٨ ـ ١٧١٥) الذي عُرف باسم الملك العظيم ، أو الملك الشمس ، بدأ حكمه وهو في الرابعة من عمره ، فكان اطول حكم سجّله التاريخ الاوروبي ، وقد تجاوز من الطول حكم

الملكة فكتوريا البريطانيه . وعرف بالعصر الذهبي في فرنسا .

كانت السلطة في مستهل حكمه بيد والدته والكاردينال مازاران ، رئيس الوزارة ، الذي أتم العمل الذي بدأه الكاردينال ريشليو . وكانت فرنسا وقتئذ تعاني من حرب أهلية ، واضطرت الاسرة المالكة أن تفرّ من باريس مرتين اثنتين . ولكن السلام ما عتم أن خيّم ، في الداخل والخارج ، وكرّسه سنة ١٦٦٠ زواج لويس الرابع عشر من ماريا تيريزا ، ابنة ملك اسبانيا وولية عهده . فلما مات مازاران سأل رجال البلاط والحاشية لويس عمن سيُستشار في شؤون الدولة فأجاب « أنا » . وهو الذي أوجد هذه العبارة الشهيرة « أنا الدولة» . وكان الوزراء تحت رقابته وسيطرته التامة . . لم يعرف جيشه الهزيمة ، وقد انتصرت دبلوماسيته في كل مكان . وفي عهده قادت فرنسا القارة الاوروبية في الفنون ، والآداب ، والعلوم ، وازدهرت اقتصادياً . وقد بنى لويس قصر فرساي الفخم الذي كلف انشاؤه ١٥٠ مليون فرنك . ومع أن هذا القصر تلألأ بالعبقريات الفنية والادبية والعلمية ، إلا أنه كان مرتعاً لسلسلة من الفضائح بطلاتها عشيقات العاهل الفرنسي .

في سنة ١٦٦٧ بدأت سلسلة حروب دامت طوال حكم لويس الرابع عشر ، كانت أشهرها الحرب الهولندية ، وحرب التحالف الكبير ، والحرب الاسبانية التي انهزمت فيها فرنسا على يد انكلترا . ولم ينقذ فرنسا من التفكك إلا حنكة الملك الشمس ومستشاروه .

وقد تميزت السنوات الاخيرة من حكمه بالسلام ، ولكنها كانت سنوات كئيبة إذ أثقل كاهل فرنسا بالديون ، واشتدت المعارضة للملكية . وفقد لويس ابنه البكر ، وحفيده البكر ، وابن حفيده . ولما توفيت زوجته ماريا تيريزا ، اقترن بآخر عشيقاته مدام دو مانتينون ، وكانت سيدة تقية ورعة ، ففقد قصر فرساي بتأثيرها بهجته ومرحه .

وتوفي لويس الرابع عشر فقال فيه مونتسكيو : « كانت روحه أعظم من فكره ! »

لينين

Nikolai Lenin

أسمه الحقيقي فلاديمير ايليتش اوليانوف (١٨٧٠ ـ ١٩٢٤) ، قام في روسيا بأحرأ تجربة اقتصادية . . تجربة سيكون لها ولا ريب أبعد الأثر في مستقبل البشر ومصائر الشعوب .

كان في صباه رزيناً ، يميل إلى الكآبة والاستغراق في التأمل ، وقلما شارك زملاءه الطلبة في العابهم ورياضتهم . فلما كبر لم يهتم بالموسيقى أو الشعر أو الدين ، بل انصرف إلى دراسة الحقوق ، واتقان اللغات الفرنسية والالمانية والانكليزية والروسية .

شنقت الحكومة الروسية شقيقه لتآمره على القيصر اسكندر الثالث ، وما عتمت أن نفته إلى مجاهل سيبيريا لآرائه المتطرفة . وهناك لمس لينين الفقر المدقع الذي يعيش وسطه الفلاحون المساكين الذين لم يكن ليتاح لهم أكل اللحم إلا في المناسبات الدينية الكبرى ، أي زهاء عشرين مرة في السنة كلها .

ورافقته زوجته إلى المنفى لتعنى به وتقوم على خدمته . . وفي مجاهل سيبيريا وجد لينين متسعاً من الوقت فأتقن لعبة الشطرنج حتى بات في استطاعته أن يشترك في عدة مباريات في آن واحد ، فضلاً عن أنه كان يلاعب اصدقاءه في لعبة الملوك هذه بالمراسلات البريدية . . .

وحلّت المجاعة الكبرى سنة ١٨٩١ فهلك الملايين من الفلاحين من الجوع ووبائيّ التيفوس ، والهواء الاصفر (الكوليرا) ـ فما لبث لينين أن

اقتنع بأن الواجب الوطني يقضي بعمل شيء ما لاصلاح الحال . . ومنذ ذلك الحين تحوّل إلى رجل ثورة ناري .

وخلال السنوات الخمس والعشرين التي اعقبت تلك الفترة العصيبة عاش لينين طريداً شريداً ، يقيم تارة في المانيا ، وطوراً في النمسا ، وفرنسا ، وبولونيا ، وسويسرا ، وانكلترا . وفي اثناء اقامته في لندن كان يتردد إلى دور الكتب الكبرى فيجلس الساعات الطوال أمام مؤلفات كارل ماركس ، أبي الاشتراكية .

وكم تنكر بأزياء الفلاحين والبحارة وعمال المصانع تخلصاً من الوقوع في ايدي السلطات ، وكم ارتدى من الاثواب النسائية ، ووضع الشوارب الاصنطاعية هرباً من الملاحقات التي كان يستهدف لها .

وضع أحد كتبه الثورية في السجن ، ولكنه لم يكتبه بالحبر بل بالحليب خوفاً من افتضاح امره ومصادرته . ولم تكن قراءة هذا الكتاب ميسورة إلا بعد غسل صفحاته بالماء الحار .

وفي تشرين الثاني سنة ١٩١٧ أصبح لينين دكتاتور روسيا ، فصادر جميع الأراضي والاملاك الخاصة . وهرب من هرب من اصحاب الاملاك الواسعة نتيجة لاستيلاء الفلاحين على املاكهم وارزاقهم . وكان يعمل جاهداً بين ثماني عشرة ساعة وعشرين ساعة يومياً . وبعد خمس سنوات اصيب بتصلب في الشرايين ثم بالشلل . وفقد حاسة النطق ، وشُلّت يده اليمنى ، فاضطر إلى تعلم الكتابة باليد اليسرى . وظلّ يصارع الموت ويغالبه مدة سنتين اثنتين قائلاً لمناسبة ولغير مناسبة : « ان ثمة أعمالاً كثيرة تنتظرني » !

ان جثمانه اليوم محنط ومحفوظ في صندوق زجاجي يقوم على حراسته جنود شاكي السلاح . ومن أمام هذا الصندوق يمر الحجاج

بـالالوف كـل يوم ، مكشـوفي الرؤوس ، يحيّـون هذا الـرجل العـظيم الذي أحدث أكبر ثورة اقتصادية في تاريخ البشرية . . .

وصـورته اليـوم معلقة في كـل منزل تقـريباً ، وفي كـل نـادٍ من أنـدية العمـال في روسيا . يصنـع الخبـازون كعكهم ويزينونه بصـورتـه . ويغـرس المـزارعـون زهـورهم بحيث تتفتـح اكمـامهـا عن رسمـه . ويحيـك صـانعـو السجـاد مـلامحـه في التحف الفنيـة التي تخـرج من بـين أيـديهم . يعبـده المـلايين من النـاس كما لـو كان إلهـاً . وتسمع الفـلاحين يـروون الاسـاطـير العجيبة عن عودته إلى الحياة لمساعدة عامل من العمال وانقاذه مما يعانيه .

مَاتزيني

Giussepe Mazzini

وطني ثائر ، وسياسي أديب ، كانت له اليد الطولى في توحيد ايطاليا وتمتعها بالاستقلال التام الناجز .

ولـد جـوسيبي مـاتـزيني في جنـوى سنـة ١٨٠٥ ، فكـان منـذ صبـاه نجيبـاً ، حادّ الـذكاء ، متقـد الحماسـة . درس الحقوق في جـامعة جنـوى ، ومـارس المحامـاة أربع سنـوات . إلا أن ملكة الادب فيـه تغلبت عـلى مهنـة المحاماة ، فانصرف عنها إلى الكتابـة ، وكان أول مقـال له يـدور حول غـرام الشـاعر دانتي ووطنيتـه ، وكانت فـرحته بـالغة عنـدما شـاهـده مـطبـوعـاً في احدى الصحف .

وكـما انصـرف من المحـامـاة إلى الأدب ، كـذلـك انصـرف من الأدب إلى الاشتغال بالسيـاسة بعـد أن هزّت الحـركة الـوطنيةالنـاشئة كيـانه هـزّاً ، فـانضم إلى الجمعيـة السـريـة التي عُـرفت بـاسم كـاربـونـاري (جمعيـة الفحّامين) . فكـان باسـلاً مقداماً في نضالـه وكفاحـه السريـين . وانكشف

أمره بعد ستة أشهر فنُفي من ايطاليا ، فكان ذلك أول عهده بحياة التشريد والنفي التي عاشها طوال أيامه . . .

وهبط مرسيليا دون أن تخمد جذوة جهاده ، ووطنيته ، وحماسته ، وأنشأ هناك جمعية سرية أطلق عليها اسم « إيطاليا الفتاة » . وخشيت السلطات الفرنسية من استفحال أمر هذه الجمعية ، وقضت بابعاده من البلاد . فغادرها وانقطعت أخباره فترة من الزمن ، فذهب الناس في تأويل أمره كل مذهب .

وفشلت إيطاليا الفتاة في احدى ثوراتها ، فحُكم على ماتزيني بالموت بتهمة الاشتراك في الثورة ، وأُهدر دمه .

غير أن ذلك لم يفتّ في عضده ولم يثنه عن مواصلة الكفاح ، فأسس في سويسرا جمعية اخرى اسماها أوروبا الجديدة . ومن سويسرا انتقل سنة ١٨٣٧ إلى انكلترا حيث راح يوجه من لندن الجهاد الوطني في سبيل استقلال بلاده وتوحيدها .

ولما وقعت ميلانو بأيدي النمساويين وقامت ولاية تسكانيا بالثورة على الطغاة الحاكمين ظهر في فلورنسا مكافحاً مجاهداً . ومن فلورنسا انتقل إلى روما حيث انتُخب عضواً في الحكومة الثلاثية ، فتميز عهده في الحكم بالحكمة والاعتدال .

وقضى شطراً كبيراً من حياته يهاجم فرنسا ويندد بمحاولتها السيطرة على ايطاليا ، وينتقد سياسة الملك لويس نابوليون . وكان طوال حياته خصماً للملكية في ايطاليا ، لا يفتأ يقاومها ويدعو إلى قيام الجمهورية . فاعتقلته السلطات الملكية سنة ١٨٧٠ وهو في البحر ، وألقته ، وهو الشيخ الذي ناهز الخامسة والستين ، في غياهب السجن .

وكانت وفاته بعد عامين (١٨٧٢) عانى خلالهما من مرض « التهاب

البللورا » .

ولم ينسَ ماتزيني أنه أديب في الفطرة ، فعكف على دراسة التاريخ ، ووضع كتابين هما الواجب ، ورسائل وهو في غمرة نضاله وجهاده . وقد تُرجم كتابه الثاني إلى عدد غير قليل من اللغات .

كَارل مَاركس

Karl Marx

في كتابه رأس المال الذي ظهر المجلد الأول منه سنة ١٨٦٧ سعى كارل ماركس (١٨١٨ ـ ١٨٨٣) إلى اكتشاف القوانين الاقتصادية التي تحكم المجتمع . وقد نتجت نظريته المعروفة بالتفسير الاقتصادي للتاريخ عن اقتفائه مجرى التطور التاريخي من وراء النشاط الاقتصادي . وبغية انتظام جميع العمال في هيئة ما تحقيقاً لمصلحتهم الخاصة أسس الحركة الاشتراكية المعروفة .

وُلد ماركس في تريف (في المانيا) وتلقّى دروسه في جامعتّي بون وبرلين . وكان والده ، وهو محام يهودي الاصل اعتنق النصرانية ، شديد الاهتمام بالفلسفة والتاريخ ، فشجع ابنه على التأهب لامتهان التدريس في الجامعة . ولكن ماركس ما لبث أن وجد أن نظرياته وآراءه الراديكالية جعلته غير مرغوب فيه في حقل التربية والتعليم في ذلك الحين . فعمل ردحاً من الزمن في الصحافة ، إلا أن آراءه المتطرفة جرّت عليه معارضة الحكومة الشديدة ، ففرَّ إلى باريس (١٨٤٣) .

وفي باريس تعرّف إلى اشتراكي ألماني آخر هو فريدريك انغلز ، فتلازما طوال حياتهما . وفي سنة ١٨٤٨ اصدرا معاً كتيّباً عُرف بالبيان الشيوعي ، الذي اصبح عقيدة الثوار الاشتراكيين ، وبرنامجهم وقد جاء

فيـه : « ان تاريخ المجتمع البشـري في مـاضيه وحـاضـره إنمـا هـو تـاريخ الصراع بين طبقات هذا المجتمع » ,

واتـاحت ثورة سنـة ١٨٤٨ لماركس العـودة إلى المانيـا لفترة من الـوقت وجيزة ، إلا أنه عـاد فغادر وطنه لتجدد حـالة الـرجعية السيـاسية . ورحـل إلى لنــدن سنـة ١٨٤٩ حيث بقي حتى وافـاه الاجـل المحتــوم . وفي هـذه السنوات الاخيرة وضع أكثر مؤلفاته .

ولقـد وضـع نيقـولاي لينـين تعـاليم كـارل مـاركس أسـاســاً للثـورة الاقتصـادية والسيـاسيـة التي جـرت في روسيـا سنـة ١٩١٧ وأدّت إلى انشـاء اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية .

هـزّت تعاليم كـارل ماركس العـالم وأثّرت في مجـرى التاريـخ أكـثر ممـا أثـرت فيـه تعـاليم أي مفكـر في العصر الحـديث . فليس ثمـة أي أمـة من الأمم لم تتـأثر اقتصـادياتها أو سيـاستهـا بـآرائـه . وهنـاك اليـوم خمس عـدد سكـان العالم يـدينون بمبـادئه ويكـافحون من أجـل أهدافـه ، ولا تخلو زاوية من زوايا المعمورة من أتباعه .

ومـع أن كارل مـاركس لم يكن اشتـراكيـاً ولا عـامـلاً ، إلا أنـه حـوّل الاشتراكية من مثالية خيـالية إلى قـوة نضاليـة ذات أهداف وغـايات بعيـدة ، وصهـر العمال في بـوتقة سيـاسيـة . تفهّم أكـثر من سـواه روح الـرأسمـاليـة ومعنـاها ولكنـه مـع ذلـك لم يستـطع أن يؤمّن لنفسـه معيشـة مـرفهـة . بشّر بـالاخوّة العـالمية ولكنـه بقي طوال حيـاته وحيـداً . . ومع أنـه كـان عنيفـاً ، مشـاكسـاً ، نـزقـاً ، سـريـع الغضب ، فـإنـه كـان يحب الأولاد ، ومحبـوبـاً منهم .

مـاكيَـافيللي

Machiavelli

نيقـولو مـاكيافيللي (١٤٦٩ ـ ١٥٢٧) السيـاسي والاديب الايـطالي هـو أول من وضـع قواعـد الوطنيـة الايطاليـة ، وأول من فكّر في تـوحيد الـوطن الايطالي دون ما بحث أو نظر في ترميم الامبراطورية الرومانية .

وكـان إلى ذلك عبقـرية فكـرية فعـالة . . دك صـرح قواعـد العصـور الـوسطى في بنـائهـا الاخـلاقي والسيـاسي . . عنـده نجـد الفضيلة الفـاعلة تقـوم ، للمرة الأولى ، مقـام التـأمـل الـديني ، وعـلى يـديـه يحل العلم التجريبي محل اللاهوت .

تُعـزى هذه الثـورة الفكـريـة التي كـانت أسـاس التفكـير الحـديث إلى ديكــارت ، وغاليليـو ، وبـايكـون ، وقلما يُـذكـر فيهـا أسم مــاكيــافيللي كمؤسس . . .

« يكـره الناس اليـوم ماكيـافيللي لأسبـاب ثـلاثـة هي : أولاً أن أشهـر كتبـه ، وهو الكتـاب السيـاسي«الأمير» مـا يـزال مـوضـع نقـاش منـذ اربعـة قـرون ، وثانيـاً أنهم لا يلحظون فيـه الجو الاجتمـاعي الذي صـدر عنـه ولا الإطـار الروحي الـذي أحاط بـه ـ (أي أوروبا القـرنين الخـامس والسـادس عشر) ، وثالثاً أن الكنيستـين الكاثـوليكية والبـروتستانتيـة اتفقتا ، لأول مـرة في التاريخ ، على شجب هذا الكتاب وحرم مؤلفه .

« لقـد تـأثـر مـاكيـافيللي بـأحـداث عصـره ، ولـو انـه عـرف جـورج واشنطن ، ومـاتـزيني ، وكافـور ، وغاريبـالدي ، لكـان وضع « أميـراً » آخر يختلف عن « اميـره » الذي أسـاء إلى سمعتـه ، بـل كـان أدرك أنـه لا يكفي انشـاء أمة واحـدة متسلطة تـوهم الشعب أنها تعمـل لخيـره ، وعـرف أخيـراً

أن المهم في بناء الأمة هو انسجام الإرادات الفردية في مثل أعلى ، وتوحّدها في العمل على نيله وتحقيقه . . . »

إن قوام كتاب « الأمير » هو تحليل للوسائل التي تكفل للرجل الطموح أن يكسب القوة والسلطان ويحافظ عليهما . . أما موضوعه فهو أن الضعف هو الجريمة الوحيدة .

وقد تقلب ماكيافيللي في الحياة السياسية العامة في مناصب عدة منها سكرتيرية الجمهورية ومنصب المستشار الثاني ، وأُوفد في بعثات لتمثيل فلورنسا في البلاطات الايطالية الصغيرة والعواصم الاوروبية . وعُيِّن مرة سكرتيراً لدائرة خاصة أنشئت من أجل تعبئة قوة ميليشيا لمدينة فلورنسا . أتهمه آل ميدتشي ،خصومه ، لدى تسلمهم زمام الأمور مجدداً سنة ١٥١٢ ، بأنه من المتآمرين عليهم مع جماعة من الجمهوريين ، ولكن التهمة لم تثبت عليه ، وبرئت ساحته . وعندها انسحب إلى مزرعته في ضواحي فلورنسا حيث كرّس وقته كله للكتابة والتأليف ، فوضع القصائد الشعرية ، والمسرحيات الهزلية ، ثم عكف على التأليف الجدي فوضع « الامير » في تلك المرحلة من حياته (١٥١٣) . ولولا مساعدات الدولة له لوجد صعوبة في العيش الكريم .

موسُوليني

Benito Mussolini

كان موسوليني (١٨٨٣ ـ ١٩٤٥) داهية ، وعبقرياً ، وساحراً ، ومجنوناً في آن معاً . هذا الوصف يقدّمه الكونت غراندي ، أحد أقطاب الفاشستية الذي خدم موسوليني مدة ٢٢ سنة متقلباً في عدد من المناصب الحكومية العالية ، ووضع فيه الدوتشي ثقته به وبمقدرته . ويمضي غراندي

فيقـول عن موسـوليني عندمـا تعرّف إليـه للمـرة الأولى سنـة ١٩٢١ ، وقبـل أن يتسلم زمـام السلطة في ايـطاليـا : « فـإذا مـا استـطعنـا ان نستثمـر هـذا الـداهية العبقـري ، ونحبط احابيـل هذا السـاحر ، ونقيّـد هـذا المجنـون ، فأغلب الظن أننـا نسدي لايـطاليا أجـلّ خدمـة واعظمهـا ، لأنها ستجد فيـه زعيماً كبيراً » !

وقد صدق حدس غراندي واصبح مـوسوليني رجـل ايطاليـا الأوحد . جمـع بشخصيته الفـذة السـاحقـة الشعب بـأسـره حـولـه وحمله عـلى اعتنـاق مذهبه السياسي الجديـد ، ورفع الأمـة الايطاليـة إلى المستوى الـلائق بها بـين الأمم ممـا لم تعهـد لـه مثيـلاً من قبـل . . . كـل ذلـك في اعـوام معــدودة . ولكن شيـطان جنونـه جعله يزج بـايطاليـا في الحرب التي مـزقت أوصـالهـا ، وقضت عـلى كـل آمـالهـا وامـانيهـا . كـل ذلـك لأن الجنس الجـرمـاني اراد الانتقام من الامم اللاتينية . . .

حــدث الانقـلاب الفــاشستي في ٢٥ تشـرين الأول ١٩٢٢ ، وتسلّم مـوسـوليني رئـاسـة الـوزارة . وتتـالت الاصــلاحـات ، واشهــرهـا تجفيـف المستنقعــات البـونتيــة ، ومعـركــة القمـح . واتجهت انــظار العـالم شــطر ايطاليا . . . انها انـظار الاعجاب الشـديد بهـذه النهضة الحثيثـة . . ولكن ما أن أقبلتْ سنـة ١٩٢٥ حتى بدأت دكتـاتوريـة مـوسـوليني الحقيقيـة ، إذ راح يتشبث بالوزارة تلو الوزارة .

لم يكن مـوسوليني سهـل القياد بـل كان أشبـه بالجـواد الجمـوح الـذي يصعب تـطبيعه . ولقـد كـان الاطـراء الـوسيلة الـوحيـدة لكسب ثقتـه . ولم يكن ليثق بـأحد ، واكـره ما كـان يكرهـه أن يُـدلى إليـه بنصـائـح مهـما تكن قيمّـة . لم يقرّ يـوماً بـأية معـارضة ، فـإذا ما ابـرزت رأسها سـارع في الحـال إلى قمعهـا والقضاء عليهـا مهما كلف الأمـر . ولم يكن ليعتـرف بـأخـطائـه . وكثيـراً مـا كـانت خـطبـه تتضمن تنبـوءات وتكهنـات يتحقق بعضهـا فيقـوم

يعلن أن حدسه لم يخطىء ، ضارباً صفحاً عن سائر التكهنات التي لم تؤيدها الوقائع . واما القاعدة التي كان يحلو لموسوليني ان يتمشى عليها في حياته فهي احراز الانتصار تلو الانتصار ليستلفت انظار العالم . ولم يكن له خطط ومشاريع يأخذ بها ، بل كان يعمل حسب مقتضيات الظروف . وكان من ابرز صفاته الحسد ، والحقد ، وشهوة الانتقام ، وتقلّب الرأي ، وعدم الاستقرار .

قامت عبقريته في الدرجة الأولى على الوسيلة التي كان يستخدمها في سبيل التسلط على الجموع الشعبية واجتذابها إلى الحظيرة التي يدعو اليها ويبشر بعقيدتها .

تعرّف موسوليني سنة ١٩٣٦ ، وهو في ذروة مجده وعزه بالحسناء الايطالية كلارا بيتاتشي ، وكانت تقيم في دار مجاورة لقصره « فيلا تورلونيا » في روما . وقد اطلق عليها لقب « زهرة حديقة الدوتشي » لانه عرف بقربها احلى ساعات العمر . واحسنت كلارا استخدام نفوذها في الحصول على عفو عن المحكومين السياسيين والاشخاص الذين كانوا هدف اضطهاد النظام الفاشستي ، حتى أن الكثيرين من هؤلاء اطلقوا عليها لقب « القديسة كلير » .

ولكن حياتها كانت قصيرة ، فقد اعتقلها الانصار الايطاليون مع موسوليني بعد نهاية الحرب ، في ٢٩ نيسان ١٩٤٥، بينما كانا يحاولان الفرار إلى سويسرا . وقد اعدما رمياً بالرصاص ، وعُلقت جثتاهما من اقدامهما في ساحة ميلانو العامة .

مسكينة كلارا !.. ما اشأم هذا المصير الذي آلت إليه ! مسكينة « زهرة حديقة الدوتشي » !.. لم يشفق عليها الشعب الثائر بل جرفها سيله كما جرفت سيول الثوار من قبل ازهاراً اخرى كالسيدة دوباري ، والملكة دراغا ، وماري ـ انطوانيت، وسواهن الكثيرات ...

ميري ، مَلكة الاسْكتلنديّين

Mary Queen Of Scotts

المعروف عن ميري ، ملكة الاسكتلنديين (١٥٤٢ ـ ١٥٨٧) أنها كانت فتاة صبية وجميلة ، حُكم عليها ان تموت ميتة شنيعة على يد امرأة لا ترحم هي الملكة اليزابث والواقع أن ماري غذّت في يوم من الايام فكرة انتزاع عرش انكلترا من اليزابث ، وتآمرت على حياتها . ومثل هذه الجرائم عقابها دائماً الموت .

توفي والدها الملك دجيمس الخامس الاسكتلندي بعد ولادتها ، فأرسلت إلى البلاط الفرنسي وهي بعد حدثة ، حيث تلقت دروسها على أيدي أشهر المعلمين ، وتلقنت أصول الايمان الكاثوليكي ، وزُوّجت ببكر أبناء ملك فرنسا في كاتدرائية رانس ، وكان لها من العمر وقتئذ ١٥ سنة ، وكان هو في السادسة عشرة . وتوفي الملك بعد ذلك بسنة فاعتليا العرش . وكانت الخطط التي تقضي باغتصاب العرش الانكليزي من نتاج تلك الفترة .

ولما توفي زوجها عادت ميري إلى اسكتلندا حيث تزوجت ابن عمها هنري ستيوارت ، لورد دارنلي ، ولكنها رفضت أن تمنحه لقب ملك . وكان دارنلي شديد الغيرة من سكرتيرها السري الايطالي ريزيو ، فقتله . ومرت فترة مصالحة بين الزوجين بسبب ولادة ابنهما سنة ١٥٦٦ ، ولكن ما ان أقبلت السنة التالية حتى نُسف المنزل الذي كان يقيم فيه دارنلي ، وكان مريضاً بالجدري وملازماً سريره ، وميري في احدى الحفلات الراقصة . ويقال ان دارنلي حُذّر في آخر لحظة ، فحاول الهرب ، ولكنه وُجد ميتاً في حديقة مجاورة . ولم يُعرف بالضبط دور ميري في هذه القضية ، ولكن الجميع شكّوا في أحد مستشاريها وعشيقها ايرل أوف

بوذويل . وما هي إلا ثلاثة شهور حتى تزوجت بوذويل ، فثارت ثائرة اللوردات ، وحاصروا قصر بوذويل الذي هربت منه ميري متنكرة بملابس الفتيان . ولكن ألقي القبض عليها ، واسيئت معاملتها ، وهُددت بالقتل . وأكرهت على التنازل عن العرش . ونجحت في الفرار من السجن بمساعدة خادم في السادسة عشرة من عمره . ونظمت جيشاً كان نصيبه الهزيمة . فلم ترَ بداً من الهرب إلى انكلترا والارتماء تحت رحمة الملكة اليزابث . وبقيت في السجن طوال حياتها . وقبيل مهاجمة الاسبان لانكلترا تبين أنها كانت تتآمر على حياة اليزابث ، فحوكمت ، وأعدمت في ٨ شباط ١٥٨٧ . فمشت إلى المشنقة رابطة الجأش بثوبها الاسود الذي نزعته في اللحظة الاخيرة ليبدو تحته ثوب قرمزي ساطع .

نقولا الثاني

Nicholas II

كان القيصر نقولا الثاني (١٨٦٨ ـ ١٩١٨) ، آخر القياصرة الروس . وقد حكم بلاداً مساحتها سدس الكرة الأرضية مدة ربع قرن من الزمن ، بيد من حديد ، وكان يُعتبر أغنى رجل عرفته أوروبا .فقد قُدّرت أطيانه وعقاراته بخمسين مليون دولار ، ومجوهراته وحجارته الكريمة ، من الماس ولؤلؤ وياقوت بمبلغ ثمانين مليوناً ، كما قُدِّر دخله الشهري بمليون دولار ، أي ما يعادل ٢٤ دولاراً في الثانية الواحدة .

إلا أن الثروة والعظمة لم تنقذاه من النهاية المؤلمة التي انتهى إليها وأفراد أسرته . لقد كانت نهايته من أفجع المآسي التي دوّنها التاريخ فبُعَيد منتصف ليل السادس عشر من تموز سنة ١٩١٨ ، اقتيد القيصر نقولا الثاني ولفيف أسرته إلى بيت مؤونة قذر مملوء بنسيج العناكب ، فأطلقت النار عليهم جميعاً ، وكانت مذبحة بشعة وحشية ليس لها مثيل !

كـان ابن القيصر إسكندر الثـالث ، وخليفته عـلى عرش القيـاصـرة . ولـد في سان بـطرسبرج ، وتـربـع عـلى العـرش في السنـة ١٨٩٤ . وخـلال حكمه جرت الحرب الروسية ـ اليابـانية ، وتـدشين النـظام البرلمـاني في روسيا (مجلس الدوما)، والتحـالف الفرنسي ـ الرُوسي ، والحرب العـالمية الأولى ، ثم الثورة البولشفية .

في سنـة ١٩١٧ ، أعلنت القـوات الـروسيـة المحـاربـة العصيـان عـلى القيصر نقـولا ، ورفضت المضي في الحـرب . وتـألف وفـد من كبـار القـادة العسكـريـين ، فقـابـل القيصر قبـل منتصف ليـلٰ ١٤ آذار ١٩١٧ ، ببضـع دقائق ، في مقصورته بقطاره الحديدي الخاص ، وصارحـه بوجـوب ترك زمـام الحكم والتخـلي عن العرش . ووقـع عليه هـذا النبأ وقـع الصاعقـة ، فتولاه الشحـوب ، وبات مـظهره شبيهـاً بمظهـر الاشبـاح ، ولم يـدرِ مـاذا يعمـل . وحـين انسحب إلى مخدعـه لم يستطعَ الـرقاد ، فتنـاول مسـرحيـة « يـوليـوس قيصر » الشهيرة لشكسبير ، وقطع الليل في مطالعتها .

وفي تمـام الساعـة الحاديـة عشرة والربع من صباح اليـوم التالي ، وقـع القيصر وثيقـة التنازل عن العـرش ، بقلم رصاص عـادي قائـلاً : « شكـراً لله ، فبـوسعي الآن ان اعمـل مـا كنت اتـوق إلى عمله دائـماً . يمكنـني الذهاب إلى منزلي في شبه جزيرة القرم ، وزراعة الازهار » .

وقضى القيصر نقـولا وأسـرتـه الأشهـر الاخيـرة من حيـاتهم في منـزَل عتيق مؤلف من غـرفتين ، بضـواحي احدى المـدن الواقعـة على سفـح جبال الاورال . وكـانت حياتهم هـذه أشبه بحيـاة الفـلاحـين المعـدمـين . فلم يكن الثوار الذين سجنـوهم يقدّمـون إليهم من طعام الا حسـاء الخضار مـرتين في اليوم ، وكسر الخبز الاسود الجاف .

ولم يكن يسمح لهم بفتح النوافذ التي طلي زجاجها كي تحجب عنهم معالم الدنيا . واتفق ذات يوم ان صغرى بنات القيصر ، الاميرة انستازيا ، فتحت النافذة لتتنفس قليلاً ، فإذا بأحد الخفراء يطلق النار عليها ! ولم يكن في وسعهم الا التنزه في حديقة المنزل مدة خمس دقائق يومياً .

وكان الجنود الموجلون بالحراسة يُغلظون القول امام بنات القيصر نقولا ، وينشدون الاغاني القذرة تحت النوافذ ليلاً ، ويقضون سحابة نهارهم نصف عراة على مرأى من افراد العائلة المالكة السابقة . وفي احد الايام انتزع جندي من الحرس مفكرة الامبراطورة وسلبها نقودها قائلاً : « لن تحتاجي إلى مال بعد الآن » !

أما القيصر فقد كان امرأً وديعاً ، لطيفاً ، لم تنبس شفتاه بتذمر أو شكوى ، على نقيض زوجته المتكبرة التي ما فتئت تتذمر من الحالة التي آلت إليها ، وتعلن أنها ستنتقم يوماً ما من سجانيها الوحوش .

إلى أن كان ليل ١٦ تموز ١٩١٨ ، فأيقظ قائد الحرس القيصر وأفراد اسرته وقال لهم ان اضطرابات حدثت في المدينة ، وان عليهم ارتداء ملابسهم والنزول إلى بيت المؤونة ريثما تصل العربات لتقلّهم إلى مكان امين . فلما وصلت القيصرة إلى بيت المؤونة كانت ترتعد فرقاً ، ولم تستطع الوقوف على قدميها . فجيء لها بكرسي جلست عليه . وما هي إلا دقائق حتى تدفق الجند على المكان ، وهم يصيحون : « لقد حاول اصدقاؤكم انقاذكم ، ولكنهم لم يفلحوا ، وسنقتلكم جميعاً ! » وما كادوا ينهون كلامهم حتى اطلق احدهم رصاصة اصابت القيصر في صدره . وما آن وقع ارضاً حتى كان الرصاص ينهال على بقية الاسرة ، ثم أجهز الجنود عليهم بالحراب المسنونة . وللحال قطع الجنود الجثث ، ورشوها بالبنزين ، وأضرموا النار فيها . ثم القوا بالرماد والاشلاء في حفرة ،

باحد مناجم الحديد القديمة . وقد عثر الجنود في المكان الذي احرقوا فيه الجثث على عدد كبير من الحلي والمجوهرات كانت القيصرة وبناتها الاميرات قد خبأنها في طيات ملابسهن .

والمعروف ان مقتل الأسرة المالكة الروسية كان عمل نفر من الثوّار المتحمسين ، وان الحكومة السوفياتية قد اعتلقتهم وحاكمتهم بتهمة قتل القيصر وأفراد أسرته ، وقضت على خمسة منهم بالاعدام رمياً بالرصاص .

كان القيصر نقولا الثاني شديد الولع بمطالعة شكسبير ، ولا ريب في أنه قرأ العبارة التالية مراراً : « أن الذين يقفون عالياً تهزهم الرياح ، فإذا ما سقطوا كان سقوطهم عظيماً ، وتحطموا إرباً إرباً » .

جَواهر لال نهرو

سياسي هندي ، كان أول رئيس للوزراء في جمهورية الهند . ابصر النور في ١٤ تشرين الثاني سنة ١٨٨٩ ، في مدينة الله آباد . رحل سنة ١٩٠٥ إلى انكلترا حيث التحق بكلية هارو . ثم درس في كلية ترينتي في جامعة كيمبريدج العلوم الطبيعية ، ودرس الحقوق في كلية اينرتمبل ، في لندن .

وكان من أسرة ذات ميول انكليزية فلم يشعر بالغربة وهو في الوسط الانكليزي ، واصبح متضلعاً من الادب والتاريخ الأوروبيين .

وفي سنة ١٩١٢ عاد إلى الهند لممارسة المحاماة في مسقط رأسه مثل والده موتيلال نهرو (١٨٦١ - ١٩٣١) . ثم ما لبث ان انضم إلى حزب « المؤتمر الوطني الهندي » المعتدل .

ولكن مذبحة امرتسار التي حدثت سنة ١٩١٩ بدلت تبديلاً جذرياً نظرة نهرو . فهجر المحاماة التي نجح فيها نجاحاً باهراً ، والتحق بالمهاتما

غاندي الذي سرعان ما بات من ابرز اتباعه ، وبات الرجل الثاني بعده .

ودخل السجن مراراً بسبب نضاله الوطني ، وكانت المرة الاولى سنة ١٩٢٢ ، والمرة الاخيرة بين ١٩٤٢ ـ ١٩٤٥ . وفي اثناء اقامته وراء القضبان كتب عدداً من الرسائل إلى ابنته انديرا ، جمعت فيما بعد في مجلد بعنوان « رسائل من أب إلى ابنته » (١٩٣٠) ، و« لمحات من التاريخ العالمي » (١٩٣٤) وله عن السجن الذي قضى فيه ما مجموعه تسع سنوات من عمره ، هذا القول الذي اطلقه في محكمة الله آباد سنة ١٩٢٢ : « سأذهب إلى السجن مرة ثانية بكل سرور . لقد أصبح السجن ملجأ لنا ومكاناً نحج إليه . والانسان يشعر بالوحدة خارجه » .

وفي سنة ١٩٢٩ خلف والده في رئاسة حزب المؤتمر الذي كان قد اصبح إذ ذاك متطرفاً . وقد احتل هذا المنصب مجدداً في السنوات ١٩٣٦ ـ ١٩٣٧ ، وسنة ١٩٤٦ ومن ١٩٥١ إلى ١٩٥٤ .

وعلى الرغم من اخلاصه الشديد الدائم لغاندي ، فإنه لم يشاطره آراءه التقليدية ، المحافظة ، المسالمة . وقد وجد انصاراً متحمسين في أوساط الشبيبة الهندية بسبب اهتمامه العميق بتحقيق الاصلاح الزراعي ، وتحسين معيشة الجماهير .

ودرس الماركسية والتاوية ، وقام بعدد من الزيارات إلى الاتحاد السوفياتي والصين . وقد عين نهرو رئيساً للحكومة الموقتة سنة ١٩٤٦ ، وعندما اصبحت الهند دولة مستقلة في الدومنيون البريطاني في السنة التالية اصبح رئيساً للوزراء ، ووزيراً للشؤون الخارجية . وقد ثبت في دست الحكم لدى اعلان جمهورية الهندي في ٢٦ كانون الثاني ١٩٥٠ ، واثر انتصار حزب المؤتمر في الانتخابات العامة الأولى سنة ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ ،

وبعد ذلك ، مجددا ، سنة ١٩٥٧ .

تميزت سياسة نهرو بمعاداة الاستعمار ، والدفاع عن ضرورة اشراك الصين الشعبية في المؤتمرات الدولية ، وعدم الانحياز إلى السوفيات أو الكتل الغربية ، وبمصادقة الجميع . وقد كانت وفاته في ٢٧ أيار سنة ١٩٦٤ .

أما والده موتيلال نهرو فقد كان في البدء من اصحاب الميول السياسية الانكليزية ، ومن انصار الحكم الذاتي المعتدل ، ثم اقتفى آثار ابنه جواهر لال في تطرفه الوطني سنة ١٩١٩ . وكان زعيماً لحزب الحكم الذاتي (سواراج) الذي انصهر في حزب المؤتمر الوطني سنة ١٩٢٦ .

ومن أقوال البنديت نهرو المأثورة الكثيرة نقتطف هذه الباقة :

كتب عن نفسه يقول :

« لا يهمني ما سيقال عني بعد ذهابي إلا أن يقال : هذا رجل احب الهند وشعب الهند بكل قلبه وعقله » .

وفي لندن قال سنة ١٩٥١ :

« بعض الناس يتكلمون عن الحرب وكأنها امر محتم وكان الأولى ان يقولوا ان السلام هو الأمر المحتوم » .

وعن الدول المستقلة حديثاً قال في حفلة اقامها للرئيس جمال عبد الناصر سنة ١٩٥٥ :

« يتملكني شعور ببزوغ فجر جديد هنا في آسيا وافريقيا وقد يكون فجراً صاخبًا ولكنه فجر مع ذلك » .

وعن القنبلة الذرية والحرب والسلام في الحفلة نفسها :

« ان الـذين يضعـون ثقتهم في القنبلة الـذريـة ستقضي عليهم القنبلة الذرية » .

وعن الشعور بالوحدة قال في كتابه عن تاريخ حياته :

« ليس ممكناً في أية قضيـة ان يعتمد الانسان على غيره ، بـل يجب أن يجتـاز الإنسـان هـذه الحيـاة وحـده لأن الاعتمـاد عـلى الغـير يسبب نكسـة للقلب » .

وقـال عن سياسـة اللاعنف في خـطاب القاه في اجتمـاع للحزب سنـة ١٩٢٣ :

« اعتقـد أن خلاص الهنـد ، وكذلـك العـالم كله ، سيأتي عن طـريق اللاعنف » .

وعن الصين قال في دلهي الجديدة سنة ١٩٦٣ :

« انها كـتمسـاح ضخـم في قلب آسيـا يحـاول التـهـام السـمـك الصغير » .

هتلر

Adolf Hitler

ادولف هتلر ، جنكيـز خـان العصر الحـديث ، ذو الشخصية الفـذة الكثيـرة المتنـاقضـات ، أبصر النـور في ٢٠ نيســان ١٨٨٩ في بـراونـاو في منطقة تقوم على الضفة الشماليـة لنهر الـدانوب حـوالى ٥٠ ميلاً فـوق فيينا . وكان أبوه ولـداً غير شـرعي لفلاحـة فقيرة . دخـل المدرسـة في السادسـة من عمـره ، فكان مجلّيـاً في دروسه ، وبخاصة في الغنـاء ، والرسم ، والـرياضـة البـدنيـة . وكـان والـده في هـذا الـوقت في الستـين ، وامـه في السـابعـة

والثلاثين . فكان بارّاً بأمه ، مخلصاً لها اخلاصها له ، وهو الابن الشائر المعتدّ بنفسه ، المعتمد عليها .

كانت التقارير المدرسية ، واقوال زملائه ، تصفه بأنه كان في المدرسة كالزعيم المتبدي الاحمر ، بأساً وشدة ، وعلو صوت ، إلى جانب براعته في الخطابة ، وتزعمه رفاقه التلامذة في شتى ألعابهم . وقد ذكر أحد هذه التقارير أنه كان يضع مرة خطة لرحلة حول العالم مع رفاقه . وكان يحمل المدى، والفؤوس إلى المدرسة ، ويثأر لنفسه ممن يعتدي عليه من التلامذة دون أن يلجأ إلى رفع الشكوى إلى المدرّسين . وكان يحلم بأن يصبح رساماً مع أنه سقط في امتحان الدخول إلى اكاديمية الفن في فيينا . . .

تطوّع في الحرب العالمية الأولى في الجيش وأحرز رتبة كابورال . وفي سنة ١٩١٩ انضم إلى حزب العمال الالماني في ميونيخ كمخبر للسلطات ، وما لبث أن اصبح زعيمه سنة ١٩٢١ ، فأدخل عليه بعض الاصلاحات وسماه الحزب الوطني الاشتراكي (النازي) . وما هما إلا شهران حتى قام بثورة فاشلة فألقي القبض عليه وسُجن . وفي سجنه وضع كتابه « كفاحي » (ماين كامف) الشهير الذي يبسط فيه آراءه ونظرياته السياسية . وفي سنة ١٩٣٠ بدأ الصناعيون يسندون حزب هتلر ، حتى اصبح في غضون سنتين أقوى احزاب الرايشستاغ (المجلس النيابي) . وفي سنة ١٩٣٣ أصبح هتلر مستشاراً بفضل دهاء فون بابن ، فراح يعمل على القضاء كل معارضة . له وما لبث أن خلف المارشال هندنبورغ العجوز في رئاسة الدولة . وأعلن رغبة المانيا في التسلح من جديد ، وانسحب من عضوية عصبة الأمم ، واحتل منطقة الرور ، وتدخّل في الثورة الاهلية في اسبانيا . وفي سنة ١٩٣٨ ضمّ النمسا إلى المانيا (الانشلوس) ، وقد تلا ذلك اتفاقية ميونيخ ، وسقوط

تشيكوسلوفاكيا . وفي أول أيلول ١٩٣٩ ، وبعد أن وقّع هتلر ميثاق عدم اعتداء مع الاتحاد السوفياتي ، غزت المانيا بولونيا ، فكانت تلك الشرارة الأولى في الحرب العالمية الثانية . وفي سنة ١٩٤٤ نجا من الموت بأعجوبة من مؤامرة دبرها له بعض كبار ضباط جيشه .

تعددت الاقوال في شخصية هتلر وتضاربت ، ولكنها تُجمع كلها على أن من أغرب المظاهر في شخصيته ايمانه العميق في كل ما يقول . فهو قادر على أن ينكر كل أعماله ووعوده الماضية إذا اصبحت مناقضة للمصلحة الحاضرة أو المقبلة ، ويكون في هذا الانكار مؤمناً بقدر ما كان مؤمناً بالعمل نفسه !

ومن نقائص هتلر الكبرى أنه لم يسافر قط إلى الخارج إلا في زيارتيه إلى ايطاليا . ولا مناص من أن يكون أعظم الحكام استقلالاً بالرأي خاضعين لنفوذ بطانتهم . ولكن قرارات هتلر وتقديراته وانتهازاته للفرص كانت كلها من صنع يده .

ان العباقرة اناس غريبو الاطوار . . ومن غرائب أطوار هتلر المتناقضة أنه مزيج من التفكير الهادىء العميق ، ومن الانفعال العنيف المتكبر الناشىء عن الغيظ والحنق .

وفي كتابه «هتلر يتكلم »حلّل الهر راوشننغ ، وكان مقرّباً من هتلر ، وأول رئيس نازي لمجلس الشيوخ في دانتريغ ، شخصية دكتاتور المانيا النازية بقوله : « يجمع هتلر بين جاذبية الطبيب الماهر والمشعوذ الكبير . أنه رمز انبعاث العالم الفطري في أوروبا الغربية . »

وهتلر كثير المطالب والدلع ، لا يعرف معنى العمل المنتظم . . انه صاحب أفكار عارضة وتأثرات سريعة ، لا يكاد يشعر بها حتى يبادر إلى تحقيقها بسرعة ، فكل شيء فيه زلازل واهتزازات وصواعق .

وأجمل ما فيه حبه للنزهات الخلوية في الغابات والجبال ، فساعات العزلة والنزهة تقوم عنده مقام الصلاة ، يصغي خلالها إلى حفيف الاشجار ووقع قطرات الماء ، ويسمع اصواتاً غريبة .

انه يبكي إذا مات عصفور ، ولكنه لا يحجم عن تعذيب ملايين البشر ! »

ووصف السفير الفرنسي في برلين فرنسوى بونسه شخصية الفوهرر ، زعيم الرايش الثالث ، في تقرير رفعه إلى حكومته في تشرين الأول ١٩٣٨ بقوله :

« لا ريب عندي في أن هتلر ذو خلق متقلب ، متبلبل ، متجزىء . . فالرجل الذي تراه امامك هادئاً وديعاً ، يشعر بجمال الطبيعة ويحدّثك على مائدة الشاي عن أكثر من المشاريع السياسية تعقلاً وحكمة ، هو الرجل نفسه الذي يستأثر بقراراته وبأعماله ، ويندفع في مغامرات جنونية إلى تنفيذ مطامح جبارة لا تعرف حداً .

ان منزل هتلر الفاخر في « اوبرزالتسبورغ » قرب برشتسغادن اكبر دليل على نفسيته : هل هو وليد خيال صاحب ملايين عظيم ، أم هو ملجأ للصوص يكدسون فيه ثرواتهم ؟ اهو وليد العقل العادي أم جنون الكبرياء وهواجس السيادة والعزلة ؟ »

ولقد اقترن اسم هتلر بعدد وافر من النساء على الرغم من الاسطورة التي كانت تصوره بأنه يكره النساء وقد قيل :

« لو كان متزوجاً لما وقعت الحرب . . فالمرأة تنفح خلق الرجل بالحنان والرأفة ، وتلين قسوته ، وتخفف من تطرّفه . وأكبر مثال على ذلك أن المارشال غورنغ كان أكثر الزعماء النازيين مغامرة وتهوراً واقداماً ، فلما تزوج ورُزق اطفالاً رق قلبه المتحجر . واستعاد كثيراً من العواطف

الانسانية التي يشعر بها الرجل العادي » .

أصر هتلر على حياة العزوبة . وقد اختلفت الآراء في تحليل هذا الاصرار . واجمع الخبراءالنفسانيون على القول بأن عاطفة الحب ليست مفقودة في نفس هتلر ، ولكنها تذهب إلى غير المرأة . فهتلر يهوى نفسه ، ويهوى العظمة والسؤدد ، ويهوى الطموح ، والسيادة . وقد جعل المانيا « وسطاً » في بلوغ هواه .

وسئل هتلر مراراً عن أسباب تجنبه العلاقات الدائمة مع النساء فأجاب : « من يريد أن ينشىء امة لا يستطيع أن يكرّس نصف حياته لغير تلك الأمة ، بل يجب ان يضحي بحياته كلها في سبيلها ! »

ونشرت الصحف الشيء الكثير عن علاقة هتلر بايفا براون التي قيل انه تزوجها في ٢٧ نيسان ١٩٤٥ ، أي قبل مصرعه بأربعة أيام ، ولكنها لم تنشر شيئاً عن ايفا نفسها التي دعيت « مستشارة الرايش الثالث السرية المسموعة الكلمة » .

ولدت ايفا في ٦ شباط ١٩١٣ من عائلة متوسطة الحال في ميونيخ . وقد تعرّف اليها هتلر في سنة ١٩٢٦ في اثناء زيارة إلى مصوره الخاص هاينريش هوفمان . وكانت ايفا تتولى يومئذ تنظيم دفاتر المصور ، فلما رآها احبها . ومنذ ذلك الحين الحقها بدائرته ، وظلت رفيقة حياته إلى النهاية . وظل خبرها مكتوماً عن الرأي العام بفضل رقابة دقيقة ، ولكن الاوساط النازية العليا كانت عارفة بأمرها . ولم يكن هتلر يسمح لها بالظهور إلا في الحفلات الخاصة التي كان يقيمها غورنغ .

وكانت ايفا شقراء ، يتدلى شعرها على جانبي رأسها . وكانت قسمات وجهها متناسقة ، وقوامها نحيفاً ، يبلغ طولها ١٦٢ سنتمتراً . وتدل صورها بلباس الاستحمام على أنها كانت تملك جسماً جميلاً .

وكانت ترتدي ملابس انيقة ، وتعتني عناية خاصة بزينتها وعطورها .

ويقال انهما ماتا معاً قبل نهاية الحرب العالمية الثانية بعد أن أحرقا نفسيهما في أحد أقبية قصر المستشارية في برلين (نيسان ١٩٤٥) . . .

جُورج واشِنْطن

George Washington

أبو الولايات المتحدة الاميركية ، وزعيم كفاحها من أجل الاستقلال . . ساعد كثيراً على صهر مختلف العناصر التي تؤلف الولايات المتحدة في بوتقة واحدة . وقد أجمع أعضاء الكونغرس بعد وفاته بخمسة ايام على وصفه بقولهم : « كان الأول في الحرب ، والأول في السلم ، والأول في قلوب مواطنيه ! »

أبصر واشنطن النور في فرجينيا في ٢٢ شباط ١٧٣٢ ، وكان والده من أصحاب الاملاك الناجحين ـ لم يدرس طويلاً . . توفي والده وهو في الخامسة عشرة، فترك المدرسة وأقام مع أخيه ، غير الشقيق ، لورنس الذي ورث أملاك والده . وخلال الحرب الهندية الفرنسية التحق بالميليشيا ، وما لبث أن اصبح قائداً عاماً لقوات فرجينيا كافة . وفي سنة ١٧٥٩ تزوج من الارملة مارثا داندريدج كستس واستقر في املاك الاسرة في جبل فرنون بعد أن ورثها عن أخيه .

كان عضواً في مجلس نواب فرجينيا ، وفي سنة ١٧٧٤ انتُخب مندوباً لأول مؤتمر اميركي . ولم يكن معروفاً نسبياً ، ولكنه مع ذلك انتخب قائداً أعلى للقوات المسلحة عندما قر الرأي على الكفاح من أجل الاستقلال . فنظّم جيشه بسرعة ، وطرد الانكليز من بوسطن في سنة ١٧٧٦ . ومنذ ذلك لم يكسب أي معركة رئيسية حتى كان استسلام الجيش

الانكليزي بقيادة كورنواليس في يوركتاون سنة ١٧٨١ .

وفي سنة ١٧٨٩ استدعي مجدداً لقيادة بلاده ، ولكن كأول رئيس لها ، فعمل ثماني سنوات لبناء دولة جديدة . وقد توفي في ١٤ كانون الأول ١٧٩٩ في منزله في جبل فرنون بعد سنتين اثنتين من اعتزاله الرئاسة . . .

دانيال وبستر

Daniel Webster

يقال إن أول خمسة وعشرين سنتاً كسبها دانيال وبستر ابتاع بها منديلاً طبع عليه دستور الولايات المتحدة الاميركية . فراح يتلوه المرة تلو المرة حتى حفظه عن ظهر قلب ، فكان لذلك ، فيما بعد ، قيمة لا تُقدّر في حياته كسياسي اميركي ، وخطيب بليغ .

كانت ذاكرته قوية ، وقد حفظ غيباً القسم الأكبر من الكتاب المقدس . لم تسعفه صحته السيئة وبنيته الهزيلة في صباه على امتهان العمل المتعب . فكان يقضي الشطر الأكبر من وقته في صيد البر والبحر ، والمطالعة ، حتى أتى على كل ما تحتويه مكتبة القرية من مجلدات .

وُلد دانيال في ساليسبوري ، في ولاية نيوهامشر سنة ١٧٨٢ . وكان والده يرجو أن يصبح من اعضاء الكونغرس في أحد الأيام فرهن مزرعته ليرسله وشقيقه الى المدرسة . وقد رفض دانيال وظيفة كاتب في المحكمة على الرغم من مرتبها المغري قائلاً انه يريد أن يصبح محامياً . ولما أشار والده إلى أن مهنة المحاماة لم تعد تتسع لمحامين جدد كان جواب دانيال : « هناك دائماً مقام في القمة ! »

وهكذا بدأ تسلقه القمة عندما سجل اسمه في نقابة المحامين سنة ١٨٠٥ . . فقد اشتهر ببلاغته وقوة حجته ، واطلاعه الواسع على القانون . وما هي إلا بضع سنوات (١٨١٢) حتى تحققت امنية الاب إذ انتُخب دانيال عضواً في الكونغرس . وقضى في الكونغرس دورتين ، ثم عاد إلى ممارسة مهنة المحاماة . وما لبثت أن اتسعت اعماله فانتقل من مسقط رأسه إلى بوسطن . وذاعت شهرته كخطيب دستوري . وعاد فدخل الكونغرس سنة ١٨٢٣ . وأصبح عضواً في مجلس الشيوخ سنة ١٨٢٨ ، وبقي في مجلس الشيوخ حتى وفاته باستثناء سنتين قضاهما ناظراً للخارجية . أما خطابه الشهير « السابع من آذار » الذي القاه سنة ١٨٥٠ فقد أفقده كل حظ له برئاسة الجمهورية ، إلا أنه مع ذلك أخر نشوب الحرب الاهلية عشر سنين . وقد سقط من عربته في أيار ١٨٥٢ فتوفي متأثراً من جراحه في تشرين الأول من السنة نفسها .

كتبت مجلة فرايزر سنة ١٨٩٠ تصفه بقولها : « كان اعظم خطيب عاش في القسم الغربي من العالم ! »

ويلسُون

Woodrow Wilson

توماس وودرو ولسون (١٨٥٦ ـ ١٩٢٤) ، الرئيس الثامن والعشرون للولايات المتحدة الاميركية ، هو صاحب فكرة « الشعوب جيران » ، والسياسي الأول الذي خطا أول خطوة فعالة في سبيل انقاذ البشرية من ويلات الحرب والتقدم بها إلى أملها المنشود بالسلام .

« لم يُسجن صاحب هذه الفكرة ولم يُنفَ من وطنه ويُرسل في الأرض شريداً . . . ومع هذا فإن جهاده في سبيل اعلان فكرته ، وما لقيه

من الأذى وهو يدعو اليها ويدافع عنها ، وما جرّته عليه من خيبة الأمل حتى مات حسيراً كسيراً . . كل هذا يجعله شهيداً من شهداء الفكر ، وبطلا من ابطال الانسانية » .

أبصر النور في ولاية فرجينيا ، وكان أبو قساً من قساوسة الكنيسة المسيحية . ذاق بعض ويلات الحرب الأهلية . وبعد أن تخرّج في جامعة برنستون قرر أن يدرس ويدرّس السياسة والاقتصاد والعلوم المماثلة لها . وقد تولى رئاسة هذه الجامعة سنة ١٩٠٢ طوال سنتين . وفي سنة ١٩١٠ انتخب حاكماً لولاية نيو دجرزي عن الحزب الديمقرطي. ولكن بعد سنتين انتخب رئيساً للولايات المتحدة ، ثم اعيد انتخابه سنة ١٩١٦ .وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤) أعلن حياد اميركا وسعى جهده لابقاء الولايات المتحدة خارج النزاع الدولي الدامي . ولكن تفاقم خطر الغواصات الذي اصاب اميركا في الصميم دفعه إلى اعلان الحرب سنة ١٩١٧ .

وفي ٨ كانون الثاني ١٩١٨ أصدر ولسون مبادئه الأربعة عشر المشهورة التي أصبحت أساساً للصلح ، ووضع فكرة عصبة الأمم (المبدأ الرابع عشر منها) . وقد زار أوروبا مرتين بعد أن وضعت الحرب أوزارها للاشتراك في مفاوضات الصلح وتوقيع المعاهدات الخاصة به . وقد نجح في انشاء عصبة الأمم ولكنه فشل في حمل الولايات المتحدة على الانضمام إليها . وعلى الرغم من نصائح أطبائه المتعددة قام بجولة شاقة في طول اميركا وعرضها لتأييد فكرته في انضمام بلاده إلى عصبة جينيف . فساءت صحته ، وفي اثناء جولته أصيب بانهيار صحي عام أقعده عن الحركة حتى كانت وفاته في ٣ شباط ١٩٢٤ « بعد أن شهد مصرع فكرته . . فقد ترك الدنيا كما لقيها ، دنيا مسترسلة في الاطماع والمنافع ، متأججة بالخصومات والاحقاد ، كل جارٍ فيها عدو لجاره ، يتأهب للاغارة عليه والفتك به » .

يولِيوس قيصر

Julius Caesar

سياسي ، وقائد عسكري روماني ، يقترن اسمه بالحكم المطلق ، إلا أنه اكتسب شهرته وقوته ومجده على أساس نصرته للديمقراطية .

أبصر النور سنة ١٠٠ قبل الميلاد في أسرة نبيلة ، وتلقّى العلوم المناسبة لمقامه . تزوج في السابعة عشرة من كورنيليا ، ابنة لوشيوس سينّا ، زعيم الحزب الشعبي ، مما أغضب سولا ، رئيس حكومة الاعيان ، الذي طلب اليه الطلاق فوراً ، فرفض يوليوس قيصر وهرب ، ولم يعد إلى روما إلا بعد وفاة سولا سنة ٧٨ ق . م .

بدأت حياة قيصر العامة سنة ٧٤ عندما انتُخب لأول منصب سياسي . وفي سنة ٦٧ طلّق كورنيليا بسبب الشائعات التي ترددت عنها ، وتزوج بومبيا ، احدى نسيبات بومبي ، أحد أنصار الديمقراطية المتحمسين في ذلك الحين . وبفضل حكمته ودهائه استطاع التوفيق بين حزبي بومبي وكراسوس المتخاصمين ، مما أتاح له سنة ٦٠ أن يؤلف أول حكومة ثلاثية تحكم روما . واقتسم الثلاثة الامبراطورية فيما بينهم ، فكان من نصيب بومبي القسمان الأوسط والجنوبي بما في ذلك ايطاليا بأسرها ، وكان من نصيب قيصر القسم الغربي بما فيه بلاد الغول ، وأصاب كراسوس المنطقة الشرقية بما فيها بلاد فارس حيث لاقى حتفه فيما بعد . . .

ضاعف قيصر في بلاد الغول ، بقوة السلاح ، رقعة الأراضي الواسعة تحت الحكم الروماني . وقد دوّن قصة هذه الحملة في كتاب دعاه « التعليقات » يطالعه آلى اليوم كل طالب يتعلم اللاتينية . ومن ثم استطاع اخضاع القبائل الرئيسية في بريطانيا . وتملّك الحسد من نفس

بومبي ، وخشي من تزايد شعبية قيصر ، فاقترح على مجلس الاعيان أن يصدر الأمر إلى قيصر بحل جيشه . وبدلاً من أن يذعن قيصر للامر زحف بجيشه اللجب الى روما ففر بومبي من وجهه تاركاً إياه حاكم روما الفرد المطلق . وما هي إلا سنة حتى حطم قوات بومبي شر تحطيم في سهول تيساليا . وواصل حملاته العسكرية في افريقيا وآسيا الصغرى فقضى على جميع اعدائه . ومن ثم عاد إلى روما حيث بالغت الجماهير المتحمسة في استقباله .

وهكذا جمع قيصر السلطة كلها بين يديه مع أنه حاول المحافظة على اسم الجمهورية وشكلها . وقد انتُخب دكتاتوراً مدى الحياة . ولكنه ادخل الكثير من الاصلاحات الديمقراطية على الحكم في الوطن والمستعمرات معاً . واقلقت قوته وعظَمته اصدقائه واعوانه فاجتمعوا عليه وقتلوه سنة ٤٤ ق . م . بطعنة قاتلة كانت على يد بروتوس . . .

مع الخالدين من الرحّالة

إبن بَطوطَة

جوّاب الآفاق ، في طليعة الرحالة والروّاد الكبار ، اسمه محمد بن بطوطة ، أبصر النور في طنجه سنة ١٣٠٤ ، وهوسليل بيت كريم أصيل ، اشتغل بالعلوم الشرعية الإسلامية وتولى منصب القضاء بين الناس . فدرس محمد العلوم الدينية والفقه ، والأدب والشعر ، وشب تقياً ورعاً ، محباً للعلماء والاولياء .

ولما أصبح في الثانية والعشرين من عمره وغب في الحج إلى بيت الله الحرام ، فكانت تلك نقطة التحول في حياته إذ انه ارتدى مذ ذاك ثوب التجوال في ارجاء الامبراطورية الإسلامية المترامية الاطراف ، لا سيما بعد أن اطلع على اخبار الذين سبقوه من الرحالة المسلمين . إلا أن ابن بطوطة امتاز على هؤلاء الرحالة بفضل ثقافته الدينية الواسعة التي فتحت له قلوب جميع الذين نزل في بلدانهم خلال تجواله الطويل . . .

غادر ابن بطوطة طنجة سنة ١٣٢٦ قاصداً حج بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول الكريم . وقد طاف بارجاء الامبراطورية الإسلامية الممتدة من حدود الهند شرقاً إلى المحيط الاطلسي غرباً ، ومن آسيا الوسطى وجبال القفقاس شمالاً إلى صحارى افريقيا جنوباً .

أما البلدان التي زارها الرحالة العربي فهي تونس ، ومصر ، والشام ، والحجاز ، والعراق ، وجنوبي جزيرة العرب ، والصومال ،

وآسيا الصغرى ، وبلاد الاناضول ، وبلاد المغول ، والهند ، وجزر المدوه والسلام (جزر الملديف حالياً) ، وجزيرة سيلان ، والصين ، والاندلس ، والسودان . . . ولما عاد قصد إلى مدينة فاس فقابل سلطانها ابا عنان ومكث عنده يسجل رحلته التي حوت الكثير من الاخبار عن البلاد التي وصل اليها الإسلام . وقد استغرقت رحلته هذه حوالى خمسة وعشرين عاماً . . .

وفيما يلي نموذج مما جاء في اخبار ابن بطوطة عن التصوير عند الصينيين : «ومن عجيب ما شاهدت لهم من ذلك أني ما دخلت قط مدينة من مدنهم ، ثم عدت اليها إلا ورأيت صورتي وصور اصحابي منقوشة في الحيطان والكواغد موضوعة في الاسواق . . . ولقد دخلت العاصمة ، فمررت على سوق النقاشين ، ووصلت إلى قصر السلطان مع أصحابي ونحن على زي العراقيين ، فلما عدت من القصر عشياً مررت بالسوق المذكورة ، فرأيت صورتي وصورة أصحابي منقوشة في كاغد قد ألصقوه بالحائط ، فجعل كل واحد منا ينظر إلى صورة صاحبة لا تخطىء شيئاً من شبهه . وذُكر لي أن السلطان أمرهم بذلك ، وأنهم أتوا إلى القصر ونحن به ، فجعلوا ينظرون الينا ، ويصورون صورنا ونحن لم نشعر بذلك ، وتلك عادة لهم في تصوير كل من يمر بهم ، وتنتهي حالهم في ذلك إلى أن الغريب إذا فعل ما يوجب فراره عنهم بعثوا صورته إلى البلاد وُبحث عنه ، فحيثما وُجد شبه تلك الصورة أُخذ .»

«وأشاد إبن بطوطة بتقدم أهل الصين في تأمين سبل العيش لغير القادرين منهم . فمما شاهده في إحدى كنائس مدينة من مدن الصين بيوت يسكنها العميان وأهل الزمانات ، ولكل واحد منهم نفقته وكسوته من أوقاف الكنيسة ، وكذلك في داخلها المارستان للمرضى ، والمطبخة لطبخ الاغذية ، وفيها الاطباء والخدام . . . وكذلك الشيوخ الذين لا قدرة لهم

على التكسب ، لهم نفقتهم وكسوتهم بهـذه الكنيسة ، وكـذلك الايتـام والارامل ممن لا حال لهم . »

مَاركو بُولو

Marco Polo

هـو نبيـل من البنـدقيـة ومن اشهـر رحـالـة القـرون الـوسـطى (١٢٥٤ - ١٣٢٤) جُمعت قصتـه عـن رحلتـه إلى الشـرق الأقصى حيث قضى مـع ابيه وعمـه عشرين عـاماً ومغـامـراتـه في مجلد يحمـل اسمـه تُـرجم للحال إلى عدة لغات ، وظل بضعـة قرون المرجع الـوحيد الـذي يلجأ اليه الاوروبيـون لاستقـاء معلومـاتهم عن الشرق الاقصى . واتهم بـالمبـالغـة ، سـوى أن دقة مـلاحظاتـه وصحة اخبـاره ورواياتـه سرعـان ما أُثبتت . وقـد جـاء في مقدمـة المسرحيـة التي وضعها الـروائي الاميركي «يـوجـين اونيـل» عنـه : «ان هذه المسـرحية محـاولة لانصـاف رحالـة اتُّهم زوراً وبهتانـاً بـأنـه كذاب ذو شهرة عالمية ».

غادر هذه الـرحالـة مدينـة البندقيـة في ايطاليـا برفقـة اثنين من اسـرته عـام ١٢٧١ ووصـل إلى الصـين عـام ١٢٧٥ . وقـداستقبلهم الامبـراطـور المشهـور قبـلاي خـان استقبـالاً حـاراً ، وكـرّمهم ، واسبـغ عليهم الـرتب والنعم . . . حتى انـه وضـع بـين يـدي مـاركـو بـولـو ادارة احـدى المـدن الصينية لمدة ثلاث سنوات ، وأوفـده في عدد من المهمـات الرسميـة الخطيـرة الشـأن . وفي سنـة ١٢٩٥ عـاد ورفقيه إلى البنـدقيـة بعـد أن سـاحـوا في مختلف ارجاء-القارة الآسيـوية . وبعـد ذلك بثـلاث سنوات قـاد ماركـو بولـو سفينة حربيـة في معركـة فاشلة ضـد مدينـة جنوى ، فهُـزم ووقع في الاسر . واغتنم فـرصة سجنـه ليملي عـلى زميـل لـه يـدعى روستيشـانـو «رحـلاتـه» الشهيرة باسم كتاب ماركو بولـو . ولما أفرج عنه العـام ١٢٩٩ كان قـد فرغ

من كتابه .

الأميرال بيرد

Richard Evelyn Byrd

قام الرحالة الاميركي الشهير رتشارد إفلن بيرد (١٨٨٨ ـ ١٩٥٧) برحلة حول العالم وهو بعد في الثانية عشرة من عمره ، لم يرافقه فيها أحد . درس في عدد من مدارس فرجينيا وكلياتها ثم تخرّج في الاكاديمية البحرية الاميركية سنة ١٩١٢ . تدرب على الطيران سنة ١٩١٧ ، وتسلّم قيادة قاعدتين جويتين بحريتين طوال مدة الحرب العالمية الأولى . وقد تولى سنة ١٩٢٥ قيادة الوحدة البحرية لبعثة ماكميلان البحرية إلى جزيرة غرينلاند (الارض الخضراء في اوروبا الشمالية) . فكانت تلك الرحلة نقطة التحوّل في حياته إذ حرّكت في نفسه الرغبة في الاستكشاف والقيام بأعمال لم يأتها من قبل أحد . فقام بجولة طيران أولى فوق منطقة القطب الشمالي ودار حوله مرات عدة ، فكان لهذه الجولة الأثر البعيد في مستقبله . وقد حلق في طائرة لا تتسع إلا لربانها ومساعدة ، أسماها جوزفين فورد (سميت باسم ابنة ادسل فورد التي كانت وقتئذ في الثالثة من عمرها) . وكان رفيقه في هذه الجولة القطبية فلويد بينيت .

وفكر بيرد بعد ذلك في استكشاف منطقة القطب الجنوبي التي لم تتجه اليها الانظار بعد . وتم له تأليف حملة غادرت اميركا في ايلول ١٩٢٨ ووصلت إلى القطب الجنوبي في كانون الاول من العام نفسه . ووصلت هذه الحملة إلى شاطىء خليج الحيتان حيث انشأ بيرد معسكراً صغيراً اطلق عليه اسم «اميركا الصغيرة» انطلق منه إلى القطب الجنوبي مع ثلاثة من النوتية . وجمع بيرد معلومات علمية قيّمة ، وقام

بـاستكشافـات خطيـرة اثناء وجـوده في منطقـة القـطب ، وقبـل أن يعـود إلى الولايات المتحدة كان الكونغرس قد منحه رتبة اميرال .

وفي سنـة ١٩٣٣ قام بيـرد برحلتـه الثانيـة إلى القطب الجنـوبي ، وأقام في أحـد الاكواخ الثلجيـة الباعـدة ١٢٣ ميلاً من اميـركا الصغيـرة زهاء ستـة أشهر قضاهـا في تدوين مـلاحظاتـه على الحـالة الجـوية هنـاك . وقد شـاء ان ينفـرد بهذه المهمـة الخطرة الشـاقة اشفـاقاً منـه على تعـريض سواه لـلاخـطار الكثيـرة . وكاد ذات يـوم ان يقضي اختنـاقـاً بأوكسيـد الكاربـون ، ولكنـه لم يستنجـد بأحـد من أفـراد بعثتـه بيـرقيـة لاسلكـية . غـير أن القـدر شـاء أن تنتهي مكـافحته التسمم الـذي أصابـه بوصـول بعثة الارصاد الجـويـة بقيـادة الدكتور توماس بولتار ، نائبه في رئاسة الحملة .

وفي سنـة ١٩٣٥ عـادت البعثـة إلى اميـركـا ، وقـام الـرئيس روزفلت بتحيـة الاميرال بيـرد ، وقدّم اليـه وثيقة سُجـل فيها قـرار الكونغـرس الـذي يعبر عن تقدير الامة الاميركية لاعماله المجيدة .

وقـام بيرد بـرحلته الثـالثـة إلى القـطب الجنـوبي سنـة ١٩٣٩ واكتشف بعض مـا فيـه من منـاجم النحـاس ، والمنغنيـز ، والفحم ، فضـلاً عن اكتشـافـه عـدداً من الجـزر والسـلاسـل الجبليـة التي لم تكن مـدوّنـة عـلى الخـريطة . وكـانت آخر رحـلاته لهـذه المنطقـة سنـة ١٩٥٥ . وكـان في نيتـه العـودة إلى القطب الجنـوبي سنة ١٩٥٧ عنـدمـا عـاجله مـرض القلب فقضى على حياته .

وإلى جانب ما قدّمه بيرد من خدمـات جلّ كـرحالـة وضابط بحـري ، تـرك الكثير من المقـالات في الصحف والمجلات ، والعـديـد من الخـطب ، وخمسة كتب . وقد تزوج سنة ١٩١٥ ، ورُزق أربعة اولاد .

سكوت

Robert Falcon Scott

ليس ثمة قصة من قصص البطولة توحي بالكثير وتنتهي بمأساة مفجعة كقصة الكابتن روبرت فالكون سكوت (١٨٦٨ - ١٩١٢) ، ثاني رجل يصل إلى القطب الجنوبي .

وصل نبأ موت سكوت في يوم صحا جوه من أيام شباط ١٩١٢ ، فاستقبلته انكلترا بوجوم كبير ، ولم يهزها من قبل أي نبأ منذ موت الاميرال نلسون في معركة الطرف الأغر (ترافلغار) . وقد أقامت له نصباً تذكارياً بعد ٢٢ سنة ، كما أقامت متحفاً قطبياً باسمه يُعتبر اول متحف من نوعه في العالم . ولما افتُتح تقاطر حوله جميع من اشترك برحلة استكشافية في القطبين الشمالي والجنوبي من رحالة العالم اجمع . وقد نُقش على واجهة البناء عبارة باللاتينية عن روبرت سكوت مفادها : «سعى وراء اسرار القطب ، فوجد أسرار الله !»

بدأ سكوت رحلته المفجعة إلى القطب الجنوبي على ظهر السفينة تيرانوفا (الارض الجديدة) يرافقه أربعة رجال . ومنذ اللحظة الاولى التي مخرت فيها مياه القطب المتجمدة وسوء الحظ يلازمها . فقد تعرضت لاهوال لا يمكن بشراً أن يتصورها . ومع كل ذلك وصلت الحملة إلى القطب بعد أربعة عشر يوماً. وصلوا إلى القطب ليجدوا عصا ترفرف في أعلاها قطعة قماش . . . انه علم . . . علم النرويج ، فقد وصل قبلهم الرحالة النرويجي أموندسن . وعندها أيقنوا ان الحظ خانهم ، وأفلت النصر من ايديهم لتأخرهم خمسة اسابيع فحسب . وهكذا راحت سدى كل استعداداتهم الطويلة ، وما قاسوه من أهوال وعذاب طوال الرحلة .

وسحقهم اليأس ، فأرادوا العودة من حيث أتوا . وفي طريق العودة واجههم من الاهوال والصقيع ما يفوق حد التصور ، فراح يتساقط الواحد منهم تلو الآخر . قُتل اثنان هما الكابتن اوتس والضابط ايفانز ، وبقي سكوت ورفيقان استطاعوا بعد خمسين يوماً من مغادرتهم القطب أن يصلوا إلى مكان ينصبون فيه خيمة . ولكن هبت زوبعة شديدة كانت تشقق الجليد ، فبقوا داخل الخيمة ١١ يوماً كاملة بانتظار أن تنتهي الزوبعة فانتهت مؤونتهم . وعرفوا أنها النهاية ، كما عرفوا أنها طريق الخلاص . . . كان معهم كمية من الافيون حملوها لمثل هذه الحالات يتخدرون بها ويستلقون في نوم مريح مليء بالاحلام السعيدة ولا يستفيقون ابداً .ولكنهم ابوا اللجوء إلى هذه الوسيلة وعزموا على مجابهة الموت بالروح الرياضية العالية التي يتحلى بها الانسان الحق . وماتوا حيث هم وأصواتهم تتعالى بالاناشيد والاغاني . وذات يوم صحا جوه وبررت شمسه بعد بضعة أشهر وجدت جثثهم المجلدة فرقة استكشاف ، فدفنتهم حيث هم تحت صليب مصنوع من اداتي سكي .

فَارنهام

Russel Farnham

لعل الكولونيل راسل فارنهام ، من سكان نيوهامشر الاميركية ، هو اول من سار على قدميه من اميركا إلى روسيا . فقد قطع سنة ١٨١٢ ـ ١٨١٣ المسافة بين مدينة سنت لويس (في ولاية ميسوري) وسان بطرسبرج (لنينغراد اليوم) مشياً على الاقدام ، حاملاً على ظهره كيساً يزن حوالى عشرة كيلوغرامات ، وبندقية . تابع طريقه بمحاذاة نهر ميسوري إلى مياه نهر كولومبيا ، ثم صعد ساحل المحيط الهادىء (الباسيفيكي) إلى آلاسكا . واجتاز مضيق بهرنغ المتجمد إلى سيبريا ،

وواصل سيره إلى العاصمة الروسية حيث استقبل بالترحاب الشديد . وقد اقام له القيصر اسكندر الاول حفلة كبرى ومنحه لقب الفاتح الوحيد لقارتين . ومن روسيا ارسله القيصر إلى فرنسا التي عاد منها إلى مسقط رأسه سنت لويس . فكان بذلك قد قام بعمل لم يروِ له التاريخ حتى اليوم شبيهاً . وكانت وفاته سنة ١٨٣٢ .

فاسْكو دوغامَا

Vasco De Gama

يحتل اسم الرحالة البرتغالي فاسكو دو غاما (١٤٦٩ ـ ١٥٢٤) ، فاتح طريق رأس الرجاء الصالح ، ومؤسس مستعمرة موزامبيك مقاماً مرموقاً إلى جانب زمليه ماجيلان الذي امتطى سفناً برتغالية ليقوم بدورة حول العالم ، وليثبت أن الارض كروية الشكل . . . فكان له ما أراد . «قتل ، وسرق ، ونهب ، ولكن هذا كله كان في ذلك الوقت من مقتضيات الغزو والفتح ، وكان العرف يسيغه بعقلية الزمان الذي عاش فيه فاسكو دوغاما .»

أحبَّ الأسفار منذ صغره ، ولا عجب فأبوه استفان دو غاما بحار عنيد ، وقد رافقه في عدد من رحلاته التي خاض فيها عباب الخضمات الشاسعة . وكان في صباه يمني النفس بالقيام بمغامرات تحمله إلى اقصى الشرق أو أقصى الغرب . «وكانت اسرته حائزة على رضى الاسرة المالكة ، فأحبه الملك جوان الثاني وقرّبه اليه ، وكان هذا الملك دائم التفكير في مواصلة البحث لكشف طريق الهند بحراً ـ ولم يكن الناس في ذلك الوقت يعرفون غير طريق البر من أوروبا إلى الشرقين الاوسط والاقصى . وتحققت امنية فاسكو يوم عهد اليه الملك خوان الثاني بالقيام بمحاولة اخرى للوصول إلى الهند بطريق البحر ، وبالدوران حول القارة

الافريقية .»

غير أن التنفيذ لم يتم إلا في عهد الملك إمانويل الذي خلف خوان وأمر باعداد اسطول قوامه اربع سفن بقيادة فاسكو دو غاما أبحر في ٨ تموز ١٤٩٧ من ميناء راستيلو البرتغالي في طريقة إلى الهند . ودارت هذه السفن الاربع بعد زهاء أربعة أشهر ونيّف حول الرأس المخيف الذي اطلق عليه فاسكو منذ ذاك اسم رأس الرجاء الصالح لأنه لم يصادف في رحلته كبير عناء . وفي الطريق شمالاً إلى الهند ، وبمحاذاة الساحل الشرقي للقارة الافريقية اكتشف فاسكو جزيرة موزامبيك ، فاحتلها ورفع العلم البرتغالي عليها . وواصل طريقه إلى الهند . ولكنه لم يستطيع الاقامة طويلاً هناك لأن الهنود ، بتشجيع من التجار العرب الذين كانو يسيطرون على الاسواق في الساحل الشرقي للهند ، أنذروا فاسكو ورجاله بالعودة من حيث أتوا . فقد كانوا يخافون من الاوروبيين ومن استعمارهم التجاري والعسكري .

وبعد سنتين قضاهما فاسكو وبحارته بعيداً عن الوطن ، ابتلوا خلالهما بالامراض والاهوال ، عادوا إلى البرتغال لتغدق عليهم النعم والعطايا . . وكان نصيب فاسكو منها حصة الأسد ، من مال ، وعقار ، وألقاب ، وجواهر ثمينة ، واسلحة . ولما سأله الملك إمانويل عما يطلبه اجاب : «اسطولاً قوياً ، وعدداً كبيراً من الجنود والبحارة لكي أنتقم لك ولنفسي من الذين أهانوني ، وأترك حاميات تحرس البلدان التي رفعت عليها العلم البرتغالي باسمك !»

وما هما الا سنتان حتى أجاب الملك طلب فاسكو فجهّز له اسطولاً من عشرين سفينة مسلحة ومشحونة بالمؤن والذخائر . ووصل إلى الهند . . . «وكان حقوداً ، فروى حقده يوم وصوله . . . رواه من الدم المسفوك ظلماً وبدون سبب . ثم واصل السير إلى اقليم «كوشين» حيث كان يجلس

على عـرش الامـارة هناك رجـل رضي بأن يعقـد محالفـة مع البـرتغاليـين . فتعـاقد معـه فـاسكـو دي غـامـا . وقفـل راجعـاً إلى لشبـونـه فبلغهـا في ٢٠ كانون الاول ١٥٠٣ ، وكان عمره ٣٤ سنة فقط !

وقـد كان من حقـه أن يطالب بمكـافأة سخيـة ، بعـد أن وطـد الحكم البرتغالي في مستعمـرات نائيـة ، وفتح لـدولته ابـواب امبرطـورية شـاسعة . ولكن المكـافـأة لم تُمنح للمغـامـر الجـريء بـل قـوبـل في هـذه المـرة بعـدم الاكتـرات ، ونـاصبـه الملك العـداء واهمـل شـأنـه . وظـل مهمـلاً أكـثر من عشرين سنة ، ذاق في خلالها انواع العذاب النفساني .

وكثيراً ما كان اصدقـاؤه يرونـه يمشي وحده عـلى شاطىء البحـر ، وهو يبكي !

وأخيـراً ، في سنـة ١٥٢٤ ، دعـاه الملك خوان الثـالث إلى القصر ، وابلغـه قراراً اتخـذه بشأنـه : ان الملك يعينه نـائبـاً لـه في ممتلكات البـرتغـال بـالهند ! وعـادت الابتسامـة إلى فم المغامـر . وسـافـر في ٩ نيسـان ١٥٢٤ ، ولكنـه لم ينعم بمنصبه الجـديـد أكـثر من أربعـة اشهـر . فقـد مـات في الهنـد قبـل نهايـة العـام . ونُقـل جثمـانـه إلى البـرتغـال في سنـة ١٥٣٨ ، ونـظم الشاعر البرتغالي «كـامونيس» ملحمـة في وصف فتوحـاته ومغـامراتـه ، هي آية من آيات الادب الخالدة .

فسبوتشي

Amerigo Vespucci

التـاجر والمغـامـر الايـطالي اميريغـو فسبـوتشي (١٤٥١ ـ ١٥١٢) ، الذي دُعي العالم الجديد بأسمه ،اعُتبـر طـوال قـرون اول شخص رأى القـارة الاميـركية ، ولكن الـرأي السـائـد اليوم أنـه لم يكن لـه أي نصيب في هـذا

الاكتشاف .

كـانت ولادته في فلورنسـا ، وقد عمـل في مطلع حيـاته كـاتبـاً في بيت ميـدتشي التجاري ، وأقـام معظم وقتـه في اسبـانيـا ، في قـادش واشبيليـة ، حيث كان يمثل ، ولاريب ، مصالح تجارة هذه البيت في تلك البلاد .

سنحت له الفرص العـديدة لكثـرة الحملات الاستكشـافية التي كـانت تنـظم في ذلـك الحـين . ويـدّعي فسبـوتشي أنـه اشتـرك في احـدى تلك الـرحـلات البحـريـة في ١٠ أيـار ١٤٩٧ . وتلك هي الـرحلة مـوضـوع الخـلاف ـ وكـما يُعتقد لم يقم بهـا . ولكنـه اذا كـان قـد اشتـرك فيهـا ، واذا كـانت روايته لهـا صادقـة ، لكان يجب ان يكـون قـد وصـل إلى اليـابسـة في اميـركا في ١٦ حـزيران ١٤٩٧ ، وقبـل ثمـانيـة أيـام من دجـون كـابـوت ، الرحالة البريطاني الذي وصل إلى القارة الاميركية الشمالية في ٢٤ حزيران من السنـة نفسهـا . وقـد ادّعى فسبـوتشي أُنـه قـام بثـلاث رحـلات طـويلة اخـرى ، وصل في إحـداها إلى اليـابسة في اميـركـا الجنـوبيـة ، وذلـك قبـل وفاته .

كَوك

James Cook

دجيمس كـوك ، جـوّاب البحـار السبعـة ، والمكتشف الاكبـر (١٧٢٨ ـ ١٧٧٩) ، تعشّق البحـر منذ كـان في الثالثـة عشرة من عمـره مع أنه لم يبصر النور عـلى الشاطىء . فهـو من مواليـد مارتـون في مقاطعـة يورك البريطانية . ويعُتبر أول من افتتح عصر الحملات والرحلات العلمية .

كـان أُحـد تسعـة اولاد ، من أسـرة فقيـرة تعيش في كـوخ حقـير . فعمل في مخزن لبيع الاقمشة والمـواد الغذائيـة يقوم بـالقرب من مينـاء هويتبي

الزاخر بالسفن التي تمخر العباب إلى الشرق فتتزود من بضائعه وسلعه وتحملها إلى الغرب . ومن هذا المخزن الذي كان يديره رجل سكير نشأ حب المغامرات في نفس دجيمس الصغير ، إذ أن المعاملة القاسية التي كان يلقاها من سيده اكرهته على الفرار ذات ليلة وركوب متن البحر عاملاً على ظهر السفينة «فريلاف» ، وكانت تابعة لاسطول بحري تجاري يملكه جماعة من «الكويكرز» أحسنت معاملة كوك . ولعله اكتسب منها الكثير من الدقة ، والتنظيم ، والامانة ، والرزانة التي تميزت بها حياة هذا الرحالة .

وارتقى سلّم العمل والخدمة في السفن درجة درجة ، مبتدئاً من أدناها . وكانت حياته خشنة ، صعبة ، فاعتاد أكل كل شيء ، والعيش في مختلف الاجواء . وكان يقضي اوقات فراغه في المطالعة ، فدرس الرياضيات ، والفلك ، والهندسة ... كما درس البشر دراسة عميقة ، فبات يعرف كيف يطيع وكيف يأمر فيطاع .

وذات يوم من عام ١٧٥٥ نشبت حرب السنوات السبع بين انكلترا وفرنسا ، فأبصر بحارة السفن التجارية يساقون قسراً للعمل على ظهر السفن الحربية . وفكر في الاختفاء تفادياً للعمل على ظهر الدوارع ، حيث الحياة أشبه ما تكون بجهنم. ولكنه سرعان ما اتخذ فراراً لم يقتصر فقط على تبديل حياته بل حياة العالم أجمع ، ومعالم الخريطة الجغرافية .فقد تقدّم من مكتب التعبئة والتحق بخدمة الملك جورج ...

ووضعت هذه الحرب التي أبلى فيها أحسن بلاء اوزارها سنة ١٧٦٢ ، فتزوج ، وكان في الرابعة والثلاثين . الا أن زوجته اليزابث ، كسائر زوجات البحارة ، لم تكن لتراه الا لماماً ، لأنه قضى السنوات المتبقية من عمره في عرض البحر ... كان نصيبها كزوجة القلق ، والوحدة ، والوحشة ، ومسؤولية تربية الاولاد ... بينما كان نصيبه

كرحالة مغامر المصاعب ، والمجد ، والنهاية السريعة .

كانت اولى رحلات كوك الاستكشافية إلى البحار الجنوبية سنة ١٧٦٨ ، بتكليف من «الجمعية الملكية » ، لجمع المعلومات الصحيحة عن الملاحة إلى جانب المعلومات الفلكية . وقد أوفد إلى جزيرة تاهيتي نظراً لوفرة معلوماته البحرية والفلكية لمراقبة كسوف الشمس بسبب مرور الكوكب فينوس بين الارض والشمس . وفي خلال هذه الرحلة الغلمية الاستكشافية الاولى (١٧٦٨ ـ ١٧٧١) طاف كوك دون أن يهمل مهمته الاساسية عبر المحيط الهادىء (الباسيفيكي) مكتشفاً جزر الجمعية (لاسوسييته) ، وزيلندا الجديدة ،والساحل الشرقي لاوستراليا التي كانت تُعرف في ذلك الحين باسم هولندا الجديدة .

وقام كوك بعد ذلك بفترة من الزمن قصيرة برحلة استكشافية ثانية طاف فيها حول العالم بالسفينتين «ادفنتشر » و «ريزوليوشن » ، استغرقت ثلاث سنوات (١٧٧٢ ـ ١٧٧٥) ، برهن على أثرها على عدم وجود القارة الجنوبية التي كان البعض من معاصريه يعتقد بوجودها .

وفي رحلته الثالثة (١٧٧٦) حاول كوك ان يجد ممراً شمالي اميركا بين المحيط الكبيروالمحيط الهادىء . وقد اكتشف خلال رحلته هذه جزر سندويتش حيث لاقى فيها حتفه على يد سكانها المتوحشين . وقد عاد معاونوه إلى انكلترا بالسفينتين .

ويُعتبر كوك في طليعة رجال البحرية والملاحة، وقد ساهمت رحلاته الاستكشافية العديدة بكشف أسرار المحيط الكبير ، وصححت معالم خريطة الكرة الارضية ، فضلاً عن أنها كانت فاتحة عصر الرحلات العلمية الذي خلف عصر الرحلات الاستكشافية . . .

كولومبُوسْ

Christopher Columbus

التحق كولومبوس (١٤٥١ ـ ١٥٠٦) ، البحار الايطالي المولود في جنوى ، منذ نعومة اظفاره باحدى سفن القراصنة . فقد كانت العائلات الكبرى المعروفة ترسل ابناءها على مثل هذه السفن بغية ان تنمّي في نفوس هؤلاء الشبان روح المغامرة والثقة بالنفس ، وتتيح لهم التعرف إلى العالم ، فضلاً عن كسب بعض المال . ولم يكن في ذلك أي عار اللهم الا في حالة الوقوع في ايدى السلطات . . . وعندها يتأزم الموقف .

في المدرسة قرأ كولومبوس في كتاب لفيثاغوراس ان الارض مستديرة ، فجعل يعمل ويفكر ، واستنتج من ذلك ان في مثل هذه الحالة يمكنه ان يصل إلى الهند من طريق اقصر من الطريق المعروف ، وان في وسعه ان يجمع ثروة . الا ان اساتذة الجامعات والفلاسفة فيها سخروا منه ، واستخفوا برأيه .

بقي كولومبوس سبعة عشر عاماً يبحث عمن يمد له يد المساعدة ويموّل مغامرته الكبرى ، فلم يلقَ غير الفشل والخيبة المريرة . واخيراً فقد كل امل وكاد ينسى مشروعه هذا ، وانسحب إلى احد الاديرة في اسبانيا يقضي فيه ما تبقّى له من ايام على وجه البسيطة .

سوى ان البابا في روما اهتم للامر ، وحث الملكة ايزابيلا فمنحته السفن التي يحتاج اليها . غير انه وجد صعوبة كبيرة في حشد العدد الكافي من البحارة لان الجميع كانوا يخشون المغامرة بحياتهم . فما كان منه الا ان قبض على بعض البحارة ، وجرّهم بالقوة إلى سفنه . وقد استخدم الرشوة والتهديد لاستمالة عدد آخر منهم ، كما اختار بعض

رجاله من السجون واعداً اياهم بالحرية في حالة ذهابهم معه . . .

وتم كل شيء ، فأبحرت سفن كولومبوس الثلاث وعلى ظهرها ثمانية وثمانون بحاراً قبل شروق شمس يوم الجمعة ي ٣ آب سنة ١٤٩٢ بنصف ساعة .

اما المستعمرات التي أنشأها كولومبوس في العالم الجديد فلم تلقَ سوى الدمار والفشل اذ ان الهنود الحمر فتكوا بجميع سكان المستعمرة الاولى . وقد اتهم حاكم المستعمرة الثانية كولومبوس ، لشدة غيرته منه ، بشتى التهم والجرائم . والقى القبض عليه وارسله مقيداً بالسلاسل إلى اسبانيا . فلما وصل كولومبوس إلى اسبانيا اطلق سراحه على الفور ، الا ان هذه المعاملة والنهاية التي انتهى اليها حطمت آماله وهدّت قواه . وقد توفي في سن الستين ، مغموراً ، لم تكرمه السلطات ولم ينشده الشعراء . توفي في غرفة حقيرة تتنازعها الرياح ، تدلت على جدرانها السلاسل والقيود التي رسف فيّها وهو سجين . لقد ابقاها معلقة امامه دلالة على زيف هذا العالم ونكران الجميل .

ان عمل كولومبوس ليعتبر أعظم عمل وأجرأ مغامرة في التاريخ البشري . . . ولكنه لم يحصل من وراء ذلك على شيء . كان ينتظر ان يجمع ثروة فمات فقيراً . وُعد بلقب «اميرال المحيط ونائب الملك في الهند» ولكنه لم يحصل على اي لقب . . . حتى العالم الجديد الذي اكتشفه لم يُعرف باسمه ، بل سُمي باسم صانع خرائط يدعى امريغو فسبوتشي . والواقع ان كل ما جناه من اكتشاف هذا العالم الجديد هو الاحتقار وخيبة الامل .

لم يعرف كولومبوس المسكين انه وصل إلى قارة جديدة ليتعزى ببعض الشيء ، بل كان يتوهم انه اكتشف طريقاً بحرياً جديداً إلى الهند . . .

ومن هنا اطلق على السكان الحمر الذين وجدهم في اميركا اسم الهنود .

وهنـاك امر يجهله الكثيـرون . . . فكولـومبوس يُعتبـر أول من اكتشف أميـركا في حـين انـه الثـالث . ذلـك بـأن كـاهنـاً بـوذيـاً من الصـين يـدعى هـو ـ شـين اكتشف العالم الجـديد قبـل مولـد كولـومبوس بـألف سنـة . كـما اكتشفهـا قبل ميـلاده بخسمائـة سنة ليف إريكسـون ، احـد سكـان اوروبـا الشمالية .

ليفنغستون

David Livingstone

أبصر دايفـد ليفنغستـون النـور في بلانتاير ، بمقـاطعـة لانـاركشـر الانكليـزيـة سنـة ١٨١٣ ، وعمـل في صبـاه في مصنـع للقــطن . وبعـد أن درس الطب في جامعة غلاسكـو ، واللغة اليـونانيـة واللاهوت ،عـزم على أن يصبح مبشراً ، وانضم إلى جمعيـة لندن التبشيـرية . وأوفـد إلى افريقيـا حيث فتـح اواسط القارة السـوداء امام النفـوذ المسيحي ، وعمل عـلى إلغـاء تجـارة الرقيق .

وكان رحالة مولعاً بالاستكشاف فأسدى أجلّ الخدمات بـاكتشافـاته في القـارة الافريقيـة عـدّلت وصححت الكثـير من المبـادىء التي كـانت سـائـدة عن جغـرافية افـريقيا الـوسطى . وقـد قام بثـلاث رحـلات رئيسيـة اكتشف فيهـا شلالات فكتـوريا ، وبحيـرتي شير ونيـاسا . وخـلال رحلتـه الاخيـرة التي كـان يسعى فيهـا إلى كشف منبـع نهر النيـل اختفى زهـاء خمسـة اعـوام عن العالم ، واعُتبر مفقوداً . فأوفد رحالـة انكليزي آخـر هو هنـري مورتـون ستـانـلي (١٨٤١ ـ ١٩٠٤) للبحث عنــه ، فــالتقيــا في اوجيجـي سنــة ١٨٧١ ، وقـاما معـاً باكتشـاف تانغـانيكـا . وقـد تـوفي ليفنغستـون قبـل أن يصلا إلى الشاطىء .

مَاجيلان

Magellan

البحّار البرتغالي فرنـاندو مـاجيلان (١٤٨٠ ـ ١٥٢١) هـو مكتشف مضـايق مـاجيـلان ، وأول من عبـر المحيط البـاسيفيكي ، وأول من حـاول الدوران حول الكرة الارضية بطريق البحر .

نشـأ ماجيـلان خادمـاً في بـلاط الملكـة ليـونـور ، زوجـة الملك خوان الثاني البرتغـالي . وفي عهد خلف الملك خـوان ـ الملك مانـويل الاول ، أدّى مـاجيلان خـدمـات جـلّى في الهنـد ، والتحق سنـة ١٥١٣ بحملة بـرتغـاليـة وجهتها مراكش . وهنـاك جُرح مـاجيلان واصـابه العـرج الذي لازمـه طوال حياته . واتُهم بأنه يتعـامل مـع السكان العـرب هناك مما أغضب عليه الملك مانويل . وعندها تخلى عن جنسيته وعرض خدماته على اسبانيا .

كـان مـاجيـلان يعتقـد ان جـزر التـوابـل في الهنـد الشـرقيـة يمكن أن يصـل اليها المـرء بالابحـار غربـاً وحول رأس اميـركا الجنـوبيـة . فـأبحـر من اشبيليـة في ١٠ تمـوز ١٥١٩ في اسـطول يتـألف من خمس سفن في رحـلة تُعتبـر من أكثر الـرحلات رومنـطيقية في التـاريخ . وفي تشـرين الثاني ١٥٢٠ عبـر المضـايق التي تحمـل اليـوم اسمــه . فكـانت رحلة عـاصفـة . . . فلما وصـل إلى مياه المحيط الهـادئة دعـا هذه المحيط بـاسم المحيط البـاسيفيكي ، أي الهـادىء . وطـالت الـرحلة ، فخشي مـاجيـلان أن تنفـد المؤن التي يحملونها وكميـات الماء الصـالحة للشـرب . واصيب البحـارة بفسـاد الـدم ، واضـطروا إلى أكـل الجلود ، والنشـارة ، والفئـران . وفي ٧ نيسـان ١٥٢١ وصلت الحملة إلى قلب جـزر الفيليبـين حيث خـدعـه سلطان البـلاد الـذي ادعى اعتنـاقه النصـرانية ليستخـدم اصدقـاءه الكاثـوليك . فقـام مـاجيـلان بحملة على جزيـرة مجاورة لحمـل السكان عـلى اعتناق النصـرانية والانضمـام

إلى الملك المذكور (ملك كيبو) فقتل في ٢٧ نيسان ١٥٢١ . وبعد أن قتل ملك كيبو عدداً من زعماء الحملة ولّى الاسبان الادبار من الفيليبين . ونجح ٣١ شخصاً من اصل القوة الاساسية في الوصول إلى اشبيلية على ظهر السفينة فكتوريا ، اول سفينة تقوم برحلة حول العالم .

وعلى الرغم من أن ماجيلان لم يعمّر ليتم شخصياً عمله الجبار الذي يضاهي من حيث الاهمية اكتشاف اميركا إلا أنه نال الجزاء الحسن الذي يستحقه صانعو التاريخ . فاسمه بارز بين كبار الرحّالة في العالم ، وما يزال أكبر المحيطات يحمل الاسم الذي أطلقه عليه . ولقد أتم ماجيلان ما خططه كريستوفر كولومبوس ـ ربط اوروبا الغربية بآسيا الشرقية بخط مباشر عبر المحيط الغربي . وفوق ذلك فقد برهن على أن الأرض مستديرة ، وان اميركا ليست مجموعة جزر أو شبه جزيرة تمتد جنوباً من آسيا ، بل قارة في حد ذاتها .

مع الخالدين من القادة والفاتحين

الاسْكندَر الكبير

Alexander The Great

فاتح كل ما كان يُعرف بالعالم المتمدن بالنسبة له ولمعاصريه . . ويمكن أن يُعتبر والد الأمبراطوريات . . استطاع والده ،فيليبوس المقدوني ، بالحرب والدبلوماسية ، أن يرفع مقدونيا إلى مرتبة الزعامة والقيادة بين الولايات اليونانية . وقد سعى الاسكندر إلى بسط النفوذ اليوناني على العالم .

ولد الاسكندر الكبير سنة ٣٥٦ ق . م . في بيلا ، عاصمة مقدونيا . فلما بلغ الثانية عشرة تتلمذ على يد الفيلسوف أرسطو . وفي السادسة عشرة ألقي بين يديه زمام الحكومة في حين سار والده لفتح بيزنطة . وفي العشرين من عمره ،قُتل والده ، فتسلم العرش بعد أن أزاح من طريقه عدداً كبيراً من المطالبين به . وسيطر على الجيش المقدوني القوي الباسل .

وفي سنة ٣٣٤ ، وبعد أن دعم مركزه في بلاده ، عبر إلى آسيا الصغرى حيث نجح في تحرير المدن اليونانية في ايونيا من ربقة الحكم الفارسي . ومن هناك اندفع عبر سوريا وفينيقيا إلى مصر حيث أسس مدينة الاسكندرية سنة ٣٣٢ ، وقد أصبحت مركزاً للثقافة اليونانية طوال

١٥٠ سنة . ومن ثم قاد جيوشه إلى بلاد فارس فحطم جيش داريوس ، الحاكم الفارسي ، ودخل ذلك الجزء من الهند المعروف اليوم باسم البنجاب . وهناك تمرّد عليه جنوده وثاروا ، رافضين التقدم أبعد من ذلك نحو الشرق . فاضطر إلى الاذعان لهم ، وشرع في العودة إلى الوطن .

قرّبْ الاسكندر ذو القرنين بين الشرق والغرب ، وكانت غايته صهر الثقافتين اليونانية والشرقية بواسطة التزاوج وتبادل العادات . وقد شاء أن يضرب المثل فتزوج أميرة فارسية . وكان يفرض اليونانية لغة رسمية على الحكومات التي يحتل بلدانها . ولقد كانت فتوحاته بدء حكم الامبراطوريات .

وفي بابل ، وهو في طريق عودته إلى مقدونيا ، وقع مريضاً . . . وأيقن أنه لا محالة مودع هذه الدنيا فأمر أن يمرّ جنوده بسريره واحداً واحداً ليودعهم الوداع الأخير . وكانت وفاته في ١٣ حزيران سنة ٣٢٣ قبل الميلاد .

صلاح الدين الأيوبي

هذا القائد الباسل الذي انتصر على ٢٧ ملكاً ولد في مدينه تكريت سنة ١١٣٧ من أب مسلم كريم المحتد ينتمي إلى إحدى القبائل الكردية القاطنة عند منابع نهر الفرات . وقد أقام مع أسرته في بعلبك بعد أن نزح إليها أبوه . نشأ وفي نفسه كره للصليبيين شديد لما كانوا يأتونه من فظائع . ولكم تمنّى أن يصبح قائداً لينتقم لاخوانه المسلمين منهم . وكان قد أتقن الفروسية ، وتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، فاصطحبه عمه القائد أسد الدين شيركوه إلى مصر في حملته ضد الصليبيين . وهناك أبلى الشاب صلاح الدين أحسن البلاء ، وتكللت حملة شيركوه بالظفر ، وأقام مع ابن أخيه في أحد القصور

الفخمة في القاهـرة . وسرعـان ما اكتسب صـلاح الدين حب الشعب لـه . فقـد كان يختلط بجميـع الطبقـات متفقداً الأحـوال ، عامـلاً عـلى مسـاعـدة الجميـع ، الأمر الـذي أكسبه الثقـة والاطمئنان . وتمنى المصـريـون أن يتـولى زمـام الحكم لينقذهم من ظلم حكـامهم الطغـاة . وقد تحققت هـذه الامنيـة عنـدما اختـار الخليفة الفـاطمي صلاح الـدين وزيراً لـه بعد وفـاة عمه أسـد الـدين شيركـوه ، فأثـار نقمة عـدد كبير من القـادة . ولكن صلاح الـدين لم يبـال بشيء ، وراح يعمـل عـلى تـطهـير الادارة الحكـوميـة من الفسـاد المستشـري، ووطّـد أركـان الأمن في البـلاد ، وتخلّص من الحكـام القسـاة الـذين كـان يتـذمر منهم الشعب . وردّ الحقـوق المغتصبـة إلى أصحـابهـا ، وخفّض الضرائب بعد أن نظم طرق الجباية .

وبعـد أن تم له مـا أراد من الاصلاح الـداخلي أعـدّ جيشـاً عـرمـرمـاً قـوياً للقضـاء عـلى الصليبيـين ـ وهـو الحلم الـذي كـان يـراوده منـذ أيـام الصبـا . وقاد بنفسـه هذا الجيش ، عـابراً صحـراء سينـا إلى دمشق ، محتـلاً مـا بينهـا وبـين بيت المقـدس من بـلاد . واقتحم بيت المقـدس دون أن يسفك قطرة دم ، ودون أن ينهب أي متاع ، أو يهتك أي عرض .

« دخل الكثير من الصليبيـين في الاسلام أفـواجاً لمـا شاهـدوه من طيبة قلوب المسلمـين وآدابهم العاليـة . ورحل الكثـير منهم أيضـاً الى خـارج بيت المقدس تحت حراسة جنود صلاح الدين .

وعنـدما علم ملوك الفـرنجة في أوروبـا بذلـك هاجـوا وماجـوا وأرادوا القضـاء على المسلمـين هناك . واجتمـع ملوك سبع وعشـرين دولـة أوروبيـة منها انكلترا وفرنسا وبروسيا بصلاح الدين بعد أن وصلوا الى حدود الشام وحـذّروه من قوتهم الشـديدة وبـطشهم القوي . . ولكنـه هزأ بهم وغـادرهم شامخاً بأنفه !

قام الأوروبيون بتطويق عكا . . ولكن لم يلبثوا أن تركوها لما وجدوه من استماتة المدافعين عنها .

وأخيراً انتهت الحرب بانتصار المسلمين انتصاراً ساحقاً . . وعقدت معاهدة وقف القتال لمدة ثلاثة أعوام .

وعاد صلاح الدين إلى القاهرة ظافراً ، مكللاً جبينه بأكاليل الغار والفخار .

وأخذ بعد ذلك يوطد أركان حكمه ، ويعيد تنظيم حكومته ، ويشيد القلاع والحصون ، ويقيم المساجد ليؤمها المصلون . . وأخذ ينشر التعليم بين الناس ليقلل من نسبة الأمية في البلاد .

واتسعت مملكة صلاح الدين فشملت مصر ، والحرمين الشريفين ، وجزءاً كبيراً من بلاد الشام . . .

وفي عام ١١٧٤ مرض صلاح الدين مرضاً لم يمهله غير أيام قليلة . »

لورد بَادن ـ بَاول

Lord Baden - Powell

مؤسس الحركة الكشفية في العالم (١٨٥٧ ـ ١٩٤١) ، من أصل انكليزي ، كان والده عالماً رياضياً معروفاً . انخرط في الجيش ورحل مع فرقة الخيالة الثالثة عشرة الى الهند سنة ١٨٧٦ . وقد عمل في الهند ، وأفغانستان ، وجنوب أفريقيا وأبلى أحسن بلاء في عمليات الزولو الحربية رقي الى رتبة قائد الكتيبة الثالثة لحرس الدراغون سنة ١٨٩٧ . ولعلّ أبرز أعماله الحربية دفاعه الشهير عن ميفكنغ سنة ١٨٩٩ ـ ١٩٠٠ . وبعد ذلك ذاعت شهرته وبات مثالاً للبطولة في نظر الفتيان . وخلال الحصار

الذي حدث في تلك المعركة نشر كتابه«مساعدات الكشفية»الذي شاء أن يتوسع فيه بحيث تتخطى هذه الحركة الرياضية نطاق الجيش . ولما عاد سنة ١٩٠٣ الى إنكلترا ألفى الكثيرين من الفتيان يعملون بموجب التعليمات والمبادىء التي تضمنّها كتابه .

وهكذا عكف بادن ـ باول على وضع الخطط والمشاريع الكفيلة بتربية الشبان تربية مدنية صالحة . وقد أقام سنة ١٩٠٧ مختمياً للفتيان من مختلف طبقات المجتمع في جزيرة براونسي ، أتبعه بكتابه « الكشفية للفتيان » . وقد نشأت حركة الكشفية العالمية منذ ذاك . . . وعمل بادن ـ باول بنصيحة الملك ادوارد السابع وامتقال من الجيش ليكرّس حياته للكشفية التي ازدهرت بسرعة . وقد أُعلن زعيم الكشافة في العالم سنة ١٩٢٠ ، وبعد ذلك بتسع سنوات مُنح لقب لورد . وفي سنة ١٩٣٨ عاد إلى جنوب افريقيا حيث توفي في عزلة تكاد تكون تامة بعد ثلاث سنوات في كينيا . . .

نَابوليُون

Napoleon Bondparte

عاش نابوليون بونابرت ، أعظم عبقرية عسكرية عرفها التاريخ ، ليشهد بأم عينه تهدّم كل ما بناه من مجد سلب الألباب وحيّر العقول !

ولد في ١٥ آب ١٧٦٩ في أجاكسيو بجزيرة كورسيكا وقد أصبحت من الممتلكات الفرنسية منذ زمن يسير . كان الابن الرابع في أسرة كبيرة من أصل ايطالي . دخل الجيش الفرنسي برتبة ملازم ثانٍ في المدفعية سنة ١٧٨٥ بعد أن أتم دروسه العسكرية ، وأصبح صديقاً لروبسبيير . فلما بلغ السادسة والعشرين من عمره أصبح قائداً أعلى للقوات الفرنسية .

وفي أثناء أول حملة خاضها نابوليون بهذه الصفة اطلق عليه جنوده تحبّباً لقب الكابورال الصغير .

ولما عاد نابوليون سنة ١٧٩٩ من حملته ضد الانكليز في مصر انتُخب أحد القناصل الثلاثة الذين تسلموا زمام الحكم غير المستقرّ في الجمهورية الأولى . وكان المفروض أن يحكم الثلاثة معاً لمدة عشر سنين ، ولكن نابوليون سرعان ما فرض نفسه دكتاتوراً . . وفي سنة ١٨٠٢ عُيِّن قنصلاً مدى الحياة . وما هما إلا سنتان حتى أصبح امبراطوراً .

نظّم نابوليون خلال فترة حكمه كقنصل شؤون الحكومة . وأوجد الاستقرار ، مبرهناً عن حنكة ادارية . وقضى على الكثير من المساوىء . غير أن تحالف بعض الدول الأوروبية ضده وعزمها على تحطيم الديمقراطية جرَّ إلى نزاع مسلح ، فحملةٍ عدوانية حالف فيها النصر نابوليون على روسيا وبروسيا والنمسا . وجعل اخوته حكاماً على البلدان المحتلة التي أدخل إليها جميعاً مبادىء الثورة الفرنسية .

وفي سنة ١٧٩٦ تزوج الحسناء جوزفين دو بوهارنه ، وأصلها من جزيرة المارتينيك . ولكنه طلقها سنة ١٨١٠ ليتزوج من ماريا لويزا ، ابنة امبراطور النمسا . وكان يبدو واثقاً من المستقبل ، ويريد ولياً للعهد . ولكنه كان قد شارف على النهاية . ففي سنة ١٨١٢ بدأ زحفه الفاشل على روسيا ، فلما عاد مهزوماً كانت خسارته قد بلغت ٤٠٠ ألف رجل ، وظلت سلسلة الانهزامات تلاحقه حتى سنة ١٨١٤ . فاحتل الحلفاء باريس ، واضطر إلى التنازل عن العرش ، ونُفي إلى جزيرة إلبا .

وما هي إلا سنة حتى هرب من هذه الجزيرة عائداً إلى وطنه حيث جرّد جيشاً زحف به إلى باريس وأعلن نفسه امبراطوراً . ولم يكن بد من تجدد الحرب ، ولكنه هُزم على يد الأنكليز والنمساويين سنة ١٨١٥ في

معـركـة وتـرلـو الشهيــرة . واستسلم في ١٥ تموز من نلك السنــة فنُفي إلى جزيرة القديسة هيلانه حيث توفي في ١٥ أيار ١٨٢١ .

ومما يروى عن نـابوليـون أنـه لم يكن يشـرع في رسم اي خـطة حـربيـة الا وهـو يمتص اقراص السـوس . وقد وصفـه خـادمـه الخـاص الـذي كـان ألزم له من ظله بأنه رجـل غريب الاطـوار ولكنه طيب القلب يستـطيع المرء أن يخدعه . . .

كـان خط الكثيرين من مشـاهير رجـال التاريـخ رديئـاً بحيث ان بعضـاً من مخـطوطـاتهم مـا يـزال إلى اليـوم يستعصي عـلى القـراءة والفهم . فهنـاك عـدد من كلمات لشكسبـير لم تحلّ رمـوزها حـلاً نهائياً بعـد ، وهناك قصص للروائي الاميركي هوثـورن لم تُنشر بعد لتعذّر قراءتها . . .

وقد اوّل الكثيرون بعض رسائل نابوليـون بونـابرت بـأنها خرائط حـربية لما كان عليه خط نابوليون من الرداءة .

سيمون بوليفَار

Simon Bolivar

زعيم الكفـاح الثوري الـذي ادى إلى استقـلال مـا يُعـرف اليـوم بفنـزويلا ، وكـولومبيـا ، والاكوادور ، وبنـامـا ، والبيـرو ، وبـوليفيـا ، هـو سيمـون بـوليفـار (١٧٨٣ ـ ١٨٣٠)، معبـود شعـوب تلك البلدان الملقب بالمحرر . . وفي اميركا الشمالية يلقبـونه بجـورج واشنطن اميـركا الجنـوبية . ابصر النـور في كـاراكـاس بفنـزويـلا في اسـرة ميســورة الحـال . درس في مدريد ، وجاب اوروبا والولايات المتحدة الاميركيـة . تزوج وهـو في الثامنـة عشـرة ، ولكن زوجته تـوفيت بعـد سنتـين اثنتـين ، فكـرّس إذ ذاك حيـاتـه لتحرير بلاده . . .

في ٥ تموز ١٨١١ أُعلن استقلال فنزويلا . وسرعان ما انقلب هذا النصر المبدئي إلى فشل ، ففر بوليفار إلى غرناطة الجديدة (وهي اليوم جمهوريتا كولومبيا وبناما) حيث قاد جيوش كل من البلدين على حدة ، فكان يلقى الهزيمة والنصر . وفي ١٨١٩ قاد جيشاً من فنزويلا عبر سلسلة جبال الأندس لنجدة القوات الثائرة في غرناطة الجديدة . ووصل جيشه المنهوك القوى بسبب الاهوال التي لقيها في مسيره ليجد قوة اسبانية آتية لملاقاته . وما هي إلا ثلاثة ايام حتى تأهب للقتال ، وتم له الانتصار على عدوه . وبعد بضعة اشهر عاد فعبر الانـدس إلى فنزويلا حيث استطاعت قواته ، خلال سنة من الحرب والصلح ، ان تشتت القوات الملكية (٢٤ حزيران ١٨٢١) .

وعندما تم إضافة غواياكويل وكيتو (وكلتاهما قسم مما يُعرف اليوم بالاكوادور) إلى حكومة غرناطة الجديدة المتحدة المستقلة وفنزويلا ، مشى بوليفار إلى البيرو ، فحالفه النصر . وفي ٩ كانون الأول سنة ١٨٢٤ تغلّب على كل مقاومة ، وانهى السيطرة الاسبانية في العالم الجديد إلى الابد . وتكريماً له أنشئت على جزء كبير من البيرو جمهورية مستقلة أُطلق عليها اسم « جمهورية بوليفار » (بوليفيا اليوم) .

وفي السنوات القليلة التي تبقت من حياته واجهته مشكلة دائمة هي مشكلة التمرد والعصيان بين مختلف عناصر هذه البلدان التي تم تحريرها على يديه . وبعد محاولاته المتكررة الفاشلة لاعادة الوحدة بين شعبه ، لجأ إلى اليجندرينو في كولومبيا ، مريضاً ، فقيراً ، معدماً ينتظر انطفاء سراج حياته .

جَنكيز خَان

Genghis Khan

جنكيـز خـان (١١٦٢ ـ ١٢٢٧) سيـد الفـاتحين والامبـراطـور المغـولي المعـروف ، أسس منذ اكـثر من سبعمـائـة سنـة اكبـر امبـراطـوريـة عـرفهـا التـاريخ تمتـد ، من المحيط الهادىء (الباسيفيكي) إلى البحـر الاسـود وتضم القسم الاكبـر من العـالم المعـروف في ذلـك العصر ، واكـثر مـن نصـف سكـانه . امـا الاسلوب العسكري الـذي اتبعه جنكيـز خان فقـد كـانت لـه اكثر ميزات « الحرب الكاملة » .

وقـد قيـل انـه لم يخسر اي معـركـة حـاسمـة عـلى الـرغم من ان قـوات الاعـداء كانت غـالباً تفـوق عدد قـواته . وكثـير من نجاحـه يعود إلى سـرعة جنوده ، وقدرتهم على السير وحصرهم اهتمامهم التام في الهجوم .

اسمـه الاصلي تيمـوجين ، مـات ابوه بـالسم فعزم عـلى ان يخلفه زعيـماً عـلى القبائـل الرحّـل ، فاضـطر إلى خوض غمـار المعـارك الـطاحنـة لتحقيق هـذا الهدف . رفض أن يشـاطره احـد السلطة فقتـل بـلا رحمـة كـل الـذين كانوا يـطمحون إلى ذلـك . وتم له مـا اراد واصبح ملكـاً على قبـائل المغـول والتـتر المتحـدة . وادّعى ان هـاتفـاً إلهيـاً يـدعـوه إلى فتـح العـالم ، ففعـل ، وراحت الممالك والبلدان تتسـاقط في يده الـواحدة بعـد الاخرى : بيكـين ، تركستان ، بـلاد فارس ، الصـين . . واندفـع شطر اوروبـا الوسـطى . ومع أنـه كان قـد جـاوز الستـين فقـد زحف عـلى رأس جيشـه لاخضـاع شمـالي غربي الصين التي اوى ملكهـا اثنين من أعـدائه . والجـدير بـالذكـر أن أشهر اعماله وفتوحاته تمت في السنوات الست عشرة الاخيرة من حياته !

جَانْ ـ دارك

Jeanne - D'arc

في حيـاتهـا القصيـرة قـادت عـذراء اورليـان جان ـ دارك (١٤١٢ ـ ١٤٣١) ، الفتـاة الفـرنسيـة الفـلاحـة ، شعبهـا إلى الانتصـار عـلى الغـازي الاجنبي ، ورفعت إلى العرش ملكها المختار .

وُلـدت في أُسرة كـاثوليكيـة متواضعـة في بلدة دونريمي ، عـلى ضفـاف نهر المـوز . . . كـانت ايـام صباهـا عـاديـة ، ولم يكن تعليمهـا ليتعـدى الصلوات ، وحيـاة القديسـين ، وشؤون المنـزل إلا بـالنـزر اليسـير . ولكنهـا كانت ، وهي ترعى غنم أهلها ، تفكر بأسى في حالة بلادها التعسة .

كـانت جان ـ دراك ، كما هو معلوم لـدى الجميـع ، في الثـانيـة عشـرة من عمـرها عنـدما أعلنت أنها سمعت صـوت الرب ، وانها اختيـرت لقيـادة ولي العهـد شارل الكسـول لاحتلال العـرش الذي كـان الانكليـز يحـاولـون منـذ أمـد طـويـل الحصـول عليـه ، وذلـك في سلسلة من المعـارك يعـرّفهـا التـاريخ بـاسم حـرب المـائـة سنـة . وظلت الـرؤى والاصـوات التي كـانت جان ـ دارك تستمد منهـا النصح والارشـاد تتوالى طـوال سنوات وهي تتـأهب لتأدية رسالتها الخطيرة . وقد سخر منها الجميع في بادىء الأمر .

وفي مـطلع سنة ١٤٢٩ ، وبعـد تذليلهـا كل العقبـات التي وضعها في سبيلهـا رجـال الـدين المشككـون والضبـاط ، حصلت عـلى اذن بمقـابلة شـارل ، واقنعته بـأن دعوتهـا صادقـة . وانيـطت بهـا قيـاة جيش ، فلبست الـدرع وطـردت الانكليـز من مـدينـة اورليـان التي كـانت محـاصـرة ، ومن رانس حيثُ تـوّج ولي العهـد ملكـاً بـاسم شـارل السـابـع . . . وهكـذا

استيقظت الوطنية الفرنسية بعد رقاد .

وفي سنة ١٤٣٠ ألقى البرغنديون القبض على عذراء اورليان بعد أن تحالفوا مع الانكليز . وقد سعى أعداؤها للحكم عليها بواسطة المحاكم الروحية تمهيداً للقضاء على نفوذها والتخلص من خصم قوي الشكيمة ، عنيد . وقد حاكمها جماعة من رجال الدين على رأسهم اسقف بوفيه ، بيير كوشون الممالىء للانكليز ، فقرروا أن جريمتها هي الالحاد ، وحكموا عليها بالحبس مدى الحياة . ولكن الانكليز طالبوا بموتها . ولم يكن من الصعب على قضاتها أن يتهموها بالشعوذة . وفي ٣٠ أيار ١٤٣١ أُحرقت جان - دارك في ساحة روان العامة . . . وبينما كانت ألسنة اللهب تتصاعد من حولها تمتمت : «الله هو الذي ارسلني ، وأنا الآن عائدة اليه !»

بين حين وآخر ترسل الينا السماء ملاكاً لهدايتنا ، ولكننا لا نعترف به إلا بعد أن نطرده من بيننا . . . ففي سنة ١٤٣١ حُكم على جان - دارك بتهمة الشعوذة ، وفي سنة ١٩٢٠ طُوبت قديسة !

زنّوبيَا

Senobia

زينب . . . ملكة تدمر التي عُرفت باسم زنوبيا والزباء ، كما يسميها العرب ، من الشخصيات النسائية الفذة ، اشتهرت ، إلى جانب جمالها وشجاعتها ، بفن السياسة والادارة . أجمع المؤرخون على انها كانت تتقن اللغات المصرية والسريانية واللاتينية ، وقد تلقت علومها على ايدي عدد من اساتذة الاكاديمية في الاسكندرية .

وكانت كثيرة التردد على مجالس الحكماء والفلاسفة . ومن أشهر

اساتذتها الفيلسوف لونغينوس الذي اتخذته صديقاً ومستشاراً . . .

نشأت زينب سلطانة الشرق في احضان الصحراء السورية في القرن الثالث للميلاد ، في اسرة من المحاربين الاشداء ، فاكتسبت فضائل القتال والشجاعة وقيادة الجند الذين كانت تشاركهم مجالسهم . وُقدّر لها ان تتربع على عرش تدمر بعد وفاة زوجها الملك أُذينة ، فأحبها شعبها واخلص لها ، وازدهرت تجارة مملكتها التي كانت تمتد ما بين الفرات والنيل ، في وقت من الأوقات .

كانت تدمر دولة تقف على الحياد بين الامبراطوريتين الشرقية والغربية . . . بين فارس وروما . دولة كان همها أن تحافظ على الاتزان بين هاتين القوتين الجبارتين ، والافادة منهما قدر المستطاع .

إلا أن القدر شاء أن يشتبك اذينة مع الملك شاهبور الفارسي ، فكانت الغلبة لأذينة الذي أنعم عليه الامبراطور جالينوس الروماني بلقب اغسطس تقديراً له على فوزه ، واوكل اليه إدارة حكومة روما في الشرق . ومذ ذاك سطع اسم زينب إلى جانب اسم اذينة الذي كانت ترافقه في غزواته وحملاته الحربية جميعاً .

واغتيل أُذينة على يد أحد أقربائه من المنافسين له في السلطان ، ولكنه لم يستطع أن يحتل مكانه ، وتسنمت زينب العرش وصية على ابنها ، واتخذت لنفسها لقب زوجها الراحل دون أن يبدر من روما أي اعتراض . وظلت الحال هادئة حتى حكم روما الامبراطور اوريليانوس ، فتبدّل موقف روما من تدمر . ونشبت الحرب بينهما ، وسارت زينب في طليعة قواتها المسلحة ، ولكنها انهزمت بعد دفاع مستميت . وحاولت الاستنجاد بالفرس ، وهربت على ظهر ناقة شطر الفرات . فلحق بها الرومان وقبضوا عليها قبيل عبورها النهر .

واقتيدت زينب وأولادها أسرى إلى روما حيث أقيم احتفال كبير بالنصر سارت فيه ملكة تدمر مقيدة بالسلاسل الذهبية ، وعلى رأسها التاج ، يتبعها أولادها .

أما ما حدث لزينب بعد ذلك فتتضارب فيه الأقوال . فمن قائل إنها ماتت حزينة لفقدها مجدها ، ومن قائل أن الأمبراطور أوريليانوس منحها داراً فخمة على نهر التيبر عاشت فيها مع المواطن الروماني الذي تزوجته . . .

طارق بن زيَاد

«أيها الناس أين المفر ، البحر من ورائكم والعدو امامكم ، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر ؟ واعلموا انكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مآدب اللئام . وقد استقبلكم عدوكم بجيشه ، وأسلحته وأقواته موفورة ، وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم ولا أقوات إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم . وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمراً ، ذهبت ريحكم وتعوّضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم ، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية فقد ألقت به اليكم مدينته الحصينة . وان انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت . وإني لم أحذّركم أمراً أنا عنه بنجوة ، ولا حملتكم على خطة أرخصُ متاعٍ فيها النفوس أربأ فيها بنفسي . واعلموا انكم ان صبرتم على الاشق قليلاً استمتعتم بالأرفه الألذ طويلاً . فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي . فما حظكم فيه بأوفر من حظي . وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الخيرات العميمة . وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك امير المؤمنين من الأبطال عرباناً . ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهاراً واختاناً ثقة منه بارتياحكم للطعان واستماحكم بمجالدة الابطال والفرسان ، ليكون حظه منكم ثواب الله على اعلاء

كلمته واظهار دينه بهذه الجزيرة . وليكون مغنمها خالصاً لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم . والله تعالى ولي إنجادكم على ما يكون لكم ذكراً في الدارين . واعلموا اني أول مجيب إلى ما دعوتكم اليه ، واني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله ان شاء الله تعالى . فاحملوا معي فإن هلكت بعده فقد كُفيتم امره ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون اموركم اليه . وان هلكت قبل وصولي اليه فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا الهم من فتح هذه الجزيرة بقتله ! . . . »

خطبة طارق بن زياد هذه في فتح الاندلس يقال إنه ألقاها على جنده بعد أن عبر بهم إلى الاندلس ثم أحرق المراكب التي أقلتهم اليها وذلك سنة ٩٢ هجرية (٧١٠ م) .

اختُلف في نسب طارق بن زياد . ولكن الاجماع على انه بربري من نفزه ، وأنه كان مولى موسى بن نصير من سبي البربر ، وقيل انه كان فارسياً .

قال الرازي عن الواقدي : ان الوليد بن عبد الملك استعمل موسى بن نصير على إفريقيا واستعمل موسى بن نصير طارق بن زياد على طنجة ، وكان يليان مجاوراً له بالجزيرة الخضراء التي تلي طنجة ، فداخله طارق حتى صار معه إلى الرضا ، ووعده ليليان بادخاله الاندلس هو وجنوده . وكان اجتمع لطارق اثنا عشر ألفاً من البربر ، فأجمع طارق على غزو الاندلس بعد أن أخذ اذن ابن نصير مولاه في ذلك . فكان يليان يحتمل أصحاب طارق في مراكب التجار التي تختلف إلى الاندلس ولا يشعر أهل الاندلس بذلك ؛ ويظنون أن المراكب تختلف بالتجار . فحمل الناس فوجاً بعد فوج إلى الاندلس . فلما لم يبقَ إلا فوج واحد ركب طارق ومن معه حتى أجاز البحر إلى أصحابه ، وتخلّف يليان بالجزيرة

الخضراء لتكون أطيب لنفسه ولنفوس أصحابه ، فنزل طارق جبلاً من جبال الاندلس يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة ٩٢ هجرية ، فسُمي ذلك باسمه إلى اليوم . . . جبل طارق (Gibraltar) . وقد دُعى كذلك «جبل الفتح».

وذكر عيسى بن محمد من ولد أبي المهاجر في كتابه أن السبب في دخول طارق الأندلس ، هو أن طارق كان والياً لموسى بن نصير على طنجة ، وكان يوماً جالساً إذ نظر إلى مراكب قد طلعت في البحر ، فلما أرست خرجوا اليها فنزعوا أرجلها وأنزلوا أهلها ، فقالوا : اليكم جئنا عامدين . . . وعظيمهم معهم ، يقال له يليان . فقال طارق : ما جاء بك ؟ فقال له : ان أبي مات فوثب على ملكنا بطريق يقال له لذريق فأهانني وأذلني ، وبلغني أمركم فجئت اليكم أدعوكم إلى الاندلس وأكون دليلاً لكم . فأجابه طارق إلى ذلك واستنفر البربر . . .

وفيما يلي ما افتتح طارق بن زياد من البلادالاسبانية سنة ٩٢ من الهجرة : جبل الفتح المسمى بجبل طارق ، قرطبة ، مالقة ، غرناطة ، طليطلة ، قرمونة ، اشبيلية ، ماردة ، لبلة .

شارلمان

Chalemagne

أتم شارلمان (٧٤٢ ـ ٨١٤) ، ابن الملك بيبان الثالث ، وحفيد شارل مارتيل ، بناء الامبراطورية الفرنسية التي بدأها أسلافه فاستحق هذا اللقب «شارلمان» أو شارل الكبير .

توفي والده وهو في الرابعة عشرة من عمره فورث نصف المملكة ، حسب القانون ، وورث النصف الآخر الذي كان لأخيه كارلومان عندما

تـوفي هذا سنـة ٧٧١ . وفي هذه السنة تخلّى عن زوجته (ابنة ملك لومبـارديـا) وتزوج أخرى . فلجـأ والد الـزوجة الأولى إلى البـابا لخلع شـارل انتقامـاً منه عـلى فعلتـه هـذه ، ولكنـه لم يـوفق . فبـدأ بحملة غـزو ونهب في اواسط ايـطاليا . فخفّ شـارل إلى نجدة البـابا ، وهـزم اللومبارديـين وأعلن نفسـه ملكـاً عليهم . وما حلت سنـة ٨٠٠ حتى كانت مملكـة الفرنجـة تضم فرنسـا بأسرهـا ، وحوالى كـل المانيـا والنمسا وايـطاليا باستثناء مملكـة نابـولي . وفي يوم عيد الميـلاد من هذه السنـة توّج البـابا ليـو الثالث شـارل امبراطـوراً على الامبـراطوريـة الرومـانية المقـدسـة . وكـان ثمـة مشـروع يقضي بضم هـذه الامبـراطوريـة إلى الامبراطـورية البـزنطيـة وذلك بعقـد زواج بـين شـارلمـان والامبراطورة إرين التي خُلعت عن العرش فأفسد المشروع .

وتلت ذلـك حـرب بـين الامبـراطـوريتـين لم تكسب فيهـا أي منهـما ، وانتهت إلى صلح سنة ٨١٢ . . .

كـان لشـارلمـان أيـاد بيضـاء عـلى فن الحكم . . . فقـد قسّم مملكتـه وفصـل بين مختلف الـوظائف ـ العسكـرية ، والقضـائية ، والادارية . وأنشأ المستشفيـات ، والمدارس للبنـات والصبيـان . وفي عهـده أصبحت الكنيسـة الكاثوليكية قوة زمنية وروحية بحق وحقيق .

غاريبالدي

Giuseppe Garibaldi

جـوسي غاريبـالدي وطني ايـطالي كان لـه دور رئيسي في تحريـر ايطاليـا من السيطرة الاجنبية ، وتوحيدها تحت سلطة حكومة واحدة .

وُلد في ٤ تموز ١٨٠٧ ، وبدأيتدرب منذ حداثته على مبادىء وأساليب الحـرب الثوريـة التي أتقنها تمـاماً . هـرب إلى اميركـا الجنـوبيـة بعـد اتهـامـه

بالتامر سنة.١٨٣٤ على زعيم وطني ايطالي آخر هو جوسيبي ماتزيني . وهناك اشترك في ثورة ضد الحكومة البرازيلية ، وساعد الاوراغواي في الحصول على استقلالها وحريتها ، وتزوج من اسبانية كانت تشترك معه في حملاته العسكرية .

وعاد غاريبالدي سنة ١٨٤٨ إلى ايطاليا ليحارب المساويين ،وليدافع عن روما ضد الفرنسيين . وقد ماتت زوجته اثناء انسحابه من وجه النمساويين. ورحل إلى الولايات المتحدة الاميركية ، ولكنه سرعان ما عاد إلى وطنه سنة ١٨٥٤ لاستئناف حرب التحرير . فلما أصبحت روما عاصمة ايطاليا الموحدة احتل غاريبالدي مقعداً في البرلمان في كانون الثاني ١٨٧٥ . ولم يكن زواجه الثاني من احدى الكونتيسات موفقاً ، وقد أبطل عندما تزوج فتاة من الفلاحين سنة ١٨٧٩ . وعاش آخر أيامه بهدوء واطمئنان في جزيرة كابريرا حتى وفاته سنة ١٨٨٢ .

الجنرال غرَانت

Ulysses Simpson Grant

كان الجنرال غرانت قائداً عسكرياً ماهراً تغلّب بحنكته على الجنرال لي وكسب الحرب الاهلية الاميركية ، ووصل إلى سدة رئاسة الجمهورية . إلا أنه لم يكن ذكياً ذكاء كافياً يجنّبه مضاربات بورصة «وول ستريت» واهوالها . ففي اواخر سِني حياته وقع فريسة محتالَين اقنعاه بالمتاجرة معهما . وقد استغلا اسم غرانت وصيته الطيّب لتحقيق مشاريع معوجّة متعدّدة . وهكذا استطاعا سلب الجمهور الاميركي حوالى ١٦ مليون دلاور . فلما حلّت الأزمة الاقتصادية اضطر غرانت ، لتسديد ديونه ، أن يبيع مزرعته الخاصة ومنزليه في فيلادلفيا ونيويورك ، والسيوف ، ومجموعة

من الاسلحة الحربية قُدّمت إليه تذكاراً أثناء الحرب الاهلية .

كـان السرطـان ينهش جسد غـرانت وكانت جيوبه فـارغـة ليس فيهـا دولار واحـد ، وأيقن أن أنيـاب الفقـر والبؤس ستعض زوجته بعد وفـاتـه فعكف على كتابة مذكراته ، وظلّ يملي عليها هذه الـذكريـات حتى حال بينه وبين ذلك السـرطان اللعين الذي امتـدّ حتى وصل إلى حنجـرته وأخـرسه . ولكنـه أنهى كتابه بالقلم الـرصـاص . . . انهاه وهـو يشكو الآلام المبـرّحة . وكان ان كتب الفصل الاخير منه قبل وفاته بثلاثـة ايام فقط . ونشر مـارك تـواين هـذا الكتـاب بعـد أن دفـع ثمن حقـوقـه إلى الارملة غـرانت مبلغ نصف مليون دولار تقريباً .

عندما اندلعت نيران الحرب الاهلية الاميـركية كـانيولسيس سمبسـون غـرانت (١٨٢٢ ـ ١٨٨٥) يشغل وظيفـة كـاتب في مخزن يـديـره اخـوه في غالينا،من أعمـال ولايـة ايـلينـوي . . .وكـان فقيـراً ، رث الثيـاب ، يـدلّ مـظهـره عـلى أن مصيـره الفشـل والنسيـان . إلا أن هـذا الشـاب الـذي لم ينجـح في الزراعـة ، ولا في اي مشروع تجـاري ، ما لبث أن أصبـح قـائـداً عسكـرياً لامعـاً ، وتولى رئـاسة الجمهـورية الاميـركية سنـة ١٨٦٩ ، فكـان الـرئيس الثـامن عشر لهـا . . . وقـد جُـددت ولايتـه بعـد أربـع سنـوات من ذلك .

لافَاييت

Lafayette

وُلـد المـركيـز دو لافـاييت (١٧٥٧ ـ ١٨٣٤) القـائـد الفـرنسي المعـروف ، وأحد قـادة الثورة الاميـركيـة ، في قصر كـافـانيـاك ، في اوفـرني بفـرنسـا . وتـزوج في السـادسـة عشـرة من عمـره من ادريـين فـرنسـوى دو نواي

وفي السنة التي طلّق فيها حياة العزوبية التحق بفرقة الحرس الفرنسي . وكان برتبة كابيتن عندما اعلنت المستعمرات الاميركية الثورة وطالبت باستقلالها . واصبح لافاييت من قادة الاميركيين إبان الثورة بعد مفاوضات جرت بينه وبين احد الاميركيين في باريس . ومضت سنوات فكتب لافاييت في مذكراته يقول : «انحاز قلبي إلى صفوف الثوار عندما بلغني نبأ نشوب النزاع بين المستعمرات الاميركية والمستعمرين البريطانيين .»

وفي هذا الصدد كتب إلى زوجته : «في الوقت الذي سأدافع فيه عن الحرية التي اتعشقها وأعبدها من بعد الله ، سأتمتع بالحرية المطلقة . أما تقديم خدماتي[1] إلى هذه الجمهورية الاميركية الفتية فمجرد عن كل الاطماع والمآرب الشخصية ، لأن سعادتها ومجدي هما الدافع الوحيد لركوبي هذا المركب الخشن . . . ان سعادة اميركا مرتبطة بسعادة العالم اجمع . فهي لن تلبث ان تصبح معقل الفضيلة ، والتسامح ، والمساواة ، والحرية ، والتضامن ، والرفاهية ، والرخاء . . .

وأبلى لافاييت احسن البلاء في معركتي «برانديواين» ،و« وادي فورج» ، مما لفت اليه انظار الجميع واكسبه تقدير الجنرال جورج واشنطن واعجابه بشجاعته وحنكته العسكرية . وكان ذلك السبب المباشر في توثيق عرى الصداقة بين الجنديين الكبيرين ، هذه الصداقة التي ظلت متينة طوال حياتهما .

عندما كان لافاييت في فرقة الحرس الملكي الفرنسي ، توطدت بينه وبين ماري انطوانيت صداقة كُتب لها ان تتحوّل على مر الايام إلى حقد فظيع . ويذكر التاريخ انه بعد عشرين سنة من ذلك انقذ لافاييت الملكة من الموت المحتم على يد الجماهير الثائرة ، وكان بوسعه ان ينقذها من مصيرها فيما بعد لو لم تصح ساعتئذ : «الافضل لي أن اموت بدلاً من

ان ادين بحياتي للافاييت ! »

عاد لافاييت إلى فرنسا بعد غياب خمس سنوات في العالم الجديد فعارض بشدة نابوليون وطغيانه حتى بات كل من يحيط بنابوليون يخشى التلفظ باسمه امامه . . . وكم حاول نابوليون استمالته اليه ليأمن شره ، وصراحته ، وخطورة آرائه المتطرفة في الحرية. وقد سنحت الفرصة مرتين امام لافاييت ليتسلم زمام الامور في فرنسا ولكنه لم يغتنمها : مرة عند بدء الثورة الفرنسية ، ومرة ثانية سنة ١٨٣٠ عند تربع الملك لوي - فيليب على العرش . فمعتقداته هي التي منعته من ذلك . وكما فعل صديقه واشنطن من قبله ، انسحب إلى الريف يقضي فيه بقية ايامه ، ومات في السابعة والسبعين مطبقاً يده على نوط صغير يضم خصلة من شعر زوجته . وقد اهيلت على نعشه قبضة من التراب حُملت من قطعة ارض لجورج واشنطن في جبل فرنون . . .

لوُرد نلسُون

Lord Nelson

هوريشيو نلسون (١٧٥٨ - ١٨٠٥) ، أشهر ضابط بحري في التاريخ الانكيزي ، التحق بالبحرية في الثانية عشرة من عمره . فلم تمضِ عليه ثلاث سنوات حتى اشترك في حملة إلى القطب الشمالي ، فلما عاد إلى انكلترا مُنح رتبة ملازم .

تزوج نلسون في جزر الهند الشرقية سنة ١٧٨٧ ، واستقال من الخدمة بعد ستة أشهر وعاد ليعيش بهدوء في وطنه . فلما اندلعت نيران الحرب بين انكلترا وفرنسا انيطت به قيادة السفينة أغاممنون وأُرسل للانضمام إلى الاميرال صمويل هود في البحر المتوسط حيث اشترك في

حصار باستيا . وقد فقد إحدى عينيه في حصار كالفي . وفي أثناء قيامه بهمة دبلوماسية في نابولي سنة ١٧٩٣ التقى لورد نلسون اللايدي إيما ، زوجة السر وليام هاملتون ، السفير البريطاني في نابولي ، عندما كانت في ذروة مجدها وجمالها الفتان . فسحرته بحسنها واحساسها المرهف ، فبات بين يديها كالطفل الصغير . وقد أثمر غرامهما طفلة دعياها هوريشيا . وما هما إلا سنتان حتى توفي السر وليام هاملتون فذهبت زوجته تعيش مع نلسون في داره في ميرتون . فلما مات نلسون في معركة الطرف الاغرّ البحرية المظفرة الحاسمة (١٨٠٥) وجدت إيما نفسها وبين يديها ثروة زوجها وعشيقها المنقولة وغير المنقولة . إلا أن المقامرة والتبذير ذهبا بكل ما تملك . وجاء يوم فإذا بها فقيرة لا تملك شروى نقير .

وقد انتهى بها املاقها واستدانتها إلى السجن العام ١٨١٣ . ولم تمض سنتان حتى قضت نحتها في مدينة كاليه الفرنسية فقيرة بائسة .

ومن أشهر وقائع نلسون البحرية معركة أبو قير التي انتصر فيها على الاسطول الفرنسي في مياه النيل سنة ١٧٩٨ ، فقضى بذلك على خطط نابوليون لغزو الشرق . وقد كوفىء على انتصاره هذا بلقب نلسون ، بارون النيل ، وبمبلغ ١٠ آلاف دولار . ورُقي إلى رتبة فيس ـ اميرال سنة ١٨٠١ .

وخاض غمار معارك بحرية أخرى . . . ومكافأة له على ضرب كوبنهاغن مُنح لقب فايكونت . وقد هاجم الاسطول النهري الفرنسي في بولوني ، وقاد الاسطول البريطاني في المتوسط ، وقضى سنتين في حصار ميناء طولون الفرنسي . وظل يطارد الاسطول الفرنسي في البحار منذ ذلك الوقت حتى كانت معركة الطرف الأغر (ترافلغار) التي كرّست سيادة بريطانيا على البحار . وفي هذه المعركة الطاحنة ردد على بحارته عبارته الشهيرة : «ان انكلترا تتوقع أن يقوم كل منكم بواجبه !» . . . وفي هذه

المعركة كذلك جُرح نلسون جرحاً ميتاً ، فقضى على ظهر سفينته في اليوم نفسه .

ولعل الفضل الأول يعود إلى نلسون في أن انكلترا بقيت الدولة الوحيدة التي لم يحتلها نابوليون !

هنيبَعل

Hannibal

هذا القائد القرطاجنيّ الذي وُلد سنة ٢٤٧ قبل الميلاد عُرف بأنه من أنبل النبلاء ، ومن أسوأ الرجال حظاً في التاريخ القديم . حمله والده هاميلكار برقه إلى اسبانيا عندما كان في التاسعة من عمره واستحلفه أمام المذبح أن يكون عدواً للرومان مدى الحياة ، ولقنه فنون الحرب ، واساليب القتال . فلما توفي والده أصبح هنيبعل، وهو في سن الخامسة والعشرين ، قائداً للجيش وحاكماً لمقاطعة اسبانيا . وكان معبود جنوده الذين كانوا يرونه عادلاً دائماً . . . إلا أنه يتحمل مسؤولية بدء حرب من أشد الحروب هولاً (سنة ٢١٩ ق . م .) في التاريخ القديم ، هي الحرب الثانية بين قرطاجة وروما . . . كان هدفه أن تثأر قرطاجة من روما ، ففشل فشلاً ذريعاً ، على الرغم من أن القسم الاول من هذه الحرب سجل فيه هنيبعل ثلاثة انتصارات حاسمة . وفي سنة ٢٠٣ سحب هنيبعل قواته من ايطاليا ليذهب لنجدة بلده . ويقول المؤرخون ، وجلّهم ينظر إلى هنيبعل على أنه أعظم القادة الستراتيجيين الذين عرفهم التاريخ ، ان الذي يبعث على الدهشة حقاً ، أن هنيبعل نجح في البقاء في ايطاليا ما طاب له البقاء . . .

وفي سنة ٢٠٢ نصح أبناء بلاده بأن يعقدوا صلحاً مع الرومان ،

واستسلمت قرطاجة . وقد اتهمه الرومان فيما بعد بأنه يتآمر على السلام فاضطر إلى الفرار إلى سوريا . ولما احتلّ الرومان هذه البلاد كان في جملة شروط الصلح استسلام هنيبعل . ولكنه نجا كذلك ، ولجأ إلى بلاط بروسياس ملك بتنيا ، وهو أحد الطغاة القلائل الذين لم يقعوا بعد تحت سيطرة روما .

ولكن بروسياس خان هنيبعل سنة ١٨٣ . فلما رأى هنيبعل منزله محاصراً بالجنود انتحر بتجرّع السم الذي كان يحتفظ به في خاتمه منذ زمن طويل .

كان هنيبعل عبقرية عسكرية ... اتهمه البعض بالقسوة ، في حين يرى البعض الآخر أنه لم يكن بربرياً أكثر مما تقتضيه موازين الحرب في تلك العصور . أما اتهامه بالبخل فمرده إلى حاجته الدائمة المتواصلة للموارد . وكان مثقفاً ، حميد الاخلاق ، يتقن عدة لغات ويكتب اليونانية ويقرأها . ويقال انه تزوج امرأة اسبانية ولكنهما لم يُرزقا أولاداً ...

خَالد بن الوليد

فاتح الشام ، ونابوليون العرب ، خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله ابن مخزوم القرشي ، أبصر النور في مكة حوالى العام الخامس والعشرين قبل الهجرة ، ونشأ في بيت رفيع العماد ، على جانب كبير من الثروة والجاه العريض ، وقد لقب والده الذي كان يتمتع باحترام مواطنيه بالوحيد ، وبريحانة قريش .

وما أنجب العرب من فجر تاريخهم إلى اليوم قائداً له مكانة القائد العظيم خالد بن الوليد وشهرته . فقد فتح ببضعة آلاف من قبائل العرب ، على قلة في السلاح والعتاد ، بلاد العراق وبعض ايران وبلاد الشام ، وقهر دولتيّ الفرس والروم اللتين كانتا في عصره سائدتين على

العالم القديم بأسره ، وانتصر انتصاراً مبيناً في معركة اليرموك التي كان لها ما بعدها ، وما بعدها كان جليلاً عظيماً . معاركه العديدة التي خاض غمارها في بضعة أعوام انتصر فيها جميعاً وما خُذل بواحدة منها قط ، فهو خالد خلود نابوليون ونوليوس قيصر وهنيبعل والاسكندر وسواهم من أبطال الحروب ، ولا يقل عن أحدهم عبقرية وشجاعة وسداداً في الرأي والتدبير . »

ذاع صيت خالد العسكري بعد وقعة أُحُد المعروفة «التي اصطلى بنارها معارضو الدعوة الإسلامية من قريش -وبينهم خالد- في ناحية ، والنبي والمهاجرون والانصار في الناحية الثانية ، وقد كاد النصر يعانق رايات الفريق الثاني في اليوم الاول لولا حركة التفاف قام بها خالد بفرسانه على الخصم فخذله وأنقذ قريشاً من الهزيمة . غير أن الغلبة تمت في اليوم الثاني للنبي وانصاره ، وعقبها زحف المنتصرين من المدينة على مكة وفتحها . وقد اشتهر خالد منذ ذاك اليوم ببطولته ومهارته في أساليب القتال . »

جاء في كتاب «فتوح الشام» للواقدي أن خالداً كان مديد القامة ، قوي البنية ، عريض ما بين المنكبين ، متين العضلات ، تلوّح وجهه آثار الجدري ، وكان فوق ذلك كله وقوراً مهيباً . وكان فارساً مغواراً ، مدرّباً على القتال الفردي فارساً ، وراجلاً ، وهجّاناً . . . كما كان مبارزاً لا يباريه احد بضرب السيف وطعن الرمح ورمي النبال . وقد أجمع المؤرخون على أن خالداً لم يسر «بجيش إلا بعد تنظيمه في حالة السير بشكل يتقي معه المفاجآت ويكون جاهزاً للهجوم في أي وقت كان . وفي معركة اليرموك عبأ جيشه تعبئة لم يعرفها العرب من قبل وتكاد تماثل تعبئة الجيوش المنظمة في عصرنا الحالي ، وأحسن استخدام الفرسان في الوقت والمكان المناسبين حتى تمت له الغلبة . وكان إلى هذا شديد الوطأة على

العدو أثناء القتال ، حتى اذا تملك هذا الاعياء لاحقه بسرعة وشدة حتى يشلّه ولا يدع له فرصة للم الشعث ومعاودة القتال ، فهو يشبه من هذه الناحية القائد الفرنسي مانجان الذي اشتهر في الحرب الكبرى بشدة بطشة وقسوته على الاعداء .

وكان خالد ذا روح عسكري ممتاز . فعندما تلقّى أمر الخليفة ابن الخطاب بعزله من القيادة دون سبب موجب وتولية ابي عبيدة مكانه رضخ هادئاً وقال : «نحن هنا لنحارب في سبيل الله لا في سبيل عمر .» ويرى بعض النقاد المتضلعين من فلسفة التاريخ أن موقف خالد هذا كان من النبل والشهامة بحيث أنقذ العرب من انخذال ربما كان قاضياً عليهم في المهد ، إذ لو عصى خالد أمر الخليفة وانسحب بجيشه من ساحة القتال لتعذرت مواصلته على الجيوش الاخرى ولعادت ادراجها إلى الحجاز دون عمل يذكر ، ولو أنه عصى الامر وأصرّ على استقلاله بالقيادة العامة لكانت الفتنة في الجيش وما وراءها سوى الخذل والويل للعرب .»

وقد كانت وفاته في السنة الحادية والعشرين للهجرة وهو بعد في الاربعين من عمره وذلك في داره في حمص .

دوق ولنغتُون

Duke Of Wellington

الدوق الحديدي ، قاهر نابوليون (١٧٦٩ ـ ١٨٥٢) رأى النور في ايرلندا ، ودرس في كلية ايتون ، ودخل الجيش سنة ١٧٨٧ ، فراح يرقى سلّم الجندية بسرعة . وبعد أن خدم في هولندا سنة ١٧٩٦ رحل إلى الهند برتبة كولونيل، فحاز عدداً من الانتصارات، وقام بمفاوضات الصلح سنة ١٨٠٣ ، ثم قفل عائداً إلى انكلترا حيث مُنح لقب فارس. اشترك

بنجاح في الحملات العسكرية ضد الدانماركيين والهانوفريين قبل أن تكسبه الشهرة حروبُه في اسبانيا . . . فقد استطاع أن يقهر الجيوش الفرنسية ويطردها من اسبانيا على الرغم من قلة العَدد والعِدد . وانهالت عليه مراسم التكريم ، وفي سنة ١٨١٤ منُح لقب دوق . وعُيِّن سفيراً لانكلترا في باريس . وبينما كان مشتركاً في مؤتمر فيينا الشهير وصلته أنباء فرار نابوليون من منفاه في جزيرة إلبا . وما هي إلا بضعة شهور حتى هزم نابوليون في وترلو . ونُفي امبراطور الفرنسيين إلى جزيرة القديسة هيلانة .

وعاد إلى انكلترا ، فدخل البرلمان ، وأصبح رئيساً للوزارة ووزيراً للخارجية سنة ١٨٢٨ ـ ١٨٣٠ . إلا أن سياسته لم تلقَ أي نجاح لأنه كان يعارض في ادخال الكثير من الاصلاحات ، ولأن غالبية الشعب كانت تكرهه .

وليَام الفَاتح

Wiliam The Conqueror

كان وليام الاول الملقب بالفاتح (١٠٢٧ ـ ١٠٨٧) اقوى ملك في زمانه . وُلد في فرنسا ، وهو ابن غير شرعي لدوق نورماندي وابنة احد الصبَّاغين ، ولذا يُدعى أحياناً وليام « الابن الحرام » . توفي والده وهو صغير ، وقُتل ثلاثة من حراسه ، فلما رقي دوقية نورماندي احيط بحراسة شديدة حذرة . وعندما توفي ابن عمه وليام ، ملك انكلترا الذي نشأ وترعرع في نورماندي ، طالب وليام بالعرش الانكيزي مدعياً أنه وعده به . ولكي يسند طلبه هذا نزل على الساحل الانكليزي على رأس حملة عسكرية قدِّر عددها بين ٢٥ و٦٠ ألف مقاتل . وأحرز وليام انتصاراً ساحقاً في معركة هيستنغز (١٠٦٦) تُوج على أثرها ملكاً في كاتدرائية وستمنستر يوم عيد الميلاد من السنة نفسها .

وقد بقي السنين الطوال منهمكاً في قمع الثورات ، فكان بادىء ذي بدء رفيقاً في معاملة الثوار ، الا انه لجأ إلى الشدة والقسوة فيها بعد مما اضطر الكثيرين من افراد الطبقات الارستقراطية والنبلاء إلى هجر البلاد زرافات زرافات . وبدّل القوانين الانكليزية ، وأوجد النظام الاقطاعي في ما يتعلق بالارض والخدمات ، وجعل اللغة الفرنسية لغة رسمية في البلاد . وفي اواخر حكمه طلب وليام اجراء احصاء دقيق شامل لموارد انكلترا . وقد شغل وقته في توسيع حدود نورماندي . ثم توفي وهو يحارب الملك فيليب الاول إذ وقع عن ظهر جواده في روان .

كان وليام في حياته الخاصة تقياً ، حكيماً . الا انه لم يكن يعرف الرحمة مع خصومه واعدائه . فقد بلغ عدد الضحايا عندما قمع ثورتي يورك ودرهام حوالى مئة الف نسمة . . . فضلاً عن الدمار الذي لحق بهاتين المنطقتين . وقد هاجم وليام اسكتلندا واخضعها لسطانه لان ملكها مالكوم انحاز إلى الثوار الانكليز . ونتيجة لثورة نشبت سنة ١٠٧٥ قتل وليام ، يرل ثنتنغدون ونور ثمبرلند ، زوج ابنة شقيقة ، وآخر ايرل انكليزي . فكانت تلك لطخة عار في تاريخه لبراءة هذا الايرل من الاشتراك في الثورة .

ومن المساوىء التي تميز بها عهده إنشاؤه الغابة الجديدة (نيو فوريست) إرضاءً لولعه الشديد بالصيد . . . ذلك بأنه انشأ هذه الغابة على حساب عدد من القرى والمزارع التي طُرد أهلوها إلى مسافة لا تقلّ عن ثلاثين ميلاً . ومن ثم أصدر قانوناً يقضي بقلع عينيّ من يصطاد غزالاً .

* * *

الملاحق

١ ـ الخالدون من العلماء وأشهر أعمالهم .
٢ ـ أشهر الاختراعات والاكتشافات .
٣ ـ أشهر الاستكشافات .
٤ ـ الخالدون من الأدباء وروائعهم .
٥ ـ الخالدون من الشعراء وروائعهم .
٦ ـ الخالدون من الموسيقيين وأشهر روائعهم .
٧ ـ الخالدون من الرسامين والنحاتين وأشهر أعمالهم .
٨ ـ جوائز نوبل والفائزون بها (من السنة ١٩٠١ ـ ١٩٨٦ (ضمناً)

الخالدون من العلماء وأشهر أعمالهم

عصور ما قبل الميلاد

* طاليس ـ (حوالى ٦٤٠ـ حوالى ٥٤٧)ـ يوناني من ميليتس ـ فيلسوف وعالم رياضي من المدرسة الايونية . صاحب مبدأ شهير من مبادىء الهندسة . يعتبر أول العلماء ، ويلقب أحياناً بأبي العلم ، لأنه أول من احل التفسيرات العلمية محل التفسيرات الاسطورية في دراسة العالم الطبيعي .
* فيثاغوراس ـ (حوالى ٥٨٠ ـ حوالى ٥٠٠) ـ يوناني من ساموس ـ فيلسوف وعالم رياضي . ندين إلى مجموعة المدرسة الفيثاغورية ، بلا ريب ، بالاكتشافات الرياضية والهندسية والفلكية التي تعزى إلى فيثاغوراس : جدول الضرب ، النظام العشري ، ونظرية تربيع وتر الزاوية القائمة .
* أناكساغوراس ـ (حوالى ٥٠٠ ـ حوالى ٢٤٨) ـ يوناني ـ فيلسوف ، وضع تفسيرات جديدة للظواهر الفلكية ، والقمر ، والشمس .
* ديمقريطس (حوالى القرن الخامس) ـ يوناني ـ فيلسوف ، كان يقول بأن الكائن البشري مكون من عدد هائل من الذرات . بشر بالسعي وراء السعادة باعتدال الرغبات . اليه يعزى القول : «على جميع البشر أن يعرفوا فن الطب .» ولعل المبدأ الذي يسيطر على حياته العقلية تتضمنه هذه

العبارة : «غنى الفكر ، لا غنى العلم ، هو الشيء الذي ينبغي الطمع به .»

* ابقراط - (حوالى ٤٦٠ - حوالى ٣٧٧) - يوناني - لقبه ابو الطب ، يقوم نظامه على فساد الاخلاط ورطوبات الانسان : ،الدم،البلغم،الصفراء، المرارة .

* ارخيتاس - (٤٣٠) - يوناني - من فلاسفة المذهب الفيثاغوري ، وصديق افلاطون . ينسب اليه اختراع البرغي ، وطائرة الهواء ، وبكرة الدلو .

* اكسودس - (٤٠٩ - ٣٥٦) - يوناني من سنيدوس - فلكي ، قام بوضع ملاحظات وتعليقات دقيقة حول حركات الكواكب السيارة .

* هرقليطس - (٣٨٨ - ٣١٥) - يوناني من بونتوس - فلكي ،نسج على منوال اكسودس في دراسة السيارات من الكواكب .

* آرستاخس - (حوالى ٣١٠ - حوالى ٢٣٠) - يوناني من ساموس - فلكي ، كتب دراسة حول حجم الشمس والقمر ، والمسافة بينهما وبين الارض .

* ارخميدس- (٢٨٧ - ٢١٢) - يوناني - اكتشافاته عديدة ، اهمها نسبة قطر الدائرة إلى محيطها (٧ إلى ٢٢)، والقانون المشهور باسمه وهو «ان كل جسم يسقط في سائل ما يتلقى دفعة عمودية من تحت إلى فوق تعادل ثقل ما شغل مكانه من هذا السائل » .

* ايراتستنيس - (٢٧٥ - ١٩٥) - عالم من الاسكندرية . قاس حجم الارض ورسم خريطة العالم المعروف آنذاك ، وطور نظام علم التاريخ .

* ابولونيوس (حوالى ٢٦٠ - ٢٠٠) - يوناني من برغا - عالم رياضي ، كتب عن القطوع المخروطية .

* ديوفنتوس - (حوالى ٢٠٠) - يوناني . عالم يعزى اليه فضل ادخال

مبادىء الجبر إلى الرياضيات .

* هيبارخس - (١٩٠ - ١٢٠) - يوناني - اول فلكي يوناني نظامي ، وضع رسوماً بيانية مفهومة عن السموات .

* هيرو - (حوالى ١٥٠) - يوناني من الاسكندرية ، مخترع ، وعالم رياضي ، ابتكر وسائل تعمل بالبخار ، والماء ، والهواء المضغوط : المحرك الناري ، والنافورة ، والسيفون .

بعد الميلاد

□ جالينوس - (حوالى ١٣١ - ٢٠١) - يوناني - كان له اكتشافات هامة في علم التشريح ، ووضع عدداً من الدراسات .

* بطليموس - (حوالى القرن الثاني) - يوناني ، مولود في مصر العليا . فلكي ، وصاحب مؤلفات قيّمة في الرياضيات ، والبصريات ، وانعكاس الضوء ، والجغرافيا . ظل ثقة طوال القرون الوسطى . وضع الارض في وسط العالم ، وجعل منها جسماً ثابتاً .

* جربير(البابا سيلفستر الثاني) - (حوالى ٩٤٠ - ١٠٠٣) - فرنسي ، عالم رياضي علامة ، يعود اليه الفضل في ارجاع المعداد إلى اوروبا .

* ابيلارد أوف باث - (حوالى ١٠٠٠) - انكليزي - عالم وفيلسوف من مدرسة الفلسفة الكلامية ، ترجم المؤلفات العربية ذات المواضيع العلمية إلى الانكليزية .

* جيرار كريمونا - (حوالى ١١١٤ - ١١٨٧) - ايطالي - عالم عاش في توليدو في اسبانيا ، وترجم المؤلفات العربية العلمية القيمة .

* روبرت كروسيست - (١١٧٠ - حوالى ١٢٥٣) - انكليزي - باحث كتب الكثير عن الرياضيات ، والفلك ، وعلم النفس والزراعة .

* ليوناردو فيبوناتشي - (حوالى ١٢٠٠) - ايطالي - عالم في الرياضيات ، نصح باستخدام الأرقام العربية التي تستخدم اليوم في الغرب . أما

الارقام التي نستعملها نحن فهي هندية وليست عربية .

* البرتوس ماغنوس - (حوالى ١٢٠٦ - ١٢٨٠) - الماني - باحث له آراء قيمة في علم النبات .

* رودجر بايكون - (حوالى سنة ١٢١٤ - ١٢٩٤) - راهب فرنسيكاني انكليزي ، عرف بلقب «الطبيب المدهش»، واحد من أعظم علماء القرون الوسطى، هاجم بعنف الاساليب الفلسفية في زمنه .

* اوريزم - (١٣٣٢ - ١٣٨٢) - فرنسي - باحث اشتهر بعمله في حقلي الاقتصاد والرياضيات ، وكتب بحثاً عن النقد والعملة .

* نيقولاس كوزا - (١٤٠١ - ١٤٦٤) - الماني - عالم انعش الاهتمام بعلم الفلك .

* لورنز كوستر - (حوالى سنة ١٤٠٥ - حوالى سنة ١٤٨٤) - هولندي - يُقال أنه ابتكر الطباعة بالحروف المتحركة منذ سنة ١٤٢٣ .

* جورج بوير - (حوالى ١٤٩٠ - ١٥٥٥) - الماني - طبيب وعالم ، يعرف بلقب «أبو علم المعادن» .

* فيليبوس أوريولوس باراسيلوس - (حوالى ١٤٩٣ - ١٥٤١) - سويسري - طبيب وكيميائي علم طريقة استعمال أدوية محددة ، وأدخل عدداً من العقاقير الجديدة إلى عالم الطب والمداواة .

* نيقولا تارتاليا - (حوالى ١٥٠٠ - ١٥٧٧) - ايطالي - مهندس وعالم رياضي ، كان رائداً في حقل الرياضيات كما تطبق على المدفعية .

* جيرونيمو كردانو - (١٥٠١ - ١٥٧٦) - ايطالي - طبيب وعالم رياضي ، ابتكر اساليب لتعليم العميان والصم .

* اندرياس فيزاليوس - (١٥١٤ - ١٥٦٤) - فلمنكي - عالم من علماء التشريح ، اول من اعطى وصفاً دقيقاً لتركيب الجسم البشري .

* فرنسوى فييت - (١٥٤٠ - ١٦٠٣) - فرنسي - عالم رياضي - من مؤسسي علم الجبر الحديث ، بادل في علاقة الجبر بالهندسة وعلم حساب المثلثات .
* وليام غلبرت - (حوالى ١٥٤٠ - ١٦٠٣) - انكليزي - طبيب وعالم طبيعي ، عرف بدراساته حول المغنطيس ، وضع أسس علم الكهرباء الحديث .
* تيخو براهه - (١٥٤٦ - ١٦٠١) - دانمركي - أتاحت تجاربه ومشاهداته للعالم الالماني كبلر ان يعلن قوانينه حول الكواكب السيارة .
* جيوردانو برونو - (حوالي ١٥٤٨ - ١٦٠٠) - ايطالي - فيلسوف - كان اول من قرر ما أصبح اليوم النظرية الكونية .
* ستيفينوس - (١٥٤٨ - ١٦٢٠) - هولندي - مهندس ، اهتم بعلم توازن القوى ، وعلم الاجسام الساكنة ، واكتشف «توازي القوى» .
* دجون نابير - (١٥٥٠ - ١٦١٧) - اسكتلندي - عالم رياضي . اخترع علم انساب الاعداد ، وادخل النقطة العشرية عند كتابة الاعداد .
* يوهانس كبلر - (١٥٧١ - ١٦٣٠) - الماني - عالم فلكي ، له مؤلف قيّم يتضمن نظرية حول كوكب المريخ ، وفيه اعلن القوانين المسماة «قوانين كبلر» ، ومنها عرف اسحق نيوتن كيف يستخلص مبدأ الجاذبية العالمية .
* بان باتيست فان هيلمونت - (١٥٧٧ - ١٦٤٤) - فلمنكي - طبيب وكيميائي ، يعود اليه الفضل في اعطاء كلمة «الغاز» معناها الحالي .
* وليام هارفي - (١٥٧٨ - ١٦٥٧) - انكليزي - طبيب اظهر كيفية عمل القلب والدورة الدموية .
* زكرياس ياسن - (حوالى ١٦٠٠) - هولندي - صانع نظارات ، صنع اول مجهر مركب .
* فرنشيسكو ماريا غريمالدي (حوالى ١٦١٨ - ١٦٦٣) - ايطالي - عالم

فيزيائي ، وصف انحراف النور أو انكساره .

* روبرت بويل - (١٦٢٧ - ١٦٩١) - انكليزي - كيميائي ، وفيلسوف طبيعي ، اول من فرق بين العنصر كيميائي والمركب .

* كريستيان هيغنز - (١٦٢٩ - ١٦٩٥) - هولندي - عالم فيزيائي ورياضي - ادخل تحسينات على عدسات التلسكوب ، كان أول من استعمل الرقاص في الساعات .

* اولوف رودبيك - (١٦٣٠ - ١٧٠٢) - سويدي - مكتشف الغدد اللمفاوية .

* انطوني فان لوفنهويك - (١٦٣٢ - ١٧٢٣) - هولندي - اول مطاردي الجراثيم . عمل في صناعة الميكروسكوبات التي راح بواسطتها يدرس التركيب الدقيق للاجسام المنظمة. وله أول رسم للجرثومة بيده وقد ظهر في سنة ١٦٨٣ ، وكان أول من رأى الحيوانات البرزوية والجراثيم .

* روبرت هوك - (١٦٣٥ - ١٧٠٣) - انكليزي - من علماء الطبيعيات والرياضيات ، مخترع عدد غير قليل من الآلات الدقيقة ، ومن اشهرها الجهاز الذي يتيح للملاحين معرفة ارتفاع النجوم ، والمسافات بينها بواسطة زواياها .

* ادموند هالي - (١٦٥٦ - ١٧٤٢) - انكليزي - عالم فلكي ، اشتهر بعمله في حقل المذنبات ، ومنح اسمه للمذنب المعروف بـ « مذنّب هالي » .

* غبريال دانيال فارنهايت - (١٦٨٦ - ١٧٣٦) - نمساوي - مخترع الميزان الخاص بمعرفة كثافة السوائل ، وميزان الحرارة العادي المعروف باسمه .

* ستيفان هيلز - (١٦٧٧ - ١٧٦١) - انكليزي - مكتشف حامض الكربون ، والهيدروجين المكبرت .

* بيير فان موشنبروك - (١٦٨٢ - ١٧٦١) - هولندي - مخترع قنينة لايدن ،

وهي اول ميزان من موازين درجات الحرارة العليا المعروفة، ومكتشف قانون تكسرالضوء .

* دجيمس برادلي - (١٦٩٣ - ١٧٦٢) - انكليزي - عالم فلكي ، اكتشف «انحراف الضوء ».
* ليناوس - (١٧٠٧ - ١٧٧٨) - سويدي عالم نباتي مؤسس علم النبات الحديث النظامي .
* الكونت دو بوفون - (١٧٠٧ - ١٧٨٨) - فرنسي - عالم طبيعي ، صاحب «التاريخ الطبيعي »، و «عصور الطبيعة » كانت له نظرات واسعة وخصبة ، فوضع في متناول الجمهور في عصره المعارف العلمية ، وقرر نظرية حول تكوين الكون وتطوره .
* جوزف بلاك - (١٧٢٨ - ١٧٩٩) - اسكتلندي - الكيميائي وطبيب ، اكتشف ثاني أوكسيد الكربون أو الفحم .
* سبالنتزاني - (١٧٢٩ - ١٧٩٩) - ايطالي - عالم بيولوجي ، ندين له باعمال قيمة حول الدورة الدموية ، والهضم ، والتناسل ، والحيوانات الصغيرة جداً التي لا ترى الا بالمجهر .
* هنري كافنديش - (١٧٣١ - ١٨١٠) - انكليزي - فيزيائي الكيميائي، اهتم بالابحاث الاولى حول الحرارة . حلل الهواء ، واكتشف تركيب الماء ، وعرف بخصائص الهيدوجين ، وعين ثقل الكرة الارضية النوعي .
* دجوزف بريستلي - (١٧٣٣ - ١٨٠٤) - انكليزي - كيميائي ، اكتشف قوة الاوكسجين في المساعدة على الاحتراق .
* جوزف لاغرانج - (١٧٣٦ - ١٨١٣) - فرنسي - عالم رياضي وفلكي ، اسهم كثيرا في الابحاث عن طبيعة الصوت ، وكان ذا تاثير كبير في الحث على استعمال النظام العشري .
* السر وليام هيرشل - (١٧٣٨ - ١٨٢٢) - انكليزي - فلكي ، من رواد دراسة النجوم في الفضاء . اكتشف الكوكب السيار أورانوس وما يدور

في فلكـه من سيـارات ، ثم اكـتشـف السيـارات التي تـدور في فـلك الكـوكب زُحل . وضـع قائمـة بالنجـوم . اما ابنـه السر دجون هيـرشـل (١٧٩٢ ـ ١٨٧١) فقـد ابتكر التحليـل الطيفي ، واكتشف الاشعـاعـات تحت الاشعة الحمراء .

* ادموند كارترايت ـ (١٧٤٣ ـ ١٨٢٣) ـ انكليزي ـ مخترع آلة حياكة الاقمشة وغـزل الـصـوف .

* انطوان لوران لافـوازييه ـ (١٧٤٣ ـ ١٧٩٤) فـرنسي ـ كيميائي ، وأحـد مؤسسي علم الكيميـاء الحـديث . لـه نـدين بمجمـوعـة الاصـطلاحـات الكيميـائيـة ، ومعـرفـة تـركيب الهـواء ، واكتشـاف دور الأوكسجـين في الاحتـراق ، وشرح قـانون استمـرار الأجسام . وفي حقـل الفيـزيـاء قـام بالقياسات الحرارية الاولى .

* جان ـ باتيست لامـارك ـ (١٧٤٤ ـ ١٨٢٩) ـ فرنسي ـ عـالم بالـطبيعيات . عـرف بكتاب عن «النبـاتات الفـرنسية »، ونشر «المـوسوعـة النباتية » «تفـاسير الانـواع » . وهو بكتـابيـه «الفلسفـة الحيـوانيـة » ، و «تـاريـخ الحيـوانات الـلافقاريـات » يبدو أنـه مؤسس هاتـين النظريتـين : التناسـل الذاتي ، والتحول ، اللتين تناولهما بالبحث والدرس تشارلز داروين .

* المـركيز دو لابـلاس ـ (١٧٤٩ ـ ١٨٢٧) ـ فرنسي ـ عـالم رياضي وفيزيائي وفلكي ، لـه اعمـال عـدة حـول حـركـة القمـر ، والمشتـري ، وزحـل ، درس المـذنبـات ، والمـد والجـزر في المحيـطات . ولكنـه مشهـور بنـوع خـاص باختراعه النظام المختص بعلم نواميس العـالم العامـة الذي يحمـل اسمـه . وفي حقـل الفيـزيـاء اصـدر القـوانـين الابتـدائيـة للمغنـطيسيـة الكهربائية .

* نيقـولا آبيـر ـ (١٧٥٠ ـ ١٨٤١) ـ فـرنسي ـ مكتـشف طـريـقـة حفظ المأكولات على اختلافها في العلب .

* فـريدريـك شارل آشار ـ (١٧٥٣ ـ ١٨٢١) ـ الماني ـ كيميائي ، هو اول من نجح في استخراج السكر من الشمندر .

* بنيامين طومسون - (١٧٥٣ - ١٨١٤) - أميركي - عالم قام بتجارب بالبارود ، وحسّن وسائل التدفئة ، والتنوير ، والطبخ . وهو من المخترعين العمليين الكبار ، يعود اليه الفضل في اختراع المدفاة الحديثة .
* نيقولا جاك كونته - (١٧٥٥ - ١٨٠٥) - فرنسي - كيميائي ، من مؤسسي معهد الصنائع والفنون الجميلة ، ومن مخترعي القلم الرصاص .
* فرنسوى جوزف غال (١٧٥٨ - ١٨٢٨) - الماني - طبيب ، مكتشف النظرية التي تتيح معرفة شخصية الانسان وقواه العقلية من تركيب جمجمته ، وقد اصبحت اليوم نظرية بالية .
* وليام ولاستون - (١٧٦٦ - ١٨٢٨) - انكليزي - اكتشف البلاديوم والراديوم ، وادخل تحسينات على عمود فولتا الكهربائي .
* دجون دالتون - (١٧٦٦ - ١٨٤٤) - انكليزي - عالم احيى النظرية الذرية ، وقدم أبحاثاً ضخمة في حقل الاحوال الجوية .
* جورج ليوبولد كوفييه - (١٧٦٩ - ١٨٣٢) - فرنسي - عالم حيواني وجيولوجي ، اسس علمي التشريح المقارن ، وعلم الحفريات (البليانتولوجيا) .
* الكسندر همبولت - (١٧٦٩ - ١٨٥٩) - الماني - عالم طبيعي ورحالة مستكشف ، صاحب المؤلف الشهير «كوزموس » أو وصف طبيعي للعالم . قام برحلتين طويلتين إلى أميركا وآسيا .
* زافييه بيشا - (١٧٧١ - ١٨٠٢) - فرنسي - عالم في التشريح والفيزيولوجيا ، درس الانسجة ، وضع اساس علم الانسجة الحديث .
* ألويس سينيفيلدر - (١٧٧٢ - ١٨٣٤) - تشيكوسلوفاكي - مخترع الطباعة الحجرية سنة ١٧٩٦ .
* توماس يونغ - (١٧٧٣ - ١٨٢٩) - انكليزي - فيزيائي وطبيب ، اوجد المبدأ الطبيعي الحديث للطاقة ، وكان ثقة في طبيعة الرؤية .

* اندرية ماري امبير - (١٧٧٥ - ١٨٣٥) - فرنسي - عالم فيزيائي ورياضي ، اكتشف التيار الكهربائي في السلب والايجاب ، واصول فن اللاسلكي الكهربائي . •٥

* آميديو أفوغادرو - (١٧٧٦ - ١٨٥٦) - ايطالي - عالم فيزيائي ، صاحب النظرية في الذرات الغازية .

* همفري دايفي - (١٧٧٨ - ١٨٢٩) - انكليزي - كيميائي ، مخترع المصباح الخاص الذي يستعمله عمال المناجم في اثناء عملهم دون ان يتعرضوا لخطر انفجار الغازات بسبب الحرارة التي تنبعث من المصابيح العادية .

* ليوبولدو نوبيلي - (١٧٨٤ - ١٨٣٥) - ايطالي - فيزيائي ، اخترع عمود الحرارةالكهربائي ، ومقياس القوة الكهربائية .

* فرنسوى آراغو - (١٧٨٦ - ١٨٥٣) - فرنسي - عالم فلكي وفيزيائي ، وضع قوانين انعكاس النور وسرعة انتشار الصوت .

* جوزف كافنتو - (١٧٩٥ - ١٨٧٧) - فرنسي - جنرال وعالم ، ساهم كثيرا في حقل الميكانيكا التجريبية ، واخترع جهازاً لدراسة قانون سقوط الاجسام .

* نيقولا ليونار سادي كارنو - (١٧٩٦ - ١٨٣٢) - فرنسي - فيزيائي ، من مؤسسي علم القوة الحرارية الحديث .

* ادولف كوتليه - (١٧٩٦ - ١٨٧٤) - بلجيكي - عالم احصائي وفلكي ، كان في عداد الاوائل الذين طبقوا الاحصاءات على المشاكل الاجتماعية .

* هنري بيسمير - (١٨١٣ - ١٨٩٨) - انكليزي - اخترع الاسلوب المعروف باسمه لتحويل الحديد الصلب إلى فولاذ .

* دجون كاوتش آدامز - (١٨١٩ - ١٨٩٢) - انكليزي - رياضي ، وفلكي ، يشاطر العالم الفرنسي لوفيرييه (١٨١١ - ١٨٧٧) الفضل في اكتشاف الكوكب نبتون سنة ١٨٤٦ .

* رودولف يـوليـوس إمـانـويـل كلوزيـوس ـ (١٨٢٢ ـ ١٨٨٨) ـ المـاني ـ فيزيائي ورياضي ، رائد في علم القوة الحرارية .

* صمـويـل بيـربونـت لانغـلي ـ (١٨٣٤ ـ ١٩٠٦) ـ اميـركي ـ عـالم فلكي وفيـزيائي ، درس الـظواهـر الشمسية، وكـان رائـداً من رواد الـطيـران . اختـرع جهاز «البـولوميـتر» (المحر الـطيفي أو الاشعـاعي)وسنـة ١٨٩٦ صنـع طائـرة تسيـر بقـوة البخـار ، طـارت مسـافـة ٤٢٠٠ قـدم فـوق نهر بـوتومـاك ، ولكنهالم تحمـل اي ربان . وكـان اول من قدم شـرحا ضافـياً واضحـاً ، يعززه الاختبـار ، حـول الـطريقـة التي تستـطيـع بهـا الـطيـور التحليق دونما حركة تذكر من اجنحتها .

* لويس دوكو دوهـورون ـ (١٨٣٧ ـ ١٩٢٠) ـ فرنسي ـ فيـزيائي ، هـو اول من استنبط التصوير السينمائي بالالوان الطبيعية (التكنيكولور) .

* دجـيـــمس ديـوار (١٨٤٢ ـ ١٩٢٣) انكليـزي ـ كيميـائي وفيـزيـائي ، اشتهر بعمله حول خصائص المادة تحت تـأثير الحـرارات الدنيـا ، وتحويـل الغازات إلى سوائل .

* شـارل لـويـز الفـونس لافيـران ـ (١٨٤٥ ـ ١٩٢٢) ـ فـرنسي ـ طبيب ، اكتشف الجرثومة التي تسبب داء الملاريا .

* آرثر شوسـتر ـ (١٨٥١ ـ ١٩٣٤) ـ انكليزي ـ فيـزيائي ، اشتهـر بعمله في حقل التحليل الطيفي لاظهار الاشعة المنبعثة من الاجرام السماوية .

* اميـل رو ـ (١٨٥٣ ـ ١٩٣٣) ـ فرنسي ـ تلميـذ باستـور ، مبتكـر طـريقـة معالجة داء الخانوق (الـدفتيريـا) بمصل الحصـان . صاحب مؤلفـات عن السموم .

* اميـــل ادولـف فـــون بيــرنــغ ـ (١٨٥٤ ـ ١٩١٧) ـ المـاني ـ طـبيـب وبكتريولوجي ، احد مؤسسي المعالجة بـالمصل .حائز جائزة نـوبل في الطب لسنة ١٩٠١ .

* هـاينريش هيـرتس - (١٨٥٧ - ١٨٩٤) - الماني - عـالم فيـزيـائي ، اكتشف الموجات الكهـربائيـة المسماة «الهـرتسية » ، كـما اكتشف معلولية التصـوير الكهربائي .

* السر رونـالـد روس - (١٨٥٧ - ١٩٣٢) - انكليـزي - طبيب ، اتـاحت بحـوثه حـول الملاريـا تحقيق الحمايـة ، او الوقـاية من الامـراض . حائـز جائزة نوبل في الطب سنة ١٩٠٢ .

ماكس بلانـك - (١٨٥٨ - ١٩٤٧) - الماني - عـالم فيزيـائي . حائـز جائـزة نوبل في الفيزياء سنة ١٩١٨ ، صاحب نظرية الكم .

آرثـر ستـانـلي ادنغتـون - (١٨٨٢ - ١٩٤٤) - انكليـزي - فلكي ، اسهم مساهمة كبرى في معرفة النجوم .

نيلز بور - (١٨٨٥ - ١٩٦٢) دانمركي - عـالم فيزيـائي ، حاز سنـة ١٩٢٢ جائزة نوبل في الفيزياء ، على نظريته حول تركيب الذرة .

***

أشهر الاختراعات والاكتشافات

التاريخ	الاختراع أو الاكتشاف	المخترع	الجنسية
قبل الميلاد			
حوالى ٣٤٠٠	المثقاب	غير معروف	مصري
حوالى ٣٠٠٠	دولاب الخزاف (الفاخورة)	غير معروف	مصري
حوالى ٣٠٠٠	استعمال الحجارة من الصخر الكلسي للبناء، وأول بناء من حجر شيده الإنسان. وبعد قرن من الزمن شرع مهندسو فرعون مصر في بناء هرم الجيزة الكبير (٢٩٠٠ ق. م.) وكانوا قبل ذلك يبنون قبور ملوكهم بالطوب المجفف بالشمس.	امنحوتب - مهندس معماري وفيلسوف وطبيب امتدت شهرته امدا طويلا بعد موته لأنه كان ذكيا وحكيما، وقد الهه الاغريق والمصريون المتأخرون ودعوه آله الطب (ويعرف كذلك بلقب هرمس الهرامسة أو الهرمس الاكبر). وكان بحق ليوناردو دافنتشي مصر القديمة.	مصري
حوالى ١٩٠٠	الابجدية (اختراع فينيقي) أول ما ظهرت الابجدية في «سرايت القدم» في صحراء سيناء على جدران		

مناجم النحاس فيها ،
وتدعى الابجدية السينائية
وفي سنة ١٣٧٥ قبل الميلاد
نقشت الابجديةعلى ناووس
حيرام ملك جبيل ، وهي
مؤلفة من ٢٢ حرفا
صحيحا، وكانت تكتب
من اليمن إلى اليسار .
أما العالم الاثري الفرنسي
المعاصر موريس دونان الخبير
بالآثار الفينيقية فقد وجد
حجرا كلسيا في قلعة جبيل
محفور عليه خمسة أسطر تشير
إلى بناء سور اقامه شافاط
بعل ابن ايلي بعل ابن يحي
ملك ، وهو يرجعها إلى
القرن السابع عشر قبل
الميلاد .
ومن الصناعات الرئيسية
التي فاق بها الفينيقيون
معاصريهم ، وسبقوهم في
الكثير منها: نفخ الزجاج،
وحياكة الأنسجة ، وصباغ
الارجوان ، وشغل المعادن
على اختلاف أنواعها من

	حديد، ونحاس، وبرونز، وفضة، وذهب، وكهرمان، وصناعة الرياش (الموبيليا)، وصياغة الحلى (الانسايكلوبيديا بريتانيكا)		
حوالى ١٥٠٠	الساعة المائية	غير معروف	مصري
حوالى ٤٠٠	المجنيق والقوس	غير معروف	يوناني
حوالى ٢٧٥	الارغن المائي	ستيسيبيوس	يوناني
حوالى ٢٥٠	المضخة الدافعة	فيلو البيزنطي	يوناني
حوالى ٢٥٠	معصرة العنب والزيتون	غير معروف	يوناني
حوالى ١٦١	المزولة (قياس الزوايا)	هيبارخس	مصري
حوالى ١٥٠	الناعورة	غير معروف	سوري
قبل ١٠٠	النول	غير معروف	
	بعد الميلاد		
سنة ٦٥	جهاز قياس سرعة الدولاب، وجهاز خاص بالوحدة الكشفية	هيرو الاسكندري	روماني
١٥٠	نول ذو الحبال أو الاسلاك الأربعة أو أكثر	غير معروف	سوري
٨٠٠	طواحين الهواء	غير معروف	فارسي
١٢٧٢	تسوية خيوط الحرير	غير معروف	إيطالي
١٣٣٥	الساعة الميكانيكية	غير معروف	إيطالي

التاريخ	الاختراع أو الاكتشاف	المخترع	الجنسية
قبل ١٤٨٠	المغزل	غير معروف	إيطالي ؟
حوالى ١٤٩٦	المبرد	ليونارود دافنتشي	ايطالي
حوالى ١٤٩٦	المغزل الآلي	ليوناردو دافنتشي	ايطالي
حوالى ١٤٩٦	قوالب سك العملة	ليوناردو دافنتشي	ايطالي
حوالى ١٤٩٦	المجوب أو خراقة المعادن	ليوناردو دافنتشي	ايطالي
١٥٦-١٦٥٣	الكهرباء والمغنطيس	وليم غلبرت	انكليزي
١٥٨١	الرقاص (الثقل المتذبذب)	غاليليو	ايطالي
١٥٨٩	آلة الحياكة	وليم لي	انكليزي
١٥٩٠	المجهر المضاعف الميكروسوكوب	زكرياس يانسن	هولندي
١٥٩٣	ميزان الحرارة	غاليليو	ايطالي
١٦٠٨	التلسكوب	ليدشي	هولندي
١٦٠٩	التلسكوب الكاسر	غاليليو	ايطالي
١٦٢٢	استخدام البخار	دايفد رمزي	انكليزي
١٦٣٠	تلسكوب كبلر الفلكي	كريستوفر شرينـر	الماني
١٦٣٦	آلة قياس الجزئيات	ويليام غاسكوين	انكليزي
١٦٤٢	آلة الجمع	تبيز باسكال	فرنسي
١٦٤٣	البارومتر (ميزان ضغط الهواء)	تورتيشلي	ايطالي
١٦٤٨	حامض النتريك	غلاوبر	الماني
١٦٥٧	رقاص الساعة	هانغنز	هولندي
١٦٦٨	التلسكوب العاكس	السر اسحق نيوتن	انكليزي
١٦٦٩	الفوسفور	هينغ برانت	الماني
١٦٧١	آلة الضرب	لايمنتس	الماني

التاريخ	الاختراع أو الاكتشاف	المخترع	التـاريخ
١٦٨١	جهاز لتخزين الكهرباء	أوتو فون غوريك	الماني
١٦٩٠	أول آلة على البخار ببستون	دنيس بابان	فرنسي
١٦٩٦	أكتشاف الفرق بين الموصلات والعازلات الكهربائية	ستيفن غراي	انكليزي
١٦٩٨	أول تطبيق عملي لقوة البخار لغايات ميكانيكية	توماس سانفري	انكليزي
١٧٠٠	مركبة ذات ثلاثة دواليب تتحرك بالبخار	ريشار كونيو	فرنسي
١٧٠٥	أول محرك بخاري على الضغط الجوي	توماس نيكومن	انكليزي
١٧٠٨	أول من احدث شرارة كهربائية	الدكتور جين وول	انكليزي
١٧٠٩	الفرن الحديدي الذي يعمل بالفحم الحجري	أبراهام داربي	انكليزي
١٧٠٩	البيانو	بارتولوميو كريستوفوري	ايطالي
١٧١٤	الالة الكاتبة	هنري ميل	انكليزي
١٧١٤	أول استعمال للزئبق في ميزان الحرارة	فارنهايت	الماني
١٧١٧	جرس الغواصين	ادموند هولي	انكليزي
١٧١٨	مقياس الكهرباء	دجون كانتور	انكليزي
١٧٢٥	الطباعة السبكية (الصب)	وليام جت	انكليزي
١٧٢٩	أول أشارة كهربائية ترسل بواسطة سلك	ستيفن غراي	انكليزي
١٧٣٣	المكوك (آلة الحائك)	دجون كاي	انكليزي

التاريخ	الاختـراع أو الاكتشـاف	المختـرع	الجنسيـة
١٧٣٣	أول من اكتشف أن الكهرباء على نوعين: ايجابي وسلبي	شارل دو سيسترن دو فاي	فرنسي
١٧٤٦	جرة أو وعاء لايدن (لتجمع الكهرباء)	دجون بيفيس	انكليزي
١٧٤٩	مقياس الوقت البحري	دجون هاريسون	انكليزي
١٧٥٢	قضيب الصاعقة	بنيامين فرنكلين	اميركي
١٧٥٤	مقياس قطر دائرة الاجرام السماوية (هليمومتر)	دجون دولوند	انكليزي
١٧٥٦	الاسمنت المائي	دجون سميتون	انكليزي
١٧٥٨	العدسة الاكروماتية أو الماصحة	دجون دولوند	انكليزي
١٧٥٨	الزجاج المحدب غير الملون	دجون دولوند	انكليزي
١٧٦٣	أول مركبة يديرها محرك	جوزف كونيو	فرنسي
١٧٦٤	المغزل ذو الوشائع	دجيمس هارغريفز	اميركي
١٧٧٦	طوربيد الغواصات	بوشنل	اميركي
١٧٨٠	ريشة الكتابة الفولاذية	صموئيل هاريسون	انكليزي
١٧٨٠	النظارة ذات البعدين للقراءة والبعد	بنيامين فرنكلين	اميركي
١٧٨٣	المنطاد	الاخوان مونغولفييه	فرنسيان
١٧٨٤	الطباعة النافرة للعميان	فالنتان هووي	فرنسي
١٧٨٥	مظلة الهبوط (الباراشوت)	فرنسوى بلانشار	فرنسي
١٧٨٦	آلة دراسة الحبوب	اندرو مايكل	اسكتلندي
١٧٨٦	آلة المسامير	حزقيال زيد	اميركي

التاريخ	الاختراع أو الاكتشاف	المخترع	الجنسية
١٧٨٦	أول تجربة للزورق البخاري في اميركا	دجون فتش	اميركي
١٧٨٧	أول مركبة تسير بمحرك في اميركا	أوليفر ايفانز	اميركي
١٧٩٠	آلة للطباعة على القماش	ويليام نكلسون	انكليزي
١٧٩٠	آلة للخياطة هي أصل آلة آلة الخياطة الحالية	توماس سنت	اميركي
١٧٩٠	الصودا (من الملح)	نيقولا لوبلان	فرنسي
١٧٩٢	غاز الاستصباح	ولـيام مردوك من أصل	اميركي اسكتلندي
١٧٩٧	آلة الحلج	هويتمور	اميركي
١٧٩٧	آلة تمشيط الصوف أو غيره	هويتمور	اميركي
١٧٩٧	آلة صنع الورق	روبير	فرنسي
١٧٩٨	مسحوق التبييض	تينانت	انكليزي
١٨٠٠	التخدير (اكتشاف مفعول أوكسيد الازوت لدى التنشق)	السر همفري دايفي	انكليزي
١٨٠٠	البطارية الكهربائية	فولتا	ايطالي
١٨٠٢	اختبارات فوتوغرافية	توماس ودجوود والسر همفري دايفي	انكليزيان
١٨٠٤	الصاروخ	السر ولـيام كونغريف	انكليزي
١٨٠٤	القاطرة البخارية التي تسير على الخط الحديدي	رتشارد تريفيتك	انكليزي

التاريخ	الاختراع أو الاكتشاف	المخترع	الجنسية
١٨٠٥	طريقة الطلاء أو التلبيس بالكهرباء	لويجي برونياتللي	ايطالي
١٨١٧	المنظرة	بروستر	انكليزي
١٨١٩	المسماع (سماع الطبيب)	لينيك	فرنسي
١٨٢٠	الكينا	بيلتييه وكافنتو	فرنسيان
١٨٢٠	مقياس الرطوبة الجوية	دجون دانييل	انكليزي
١٨٢٠	الالة الحاسبة	تشارلز بابيدج	انكليزي
١٨٢٢	الطباعة المتعددة الالوان	بيتر فورس	اميركي
١٨٢٧	عود الثقاب بالاحتكاك	دجون ووكر	انكليزي
١٨٢٩	أول آلة كاتبة اميركية	برت	اميركي
١٨٢٩	الطباعة بطريقة براي للعميان	لويس براي	فرنسي
١٨٣٠	آلة الخياطة	برتيليمي نيمونييه	فرنسي
١٨٣١	الكلوروفورم	صموئيل غثري	اسكلتندي
١٨٣١	الحاصدة	ماننغ	اميركي
١٨٣٥	المسدس	كولت	اميركي
١٨٣٦	عود الثقاب	فيليبس	اميركي
١٨٣٨	المنظار	هويتستون	انكليزي
١٨٣٩	التصوير الفوتوغرافي	داغير ونييس	فرنسيان
١٨٣٩	أول زورق كهربائي	ياكوبي	الماني
١٨٤٢	الايتر (كمخدر)	لونغ	اميركي
١٨٤٢	الدراجة	ماكميلان	اسكتلندي
١٨٤٤	المطاط الصناعي (الكاوتشوك)	شارلز غوديير	اميركي
١٨٤٥	الاطار المنفوخ بالهواء	روبرت طومسون	انكليزي
١٨٤٧	آلة الطباعة الروتاتيف	رتشارد هو	اميركي

التاريخ	الاختراع أو الاكتشاف	المخترع	الجنسية
١٨٤٧	النيتروغليسيرين	اسكانيو صوبيرو	ايطالي
١٨٤٨	الاسمنت	دجونسون	انكليزي
١٨٤٩	الدبوس	هنت	اميركي
١٨٥١	آلة التبريد	دجون غوري	اميركي
١٨٥١	القطار الحديدي	فايل	اميركي
١٨٥١	المنظار العيني	هرمان فون هلمهولتس	الماني
١٨٥٢	المصعد الكهربائي بالفرامل	اوتس	اميركي
١٨٥٢	الجيروسكوب	فوكانتا	فرنسي
١٨٥٣	الحليب المجفف (البودرة)	غيل بوردن	اميركي
١٨٥٥	عود الثقاب بالفوسفور (المعروف اليوم)	لوندستروم	سويدي
١٨٥٧	آلة خياط الاحذية	ماك كاي	فرنسي
١٨٥٨	البراد	فردينان كاريه	اميركي
١٨٦٠	البارود بلا دخان	فريدريك ولتون	اميركي
١٨٦٠	اللينوليوم	بيتشينوني	ايطالي
١٨٦١	الدينامو (التيار المتواصل)	غاتلنغ	انكليزي
١٨٦١	الرشاش	سيلرز	اميركي
١٨٦١	جهاز عرض الافلام	السر وليام سيمنز	انكليزي من اصل الماني
١٨٦٢	الفرن الكهربائي	يوهان شولتس	بروسي
١٨٦٤	الآلة الكاتبة	ميترهوفر	نمسوي
١٨٦٥	الدراجة	بيير لالمان	فرنسي
١٨٦٦	الطوربيد ذو الاندفاع الذاتي	روبرت هوايتهد	انكليزي

التاريخ	الاختراع أو الاكتشاف	المخترع	الجنسية
١٨٦٩	التطهير (في الجراحة)	السر جوزف ليستر	انكليزي
١٨٦٩	الجدول الدوري (كيمياء)	ديمتري مندليف	روسي
١٨٧٠	السيلولويد	هايات	اميركي
١٨٧٤	الاسلاك الشائكة	غيدن	اميركي
١٨٧٥	النور الكاشف الكهربائي	هنري وايلد	انكليزي
١٨٧٧	طائرة بلا محرك	أوتو ليلينتال	الماني
١٨٧٧	الميكروفون	برليبر	اميركي
١٨٧٧	الفونوغراف	اديسون	اميركي
١٨٧٩	آلة تسجيل النقد	ريتي	اميركي
١٨٨١	التصوير الفوتوغرافي الملون	فريدريك آيفز	اميركي
١٨٨٤	الدراجة الحديثة	كارل بنز	الماني
١٨٨٤	قلم الحبر	وترمن	اميركي
١٨٨٤	عقار انتيبايرين المضاد للحمى	دال	الماني
١٨٨٤	الورق من لحاء الخشب	لودفيغ كنور	اميركي
١٨٨٤	افلام التصوير	ويليام ووكر	اميركي
١٨٨٤	الحرير الصناعي	الكونت دو شاردونه	فرنسي
١٨٨٥	الحاكي الغراموفون وجهاز الاملاء والتسجيل معا (الدكتافون)	تشارلز تينتر	اميركي
١٨٨٥	المحول الكهربائي	ويليام ستانلي	انكليزي
١٨٨٥	الدر جه النارية (الموتوسيكل)	غوتليب ديملر	الماني
١٨٨٥	الالومنيوم	هول	اميركي
١٨٨٥	اللينوتيب (للطباعة)	مرغنثالر	اميركي

التاريخ	الاختراع أو الاكتشاف	المخترع	الجنسية
١٨٨٧	محرك ديملر للسيارات	غوتليب ديملر	الماني
١٨٨٧	المونوتيب (للطباعة)	تالبرت لانستون	اميركي
١٨٨٧	الاسطوانة	برليز	اميركي
١٨٨٨	الاطار المنفوخ بالهواء	دجون دنلوب	ايرلندي
١٨٨٨	آلة التصوير	ايستمان وووكر	اميركيان
١٨٨٩	الرايون	دو شاردونه	فرنسي
١٨٩٢	الزجاج المسلح	فرانك شومان	اميركي
١٨٩٢	مادة كيماوية لعلاج بعض النسج والورق الشفيف (فسكوز)	رتشاردفريدريك‌كروس	انكليزي
١٨٩٢	الزجاجة المفرغة من الهواء	دجيمس ديوار	انكليزي
١٨٩٣	محرك ديزل	ديزل	الماني
١٨٩٧	الالكترون	السر دجوزف طومسون	انكليزي
١٩٠٠	الجرار	ب. هولت	اميركي
١٩٠٠	السيلوفان	براندنبرجيه	فرنسي
١٩٠٠	الغواصة	هولاند	اميركي
١٩٠٣	قنبلة الاعماق	أونجه	اسوجي
١٩٠٤	الانبوب الالكتروني	السر دجون فليمنغ	انكليزي
١٩٠٤	ارسال الصور لاسلكيا	آرتور كورن	الماني
١٩٠٧	الباكيليت	بيكلاند	اميركي
١٩٠٩	كاتم الصوت في المسدس	حيرام مكسيم	اميركي
١٩١١	تكييف الهواء	ويليس كاريير	اميركي
١٩١١	الزورق السريع ذو المحرك	غلين كيرتس	اميركي
١٩١٢	الانبوب المفرغ (اوديون)	لي دي فوريست	اميركي

التاريخ	الاختراع أو الاكتشاف	المخترع	الجنسية
	الطائرة البحرية	غلين كيرتس	اميركي
	اداة كهربائية تمكن العميان من قراءة الحروف المطبوعة	ادموند فورنييه (أوبتوفون)	انكليزي
١٩١٤	الدبابة الحربية	السر ارنست سوينتن	انكليزي
١٩١٧	كاشف الغواصات	ماكس ميسون	اميركي
١٩١٨	البندقية الاوتوماتيكية	ج. ن. براوننغ	اميركي
١٩١٩	الانسولين	السر فريدريك بانتنغ	انكليزي
١٩٢٢	الرادار	تايلور ويونغ	اميركيان
١٩٢٢	البروتون	ارنست روذرفورد	انكليزي
١٩٢٥	التلفزيون	بيرد	اسكتلندي
١٩٢٨	اوتوغير ـ الاجنحة الدوارة ـ وهي جهاز يساعد الطيار على التحليق والهبوط عموديا	خوان دو لا شييرفا	اسباني
١٩٣٠	المطاط (نيوبرين)	والاس كاروذرز	اميركي
١٩٣٠	اكتشاف الهيدروجين الثقيل	هارولد يوري	اميركي
١٩٣١	سكلوترون ـ محطم الذرة وجهاز رحوي	ارنست لورنس	اميركي
١٩٣٧	النايلون	والاس كاروذرز	اميركي
١٩٣٧	الاندفاع النفاث	فرانك هويتل	انكليزي
١٩٣٩	الهيليكوبتر	ايغور سيكورسكي	اميركي
١٩٤٨	الترانزستور	دجون باردين وويليام شوكلي وولتر بارتين	اميركيون
١٩٥٢	السينما ذات الابعاد الثلاثة	وولر	اميركي
١٩٥٥	لقاح سالك ضد شلل الاطفال	دجوناس سولك	اميركي

أشهر الاستكشافات

البلاد أو المكان	الحدث	الرحالة أو المستكشف	التاريخ
		□ أفريقيا □	
سييراليون	زيارة	حنون ، البحار القرطاجي	حوالى ٢٥٠ ق . م
نهر الكونغو	اكتشاف منبعه	تشاو ، بحار برتغالي	حوالى ١٤٨٤ م
رأس الرجاء الصالح	الدوران حوله	برتولوميو دياز، بجار برتغالي	١٤٨٨
نهر غامبيا	استكشف	منغو بارك ، رحالة اسكتلندي	١٧٩٥
الصحراءالكبرى	عبرت	دنهام وكلابرتون، رحالتان انكليزيان	١٨٢٢ - ١٨٢٣
نهر زمبيزي	اكتشف	ليفنفستون، رحالة اسكتلندي	١٨٥١
السودان	استكشف	بارت ، رحالة الماني	١٨٥٢ - ١٨٥٥
شلالات فيكتوريا	اكتشفت	ليفنغستون	١٨٥٥
بحيرة تانجانيكا	اكتشفت	برتون وسبيك رحالتان انكليزيان	١٨٥٨
نهر الكونغو	اتباع معالمه	ستانلي، رحالة انكليزي	١٨٧٧

البلاد أو المكان	الحدث	الرحالة أو المستكشف	التاريخ
		□ آسيا □	
البنجاب ـ الهند	زيارة	الاسكندر ذو القرنين	٣٢٧ ق. م.
الصين	زيارة	ماركو بولو، بحار ايطالي	حوالى ١٢٧٢ م.
التيبيت	زيارة	أودوريك، راهب ايطالي	حوالى ١٣٢٥
جنوبي الصين	استكشف	كونتي ـ مغامر ايطالي	حوالى ١٤٤٠
الهند	زيارة بطريق رأس الرجاء الصالح	فاسكو دوغاما، بحار برتغالي	١٤٩٨
اليابان	زيارة	فرنسيس كزافييه الاسباني	١٥٤٩
شبه الجزيرة العربية	اسكتشف	نيبور، رحالة الماني	١٧٦٢
الصين	استكشفت	ريشتوفن، عالم الماني	١٨٦٨
منغوليا	استكشفت	بريجفالسكي، رحالة روسي	١٨٧٠ ـ ١٨٧٣
آسيا الوسطى	استكشفت	هيدين، عالم اسوجي	١٨٩٠ ـ ١٩٠٨
	◇	□ أوروبا □	
جزر شتلاند	زيارة	بيتياس ماسيليا (مرسيليا)	حوالى ٣٢٥ ق.م
الرأس الشمالي	الدوران	حولهأوتار، رحالة نروجي	حوالى ٨٧٠م.
اسلندا	استعمرت	نبلاء نروجيون	حوالى٨٩٠ـ ٩٠٠
		□ أميركا الشمالية □	
غرينلاند	استعمرت	اريك الاحمر، بحار نروجي	حوالى ٩٨٥ م.
لابرادور،نوفاسكوتيا	اكتشفت	ليف اريكسون، بحار أوروبي شمالي	١٠٠٠

البلاد أو المكان	الحدث	الرحالة أو المستكشف	التاريخ
الهند الغربية	اكتشفت	كريستوف كولومبس، بحار ايطالي	١٤٩٢
اميركا الشمالية	اكتشف الساحل	دجون كابوت، لحساب الانكليز	١٤٩٧
المحيط الباسيفيكي	اكتشف	بالبووى، رحالة اسباني	١٥١٣
فلوريدا	استكشفت	بونتشي دو ليون ،رحالةاسباني	١٥١٣
المكسيك	احتلت	كورتيز، مغامر اسباني	١٥١٩
نهر سانت لورانس	اكتشف	كارتييه، بحار فرنسي	١٥٣٤
جنوبي غربي الولايات المتحدة	استكشف	كورونادو، رحالة اسباني	١٥٤٠ ـ ١٥٤٢
نهر كولورادو	اكتشف	الاركون ، رحالة أسباني	١٥٤٠
نهر المسيسيبي	اكتشف	هرناندو دو سوتو ، اسباني	١٥٤١
خليج فروبيشر	اكتشف	فروبيشر، بحار انكليزي	١٥٧٦
ساحل ماين	استكشف	شامبلان، رحالة فرنسي	١٦٠٤
دجيمستون(فرجينيا)	تأسست	سميث، مستعمر انكليزي	١٦٠٧
نهر هدسون	استكشف	هدسون، بحار انكليزي	١٦٠٩
خليجهدسون(كندا)	اكتشف	هدسون	١٦١٠
خليج بافن	اكتشف	بافن، بحار انكليزي	١٦١٦
بحيرة متشيغان	ابحر فيها	نيكوله، رحالة فرنسي	١٦٣٤
نهر اركانزس	اكتشف	ماركيت وجولييه، فرنسيان	١٦٧٣
نهر المسيسيبي	استكشف	لاسال، رحالة فرنسي	١٦٨٢
مضيق بيرنغ	اكتشف	بيرنغ، رحالة هولندي	١٧٢٨
ساحل الاسكا	رؤي	كفوجديف، بحار روسي	١٧٣١

البلاد أو المكان	الحدث	الرحالة أو المستكشف	التاريخ
نهر ماكنزي ـ كندا	اكتشف	ماكنزي، رحالة اسكتلندي ـ كندي	١٧٨٩
الشمال الغربي للولايات المتحدة	استكشف	لويس وكلارك، انكليزيان	
الممر الشمالي الشرقي (المحيط المتجمد)	ابحر فيه	نوردانسكيولد ـ رحالة اسوجي	١٨٧٩
غرينلاند	استكشفت	بيري، رحالة اميركي	١٨٩٢
الممر الشمالي الغربي	ابحر فيه	اموندسن، رحالة نروجي	١٩٠٦
		□ أميركا الجنوبية □	
القارة	زيارة	كولومبس، بحار ايطالي	١٤٩٨
البرازيل	اكتشفت	كابرال، رحالة برتغالي	١٥٠٠
البيرو	احتلت	بيتزارو، رحالة اسباني	١٥٣٢ ـ ١٥٣٣
نهر الامازون	استكشف	أوريلانا، رحالة اسباني	١٥٤١
رأس هورن	استكشف	شوتن، بحار هولندي	١٦١٥
		□ أوقيانيا □	
غينيا الجديدة	زيارة	مينيزس، رحالة برتغالي	١٥٢٦
استراليا	زيارة	يانج، رحالة هولندي	١٦٠٦
تسمانيا	زيارة	تسمان، بحار هولندي	١٦٤٢
استراليا	استكشف	ستيرت، رحالة انكليزي	١٨٢٨
استراليا	استكشف	بيرك وولز رحالتاناستراليان	١٨٦١

البلاد أو المكان	الحدث	الرحالة أو المستكشف	التاريخ
□ القطب ، والمتجمد الجنوبي ، ومتفرقات □			
استكشف المحيط	حملة	سفن ماجيلان تدور حول الكرة الارضية	١٥١٩ - ١٥٢٢
سبتسبرغن - اقصى الشمال الأوروبي	زيارة	بارنتس، بحار هولندي	١٥٩٦
دائرة المحيط المتجمد الجنوبي	اجتيزت	كوك، بحار انكليزي	١٧٧٣
المحيط المتجمد الجنوبي	اكتشف	بالمر، رحالة اميركي، ويلنغشوزن، بحار روسي	١٨٢٠ - ١٨٢١
المحيط المتجمد الجنوبي		ويلكس، رحالة اميركي	١٨٤٠
القطب الشمالي	اكتشف	بيري، رحالة اميركي	١٩٠٩
القطب الجنوبي	اكتشف	اموندسن، رحالة نرويجي	١٩١١

الخالدون من الأدباء وروائعهم

يونانيون ولاتينيون

هيرودوتس	(٤٨٤ -؛٤٧٤ ق . م .) تاريخ الغزوة الفارسية لليونان لقبه أبو التاريخ
توسيديدس	(٤٨١ - ٤٠١ ق . م .) تاريخ حرب البيلوبونيز
زينوفون	(٤٣٠ - ٣٥٧ق.م.) مؤرخ - آناباسيس.
بلوتوس	(١٨٤ق.م.) روائي هزلي، أمفيترو.
تيرنس	(١٨٥ - ١٥٩ق.م.) روائي هزلي.
سينيكا	(٤ق.م. - ٦٥ب.م.) روائي وفيلسوف.

إيطاليون

جيوفاني بوكاتشيو	(١٣١٣ - ١٣٧٥)	قصصي - الديكاميرون - (كان شاعراً).
كارلو غولدوني	(١٧٠٧ - ١٧٩٣) -	روائي مسرحي - ترك ٤٤ مجلداً من المسرحيات.
ايطالو سفيفو	(١٨٦٤ - ١٩٢٨)	قصصي - ضمير زينون.
لويجي بيرانديللو	(١٨٦٧ - ١٩٣٦)	روائي مسرحي - ستة أشخاص يبحثون عن مؤلف،

ديليدا غراتسيا - (١٨٧٥ - ١٩٣٦) - روائي - بعد الطلاق، الأم.

روس

الكسندر غريبوييدوف - (١٧٩٥ - ١٨٢٩) - روائي مسرحي، مصيبة الذكي.

نيقولاي غوغول - (١٨٠٩ - ١٨٥٢) - قصصي وروائي مسرحي - أرواح ميتة، المفتش العام.

ميخائيل سالتيكوف - (١٨٢٦ - ١٨٨٩) - قصصي، أسرة غولوبوف.

ليونيد اندرييف - (١٨٧١ - ١٩١٩) قصصي وروائي مسرحي - السبعة الذين شُنقوا، هذا الذي يُصفع.

ميخائيل ارتزيباشيف - (١٨٧٨ - ١٩٢٧) - قصصي وروائي مسرحي - سانين.

الكسي تولستوي - (١٨٨٢ - ١٩٤٥) - قصصي وروائي مسرحي - بطرس الأكبر.

إسبان

لوبه دو فيغا - (١٥٦٢ - ١٦٣٥) - روائي مسرحي وشاعر - صاحب ٢٠٠٠ مسرحية، منها عقاب دون انتقام.

تيرسو دو مولينا - (١٥٧١ - ١٦٤٨) - روائي مسرحي - مفسد اشبيلية.

كالديرون دو لاباركا - (١٦٠٠ - ١٦٨١) - روائي مسرحي - الحياة حلم، الساحر صانع العجائب.

انطونيو دو سوليس - (١٦١٠ - ١٦٨٦) - مؤرخ وشاعر - تاريخ احتلال المكسيك.

غوستافو بيكر - (١٨٣٦ - ١٨٧٠) - قصصي وشاعر.
جوزيه ماريا دو بيريدا - (١٨٣٣ - ١٩٠٦) قصصي - طعم الأرض.
فنشنتي بلاسكو - (١٨٦٧ - ١٩٢٨) - قصصي - فرسان الرؤيا الأربعة.
ميغيل دو اونامونو - (١٨٦٤ - ١٩٣٦) - عالم - معنى الحياة الفاجع.
أراماندو بالاتشيو - (١٨٥٣ - ١٩٣٨) - قصصي - السلطة الرابعة.

فرنسيون

جان باتيست موليير - (١٦٢٢ - ١٦٧٣) - روائي، وشاعر هزلي - تارتوف، مدرسة النساء، البخيل، الطبيب رغماً عنه.
لاروشفوكو - (١٦١٣ - ١٦٨٠) - كتب في موضوع الآداب، وترك مذكرات.
بيير كورناي - (١٦٠٦ - ١٦٨٤) روائي وشاعر، ومن مؤسسي الثقافة الفرنسية في عصرها الذهبي - السيِّد، هوراس، سيِّنا.
ماريا دو لا فاييت (١٦٣٤ - ١٦٩٣) - قصصية - أميرة كليف.
مدام دو سيفينيه - (١٦٢٦ - ١٦٩٦) مجموعة رسائل.
جان باتيست راسين - (١٦٣٩ - ١٦٩٩) - روائي وشاعر - فيدر، اندروماك.
مادلين دو سكوديري - (١٦٠٧ - ١٧٠١) - قصصية - كليلين.
انطوان غالّان - (١٦٤٦ - ١٧١٥) - مستشرق - نقل إلى الفرنسية رواية «ألف ليلة وليلة».

آلان رينه لوساج - (١٦٦٨ - ١٧٤٧) - قصصي - جيل بلا.

مونتسكيو - (١٦٨٩ - ١٧٥٥) - كاتب سياسي - روح الشرائع.

الأب بريفو - (١٦٩٧ - ١٧٦٣) - قصصي - مانون ليسكو.

بيير بومارشه - (١٧٣٢ - ١٧٩٩) - روائي - حلاق اشبيلية، زواج فيغارو.

ركيف دو لابرتون - (١٧٣٤ - ١٨٠٦) - روائي - وضع ٣٠٣ كتب، أملى منها ١٥٢ كتاباً مباشرة على عمال المطبعة دون أن يخط بيده أي حرف منها.

برناردان دو سان بيير - (١٧٣٧ - ١٨١٤) - قصصي - بول وفرجيني.

ستاندال - (١٧٨٣ - ١٨٤٣) - روائي - الأحمر والأسود، لاشارتروز دو بارم.

شاتوبريان - (١٧٦٧ - ١٨٤٨) - قصصي - رينه، آتالا.

أوجين سو - (١٨٠٤ - ١٨٥٧) - روائي - اليهودي التائه، أسرار باريس.

ألكسي دو توكفيل - (١٨٠٥ - ١٨٥٩) - كاتب سياسي - الديمقراطية في أميركا.

تيوفيل غوتييه - (١٨١١ - ١٨٧٢) - قصصي وشاعر - مدموازيل دو موبان.

غوستاف فلوبير - (١٨٢١ - ١٨٨٠) - قصصي - مدام دو بوفاري، التربية العاطفية.

ايبوليت تين - (١٨٢٨ - ١٨٩٣) ناقد ومؤرخ - تاريخ الأدب الانكليزي.

الكسندر دوما - الابن - (١٨٢٤ - ١٨٩٥) - روائي وقصصي - غادة الكاميليا.

الأخوان غونكور - (١٨٢٢ - ١٨٩٦) - قصصيان - جرميني لاسيرتو، رينه موبيران.

الفونس دوده - (١٨٤٠ - ١٨٩٧) - قصصي - الشيء الصغير، صافو، ترتاران دو تاراسكون.

مارسيل بروست - (١٨٧١ - ١٩٢٢) - قصصي - تذكّر الأشياء الماضية.

بيير لوتي - (١٨٥٠ - ١٩٢٣) - قصصي - صياد ايسلندا، رحلة الى الشرق.

رومان رولان - (١٨٦٦ - ١٩٤٥) - قصصي ومؤرخ موسيقي - جان كريستوف، بتهوفن.

انكليز

دجيفري أوف‌موغوث - (١١٠٠ - ١١٥٤) - مؤرخ - تاريخ الملوك الانكليز.

توماس مالوري - (١٤٣٠ - ١٤٧٠) - قصصي - موت آرثر.

السر توماس مور - (١٤٧٨ - ١٥٣٥) - سياسي - المدينة الفاضلة.

كريستوفر مارلو - (١٥٦٤ - ١٥٩٣) - روائي وشاعر - الدكتور فاوستوس، تمبورلاين، يهودي مالطة، البطل وليناندر.

توماس ديكر - (١٥٧٠ - ١٦٤١) روائي مسرحي - عيد الاسكافي.

دجون بنيان - (١٦٢٨ - ١٦٨٨) - ناثر - سياحة مسيحي . قضى اثني عشر عاماً في السجن بسبب تعاليمه الدينية، فكان يصنع الدانتيلا لإعالة زوجته وأولاده الأربعة. وفي حين كانت يداه منهمكتين بصنع التخاريم كان رأسه يعج بالأفكار فوضع كتابه

المـذكـور الـذي ضـرب الـرقم القيـاسي في عـدد اللغـات التي نقـل إليهـا، بـاستـثنـاء الـكتـاب المقدس. . .

دجون درايدن	- (١٦٣١ - ١٧٠٠) - شاعر وروائي مسرحي وناقد - أبشالوم وأتشيتوفل.	
صمويـل بيبيز	- (١٦٣٣ - ١٧٠٣) - كاتب يوميات.	
وليـام كونغريف	- (١٦٧٠ - ١٧٢٩) - روائـي مسـرحـي - الحـب للحب، طريق العالم.	
دانيال ديفو	- (١٦٦١ - ١٧٣١) - قصصي - روبنصون كروزو.	
دجوناثان سويفت	- (١٦٦٧ - ١٧٤٥) - روائـي سـاخـر - رحـلات غاليفر.	
لورنس ستيرن	- (١٧١٣ - ١٧٦٨) - قصصي - تريسترام شاندي.	
فيليب تشسترفيلد	(١٦٩٤ - ١٧٧٣) - أديب وسيـاسي - رسـائـل إلى ابني.	
أوليفر غولدسميث	- (١٧٢٨ - ١٧٧٤) - قـصصي وشـاعـر وروائـي مسرحي - أسقف ويكفيلد، تنحني لتغزو.	
ادوارد غيبون	- (١٧٣٧ - ١٧٩٤) - مـؤرخ - سـقـوط وانهيـار الامبراطورية الرومانية.	
رتشارد شيريدان	- (١٧٥١ - ١٨١٦) - روائي مسـرحي - الاخصـام، مدرسة الفضيحة.	
تشارلز لام	- (١٧٧٥ - ١٨٣٤) - كـاتـب مقـالات - مقـالات ايليا، قصص من شكسبير.	
صمويـل كوليريدج	- (١٧٧٢ - ١٨٣٤) - نـاقد وشـاعر - البحّـار القديم، ترجمة الأدب.	
باري ادوارد اومارا	- (١٧٨٦ - ١٨٣٦) - كـان طبيب نـابـوليـون الخـاص	

في منفاه بجزيرة القديسة هيلانة، وهو صاحب المذكرات الشهيرة عن الامبراطور السجين، وتُعتبر أصدق ما كُتب عن نابوليون في أواخر أيامه.

توماس ماكولي - (١٨٠٠ - ١٨٥٩) - مؤرّخ - له كتاب «تاريخ بريطانيا» . من أشهر الذين عُرفوا بقوة الذاكرة على الاطلاق. كان يقرأ فصلاً كاملاً من أي كتاب ليتلوه كلمة كلمة، وقد وضع المؤلفات التاريخية القيّمة دون أن يعود إلى أي مراجع. ويذكر مترجموه أنه حفظ عن ظهر قلب ملحمة ملتون المشهورة «الفردوس المفقود» في ليلة واحدة ليكسب رهاناً.

وليام ثاكري - (١٨١١ - ١٨٦٣) - هنري إزموند، خيلاء لطيفة.

دجون ستيوارت مل - (١٨٠٦ - ١٨٧٣) - كاتب مقالات - الحزية، ترجمة حياته.

توماس كارلايل - (١٧٩٥ - ١٨٨١) - مؤرخ وبحّاثة - الماضي والحاضر، الثورة الفرنسية، عن الأبطال وعبادتهم.

ماثيو أرنولد - (١٨٢٢ - ١٨٨٨) - شاعر وبحّاثة - الثقافة والفوضى، الأدب والعقيدة.

روبرت لوي ستفينسون (١٨٥٠ - ١٨٩٤) - روائي - قضى آخر سني حياته سجيناً في جزيرة ساموى، مسقط رأسه . من أشهر رواياته جزيرة الكنز، الدكتور دجيكل ومستر هايد.

وليام موريس - (١٨٣٤ - ١٨٩٦) - كاتب مقالات وشاعر - أخبار من لا مكان.

دجون راسكن - (١٨١٩ - ١٩٠٠) - ناقد وكاتب مقالات - حجارة

فينيسيا، رسامون حديثون.

جورج ميريديث - (١٨٢٨ - ١٩١٩) - قصصي وشاعر - ديانا المفترق، مصيبة رتشارد فيفريل، الأناني.

كاثرين مانسفيلد - (١٨٩٠ - ١٩٢٣) - قصصية - مجموعة قصص قصيرة.

جوزف كونراد - (١٨٥٧ - ١٩٢٤) - قصصي وروائي - لورد جيم، إعصار. بولوني الأصل، لم يكن في استطاعته التلفّظ بأية كلمة انكليزية قبل الخامسة والعشرين من عمره...

السر آرثر كونان دويل - (١٨٥٩ - ١٩٣٠) - روائي بوليسي - مغامرات شرلوك هولمز.

دايفد هربرت لورنس - (١٨٨٥ - ١٩٣٠) - قصصي وروائي - عشيق اللايدي تشاترلي، أبناء وعشاق.

دجون غيلزورذي - (١٨٦٧ - ١٩٣٣) - قصصي وروائي مسرحي - كفاح، عدل. من الأدباء الذين وضعوا بعض نتاجهم الفكري في السجن.

غلبرت تشسترتون - (١٨٧٤ - ١٩٣٦) - قصصي وبحّاثة - الدجال الذي كان الخميس.

دجيمس باري - (١٨٦٠ - ١٩٣٧) - روائي وقصصي - كريكتون الرائع، ما تعرفه كل امرأة، بيتر بان، الوزير الصغير.

فرجينيا وولف - (١٨٨٢ - ١٩٤١) - قصصية - السيدة دالووي، إلى المنارة.

دجيمس دجويس - (١٨٨٢ - ١٩٤١) - قصصي - صورة الفنان وهو شاب، يوليسيس.

أميركيون

دجوناثان ادواردز - (١٧٠٣ - ١٧٥٨) - لاهـوتي - دراسة عن حـريـة الإرادة.

دجيمس فنيمور كوبر - (١٧٨٩ - ١٨٥١) - قصصي - الجـاسـوس، ذابـح الغزال، آخر الموهيكان.

واشنطن ايرفنغ - (١٧٨٣- ١٨٥٩) - مؤرخ - كتـاب اسكتشـات، تاريخ نيويورك.

هنري دايفد ثورو - (١٨١٧ - ١٨٦٢) - كـاتـب مـقـالات ومـفـكـر - وولدن.

ناثانيال هوثورن - (١٨٠٤ - ١٨٦٤) - قصصي - الـرسالـة القـرمـزيـة، المنزل ذو الطبقات السبع.

لويزا ماي ألكوت - (١٨٣٢ - ١٨٨٨) - قصصية - نساء صغيرات.

هرمان ملفيل - (١٨١٩ - ١٨٩١) - قصصي - موبي ديك.

ستيفن كراين - (١٨٧١ - ١٩٠٠) - قصصي - شارة الشجاعة.

فرانك نوريس - (١٨٧٠ - ١٩٠٢) - قصصي - الأخطبوط.

هنري دجيمس - (١٧٤٣ - ١٩١٦) - قـصصي - صـورة سـيـدة، الكأس الذهبية.

فرنون لويس بارنغتون - (١٨٧١ - ١٩٢٩) - نـاقـد - التيـارات الـرئيسيـة في الفكر الأميركي.

توماس وولف - (١٩٠٠ - ١٩٣٨) - قصصي - انـظر إلى الـوطن أيهـا الملاك، لا يمكنك العودة إلى الوطن.

شيروود أندرسون - (١٧٨٦ - ١٩٤١) - قصصي - واينـزبـرغ، اوهـايـو، انتصار البيضة.

ستيفن فنسنت بنيت - (١٨٩٨ - ١٩٤٣) - قصصي وشـاعـر - جسد - براون.

بوث تارنغتون - (١٨٦٩ - ١٩٤٦) - قصصية - بنرود وسام.

تشارلز بيرد - (١٨٧٤ - ١٩٤٨) - مؤرخ - نهضة الحضارة الأميركية.

أوروبيون مختلفون

ديزيديريوس ايرازمس - (١٤٦٥ - ١٥٣٦) - هولندي - بحاثة وساخر - في مديح الجنون، أحاديث.

هوغو غروشيوس - (١٥٨٣ - ١٦٤٥) - هولندي - مشترع، ولاهوتي، وشاعر - قوانين الحرب والسلام.

يوهان هردر - (١٧٤٤ - ١٨٠٣) - ألماني - فيلسوف وشاعر وناقد - آراء حول تاريخ البشرية.

هاينريش فون كلايست - (١٧٧٧ - ١٨١١) - ألماني - روائي وشاعر - مايكل كولهاس.

ارنست هوفمان - (١٧٧٦ - ١٨٢٢) - ألماني - قصصي - إكسير الشيطان.

فريدريك فون شليغل - (١٧٧٢ - ١٨٢٩) - ألماني - فيلسوف، وروائي، وناقد - لوسيند.

ادلبرت فون كاميسو - (١٧٨١ - ١٨٣٨) - ألماني - قصصي وشاعر - بيتر شليمل.

بيبرشتاين كازيمرسكي - (١٧٨٠ - ١٨٦٥) - بولوني - مستشرق، له معجم قيّم باللغتين العربية والفرنسية، نقل القرآن الكريم إلى الفرنسية.

فرانز غريلبارتزر - (١٧٩١ - ١٨٧٢) - ألماني - قصصي روائي - عازف الكمان الفقير.

هانس كريستيان أندرسن (١٨٠٥ - ١٨٧٥) - دانمركي - حكايات وأساطير.

غوتهولد ليسنغ - (١٧٢٩ - ١٧٨١) ألماني - روائي وناقد - مينا فون

بارنهلم، ناتان الحكيم، لاوكون.

غوتفريد كيلر - (١٨١٩ - ١٨٩٠) - سويسري - قصصي - هنري الأخضر.

تيودور مومسن - (١٨١٧ - ١٩٠٣) - ألماني - مؤرخ - التاريخ الروماني.

بيورنسن - (١٨٣٢ - ١٩١٠) - دانمركي - قصصي وروائي - الصبية، الصيادة، المفلس.

فريدريك شبيلهاغن - (١٨٢٩ - ١٩١١) - ألماني - قصصي - المطرقة والسندان.

هنريك سنكيفتش - (١٨٤٦ - ١٩١٦) - بولوني - روائي - كوفاديس.

فرانز فيديكند - (١٧٦٤ - ١٩١٨ (- ألماني - يقظة الربيع.

لويس كوبيروس - (١٨٦٣ - ١٩٢٣) - هولندي - قصصي - كتاب الأرواح الصغيرة.

فرانز كافكا -(١٨٨٣- ١٩٢٤) -ألماني - قصصي - المحاكمة، القلعة.

جورج براندیس - (١٨٤٢ - ١٩٢٧) - دانمركي - ناقد - التيارات الرئيسية في أدب القرن التاسع عشر.

ارتور شنيتسلر - (١٨٦٢ - ١٩٣١) - نمساوي - روائي وقصصي - اناتول، الجندي الظريف.

ياكوب فاسرمان - (١٨٧٣ - ١٩٣٤) -نمساوي - روائي - وهم العالم.

اوسوفالد شبنغلر - (١٨٨٠-١٩٣٦) ألماني -فيلسوف-الانهيار في الغرب.

ستيفان تسفايغ - (١٨٨١ - ١٩٤٢) - ألماني - قصصي وشاعر وكاتب تراجم - اختلافات، ماري- انطوانيت، ٢٤ ساعة في حياة امرأة.

فرانز فرفل - (١٨٩٠ - ١٩٤٥) - ألماني - قصصي وروائي - أغنية الماعز، أيام جحا الأربعون.

الخالدون من الشعراء وروائعهم

يونانيون

هيسيود	- (٧٣٥ق.م.) - عمل وأيام.
اسخيلوس	- (٥٢٥ - ٤٥٦ ق.م.) - في طليعة الشعراء، ابتكر المأساة فلُقّب عن جدارة بأبي الفن التمثيلي . من مسرحياته المترجيات، الفرس، بروميتيوس المقيّد بالسلاسل، اغاممنون.
بندار	- (٥٢٢ - ٤٤٣ق.م.) - ديوان غزلي.
يوريبيديس	- (٤٨٠ - ٤٠٧ق.م.) - ثالث من ذكره التاريخ من عظماء الشعراء الاغريق . من مسرحياته أندروماك، الطرواديات، الفينيقيات، إلكترا.
سوفوكليس	- (٤٩٥ - ٤٠٥ق.م.) - مسرحيتا انتيغونه وأوديب الملك.
أرسطوفانيس	- (٤٤٥ - ٣٨٦ق.م.) - شاعر وروائي مسرحي، يُعتبر أبا المسرحية الهزلية. كان يقدح برواياته (الغيوم، الزنابير، العصافير، ضفادع) رجال الدولة، والفلاسفة، والشعراء، والشعب. سخر من الجميع إلى أبعد الحدود فأمر القضاة في أثينا

بمنع تمثيل رواياته وهو حي يُرزق.

لاتينيون

فرنشيسكو بترارك - (١٣٠٤ - ١٣٧٤) - ديوان شعر ريفي.

أريوسطو لودوفيكو - (١٤٧٤ - ١٥٣٣) - أورلاندو فوريوسو.

لوزان أرتيموس - (القرن السادس عشر) - مؤلف القصص الشعرية ذات المغزى. نسج لافونتين الفرنسي على منوال بعضها.

تور كواتو طاسو -(١٥٤٤- ١٥٩٥) - انقاذ أورشليم، آمنتا.

فرنسيون

فرنسوى فيّون - (١٤٣١ - ١٤٦٣) - ديوان غزلي.

يواكيم دو بيليه - (١٥٢٤ - ١٥٦٠) - له فصول في النقد.

بيير دو رونسار - (١٥٢٤ - ١٥٨٥) - ديوان غزلي.

جان دو لافو نتين - (١٦٢١ - ١٦٩٥) - الحكايات المعروفة باسمه.

نيقولا بوالو - (١٦٣٦ - ١٧١١) - كان ناقداً، وله «فن الشعر».

ألفريد دو موسيه - (١٨١٠ - ١٨٥٧) - الليالي، لا مزاح في الحب.

الفونس دو لامارتين - (١٧٩٠ - ١٨٦٩) - التأملات.

بول فرلين - (١٨٤٤ - ١٨٩٦) - ديوان غزلي.

جان ارتور رانبو - (١٨٥٤ - ١٨٩١) - ديوان غزلي.

ستيفان مالارمه - (١٨٤٢ - ١٨٩٨) - ديوان شعر ريفي.

رينه سولي برودوم - (١٨٣٩ - ١٩٠٧) - ديوان غزلي.

فريدريك ميسترال -(١٨٣٠ - ١٩١٤) - ديوان شعر ريفي.

انكليز وأميركيون

السر فيليب سدني - (١٥٥٤ - ١٥٨٤) - انكليزي - آركيديا، سيدة

أدموند سبنسر - (١٥٥٢ - ١٥٩٩) - انكليزي - ملكة الجن، روزنامة الراعي.

توماس تشاترتون - (١٧٥٢ - ١٧٧٠) - انكليزي - نسج في كتاباته على منوال أدباء القرون الوسطى وشعرائها.. عاش في بؤس وشقاء، ووضع حداً لحياته بتجرّع السم.

وليام وردزورث - (١٧٧٠ - ١٨٥٠) - انكليزي - ديوانه المعروف.

ويليام بليك - (١٧٥٧ - ١٨٢٧) - انكليزي - ديوان غزلي.

دجيمس لويل - (١٨١٩ - ١٨٩١) - أميركي - رؤيا السر لونفال.

ماري كاسات - (١٨٤٥ - ١٩٢٦) - اميركية - في الأوبرا، أم وطفل، فتاة في العاشرة.

روس

ميخائيل لومونوسوف - (١٧١١ - ١٧٦٥) - ديوان غزلي.

ميخائيل لرمنتوف - (١٨١٤ - ١٨٤١) - شاعر غزلي وقصصي، له الشيطان.

اسبان وألمان

ألونسو دي اركيلا - (١٥٣٣ - ١٥٩٥) - شاعر ملاحم.

فراي بونتشي دو ليون (١٥٢٧ - ١٥٩٧) - شاعر لاهوتي وكاتب.

غوتفريد ستراسبورغ (١٢٠٠) - ألماني - تريستان وايزولت.

فولفرام فون ايشنباخ - (١١٧٠ - ١٢٢٠) - ألماني - شاعر، له برسيفال. تكسّر الثلج، جسر واترلو، زنابق الماء، شجر الحور.

أوغست فلهلم شليغل (١٧٦٧ - ١٨٤٥) - ألماني - شاعر وعالِم.

ريبر ماريا ريلكه - (١٨٧٥- ١٩٢٦) - ألماني - شاعر.

الخالدون من الموسيقيين واشهر أعمالهم

جيوفاني بالسترينا - (١٥٢٦ - ١٥٩٤) - ايطالي - من أشهر الشخصيات في تاريخ الموسيقى، وضع موسيقى دينية.

وليام بيرد - (١٥٤٠ - ١٦٢٣) - انكليزي - كتب موسيقى دينية.

جاكوبو بيري - (١٥٦١ - ١٦٣٣) - ايطالي - أوبرا اوريديس، وهي أول أوبرا تقدَّم على المسرح (سنة ١٦٠٠).

كلوديو مونتيفردي - (١٥٦٧ - ١٦٤٣) - ايطالي - من أوائل مؤلفي الأوبرات، هوأول من طالب بمقام مرموق لأوركسترا الأوبرا

جياكومو روسيني - (١٧٩٢ - ١٦٨٦) - ايطالي - يكاد يكون الوحيد بين الموسيقيين الذين تخصصوا في وضع الأوبرات ، لا سيما الأوبرات الهزلية.

جيوفاني لولي - (١٦٣٣ - ١٦٨٧) - فرنسي - أسَّس مدرسة للأوبرا الفرنسية تقوم على ابراز النواحي الدراماتيكية في القصة.

اركنجيلو كوريلي	- (١٦٥٣ - ١٧١٣) - ايطالي - عازف كمان شهير، وضع مؤلفات للعزف على هذه الآلة.
دومنيكو سكارلاتي	- (١٦٨٥ - ١٧٥٧) - ايطالي - في طليعة الذين كتبوا السوناتا.
جان فيليب رامو	١٦٨٣- ١٧٦٤) - فرنسي - مؤلف أوبرات ومقطوعات للقيثارة.
كريستوف غلوك	- (١٧١٤ - ١٧٨٧) - الماني - في طليعة مؤلفي الأوبرات في عصره، ومن المصلحين في هذا الفن.
نيقولو بيتشيني	- (١٧٢٨ - ١٨٠٠) - ايطالي - منافس لغلوك، وضع أكثر من ١٣٠ أوبرا. كانت له سيطرة غريبة على الميلوديا.
كارل فيبر	- (١٧٨٦ - ١٨٢٦) - الماني - وضع اوبرات رومنطيقية تتميز بالأسلوب الجرماني الصرف.
فنتشنزو بيليني	- (١٨٠٢ - ١٨٣٥) - ايطالي - وضع كثيراً من الأوبرات، أشهرها نورما التي غالباً ما تقدّم اليوم.
لويجي شيروبيني	- (١٧٦٠ - ١٨٤٢) - ايطالي - كان في طليعة مؤلفي الأوبرات في عصره، ولكن أوبراته لا تقدّم اليوم.
غيتانو دونيزيتي	- (١٧٩٧ - ١٨٤٨) - ايطالي وضع العديد من الأوبرات، وأشهرها عروس لامرمور (لوتشيا دي لامرمور).
فردريك سميتانا	- (١٨٢٤ - ١٨٨٤) - بوهيمي - استخدم في أعماله الفولكلور، ووضع أوبرات ومؤلفات للأوركسترا.
الكسندر بورودين	- (١٨٣٤ - ١٨٨٧) - روسي - وضع أوبرات منها

الأمير ايغور، كما وضع سنفونيات وموسيقى للآلات الوترية، وأغانٍ .

جاك أوفنباخ	ـ (١٨١٩ ـ ١٨٩٠) ـ فرنسي ـ مؤلف أوبرات وأوبريتات مرحة وذات حيوية .
سيزار فرانك	ـ (١٨٢٢ ـ ١٨٩٠) ـ بلجيكي ـ أسلوبه عنيف، ملك زمام الهارمونيا، سنفونيته الوحيدة لها شعبية كبرى.
هوغو فولف	ـ (١٨٦٠ ـ ١٨٩٣) ـ نمساوي ـ مؤلف أغانٍ رائعة .
ارنست شوسون	ـ (١٨٥٥ ـ ١٨٩٩) ـ فرنسي ـ واضع سنفونيات وأوبرات .
آرثر ساليفان	ـ (١٨٤٢ ـ ١٩٠٠) ـ انكليزي ـ إلى جانب الأوبرات التي وضعها بالاشتراك مع و. س. غلبرت، وأشهرها الميكادو، كتب أغان وأوراتوريو.
ادوارد ماك دويل	ـ (١٨٦١ ـ ١٩٠٨) ـ أميركي ـ أفاد من اللهجات والاصطلاحات الهندية الزنجية في أشعاره السنفونية والسوناتات.
غوستاف ماهلر	ـ (١٨٦٠ ـ ١٩١١) ـ ألماني ـ كتب تسع سنفونيات دراماتيكية، ووضع موسيقى للغناء.
غابريال فوريه	ـ (١٨٤٥ ـ ١٩٢٤) ـ فرنسي ـ عُرف بأسلوبه الموسيقي الرفيع، ووضع عدداً كبيراً من الأغاني.
فكتور هربرت	ـ (١٨٥٩ ـ ١٩٢٤) ـ أميركي ـ وضع عدداً كبيراً من الأوبرات، منها ماريتا اللعوب، وأطفال في بلاد الدمى.
دجون فيليب صوصا	ـ (١٨٥٤ ـ ١٩٣٢) ـ أميركي ـ يُعرف بملك المارشات لكثرة ما وضع من الألحان والموسيقى

العسكرية.

ادوارد ابلغار - (١٨٥٧ - ١٩٣٤) - انكليزي - ألف للمجموعات الموسيقية والغناء.

جورج غرشوين - (١٨٩٨ - ١٩٣٧) - أميركي - وضع الكثير من الأغاني، وله أعمال جدية للأوركسترا، وأوبرا بورغي وبيس.

سرغي راخمانينوف - (١٨٧٣ - ١٩٤٣) - روسي - وضع أغانٍ، وسنفونيات، وكونشرتات، ومقطوعات للبيانو بأسلوب القرن التاسع عشر الرومنطيقي.

فرانز ليهار - (١٨٧٠ - ١٩٤٨) - مجري - له أوبريتات عديدة أشهرها الأرملة الطروب.

***

الخالدون من الرسامين والنحاتين وأشهر أعمالهم

الرسامون

هربرت فان ايك ـ (١٣٦٦ ـ ١٤٢٦) ـ فلمنكي ـ عبادة الحَمَل .

جان فان آيك ـ (١٣٩٠ ـ ١٤٤١) ـ فلمنكي ـ العذراء والطفل.

هانس هولباين ـ (١٤٩٧ ـ ١٥٤٣) ـ ألماني ـ ايرازموس، توماس، كروميل، السفراء، كاثرين هوارد، السر توماس مور.

فرا انجيليكو ـ (١٣٧٨ ـ ١٤٥٥) ـ ايطالي ـ تتويج العذراء، سلطانة السموات والأرض، عبادة المجوس.

ساندرو بوتيتشيللي ـ (١٤٤٧ ـ ١٥١٠) ـ ايطالي ـ مولد فينوس، العذراء والطفل، الميلاد.

جيوفاني بيلليني ـ (١٤٣٠ ـ ١٥١٦) ـ ايطالي ـ التجلي، العذراء والقديسون، آلام المسيح في البستان.

البريخت دورر ـ (١٤٧١ ـ ١٥٢٨) ألماني ـ القديسان يوحنا وبطرس، رسم سيدة، عبادة الثالوث المقدس.

بيتر بروغل ـ (١٥٢٥ ـ ١٥٦٩) ـ هولندي ـ الخريف، الصيف،

الشتاء، عبادة المجوس، مأدبة الزفاف، الطريق إلى الخيالة.

جاكوبو تنتوريتو - (١٥١٨ - ١٥٩٤) - ايطالي - المحاكمة الأخيرة، الصلب، زواج باخوس وادريان، القديس أوغسطينوس الذي يداوي من الطاعون.

جان فرمير - (١٦٩١ - ١٧٢٨) - هولندي - السيدة ذات العقد اللؤلؤي، الصبية وجرة الماء، امرأة تقرأ رسالة.

فرنشيسكو زرباران - (١٥٩٨ - ١٦٦٢) - اسباني - الفرار إلى مصر، المسيح في بستان جسماني، صورة فتاة.

برتولومي موريلو - (١٦١٧ - ١٦٨٧) - اسباني - القديس توما الشاب، الحَبَل بلا دنس، رأس يسوع.

انطوان فاتو - (١٦٨٤ - ١٧٢١) - فرنسي - محاكمة باريس، الممثلون الهزليون الفرنسيون.

جان باتيست شاردان - (١٦٩٩ - ١٧٧٩) - فرنسي - صبي ينفخ الفقاقيع، زينة الصباح، بركة، مربية.

توماس غينزبورو - (١٧٢٧ - ١٧٨٨) - انكليزي - الملك جورج الثالث، وليام بت، صمويل دجونسون، نزهة الصباح.

دجون سنغلتون كوبلي - (١٧٣٧ - ١٨١٥) - أميركي - موت تشيذام، أسرة كوبلي، فتى ينقَذ من كلب البحر.

جاك لوي دافيد - (١٧٤٩ - ١٨٢٥) - فرنسي - تتويج نابوليون، مارا، مدام ريكامييه.

جوزف تيرنر - (١٧٧٥ - ١٨٣١) - انكليزي - معركة النيل، رصيف ميناء كاليه، فينيسيا (البندقية)، الشمس تشرق خلال الضباب، جسر التنهدات.

دجون كونستابل	- (١٧٧٦ - ١٧٣٧) - انكليزي - حقل الذرة، كاتدرائية سولزبري .
لويس دو كورنيه	- (١٨٠٦ - ١٨٥٦) - فرنسي - من المتخصصين في الرسوم التاريخية، وُلد بدون ذراعين ، فكان يرسم برجله .
أوجين دولاكروى	- (١٧٩٨ - ١٨٦٣) - فرنسي - الشاعر ملتون يملي ملحمته «الفردوس المفقود»، كرومويل في قصر وندسور، عرس يهودي في مراكش .
جان كاميل كورو	- (١٧٩٦ - ١٨٧٥) - فرنسي - نجمة المساء، دانتي وفرجيل، فيلا آفري .
أونوريه دوميه	- (١٨٠٨ - ١٨٧٩) - فرنسي - العصيان، المسيح والتلاميذ، شباك التذاكر في المسرح .
ادوار مانيه	- (١٨٣٢ -١٨٨٣)- فرنسي - الصبي والسيف، عازف الغيتار، في القارب، أولمبيا، الشرفة .
هنري طولوز - لوتريك	- (١٨٦٤ - ١٩٠١) - فرنسي - أوسكار وايلد، في الطاحونة الحمراء، في سيرك فرناندو .
ادغار دوغا	- (١٨٣٤ - ١٩١٧) - فرنسي - الراقصات يرتدين ملابسهن، التبرّج، بروفة على الباليه .
البرت رايدر	- (١٨٤٧ - ١٩١٧) - أميركي - سحب الليل، الالاهة ديانا في الصيد، ميدان سباق الخيل، نزهة بحرية في ضوء االقمر .
دجون سنغر سارجنت	- (١٨٥٦ - ١٩٢٥) - أميركي - روبرت لويس ستيفنسون، النِعم الثلاث، صورة السيدة المجهولة .
كلود مونيه	- (١٨٤٠ - ١٩٢٦) - فرنسي - كاتدوائية نوتردام،

النحاتون

فيدياس	ـ (القرن الخامس قبل الميلاد) ـ يوناني ـ أتينا لمينا، الاله زفس.
ميرون	ـ (القرن الخامس قبل الميلاد) ـ يوناني ـ رامي الصحن، لاداس العدَّاء، اتينا ومارسياس.
سكوباس	ـ (القرن الرابع قبل الميلاد) ـ يوناني ـ الإله مارس، كاهنات الاله باخوس.
براكسيتيلس	ـ (٣٧٠ ـ ٣٤٠ق.م.) ـ يوناني ـ هرمس مع الطفل، ديونيسيوس، افروديت، ايروس، ابولون.
لورنزو غيبرتي	ـ (١٣٧٨ ـ ١٤٥٥)) ـ ايطالي ـ أبواب المعمودية، أبواب الفردوس.
دوناتليو	ـ (١٣٨٦ ـ ١٤٦٦) ايطالي ـ داود، القديس جاورجيوس
أندريا دل فيروكيو	ـ (١٤٣٥ ـ ١٤٨٨) ـ ايطالي ـ قطع رأس يوحنا المعمدان، تكذيب القديس توما.
جون غوجون	ـ (١٥١٥ ـ ١٥٦٦) ـ فرنسي ـ ينبوع الأبرياء.
فلهلم لمبروك	ـ (١٨٨١ـ ١٩١٩) ـ ألماني ـ امرأة راكعة.
غاستون لاشيز	ـ (١٨٢٢ ـ ١٩٣٥) ـ فرنسي ـ امرأة.

لورادو تافت - (١٨٦٠ - ١٩٣٦) - أميركي - مجموعة البحيرات الكبرى، الصقر الأسود، ينبوع الزمن.

فريدريك ماك مونيز - (١٨٦٣ - ١٩٣٧) - أميركي - ناثان هيل، شكسبير، كاهنات الإله باخوس.

جورج غراي بارنارد - (١٨٦٣ - ١٩٣٨) - أميركي - الطبيعتان، الإله بان الكبير، القاطع.

غتزون بورغلام - (١٨٦٧ - ١٩٤١) - أميركي - لنكولن، نحت رؤوس أربعة رؤساء أميركيين ضخمة على قمة جبل رشمور.

اريستيد مايو - (١٨٦١ - ١٩٤٤) - فرنسي - امرأة جالسة، فلورا، فينوس.

* * * * * *

جـوائـز نـوبـل والفـائـزون بهـا
(من السنـة ١٩٠١ ـ ١٩٨٦)

تمهيد :

توزع جوائز نوبل سنوياً على اشخاص ومؤسسات يقومون بانجازات قيمة تفيد البشرية في حقول الفيزياء، والكيمياء ، والطب أو الفيزيولوجيا ، والادب ، وقضية السلام العالمي . أما قيمة كل جائزة فتبلغ حوالى ٤٠ الف دولار . وأما المال فمصدره فائدة مبلغ ٩ ملايين و٢٠٠ ألف دولار تركها الفريد نوبل ورصدها لهذه الغاية . ونوبل (١٨٣٣-١٨٩٦) كان عالماً كيمياوياً سويدياً ، وهو مخترع الديناميت . وقد أوصى بالا تؤخذ بعين الاعتبار جنسية المرشحين ، فتمنح الجوائز لمستحقيها سواء كانوا من اصل اسكندينافي أو من أصل غير اسكندينافي . أما المبلغ المرصد للجوائز فيديره مجلس مديرين ، تعين الحكومة السويدية رئيسه . تقدم جائزتي الفيزياء والكيمياء اكاديمية في استكهولم . أما جائزة السلام فيقدمها خمسة اشخاص ينتخبهم البرلمان النرويجي (ستورتنغ) . وقد بدأ توزيع الجوائز في ١٠ كانون الأول سنة ١٩٠١ ـ وهوذكرى وفاة نوبل . ولم تمنح أي جوائز في السنوات ١٩٤٠ و١٩٤١ و١٩٤٢ ، من سنوات الحرب العالمية الثانية .

السنة	الأسم والجنسية
	الكيمياء
١٩٠١	ياكوبس فانت هوف ـ هولندي .
١٩٠٢	إميل فيشر ـ ألماني .
١٩٠٣	سفانت آرينيوس ـ سويدي .
١٩٠٤	السر وليام رامزي ـ بريطاني .
١٩٠٥	أدولف فون باير ـ ألماني .
١٩٠٦	هنري مواسان ـ فرنسي .
١٩٠٧	أدوار بوخنر ألماني .
١٩٠٨	إرنست رذ رفورد ـ بريطاني .
١٩٠٩	فلهلم أوستفالد ـ ألماني .
١٩١٠	اوتو فالاخ ـ ألماني .
١٩١١	ماري كوري ـ فرنسية .
١٩١٢	فكتور غرينيار ـ فرنسي .
	بول ساباتييه ـ فرنسي .
١٩١٣	ألفريد فرنر ـ سويسري .
١٩١٤	ثيودور رتشاردز ـ أميركي .
١٩١٥	رتشارد فلشتاتر ـ ألماني .
١٩١٦	لم تُمنح الجائزة .
١٩١٧	لم تُمنح الجائزة .

١٩١٨	فريتس هابر ـ ألماني .
١٩١٩	لم تُمنح الجائزة .
١٩٢٠	فالتر نيرنست ـ ألماني .
١٩٢١	فريدريك صودي ـ بريطاني .
١٩٢٢	فرنسيس أستون ـ بريطاني .
١٩٢٣	فريتس بريغل ـ نمساوي .
١٩٢٤	لم تُمنح الجائزة .
١٩٢٥	رتشارد جيكموندي ـ ألماني .
١٩٢٦	تيودور سفيدبرغ ـ سويدي .
١٩٢٧	هاينريش فيلاند ـ ألماني .
١٩٢٨	أدولف فنداوس ـ ألماني .
١٩٢٩	آرثر هاردنغ ـ انكليزي .
	هانز فون أولر ـ شلبين ـ سويسري .
١٩٣٠	هانز فيشر ـ ألماني .
١٩٣١	كارل بوش ـ ألماني .
	فريدريك برغيوش ـ ألماني .
١٩٣٢	آيرفنغ لانغميور ـ أميركي .
١٩٣٣	لم تُمنح الجائزة .
١٩٣٤	هارولد يوري ـ أميركي .
١٩٣٥	فريدريك وإرين جوليو ـ كوري ـ فرنسيان .
١٩٣٦	بيتر ديبي ـ هولندي .
١٩٣٧	ولتر هاورث ـ بريطاني .
	بول كارير ـ سويسري .
١٩٣٨	رتشارد كون ـ ألماني .
١٩٣٩	أدولف ـ فريدريك يوهان بوتينانت ـ ألماني، رفض الجائزة

ليوبولد روجيكا ـ سويسري .

١٩٤٣ جورج دو هيغيزي ـ مجري .

١٩٤٤ أوتوهان ـ ألماني .

١٩٤٥ ارتوري إلماري فرتانن ـ فنلندي .

١٩٤٦ دجيمس ممنر ـ اميركي .

دجون نورثروب ـ أميركي .

وندل ستانلي ـ أميركي .

١٩٤٧ السر روبرت روبنصون ـ بريطاني .

١٩٤٨ آرني تيسيليوس ـ سويدي .

١٩٤٩ وليام فرنسيس غايوك ـ أميركي .

١٩٥٠ أوتو ديلس ـ ألماني .

كورت آلدر ـ ألماني .

١٩٥١ غلين سيبورغ ـ أميركي .

ادوين ماك ميلان ـ أميركي .

١٩٥٢ آرتشر مارتن ـ بريطاني .

رتشارد سينج ـ بريطاني .

١٩٥٣ هرمان شتاودنغر ـ الماني .

١٩٥٤ لاينوس بولنغ ـ أميركي .

١٩٥٥ فنسنت دو فغنود ـ أميركي .

١٩٥٦ سيريل هنشلوود ـ بريطاني .

نيقولاي سيميونوف ـ روسي .

١٩٥٧ السر ألكسندر تود ـ بريطاني .

١٩٥٨ فريدريك سانغر ـ بريطاني .

١٩٥٩ ياروسلاف هيروفسكي ـ تشيكوسلوفاكي .

١٩٦٠ ويلارد ليبي ـ أميركي .

١٩٦١ ملفن كالفن ـ أميركي .
١٩٦٢ دجون كندرو ـ بريطاني .
ماكس بيروتس ـ بريطاني .
١٩٦٣ كارل تسيغلر ـ ألماني .
جيوليو ناتا ـ إيطالي .
١٩٦٤ دوروثي كروفوت هودجكن ـ بريطانية .
١٩٦٥ روبرت بيرنز وودوود ـ أميركي .
١٩٦٦ روبرت ماليكن ـ أميركي .
١٩٦٧ مانفريد آيفن ـ ألماني .
رونالد جورج ريفود نوريش ـ بريطاني .
جورج بورتر ـ بريطاني .
١٩٦٨ لارس أونسليغر ـ أميركي .
١٩٦٩ ديريك بارتون ـ بريطاني .
أود هاسل ـ نرويجي .
١٩٧٠ لويس لولوار ـ أرجنتيني .
١٩٧١ جيرارد هرزبرغ ـ كندي .
١٩٧٢ كريستيان أنفنسن ـ أميركي .
ستانفورد مور ـ أميركي .
وليام ستاين ـ أميركي .
١٩٧٣ ارنست أوتو فيشر ـ ألماني .
دجفري ولكنسون ـ بريطاني .
١٩٧٤ بول دجون فلوري ـ أميركي .
١٩٧٥ فلاديمير بريلوغ ـ يوغوسلافي ـ سويسري .
دجون كورنفورث ـ أوسترالي ـ بريطاني .
١٩٧٦ وليام لبسكومب ـ أميركي .

١٩٧٧ ايليا بريكوجين ـ بلجيكي من أصل روسي .

١٩٧٨ بيتر متشل ـ بريطاني .

١٩٧٩ هربرت براون ـ أميركي .

١٩٨٠ بول بيرغ ـ أميركي .

جورج فيتنغ ـ ألماني .

فريدريك سانغر ـ بريطاني .

١٩٨١ كينيشي فوكوي ـ ياباني .

روالد هوفمان ـ أميركي .

١٩٨٢ آرون كلاغ ـ جنوب افريقي .

١٩٨٣ هنري طوبي ـ أميركي من أصل كندي .

١٩٨٤ ر. بروس ميريفيلد ـ أميركي .

١٩٨٥ هربرت هوتمان وجيروم كارل (أميركيان) .

١٩٨٦ دادلي هرشباش ـ أميركي، ويوان تيش ـ تايواني، ودجون تشارلز بولانيي ـ كندي .

الفيزياء

السنة	الأسم والجنسية
١٩٠١	فلهلم رونتغن ـ ألماني .
١٩٠٢	هندريك لورنتس ـ هولندي
	بيتر زيمان ـ هولندي :
١٩٠٣	هنري بيكريل ـ فرنسي .
	بيير وماري كوري ـ فرنسيان .
١٩٠٤	دجون سترات (لورد ريلي) ـ بريطاني .
١٩٠٥	فيليب فون لينارد ـ ألماني .
١٩٠٦	دجوزف طومسون ـ بريطاني .
١٩٠٧	ألبرت مايكلسون ـ أميركي .
١٩٠٨	غبريال لبمان ـ فرنسي .
١٩٠٩	دجيمسامـر ـ ماركوني ـ إيطالي .
	فردينايند براون ـ ألماني .
١٩١٠	يوهان فان در فالس ـ هولندي .
١٩١١	فلهلم فين ـ ألماني .
١٩١٢	غوستاف دالون ـ سويدي .
١٩١٣	هايكه كامرلنغ ـ اونيس ـ هولندي .
١٩١٤	ماكس فون لاوي ـ ألماني .
١٩١٥	وليام هنري براغ ـ بريطاني .

	وليام ل. براغ ـ بريطاني .
١٩١٦	لم تُمنح الجائزة .
١٩١٧	تشارلز باركلا ـ بريطاني .
١٩١٨	ماكس بلانك ـ ألماني .
١٩١٩	يوهانس شتارك ـ ألماني .
١٩٢٠	شارل ـ إدوار غيّوم ـ سويسري .
١٩٢١	ألبرت آينشتاين ـ ألماني .
١٩٢٢	نيلز بور ـ دانمركي .
١٩٢٣	روبرت ميليكان ـ أميركي .
١٩٢٤	كارل سيغبان ـ سويدي .
١٩٢٥	جيمس فرانك ـ ألماني .
	غوستاف هرتس ـ ألماني .
١٩٢٦	جان بيران ـ فرنسي .
١٩٢٧	آرثر كومبتون ـ أميركي .
	تشارلز ولسون ـ بريطاني .
١٩٢٨	أوين رتشاردسون ـ بريطاني .
١٩٢٩	الامير لوي ـ فكتور دو بروليِ ـ فرنسي .
١٩٣٠	شاندرا سيخارا رامان ـ هندي .
١٩٣١	لم تمنح الجائزة.
١٩٣٢	فرنر هايزنبرغ ـ ألماني .
١٩٣٣	ارفن شرودنغر ـ ألماني .
	بول ديراك ـ بريطاني .
١٩٣٤	لم تُمنح الجائزة.
١٩٣٥	دجيمس تشادويك ـ بريطاني .
١٩٣٦	فكتور هس ـ نمساوي .

كارل اندرسون ـ أميركي .

١٩٣٧ كلينتون دايفيسون ـ أميركي .

جورج طومسون ـ بريطاني .

١٩٣٨ انريكو فرمي. إيطالي .

١٩٣٩ ارنست أورلندو لورنس ـ أميركي .

١٩٤٣ أوتو ستيرن ـ أميركي .

١٩٤٤ ايزيدور آيزاك رابي ـ أميركي .

١٩٤٥ فولفغانغ باولي ـ نمساوي .

١٩٤٦ بيري بريدجمان ـ أميركي .

١٩٤٧ السر إدوارد أبلتون ـ بريطاني .

١٩٤٨ باتريك بلاكيت ـ بريطاني .

١٩٤٩ هيديكي يوكاوى ـ ياباني .

١٩٥٠ سيسيل فرانك باول ـ بريطاني .

١٩٥١ درجون دوغلاس كوكروفت ـ بريطاني .

إرنست ولتون ـ إيرلندي .

١٩٥٢ إدوارد ميلز برسل ـ أميركي .

فيلكس بلوك ـ أميركي .

١٩٥٣ فريتز زرنيكه ـ هولندي .

١٩٥٤ ماكس بورن ـ بريطاني من أصل ألماني .

فالتر بوتـه ـ ألماني .

١٩٥٥ بوليكارب كوش ـ أميركي .

ويليس لام ـ أميركي .

١٩٥٦ وليام شوكلي ـ أميركي .

ولتر بارتين ـ أميركي .

دجون باردين ـ أميركي .

تشين ننغ يانغ ـ صيني.

١٩٥٨ بافيل تشير نكوف ـ روسي.

ايليا فرانك ـ روسي.

ايغور تام ـ روسي.

١٩٥٩ اميليو سيغري ـ أميركي مولود في إيطاليا.

أوين تشمبرلن ـ أميركي.

١٩٦٠ دونالد غليزر ـ أميركي.

١٩٦١ رودولف موسباور ـ ألماني. روبرت هوفستاتدر ـ اميركي.

١٩٦٢ ليف لاندو ـ روسي.

١٩٦٣ أوجين ونغر ـ أميركي من أصل مجري.

ماريا غوبرت ـ ماير ـ أميركية من أصل ألماني.

هانز ينسن ـ ألماني.

١٩٦٤ تشارلز هارد تـانز ـ أميركي (نصف الجائزة).

نيقولاي باسوف ـ روسي.

ألكسندر بروخوروف ـ روسي (مشتركين النصف الثاني من الجائزة)

١٩٦٥ رتشارد ب. فايمان ـ أميركي.

دجوليان شوينغر ـ أميركي.

شينيشرو توهناغا ـ ياباني.

١٩٦٦ ألفريد كاستلر ـ فرنسي.

١٩٦٧ هانس بيته ـ أميركي.

١٩٦٨ لويس ألفاريز ـ أميركي.

١٩٦٩ مَري دجيل ـ مان ـ أميركي.

١٩٧٠ هانس آلفن ـ سويدي.

لويس نيل ـ فرنسي.

1971 دنيس غيبور ـ بريطاني.
1972 باردين ـ أميركي.
ليون ن. كوبر ـ أميركي.
دجون ر. شريفر ـ أميركي.
1973 ليو ايزاكي ـ ياباني.
ايفار جيافر ـ أميركي.
برايان د. جوزفسون ـ بريطاني.
1974 مارتن رايل ـ بريطاني.
أنطوني هيوويش ـ بريطاني.
1975 آج بور ـ دانمركي.
بنجامن موتلسون ـ دانمركي.
دجيمس رينووتر ـ أميركي.
1976 برتون ريشتر ـ أميركي.
صمويل تنغ ـ أميركي.
1977 فيليب أندرسون ـ أميركي.
نيفل موت ـ بريطاني.
ج. ـ هـ. فان فليك ـ أميركي.
1978 بيوتر كابتسا ـ روسي.
آرنو بنزياس ـ أميركي.
روبرت ولسون ـ أميركي.
1979 شلدون ل. غلاشو ـ أميركي.
عبد السلام ـ باكستاني.
1980 ستيفن واينبرغ ـ أميركي.
دجيمس واطسون كرونن ـ أميركي.
فال لوغسدن فيتش ـ أميركي.

١٩٨١	نيكولاس بلومبرغن ـ أميركي .
	آرثر شولو ـ أميركي .
	كاي سيغبان ـ سويدي .
١٩٨٢	كينيث ولسون ـ أميركي .
١٩٨٣	سوبرا همانيان شاندر اسيكار ـ أميركي من أصل هندي .
	وليام فاولر ـ أميركي .
١٩٨٤	كارلو روبيا ـ إيطالي .
	سيمون فان درمير ـ أميركي من أصل هولندي .
١٩٨٥	كلارس فون كليتسينغ ـ ألماني غربي .
١٩٨٦	ارنست روسكا، وغيردبينيغ ـ ألمانيان، وهاينريش روهر ـ سويسري .
	ارنسنت روسكا ، وغيرد بينيغ ـ ألمانيان
	هاينريش روهر ـ سويسري .

الطب والفسيولوجيا

السنة	الأسم والجنسية
١٩٠١	أميل فون بيرنغ ـ ألماني.
١٩٠٢	السر رونالد روس ـ بريطاني.
١٩٠٣	نيلز فنسن ـ دانمركي.
١٩٠٤	ايفان بافلوف ـ روسي.
١٩٠٥	روبرت كوخ ـ ألماني.
١٩٠٦	كاميلوغولغي ـ إيطالي.
	سنتياغو رامون إي كاخال ـ إسباني.
١٩٠٧	شارل لافيران ـ فرنسي.
١٩٠٨	باول آيرلتش ـ ألماني.
	ايلي متشينكوف ـ روسي.
١٩٠٩	اميل تيودور كرشر ـ سويسري.
١٩١٠	البريخت كوسل ـ ألماني.
١٩١١	أليفار غيلستراند ـ سويدي.
١٩١٢	الكسي كاريل ـ فرنسي.
١٩١٣	شارل ريشه ـ فرنسي.
١٩١٤	روبرت باراني ـ نمساوي.
١٩١٥	لم تُمنح الجائزة
١٩١٦	لم تُمنح الجائزة.

١٩١٧	لم تُمنح الجائزة.
١٩١٨	لم تُمنح الجائزة.
١٩١٩	جول بورديه ـ بلجيكي.
١٩٢٠	اوغست كروغ ـ دانمركي.
١٩٢١	لم تُمنح الجائزة.
١٩٢٢	أوتومايرهوف ـ ألماني.
	ارتشبولد هِلْ ـ بريطاني.
١٩٢٣	فريدريك غرانت بانتنغ ـ بريطاني.
	دجون ماك ليود ـ بريطاني.
١٩٢٤	ويليم آينتهوفن ـ هولندي.
١٩٢٥	لم تُمنح الجائزة.
١٩٢٦	يوهانس فيبيغر ـ دانمركي.
١٩٢٧	يوليوس فاغنر ـ يوريغ ـ نمساوي.
١٩٢٨	شارل نيكول ـ فرنسي.
١٩٢٩	كريستيان آيكمان ـ هولندي.
	السر فريدريك هوبكنز ـ بريطاني.
١٩٣٠	كارل لاندشتاينر ـ نمساوي.
١٩٣١	أوتو فاربورغ ـ ألماني.
١٩٣٢	السر تشارلز شيرنغتون ـ بريطاني.
	إدغار إدريان ـ بريطاني.
١٩٣٣	لم تُمنح الجائزة.
١٩٣٤	جورج هويبل ـ اميركي.
	جورج ماينوت ـ اميركي.
	وليام مورفي ـ اميركي.
١٩٣٥	هانز شنبتيمان ـ نمساوي.

١٩٣٦ السير هنري دال ـ بلجيكي .
أوتو لوفي ـ ألماني .
١٩٣٧ ألبرت جنت جيورجي فون ناغيرابولت ـ أميركي من أصل مجري
١٩٣٨ كورناي هيمانز ـ بريطاني .
١٩٣٩ جيرهارت دوماغ ـ ألماني رفض الجائزة .
١٩٤٣ هنريك دام ـ دانمركي .
إدوارد دويزي ـ أميركي .
١٩٤٤ دجوزف إرلنغر ـ اميركي .
هربرت سبنسر غاسر ـ أميركي .
١٩٤٥ السر الكسندر فليمنغ ـ بريطاني .
إرنست بوريس كاين ـ بريطاني .
هاوارد فلوري ـ بريطاني .
١٩٤٦ هرمان مولر ـ اميركي .
١٩٤٧ كارل وغيرتي كوري ـ اميركيان، من مواليد تشيكوسلوفاكيا .
برناردو هوساي ـ ارجنتيني .
١٩٤٨ بول مولر ـ سويسري .
١٩٤٩ فالتر هس ـ سويسري .
انطونيو ايغاس مونيز ـ برتغالي .
١٩٥٠ فيليب هنش ـ اميركي .
تاديوس رايشتاين ـ سويسري . ادوارد كندول ـ أميركي .
١٩٥١ ماكس ثايلر ـ أميركي .
١٩٥٢ سلمان وكسمان ـ أميركي، مولود في أوكرانيا .
١٩٥٣ فريتس لبمان ـ أميركي ، من أصل ألماني .
هانز كريبز ـ ألماني .
١٩٥٤ دجون اندرز ـ أميركي .

توماس ويلر ـ أميركي .
فريدريك روبنز ـ أميركي .
١٩٥٥ هوغو تيوريل ـ سويدي
١٩٥٦ ديكنسون رتشاردز ـ أميركي .
فرنر فورسمان ـ ألماني .
اندريه كورناند ـ أميركي
١٩٥٧ دانيال بوفه ـ ايطالي مولود في سويسرا
١٩٥٨ دجوشوى ليدربرغ ـ أميركي .
جورج بيدل ـ أميركي .
إدوارد تيتوم ـ أميركي .
١٩٥٩ سيفيرو أوكوى ـ أميركي .
آرثر كورنبرغ ـ أميركي .
١٩٦٠ ماكفرلن برنيت ـ اوسترالي .
بيتر برايان مدوّر ـ بريطاني من اصل لبناني .
١٩٦١ جورج فون بكيزي ـ أميركي من أصل مجري
١٩٦٢ دجيمس ديوي واطسن ـ أميركي .
فرنسيس هاري كومبتون كريك ـ بريطاني .
موريس هيوز ولكنز ـ بريطاني .
١٩٦٣ السير دجون كاريو إكليس ـ اوسترالي .
آلن لويد هودجكن ـ بريطاني .
آندرو فيلدنغ هكسلي ـ بريطاني .
١٩٦٤ كونراد بلوك ـ أميركي .
فيودور لينن ـ ألماني .
١٩٦٥ فرنسوى جاكوب ـ فرنسي .
اندريه لفوف ـ فرنسي .

جاك مونو ـ فرنسي .

1966 تشارلز هاغنز ـ أميركي .

فرنسيس بايتون راوس ـ أميركي .

1967 راغنار غرانيت ـ سويدي .

هولدان كيفر هارتلاين ـ أميركي .

جورج وولد ـ أميركي .

1968 روبرت هولي ـ أميركي .

مار غابند خورانا ـ أميركي .

مارشال نيرنبورغ ـ أميركي .

1969 ماكس دلبروك ـ ألماني .

ألفريد هرشي ـ أميركي .

سلفادور لوريا ـ ايطالي .

1970 السير برنارد كاتز ـ بريطاني .

أولف فوان أولر ـ سويدي .

دجوليوس أكسلرود ـ أميركي .

1971 ايرل ساذرلاند ـ أميركي .

1972 جيرالد إدلمان ـ أميركي .

رودني روبرت بورتر ـ أميركي .

1973 كارل فون فريش ـ الماني .

كونراد لورنتس ـ ألماني .

نيكوس تنبرغن ـ بريطاني .

1974 ألبير كلود ـ بلجيكي .

كريستيان دو دوف ـ بلجيكي .

جورج اميل بالايد ـ أميركي من أصل روماني .

1975 هاوارد مارتن تيمين ـ أميركي .

ريناتو دولبيكو ـ أميركي من أصل ايطالي .

دايفد بوليتمور ـ أميركي .

١٩٧٦ باروخ بلمبرغ ـ أميركي .

دانيال كارلتون غاجديوسيك ـ أميركي .

١٩٧٧ روزالين يالو ـ أميركية .

روجر غيلمين ـ أميركي من أصل فرنسي .

أندرو شاكي ـ أميركي .

١٩٧٨ فرنر آربر ـ سويسري .

دانيال نيثانز ـ أميركي .

هاملتون سميث ـ أميركي .

١٩٧٩ آلن كورماك ـ أميركي .

دجيفري ن. هاونسفيلد ـ بريطاني .

١٩٨٠ باروج بيناسيراف ـ أميركي .

جان دوسه ـ فرنسي .

جورج د. سنيل ـ أميركي .

١٩٨١ دايفد هابل ـ أميركي .

تيرستن فيزل ـ أميركي .

روبرت سبيري ـ أميركي .

١٩٨٢ سون برجستروم ـ سويدي .

بنغت صامويلسون ـ سويدي .

دجوت فين ـ بريطاني .

١٩٨٣ بربارة مكلنتوك ـ أميركية .

١٩٨٤ نيلس كاي جيرن ـ دانمركي .

سيزار ميلشتاين ـ ارجنتيني ـ بريطاني .

جورج كوهلر ـ ألماني .

١٩٨٥ مايكل براون ودجوزف غولدشتاين ـ أميركيان

١٩٨٦ ستانلي كوهين وريتا ليفي ـ أميركيان .

الأدب

السنة	الأسم والجنسية
١٩٠١	رينه فرنسوى أرمان سولي برودوم - فرنسي.
١٩٠٢	تيودور مومسن - ألماني.
١٩٠٣	بيورنسترن بيورنسون - نرويجي.
١٩٠٤	فريدريك ميسترال - فرنسي.
	خوسه ايشيغاري - اسباني.
١٩٠٥	هنريك سنكييفتش - بولوني.
١٩٠٦	جيوزو كاروتشي - ايطالي.
١٩٠٧	رديارد كبلنغ - بريطاني.
١٩٠٨	رودولف أوكن - ألماني.
١٩٠٩	سلمى لايرلوف - سويدية.
١٩١٠	بول فون هايزي - الماني.
١٩١١	موريس مترلنك - بلجيكي.
١٩١٢	جيرهارت هاوبتمان - الماني.
١٩١٣	رابندرانات طاغور - هندي.
١٩١٤	لم تُمنح الجائزة.
١٩١٥	رومان رولان - فرنسي.
١٩١٦	فرنر فون هايدنشتام - سويدي.

١٩١٧ كارل جيلروب ـ هولندي .
هنريك بونتو بيدان ـ هولندي .
١٩١٨ لم تُمنح الجائزة .
١٩١٩ كارل سبيتلر ـ سويسري .
١٩٢٠ كنوت همسون ـ نرويجي .
١٩٢١ اناطول فرانس ـ فرنسي .
١٩٢٢ ياشنتو بينافنتي ـ اسباني .
١٩٢٣ وليام ييس ـ ايرلندي .
١٩٢٤ فلاديسلاف ريمونت ـ بولوني .
١٩٢٥ جورج برنارد شو ـ بريطاني .
١٩٢٦ غراتسيا ديليدا ـ ايطالية .
١٩٢٧ هنري برغسون ـ فرنسي .
١٩٢٨ سيفريد أوندسيت ـ نرويجية .
١٩٢٩ توماس مان ـ الماني .
١٩٣٠ سنكلر لويس ـ أميركي .
١٩٣١ اريك كارلفيلت ـ سويدي .
١٩٣٢ دجون غيلزورذي ـ بريطاني .
١٩٣٣ ايفان يونين ـ فرنسي، مولود في روسيا .
١٩٣٤ لويجي بيرنديللو ـ ابطالي .
١٩٣٥ لم تُمنح الجائزة .
١٩٣٦ يوجين اونيل ـ أميركي .
١٩٣٧ روجيه مارتان دو غار ـ فرنسي .
١٩٣٨ بيرل باك ـ أميركية .
١٩٣٩ فرانس ايميل سيلانبا ـ فنلندي .
١٩٤٣ لم تُمنح الجائزة .

١٩٤٤ يوهانس يانسن ـ دانمركي .
١٩٤٥ غبرييلا ميسترال ـ تشيلية
١٩٤٦ هرمان هيسي ـ سويسري مولود في المانيا.
١٩٤٧ اندريه جيد ـ فرنسي .
١٩٤٨ ت. س. إليوت ـ بريطاني مولود في أميركا.
١٩٤٩ ويليام فوكنر ـ أميركي .
١٩٥٠ برتراند راسل ـ بريطاني .
١٩٥١ بار لاجركفيست ـ سويدي .
١٩٥٢ فرنسوى مورياك ـ فرنسي .
١٩٥٣ ونستون تشرشل ـ بريطاني .
١٩٥٤ ارنست هيمنغواي ـ أميركي .
١٩٥٥ هالدور لاكسنيس ـ آيسلندي .
١٩٥٦ خوان رامون خيمينيز ـ من بورتوريكو، مولود في اسبانيا
١٩٥٧ البير كامو ـ فرنسي .
١٩٥٨ بوريس باسترناك ـ روسي، رفض الجائزة .
١٩٥٩ سلفاتوري كازيمودو ـ ايطالي .
١٩٦٠ سان ـ جون بيرس ـ فرنسي .
١٩٦١ ايفو اندريتش ـ يوغوسلافي .
١٩٦٢ دجون ستاينبك ـ أميركي .
١٩٦٣ جورجيوس سيفيريس ـ يوناني .
١٩٦٤ جان ـ بول سارتر ـ فرنسي رفض الجائزة .
١٩٦٥ ميخائيل شولوخوف ـ روسي .
١٩٦٦ شوموييل يوسف أغنون ـ إسرائيلي .
نللي ساخس ـ سويدية .
١٩٦٧ ميغيل أنجيل استورياس ـ غوايتمالي .

١٩٦٨ ياسوناري كاواباتا ـ ياباني .

١٩٦٩ صمويل بيكيت ـ ايرلندي .

١٩٧٠ ألكسندر سولجنستين ـ روسي .

١٩٧١ بابلو نيرودا ـ تشيلي .

١٩٧٢ هانيريش باول ـ ألماني .

١٩٧٣ باتريك هوايت ـ اوسترالي .

١٩٧٤ ايفند جونسون ـ سويدي .

هاري ادموند مارتنسون ـ سويدي .

١٩٧٥ أوجينيو مونتالي ـ ايطالي .

١٩٧٦ صول بيلو ـ أميركي .

١٩٧٧ فينشنتي ألكسندر ـ اسباني .

١٩٧٨ ايزك باشفيز سنغر ـ اميركي .

١٩٧٩ اوذيسيوس ايليتس ـ يوناني .

١٩٨٠ تشاسلاف ميلوس ـ بولوني .

١٩٨١ الياس شينيتي ـ بلغاري .

١٩٨٢ غبريال غارسيا ماركيز ـ كولومبي .

١٩٨٣ وليام غولدينغ ـ بريطاني .

١٩٨٤ ياروسلاف سيفرت ـ تشيكوسلوفاكي

١٩٨٥ كلود سيمون ـ فرنسي .

١٩٨٦ وول شوينكا ـ نيجيري .

السلام

السنة	الأسم والجنسية
١٩٠١	هنري دونان ـ سويسري .
	فريدريك باسي ـ فرنسي .
١٩٠٢	ايلي دو كومون ـ سويسري .
	شارل غوبات ـ سويسري .
١٩٠٣	السر وليا كـريمر ـ بـريطاني .
١٩٠٤	معهد الحقوق الدولي ـ بلجيكي .
١٩٠٥	برتا فون سوتنر ـ نمساوية .
١٩٠٦	ثيودور روزفلت ـ أميركي .
١٩٠٧	ارنستو مونيتا ـ ايطالي .
	لويس رينو ـ فرنسي .
١٩٠٨	كلاس بونتوس آرنولدسن ـ سويدي .
	فريدريك باير ـ دانمركي .
١٩٠٩	أوغست ـ ماري ـ فرنسوى برنايـرت ـ بلجيكي
	البارون ايتورنيل دو كونستان ـ فرنسي .
١٩١٠	مكتب السلام الدولي الدائم ـ سويسري .
١٩١١	توبياس آسر ـ هولندي .
	ألفريد فريد ـ ألماني . جينيف .
١٩١٢	ايلايهو روت ـ اميركي .

١٩١٣ هنري لافونتين ـ بلجيكي .
١٩١٤ لم تُمنح الجائزة.
١٩١٥ لم تُمنح الجائزة.
١٩١٦ لم تُمنح الجائزة.
١٩١٧ جمعية الصليب الأحمر الدولي في جينيف
١٩١٨ لم تُمنح الجائزة.
١٩١٩ وودر ولسون ـ أميركي .
١٩٢٠ ليون بورجوى ـ فرنسي .
١٩٢١ يالمار برانتنغ ـ سويدي .
ليون بورجوى ـ فرنسي .
١٩٢٢ فريدتيوف نانسن ـ نرويجي .
١٩٢٣ لم تُمنح الجائزة .
١٩٢٤ لم تُمنح الجائزة .
١٩٢٥ تشارلز دوز ـ أميركي .
أوستن تشمبرلن ـ بريطاني .
١٩٢٦ أريستيد بريّان ـ فرنسي .
غوستاف شتريزمان ـ ألماني .
١٩٢٧ فردينان بويسون ـ فرنسي .
لودفيغ كيديه ـ ألماني .
١٩٢٨ لم تُمنح الجائزة .
١٩٢٩ فرانك كيلوغ ـ أميركي .
١٩٣٠ ناتان سودربلوم ـ سويدي .
١٩٣١ دجين آدامز ـ أميـركيـة .
نيكولاس م قري بتلر ـ أميركي .
١٩٣٢ لم تُمنح الجائزة.

١٩٣٣ السر نورمان آنجيل ـ بريطاني.
١٩٣٤ آرثر هندرسون ـ بريطاني.
١٩٣٥ كارل فون أوسييتسكي ـ ألماني.
١٩٣٦ كارلوس سافيدرا لاماس ـ أرجنتيني.
١٩٣٧ الفيكونت سيسل أوف تشيلوود ـ بريطاني.
١٩٣٨ مكتب نانسن الدولي للاجئين في جينيف
١٩٣٩ لم تمنح الجائزة.
١٩٤٣ لم تُمنح الجائزة.
١٩٤٤ جمعية الصليب الأحمر الدولي في جنيف.
١٩٤٥ كوردل هل ـ أميركي.
١٩٤٦ دجون موت ـ أميركي.
اميلي بولش ـ أميركية.
١٩٤٧ جماعة الكويكرز ـ أميركية.
جماعة الفرندز ـ بريطانية.
١٩٤٨ لم تُمنح الجائزة.
١٩٤٩ لورد بويد اور ـ بريطاني.
١٩٥٠ رالف بانش ـ أميركي.
١٩٥١ ليون جوهو ـ فرنسي.
١٩٥٢ ألبرت شفايتسر ـ فرنسي.
١٩٥٣ الجنرال جورج مارشال ـ أميركي.
١٩٥٤ مكتب مفوض الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين.
١٩٥٥ لم تُمنح الجائزة.
١٩٥٦ لم تُمنح الجائزة.
١٩٥٧ لستر بيرسون ـ كندي.
١٩٥٨ الأب دومينيك جورج بير ـ بلجيكي.

١٩٥٩ فيليب دجون نويل ـ بريطاني.
١٩٦٠ ألبرت دجون لوثولي ـ جنوب افريقي.
١٩٦١ داغ همرشولد ـ سويدي، مُنح الجائزة بعد الوفاة.
١٩٦٢ لاينوس بولنغ ـ اميركي.
١٩٦٣ لجنة الصليب الأحمر الدولي بالاشتراك مع عصبة جمعيات الصليب الأحمر في جنيف
١٩٦٤ الدكتور مارتن لوثر كنغ (الابن) ـ اميركي.
١٩٦٥ ـ منظمة اليونسيف لاغاثة الطفولة.
١٩٦٦ لم تُمنح الجائزة.
١٩٦٧ لم تُمنح الجائزة.
١٩٦٨ رينه كاسان ـ فرنسي.
١٩٦٩ منظمة العمل الدولي في جينيف.
١٩٧٠ نورمان بورلوغ ـ أميركي.
١٩٧١ فيلي برانت ـ ألماني.
١٩٧٢ لم تُمنح الجائزة.
١٩٧٣ هنري كيسنجر ـ أميركي.
لو دوك ثو ـ فييتنامي شمالي، رفض الجائزة.
١٩٧٤ ايزاكو ساتو ـ ياباني.
شين ماك برايد ـ ايرلندي.
١٩٧٥ أندريه ساخاروف ـ روسي.
١٩٧٦ ماير كوريغان ـ ايرلندي شمالي.
بتي ويليامز ـ ايرلندية شمالية.
١٩٧٧ منظمة العفو الدولية.
١٩٧٨ انور السادات ـ مصري.
مناحيم بيغن ـ اسرائيلي.

١٩٧٩ الأم تيريزا يوغوسلافية ـ هندية .

١٩٨٠ أدولفو بيريز اسكويفل ـ ارجنتيني .

١٩٨١ المفوضية العليا لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة .

١٩٨٢ ألغا ميرال ـ سويدية .

ألفونسو غارسيا روبلس ـ مكسيكي .

١٩٨٣ ليش فاليسا ـ بولوني .

١٩٨٤ ديزموند توتو ـ جنوب افريقي .

١٩٨٥ المنظمة الدولية للأطباء لتفادي الحروب النووية (يرئسها الطبيبان برنارد لاون ،أميركي ، وافغيني تشازوف ـ سوفياتي .

١٩٨٦ إيلي فيزيل ـ أميركي .

جائزة نوبل التذكارية للاقتصاد

بدأ توزيعها سنة ١٩٦٩، وكانت من نصيب هؤلاء:

السنـة	الأسم والجنسيـة
١٩٦٩	راغنار فريش ـ نرويجي.
	يان تنبرغن ـ هولندي.
١٩٧٠	بول صميوولسون ـ أميركي.
١٩٧١	سايمون كزنتز ـ أميركي.
١٩٧٢	كينيث آرو ـ أميركي.
	دجون هيكس ـ أميركي.
١٩٧٣	واسيلي ليونتييف ـ أميركي.
١٩٧٤	غونار ميردال ـ سويدي.
	فريدريك ريك فون هايك ـ نمساوي
١٩٧٥	تيلنغ كوبمانز ـ هولندي ـ أميركي.
	ليونيد كانتوروفتش ـ روسي.
١٩٧٦	ملتون فريدمان ـ أميركي.
١٩٧٧	برتيل أوهلن ـ سويدي.
	دجيمس ميد ـ بريطاني.
١٩٧٨	هربرت سايمون ـ أميركي.
١٩٧٩	ثيودور شولتز ـ أميزكي.

السر آرثر لويس ـ بريطاني .

١٩٨٠ لورنس كلاين ـ أميركي .

١٩٨١ دجيمس توبي ـ اميركي .

١٩٨٢ جورج ستيغلر ـ بريطاني .

١٩٨٣ جيرار دويرو ـ أميركي ـ فرنسي .

١٩٨٤ السر تشارلز ستون ـ بريطاني .

١٩٨٥ فرنكو موديلياني ـ أميركي ـ ايطالي .

١٩٨٦ دجيمس بوكانان ـ أميركي .

مصادر الكتاب

أبرز المراجع العربية

الخالدون العرب — قدري حافظ طوقان

المنجد في الأدب والعلوم — الأب لويس المعلوف اليسوعي

الحكماء الثلاثة — احمد الشنتناوي

(فضلاً عن مطالعات خاصة بالعربية والأجنبية).

أبرز المراجع الأجنبية

Believe It Or Not Vols. 1. 2 and 3) -
By Robert L. Ripley

Brief Biographies of Famous Men and Women -
By W. Stuart Sewell

Collier's Encyclopedia - (1965 Ed.)

50 Great Artists -
By Bernard Myers

Encyclopedia Americana - (1962 Ed.)

Five Minute Biographies -
By Dale Carnegie

Great Men of Science-
By Grove Wilson

Great Lives, Great Deeds -
Published by The Reader's Digest Association Ltd. (London)

Grand Larousse Encyclopédique.

Information Please Almanac -
Planned and supervised by Dan Golenpaul Associ- ates

Living Biographies of Great Painters -
By Henry Thomas and Dana Lee Thomas

Living Biographies of Famous Men -
By Henry Thomas and Dana Lee Thomas

Living Biographies of Famous Women -
By Henry Thomas and Dana Lee Thomas

Living Biographies of Great Composers -
By Henry Thomas and Dana Lee Thomas

Little Known Facts About Well Known People -
By Dale Carnegie

Lives of Destiny -
By Donald Curloss Beattie

Microbe Hunters
By Paul de Kruif.

Pears Cyclopedia -
Editor. L. Mary Barker

Pocket Book of Facts -
By Dr. George Gallup.

The Handy Encyclopedia of Useful Information -
Edited by Lewis Copeland

The Pocket Book of Old Masters -
Edited by Herman J. Wechsler

The Encyclopedia Britannica - (1962 Ed.)

The World Almanac -
Edited by Harry Hansen

الفهرس

مع الخالدين من الشعراء

مع الخالدين من الموسيقيين

مع الخالدين من الرسامين والنحاتين

مع الخالدين من الفلاسفة والمفكرين

مع الخالدين من المصلحين

مع الخالدين من العلماء

مع الخالدين من المخترعين والمكتشفين

مع الخالدين من السياسيين

مع الخالدين من الرحّالة

مع الخالدين من القادة والفاتحين

القسم الثاني : الملاحق

طبع على مطابع
مؤسسة عز الدين
General
للطباعة والنشر

مع الخالدين

يعرض هذا الكتاب الموسوعة سيرَ مختصرة وتراجم لأكثر من ألف شخصية عالمية وعربية ، ممن أثّروا وصنعوا التاريخ ، وسطروا بأعمالهم الخالدة صفحات مشرقة في سجلات الزمن ، وأشادوا صروح الحضارة . وأصبحوا منارات يُهتدى بها .

ويقدم للقارىء مختصراً لحياة وأعمال العباقرة والخالدين في كل علم وفن . ويشكل مرجعاً لمعرفة نبذ عن حياة الجهابذة والموهوبين من الفلاسفة ، والمفكرين ، والعلماء ، والأدباء ، والشعراء ، والسياسيين ، ورجال العلم ، والتاريخ ، والقادة ، والفاتحين ، والمستكشفين والمخترعين ..

إنه كتاب لا غنى عنه . فهو حقاً متعة لطالب المتعة وكنز فوائد لطالب الاستفادة .

